

الفُرْقَانُ

٣ - ٤



مَعْلَمَةُ الشَّيْخِ  
الدُّكَّوْرُ مُحَمَّدُ الصَّفَارِي

# الْفَرْوَانُ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ  
بِالْقُرْآنِ وَالسُّنْنَةِ

الْجُزُءُ الثَّالِثُ وَالرَّابِعُ  
سُورَةُ آلِ عَمَرَانَ

دَارُ الْإِرَاثَةِ الْأَصَمِيدِ  
لِلطبَاعَةِ وَالنَّسْرَةِ وَالتَّوزِيعِ  
مَهْرَبُتْ - بَلْعَتْ



سورة آل عمران مدنیة (۳)

وآیاتکا مائتان



**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

﴿الْمَ (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ السُّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلٍ هُدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقامَةٍ (٤) إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفِي عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ (٥) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْضِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَخْرُ مُتَشَاهِدَاتٌ فَمَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

رَبِّيْغُ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي  
الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَدْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ (٧) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ  
إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَبَّ  
فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ  
شَيْئًا وَأَوْلَئِكَ هُمْ وَقُوْدُ النَّارِ (١٠) كَدَّأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخْذَهُمْ  
اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١١)

سميت هذه السورة بـ «آل عمران» لأنهم من أبرز السمات المستعرضة فيها بين عرض الرسل والرسالات في مختلف المجالات المعرقلة عجلتها ، المكدرة أجواءها.

تستحضر هذه السورة صورة وضيئة من روح زمني مدني للحياة الإسلامية قويت فيها شوكة المسلمين ، وبطبيعة الحال عارضتها الشائكة ضد الإسلامية من

وقضية الهيمنة القرآنية. الكاملة. هي مواجهة كل عرقلة وشائكة ليقود المسلمين في خطواتهم بين كل الأشواك وال المصائد والأحابيل والعقبايل.

ففي عرض الحالة الحاضرة لنزول القرآن في عهديه وما عرضتها من معارضات ضدها ، وحلول ربانية لمسكتها ، عرض لكل الحلول بمعارضاتها في كل مستقبل للحياة الإسلامية ، حيث الدعوة القرآنية خالدة على مر الزمن بمدار الضمانات الوقائية للكتلة المسلمة ما تمسكوا بها.

وقد تكون هذه السورة نازلة كترتيبها الآن ، حيث الرباط الوظيفي بين آياتها ينادي بذلك الواقع ، إضافة إلى كون الأصل في أي السور كلها نزولها كما رتبت إلا بدليل يدل على خلافه ، ولم يرد في الأثر أن آيات عمران نزلت في غير جوها أم غير ما هي الآن من ترتيبها ، فقد توافق وتجاوب تنزيتها وتأليفيها.

• (١) الم

هي كما في البقرة وعديدة سواها من المفتاحات بها وأباضر ابها ، هي من مفاتيح كنوز القرآن ، ففصلنا طرفا طريفا من فصل القول حولها في البقرة وسواها فلا نعيد.

۲ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾

تجدد تفصيل البحث عنها في آية الكرسي هناك فلا نعيده هنا.

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحُقْقِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ النُّورَةَ وَالْأَنْجِيلَ﴾ (٣).

«نزل» بالحق «عليك» بالحق **﴿الكتاب بالحق﴾** «مصدقا» بالحق **﴿لما بين يديه﴾** بالحق ، فهو خمس من الحق تنزلا ومنزلا وتصديقا ومصدقا : مصاحب الحق وبسبب الحق ، معان عشرة كلها معنية على درجاتها دونما خليط من باطل ، ولا زوال لحقه خلافسائر الحق قبله ، فهو الحق المستمر الحالد دونما نسخ أو تحويل خلافا لكل حق قبله . والكتاب المنزّل هنا هو القرآن المفصل النازل نجوما قضية مختلفة الحالات المقتضية وال حاجيات .

و «مصدقا» حال أنها حال للكتاب ، كذلك هي حال للرسول المخاطب في «عليك» فكما : **﴿آمِنُوا إِمَّا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾** (٤١ : ٢) كذلك : **﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾** (٢ : ٨٩) .

ف **﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾** لا تختص . فقط . بكتب الوحي ، بل ونعم رسول الوحي بآياتهم الرسولية والرسالية ، فكما القرآن يصدق ما بين يديه من كتابات الوحي بآياتها الرسالية ، كذلك رسول القرآن مصدقا لما بين يديه من رسول الوحي بآياتهم الرسولية ، كما وكل من الرسول والقرآن بصدقان كلاً من رسول الوحي وكتابات الوحي .

ودور تصديق القرآن لما بين يديه من كتابات الوحي هو واقع التجاوب بين وحيه ووحيهما ، فلو لم يكن القرآن وحيا لم يكن ليصدق سائر الوحي الواقع الاختلاف بين وحي السماء ووحي الأرض .

وكيف **﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾** دون «ما خلفه»؟ وكل الرسل والكتب هي خلف القرآن ورسوله ! ، لأن قرآن محمد و محمد القرآن هما استمراران لما قبلهما من رسول وكتاب ، مكملان لهما ومهيمنان عليهما ، فليساهما خلف القرآن ونبيه في الكيان مهمما كانوا خلفهما في الزمان ، فحق التعبير . إذا . كما هو : **﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾**

كفارئ لهم وقال ومصدق إياهما ، فهما . إذا . أمامهما في الاتجاه ، مهمما كان القرآن ورسوله إمامهما في التوجيه .

ثم التصديق لما بين يديه منحصر بما أنزل بولي الله ، منحصر عما سواه لمكان سابق الذكر للكتاب ، والنبي ليس ليصدق إلا النبي ، ولا كتاب الوحي إلا مثله دون ما ينافقه ام ليس بهحتواه من حيث الوحي ، الا تصدقها لصادق الواقع ولكنها ليس تصديقا رساليا ، و «مصدقا» هنا تعني الرسالي والرسولي ، ف **﴿لَمَا بَيْنَ يَدَيْهِ رَسُولاً وَكُتُبًا لَيْسَ إِلَّا خالصَ الْوَحْيِ مِثْلَهُ﴾** ، فان في تصديق المختلق تكذيبا لنفسه وتصديقا للمتضادين ! ، ولا يعارض تصديقه لما بين يديه نسخه لقسم من أحكامه حيث النسخ بيان لأمد الحكم السابق وليس تكذيبا لوحيه ، ولا يعني تصديق القرآن لما بين يديه إلا تصديق وحيه دون تطبيقه المطبق المطلق ، قضية ضرورة النسخ لقسم من الأحكام السالفة حتى في شرعة واحدة فضلا عن شرائع عده .

وقد بين نطاق التصديق في قسم من آية ك **﴿قُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾** (٤٢) : ١٥ ) و **﴿فُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ﴾** (٤٦ : ٢٩) كما والقرآن بيان لما اختلف فيه أهل الكتاب من الكتاب دسا وتحريفا وتجديفا : **﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾** (٦٤ : ٦٤) **﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾** (٢٧ : ٢٧)

وكما يصرح في عشرات من آياته أن أهل الكتاب حرفوا من كتبهم قسما من جهات أشراعها ومن أهمها البشائر الواردة فيها بحق هذا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : **﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الَّذِي أَمَّى الَّذِي يَحِدُّونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾** (٧ : ١٥٦) فقد حرفوا بشائره لفظيا ومعنويا كما حرفوا منها أحكاما وقصصا تحمل أحكاما أخرى : **﴿... يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَةَ عَنْ**

مَوَاضِعِهِ ... ﴿٥﴾ و ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفِونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَغْفُلُوا عَنْ كَثِيرٍ ...﴾ (١٦) ﴿أَفَتَطْمَئِنُ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَغْلَمُونَ﴾ (٢٦) ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيَشْتَرُوا بِهِ مَنَا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبْتُ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٢٧) .

وقد يعني تكرار التصديق لما بين يديه أنه ليس بدعا من الرسل ، ولا أن كتابه بدع من الكتب ، تقريبا وتشويقا لأهل الكتاب ان يصغوا إلى ذلك الجديد الذي هو استمرار للقديم ، سلسلة موصولة بين الله وخلقه على مر الزمن الرسالي.

ذلك ، ولكي يقارنو بين الكتابين فيعرفوا ان القرآن وحي . وبآخرى ما عندهم . او ينظروا الى البشارات المودوعة في كتبهم بحق هذه الرسالة الأخيرة ، متحللين عن كل تحريف وتجديف .

ذلك ﴿لَمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ بوجه يعم كافة الرسل بكتبهم ، ثم ﴿وَأَنْزَلَ السُّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ خاص بعد عام لاختصاصهما بينها بأهمية خاصة ، وأنهم المعروfan منها في الحقل الكتابي دون ما سواهما من كتاب غابر لم يبق له على أثر إلّا فيما شذ وندر . و «الإنجيل» مفردا (١٢) مرة في القرآن لحة لامعة على تحرفه إذ أصبح أناجيل لا تنسب الى السيد المسيح (عليه السلام) اللهم إلّا ما لا خبر عنه حيث دفن في مقبرة التاريخ المسيحي .

والقرآن لا يصدق إلّا الإنجيل النازل على السيد المسيح (عليه السلام) دون الأناجيل التي ألفها جماعة آخرون وهي متعارضة مع بعضها البعض ،

وآخرى مع صادق الوحي ، وثالثة مع الفطرة والعقلية والواقعية السليمة <sup>(١)</sup> !.

﴿... مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ كل ذلك رسولا ورسالة :  
 ﴿مِنْ قَبْلِ هُدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ هُنْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو الْإِنْقَامَةِ﴾ ٤.

فكل ما انزل من قبل ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيهِ﴾ و ﴿الْتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ كيانه هدى للناس ،  
 كما ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾.

والفرقان . ككل . هو الفارق بين الحق والباطل بواقعه المبرهن وأصدق مصاديقه هو القرآن ، فقد ذكر أولاً بلفظ «الكتاب» وأخيراً «الفرقان» مما يدل انه هو الأول والأخير ، فكل كتابات السماء تقدمات لذلك الكتاب ، كما أن كل رسول السماء تقدمات لذلك الرسول .

ومهما كان كل رسول فرقانا بنفسه وبآيات رسالته ، ولكن لم يكن فرقانا بكتابه ، فهذا الرسول فرقان بكتابه كأفضله ، فإنه آية خالدة رسالية ورسولية على مدار الزمن الرسالي ، وما هكذا اي كتاب بين يديه !.

ومهما شمل «الفرقان» المنزل هنا كل فرقان مع الرسل دون كتابهم ، فالمصدق الأعلى والأجلى للفرقان هو القرآن ، كما وهو الرسول فانه من المنزل كما القرآن : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا. رَسُولًا يَتَلَوَّ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ (٦٥ : ١١).

وطالما القرآن المفصل منزل تدريجيا ، ولكن المحكم منه . النازل ليلة

(١) للاطلاع على حال الأنجلترا راجع كتابنا (المقارنات) وقد جاء شطر من عديد الأنجلترا في الفرقان ٢٧ :

القدر . منزل دفعيا فهو : فرقان أول ، ثم المفصل منه فرقان ثان منزل ، لأن كل نازل منه في نجمته فرقان ، فهو . إذا . فرقان جملة وتفصيلا ، ازلا وتنزلا ، لا مثيل له في كتابات الوحي عن بكرتها .

فذكر الفرقان هنا بعد القرآن تعظيم للقرآن وتعظيم لفرقان لكل رسول انه لا يأتي الا بفرقان ، وفرقان القرآن يمتاز عن سائر الفرقان بما يفرق بين أصيل الوحي فيما بين يديه عن دخبله ، وانه برهان لرسوله رساليا ، خالدا على مر الزمن ، بل لا يزداد إلا ظهورا وبهورا ، وأنه المقياس الأصيل لما يروى عن الموصومين (عليهم السلام) تصديقا لما وافقه وردا لما خالفه .

ذلك ! وما أشبه من ميزاته المنقطعة النظير بين كل فرقان لكل بشير ونذير ، فإنه شرعة بأكملها وآية رسالية ورسولية بأكملها ، قضية خلود الشريعة بآيتها ﴿وَلَا يُنِيبُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ .  
إذا ف ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ وهي مجموعة في ذلك الفرقان ، ومنجمة في سائر الفرقان : انفسية وآفاقية : رولا رساليا ورسولية ، كفرا عن تصدقها ، وسترا مكذبا او متتجاهلا عن دلالتها الصادقة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ وفاقا لشد الكفر وعدده وجزره ومدده  
 ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ لا يغلب ﴿ذُو الْتِقَامِ﴾ من يتائب او يتغلب على رسالات الله وفرقانه .  
 ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَكْفُنِي عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ ٥ .

«شيء» هنا في سياق النفي تشمل كل ما يستحق اسم الشيء ، واقعا . وهو حق الشيء في مثلث الزمان . بإمكان وقوعي ومصلحي ، ام مكنا ذاتيا لا يستحق التكوين حسب الحكمة العالية ، واما المستحبيل فليس شيئا باي معنى حتى تشمله «شيء» فاغا الله يعلم استحالته حقه ونحن نعلمها على هامش علمه .

ثم ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ تعبير مكرور في القرآن عن كل كائن على طول خط التكوين ، ظرفاً لواقع «شيء» ومظروفة ، دون إبقاء لكائن إلا وهو شامله.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٦ .

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ (٨٢ : ٨) ﴿وَصَوَّرُكُمْ فَأَخْسَنَ صَوْرَكُمْ﴾ (٦٤ : ٣)  
ولا أنت الناس فحسب ، بل و ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ (٥٩ : ٢٤) لكل صورة ،  
ولا يخلو أي خلق من صورة هي منه تعالى كخلقه سواء.

«هو» لا سواه ﴿الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ﴾ بالصورة الإنسانية بجزئيها الروحية والبدنية ، روحية عامة هي الروحية الإنسانية ككل ، المشتركة بين الكل ، وأخرى خاصة حيث تختلف الأرواح من جهات عدة قابلية وفاعلية واستعداداً أماهية ، وبدنية عامة مشتركة وهي الميكل الإنساني المشترك بين الكل ، وأخرى خاصة هي مختلف الصور والشكلة ظاهرة وباطنة ، وكل هذه الأربع داخلة في نطاق «تصوركم» هنا وفي سواه : ﴿صَوَّرُكُمْ فَأَخْسَنَ صَوْرَكُمْ﴾ حيث ﴿خَلَقْنَا إِلَيْنَا إِنْسَانًا فِي أَخْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ في جزئيه فلا أفضل منه نوعياً لله إلا فضيلاً مثله وهو القليل : ﴿وَفَضَّلَنَا هُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.

وارحام النساء ، مهما كانت خلقية ، ام مصطنعة ان أمكنت ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ لا ما يشاءه سواه ﴿يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ﴾ .

﴿لَا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ﴾ في اي من اختصاصات الألوهية كالخلق والتصوير والتدبير والتقدير

«العزيز» في ألوهيته «الحكيم» فيها ، فلا يغلب ولا يخطأ او يجهل او يغفل.

هنا ﴿يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَام﴾ كما هناك ﴿فِي أَيِّ صُورَةِ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ تحمل مختلف الصورة الروحية والبدنية للإنسان ، فليس هي بمشيئة الوالدين . اختياراً أم دون اختيار . أو علم الأجيال ، إنما هي بمشيئة الله وحده لا شريك له .

هنا تتحدث قليلاً عن الصورة الجسدانية الملموسة ، فقد قضت الحكمة الربانية في خلقه أن يركب كل شخص إنساناً وسواء بصورة مختلفة عن الآخر رغم التشابه الواقع بين شخص وآخر .

ولقد بين علماء الوراثة قريباً أن احتمال التشابه التام بين شخصين هو بنسبة واحد من الرقم عشرة مسبوقة بأربعين صفراء (١٠٤٠) وهذه حقاً استحالة حسابية منطقية !.

ذلك ! لأنه . حسب تقاديرنا . عند ما ينصلح الحيوان المنوي مع البويضة . وكل منهما يحمل ربع مليون «نسلة مورثة» تقريباً . لا يقدر أحد إلا الله أن يتبنّى بالشكل الذي سيكون عليه مستقبل الجنين البيولوجي ، والتي تحكمها هذه الموراثات ، وقد يرجع الجنين في نسبة . أي ميزاته البيولوجية . إلى أبعد الحدود ، وربما إلى جدنا الأول وكما في حديث الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عند ما سُئلَ رجلاً ما ولد لك ؟ : ما عسى أن يولد لي إما غلام وإما جارية ، قال : فمن يشبهه ؟ قال الرجل يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ما عسى أن يشبه إما أباً وإما أمّه ، فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : لا تقولن هكذا ، ان النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم ، أما قرأت هذه الآية في كتاب الله ﴿فِي أَيِّ صُورَةِ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ قال : شكلك .

ذلك ! ورغم أن علم الوراثة باستطاعته نفي الأبوة عن طفل إذا تعارضت

فقة دمه مع فقة دم والده . وهذه حالات نادرة . كأن تكون فقة دم الوالدين من فقة (A) وفقه دم الطفل من فقة (B).

رغم ذلك لا يستطيع التأكيد بأبوة الوالد لطفله ، فعلم الوراثة لا يستطيع الجزم بذلك أبدا ، ومن هنا نعرف طرقا من بعد العلمي العظيم في التشريع الإسلامي من خلال قول الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : «الولد للفراش وللعاهر الحجر» حيث يحصر المعول عليه في ثبات نسب الطفل لوالده كما بينه علم الوراثة اليوم.

ذلك ، وأما أنصار الانتخاب الطبيعي وتطور المخلوقات الحية بعوامل البيئة والمناخ ، من الذين أرجعوا اختلاف الألوان في الجنس البشري والمخلوقات الحية للمناخ والطبيعة ، أما هؤلاء فسقطت هرطقتهم هذه الخواص أمام اكتشافات الموراثات التي تحكم اختلاف الألوان في المخلوقات.

فلما ذا سكان الولايات المتحدة الأمريكية من الزنوج لم يتغير ألوان بشراتهم بفعل المناخ وهم في مناخ مختلف عن إفريقيا منذ مئات السنين؟ وكذلك بالنسبة لسكان جنوب إفريقيا من البيض.

أجل لا ننكر أن للبيئة والمناخ تأثيرا بحول الله وقوته ، ولكننا ننكر أن يكونا هما الأصل الأصيل في اختلاف الصور والألوان ، فاما ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ ! وإليكم مثالاً ماثلاً بين أعيننا «بصمات الأصابع» كما تبدو في أواخر الشهر الثالث من حياة الجنين ﴿بَلِّي قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَّ بَنَاهُ﴾ حيث لا تتشابه البصمات إلا في التوأم التام الصحيح المتأتي من بويضة ملقحة واحدة ، سبحان الخالق العظيم!

وتلك هي الصورة المختلفة بين الناس ، ثم المتحدة بينهم تشتمل على ثلاثة عشر هي:

الطبائع . الأركان . الأخلاط . الجوهر . الطبقات . الأعمدة . الحبال . الخزائن . المسالك .  
الأنهار . الأبواب . الحراس . العمودان ، فكل شخص من الإنسان هو بمفرده كمدينة سبعان  
الأخلاق العظيم ! .

١ فالطبائع هي الحرارة . البرودة . الرطوبة . الرياح .

٢ والأركان الأصلية أيضاً أربعة هي النار والهواء والماء والأرض ، والعلم الآن جعلها مركبات من عناصر تبلغ زهاء (٧٥) أم وتزيد.

٣ والأخلط أربعة هي : الصفراء والدم والبلغم والسوداء ، مهما زاد عليها العلم ما

٤ والجواهر تسعه هي : عظم . مخ . عصب . عرق . دم . لحم . جلد . ظفر . شعر .  
والطبقات عشر هي : رأس . رقبة . صدر . بطن . جوف . حقو . وركان . فخذان .

۱۰۷

٧ وال الحال : (٧٥٠) حبلا هي الرباطات المتسلدة المشدودة على العظام وهي واسعة في (١٢٠٠) وهي أحدث.

٨ والخزائن الإحدى عشر هي : الدماغ . النخاع . الرئة . القلب . الكبد . الطحال .  
المراة . المعدة . الأمعاء . الكلستان . الأنثان .

<sup>٩</sup> المسالك والشوارع والطرقات في العروق الضوارب (٣٦٠).

١٠ والأنهار هي : الأوردة (٣٩٠).

١١ والأبواب الإثني عشر هي : العينان . الأذنان . المنخران . السبيلان . الثديان . الفم .

السرة .

١٢ والحراس هي الحواس الخمس : السمع . البصر . الشم . الذوق . اللمس .

١٣ والعمودان هما الرجالان .

**﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَمَمَّا أَذْدِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَيْغُ فَيَسْبِغُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَدْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَاب﴾ (٧).**

آية فريدة في القرآن تقسم آياته إلى محكمات ومتشابهات ، تنديداً بالذين يتبعون ما تشابه منه ، وتجيداً بمبتغي محكماته ، والمستفسر لمتشابهاته بها ، وتجهيلاً لتأويله ككل وعلمه للكل ، فيتحقق لنا أن نسير أغوارها لنحصل على صراط مستقيم في تفسير آي الذكر الحكيم . هنا اثني عشر سؤالاً تطرح حول آية التقسيم هذه ، للإطاحة بكل تقوله عليها على ضوء أوجوبتها الصالحة .

١ هل هذه الآية محكمة يصح التمسك بها في ذلك التقسيم ومعرفة كل قسم ، أم متتشابهة؟ .

٢ ثم ذلك التقسيم الثنائي حاصر ، أم هناك قسم أو اقسام آخر من الآيات؟ كالمجملات ! .

٣ كيف التوفيق بين آية التقسيم ، وثانية تدل على أن القرآن كله محكم : **﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ﴾ (١١ : ٢)** وثالثة تدل على انه كله متتشابه : **﴿اللَّهُ نَزَّلَ**

**أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًاً مُتَشَابِهً مَثَانِي .. ﴿٣٩ : ٢٣﴾**

٤ كيف جمع فيها بين «هن» ضمير الجمع ، وبين «ام الكتاب» مفردة ، فجعل الواحد صفة للجمع؟ وهذا فت في عضد البلاغة وثلم جانب الفصاحة!.

٥ ما هو الحكم والتشابه والفرق بينهما بصورة محكمة غير متشابهة؟.

٦ كيف تكون المحكمات أُمّا للكتاب؟.

٧ ما هو اتباع المتشابه المنهي عنه؟.

٨ لماذا تفسّر المتشابهات وكيف تفسّر؟.

٩ ما هو الوجه في اشتتمال الكتاب على المتشابهات وهي مسرب الشبهات؟.

١٠ من هم الراسخون في العلم؟ وهل هم يعلمون تأويله أم لا يعلمون؟.

١١ هل التأويل يخص المتشابهات أم يعم المحكمات؟.

١٢ ما هو الفرق بين التأويل وتفسير المتشابه؟.

١ قضية الوحدة في هذه الآية من حيث التقسيم إذ لا ثانية لها ، والتأمل فيها حقها ، أنها محكمة ، وإنّا لفسد التقسيم وأصبح القرآن كلّه متشابهاً حيث لا يفهم الفرق بينهما على ضوء آية التقسيم ، فهي قطعاً في مقام بيان التقسيم ، فلو كانت متشابهة . ولا محكمة غيرها تفسّر هي بها . لعاد القرآن كلّه متشابهاً ، وبطل علاج التشابه المدلول عليه لها ، ولم يصدق : ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٤ : ٣٢) وسقط الاحتجاج

بواجب التدبر فيه : ﴿أَفَلَا﴾

**يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجِدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴿٤ : ٨٢﴾ وليس الحاجة الى التدبر مما يجعل الآية متشابهة وإلا أصبح كل النظريات متشابهة . هذا وواقع الاختلاف في أي القرآن إحكاماً في بعض وتشابهاً في أخرى ، مما يصدق حق التقسيم وانه بيان الواقع ملموس .

٢ «منه» قسيم أول «وآخر» قسيم منه ثان فهما . إذا . قسيمان اثنان ، ولو كان فيه ثالث لكنه حق التقسيم في هذه اليتيمة أن يذكر كما ذكر ، فان في تركه اجمالاً في التقسيم وإيماناً لكل قسيم .

ثم التقسيم الى قسيمي السلب والإيجاب هو حاصر على أية حال ، والتشابه والإحكام راجعون الى وصفي المدلول باللائحة والخلفي ولا ثالث بينهما أيا كان .

وقيلة القائل ان الجمل ثالث لا هو محكم ولا متشابه . لأنهما المقصود دلالتهما على معنى ، ولا يقصد من الجمل محمل المعنى . إنما غيلة وحيلة على الذكر الحكيم ، إذ لا محمل في القرآن بهذا المعنى ، فكل لفظة فيه تعني ما يصح أدبياً من المعنى المراد ، إن عاماً فعام وإن مطلقاً فمطلقاً أو نصاً أو ظاهراً فهما لا سواهما ، محكمة أو متشابهة .

فقد يعني الجمل ما أجمل فيه المعنى دون بيان رغم كونه معانياً ، فهذا فتّ في عضد الفصاحة وثلمٌ في صرح البلاغة ، تنحى عن ساحة الذكر الحكيم لأنّه أبلغ بليغ وافصح فصيح ، فكيف يليق به هكذا تعبير فضيح ! .

او يعني ما لم يعني اي معنى؟ وذلك لغو في الذكر الحكيم! ، او يعني منه معنى ولم يعني آخر ، غير المعنى . إذا . خارج عن مفهوم التقسيم وهو الدلالة ، ومن ثم فان كان لائحة المعنى وإن بتأمل وتعمل فهو من المحكم ، وإن كان عميق المدلول على وضوح الدلالة فهو من المتشابه الذي يفسره المحكم ،

وان لم يعن منه ما تعنيه فهو خارج عن المقسم ، وقد تجمع الأقسام الثلاثة ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنُهُمَا فِي سَتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ فهي محكمة من حيث عدد الأيام والخلق فيها ، ومتباينة من حيث معنى الأيام ، ومحملة من حيث عدد السماوات .

٣ إحكام الآيات كلها يعني الحكمة العالية الربانية العمقة فيها دلالة ومدلولاً وتوفيقاً مع الفطرة والعقلية والواقعية الصالحة ، وتطبيقاً لها ملائقاً على كل متطلبات الحياة الإنسانية والإيمانية ، فلا مدخل فيها لباطل ، وهذا إحكام للقرآن في كل مراحله.

ولكنه محكمة الآيات وجاه تفصيلها كما في الآية نفسها وهو إحكام قبل تفصيل ، أنها أحكمت في نزولها الأول على قلب الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في ليلة القدر ، فالمحكمات والمتباينات في مرحلة التفصيل كلها محكمات في مرحلة الإحكام .

واما ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهً﴾ فقد يعني تشابها لا يقابل هذا الإحكام ، فهو تشابه آياته كلها للمعنى من المحكم النازل ليلة القدر ، وتشابها مع بعض البعض في قوامة التعبير لأعلى قمم الفصاحة والبلاغة ، وتشابها بتلازمها مع بعض البعض حيث يفسر بعضه بعضه وينطق بعضه على بعض ، ورابع هو تشابها مع بعض في التدليل على وحيها آيات بينات من عند الله العزيز الحكيم ، وخامس تتشابه فيه مع قضية الفطرة والعقلية والواقعية الصالحة على مدار الزمن ، وكذلك كل تشابه هو قضية كونها من عند الله ذا نسق واحد في جزالة النظم وإتقان الأسلوب في كل حقول المداية إلى الصراط المستقيم : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ .

فهذه وتلك تقرر أن إحكاماً وتشابهاً يحلقان على القرآن كله ، وآية

ال التقسيم تفصيل الكتاب المتشابه إلى محكم ومتشابه ، عناية منها غير ما يعني فيهما ، ومنها إحكام المدلول حيث يتضح لبساطته ، ثم تشابهه . على وضوح الدلالة . لعلَّ المعنى وتشابه اللفظ مع ما يعني منه غير ذلك المعنى ، لا قصوراً في الدلالة ، إنما لعلَّ المعنى .

؟ لو قال «هنَّ أمهات الكتاب» لذهب البال والخيال إلى أنَّ كلَّ واحدة منها هي ام لكل الكتاب ، رغم أنَّ كلاً ام لمتشابهها الخاص ، ام جملة منها بجملة أخرى ، دون ان تكون كلَّ واحدة اما للكتاب ، فلا أنَّ كلَّ محكمة ام لكلَّ المتشابهات ، ولا لأيِّ متتشابهة لا تناسبها ، وإنما لكلَّ متتشابهة ام ، واحدة ام زائدة في كلِّ من المحكمة والمتشابهة ، فصالح العبارة عن القبيلين في مختصر التعبير ومحتصرة : **﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾** توحيداً للأم المحكمات وسائر الكتاب المتشابهات ، فقد قوبل جمع المتشابهات بجمع المحكمات فغير عن كلَّ بصيغة الإفراد **«أُمُّ الْكِتَابِ»** فكما الأم واحدة كذلك الكتاب المعنى منه كلَّ المتشابهات .

إذا فجامعة الأمهات هي كأم واحدة لجامعة المتشابهات ، فهي اصل للمتشابهات تقدح بها فيظهر مكونها ويستثار ذيفتها ، وبذلك سميت ام الإنسان اما لأنها اصله الذي منه طبع وعنده تفرع وهي . بعد . المرجع في كل سؤل وحاجة .

وقد تشابه هذه الآية آية ابن مريم وأمّه : **﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهَ آيَةً﴾** فإنَّ المعجز فيهما آية واحدة على عديد ظرفها ، فانها ولدت من غير بعل وهو ولد دون أب ولا فصال بينهما في تكون هذه الآية ، إذ ليس كلَّ واحد دون هذه الصلة الولادية آية خارقة .

كذلك **﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾** فإنما كذلك ام للكتاب كله ، فليست كل

واحدة منها أَمَّا لِلكل ، ولا أَنْ كُلَّ واحِدةٍ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ وَلِيَدَةٌ لِكُلِّ مِنَ الْمُحْكَمَاتِ فَأَنَا ذَلِكَ مِنْ تِقَابِلِ الْجَمْعِ بِالْجَمْعِ.

وَلَأَنَّ الْكِتَابَ يَعْمَلُ مُحْكَمَهٗ إِلَى مُتَشَابِهٖ ، فَهُنَّ - إِذَا . أَمَّا لِأَضْرَابِهِ الْمُحْكَمَاتِ كَمَا هِيَ إِمَامًا لِلْمُتَشَابِهَاتِ حِيثُ الْمُحْكَمَاتِ تَفَسِّرُ بَعْضَهَا بَعْضًا كَمَا تَفَسِّرُ الْمُتَشَابِهَاتِ .

وَأَنَا عَبَّرْتُ عَنِ الْمُحْكَمَاتِ بِضمِيرِ جَمْعِ الْعَاقِلِ «هُنَّ» لِأَنَّهَا بِتَفْسِيرِهِ الْمُتَشَابِهَاتِ كَأَنَّهَا عَاقِلَةٌ حَكِيمَةٌ ، وَهِيَ حَقًا هِيَ لِأَنَّهَا صَادِرَةٌ مِنْ خَالِقِ الْعُقْلِ وَالْحِكْمَةِ لِتَعْقِلُنَا فَنَعْقِلُهَا ، وَرَغْمَ أَنَّ الْمُتَشَابِهَاتِ كَمَا الْمُحْكَمَاتِ حَكِيمَةٌ عَاقِلَةٌ ، وَلَكِنَّ عَلَوْهُ الْمَعْنَى وَقَصْرُ الْعَائِنِ فِي مَدَالِيلِهَا تَجْعَلُهَا بِحَاجَةٍ إِلَى مُحْكَمَاتِهَا ، فَكَأَنَّهَا لَيْسَتِ بِذَلِكِ الْعُقْلِ الْحَكِيمِ وَهِيَ مِنْ خَالِقِ الْعُقْلِ الْحَكِيمِ ، وَلَيْسَ السُّلْبُ إِلَّا مِنَ الْقَاصِرِينَ فِي تَفْهِمِهَا ، دُونَ قَصْرٍ فِي دَلَالِهَا ، فَآيَ الْذِكْرُ الْحَكِيمِ كُلُّهَا حَكِيمَةٌ وَلَا يَعْنِي التَّقْسِيمُ إِلَّا مُخْتَلِفُ الْإِفْهَامِ فِي تَفْهِمِهَا .

هُلْ الْمُحْكَمَاتِ هِيَ الدَّالَّاتُ عَلَى مَعَانِيهَا الْمُقصُودَةِ دُونَهَا تَكُلُّفُ أَوْ تَخْلُفُ عَنِ نَصْوُصِهَا أَوْ ظَواهِرِهَا؟ فَالْمُتَشَابِهَاتِ هِيَ غَيْرُ الدَّالَّاتِ نَصًا أَوْ ظَاهِرًا ، حِيثُ يَشْتَبِهُ الْمَرَادَاتُ فِيهَا بِغَيْرِهَا فَيَتَحِيرُ النَّاظِرُ إِلَيْهَا حَتَّى يَسْتَفِرُهَا بِمُحْكَمَاتِهَا؟ .

وَهُذَا قَصْرٌ فِي دَلَالَةِ الْمُتَشَابِهَاتِ ، فَهُمُوا . إِذَا . فَتَ فِي عَضْدِ الْفَصَاحَةِ ، وَثَلَمَ فِي جَانِبِ الْبَلَاغَةِ ، وَتَخَلَّفَ عَنِ وَاضْحَى الْبَيَانِ وَنَاصِعِ الْبَرْهَانِ ، وَالْقُرْآنُ هُوَ أَبْيَانٌ بِيَانٍ وَأَوْضَعُ بَرْهَانٍ ! .

فِي الْحَقِّ إِنَّ التَّشَابِهَ هُنَّا لَيْسَ تَشَابِهَ دَلَالِيًّا بَلْ هُوَ تَشَابِهَ مَدْلُولِيٌّ يَخْلِفُهُ عَلَوْهُ الْمَعْنَى عَقْلِيًّا أَوْ عَلَمِيًّا أَوْ مَعْرِفِيًّا رَغْمَ وَاضْحَى الدَّالَّةِ لِغَوِيَا وَادِيِّا ، وَآخِرُ هُوَ مِنْ مُخْلِفَاتِ لَفْظِيَّةِ التَّشَابِهِ لِغَوِيَا وَالْمَعْنَى مُخْتَلِفٌ كَمَا تَتَشَابِهُ صَفَاتِ إِلهِيَّةِ بِصَفَاتِ خَلْقِيَّةِ بِاِختِلَافِ الْمَعَانِيِّ خَلْقِيًّا وَخَالْقِيًّا ، فَلَا تَشَابِهَ إِلَّا فَضْيَّةُ قَصْرِ الْمُسْتَدِلِ الْخَاوِيِّ عَنِ

فمة معرفية دون الدال البالغ أعلى القمم الدلالية ، فلا تجد في القرآن ، ولا مرة يتيمة ، يراد من نص خلاف نصه ، او من ظاهر مستقر خلاف ظاهره ، فإنما هو تشابه في ألفاظ هي حكمة المعاني ومحكمتها لأهلها ، وعلو في المعاني لا بد لفهمها من علو يناسبها في المعرفة. وحين تقسم محتملات الأقسام للتشابه . أيا كان . في القرآن ، نجد اثنين وأربعين محتملا بضرب سبع في سبع.

فقد يتشبه المعنى من آية بغير المعنى منها لقصور في التعبير ، اجمالا او إيهاما او قصدا خلاف النص او الظاهر ، وهذا خارج عن المعنى من **﴿آخر متشابهات﴾** فتسقط سبع من المحتملات.

أم ان الدلالة واضحة نصا أم ظهروا مستقرا ولكن اللفظ يتشبه مع مثله خلقيا وخلقيا ، وهذا تشابه مدلولي لفظيا وليس دلاليأ لغويا.

وفي ذلك التشابه قد يكون تشابه معنوي في الآية ، عقليا او علميا او معرفيا او حسيا او واقعيا ، وهي مضافة الى الأول ست تضرب في ست المحتملات الصحيحة . إذا . ست وثلاثون ، تترك مكرراتها والبقية الباقيه صالحة.

ومن التشابه الوعي ان المحكمة المنسوخة تتتشابه المحكمة غير المنسوخة ، فيزول تشابها بالنسخة ، كما التشابه علميا وعقليا ومعرفيا وحسيا يزول سنادا الى الحكم في هذه الأربع دلالة من نفس الآية وسائر المحكمات التي هي في مغزاها ومرماها.

فالمحور الأصيل في **﴿آخر متشابهات﴾** هي المتشابهات لفظيا إذ ترجع الى محكمات فيزول بذلك تشابهاها ، واما سائر التشابه فهو زائل بنفس الآية

الصريحة او الظاهرة في خلافها علميا او عقليا او حسيا ، اللهم إلّا تشابه النسخ فلا يزول  
إلا بالرجوع الى الآيات التي بالإمكان نسخها إياها فيتأكّد انّها مُحَكَّمة او منسوبة .  
فهنا صفات وافعال تختص بالله فلا تشابه فيها على اية حال ، وهناك أخرى تختص  
بمن سوى الله فكذلك الأمر .

ثم هنالك ثالثة هي مشتركة لفظيا بين الله وخلقه ، متباعدة معنويا وواقعيا ، كالشبيهة  
والوجود والعلم والقدرة والسمع والبصر واليد والقدم والجبيء وما أشبه ، وفي اضراها  
يشتبه المعنى على الجاهل به ، استجرارا لمعانيها في المخلوقين الى الخالق سبحانه ، او  
استجرارا لمعانيها في الخالق الى المخلوقين .

ومن أسهل السبل في تفسيرها إرجاعها الى محكمات قرآنية ك ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾  
و ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ و ﴿لَا تُدْرِكُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ واضراها من محكمات  
... أو محكمات عقلية او علمية او معرفية متزودة من محكمات قرآنية أماهية ، يزول بها  
ذلك التشابه العارم الناتج عن قصور العقلية الإيمانية او العلمية دون اي قصور دلالي في لغة  
القرآن (١) .

فال์تشابكات القرآنية في الأكثريّة الساحقة هي في أسماء الله وصفاته وأفعاله

(١) مثلا على التشابه العلمي آيات حركات الأرض كآيات الكفات والراجفة والذلول والجبال الأولاد وأضراها ، حيث الألفاظ لا تشابه فيها ، وإنما العلم غير البالغ زمن نزولها يعمل في تشابه بين حق المعنى وباطله ، فالعلم يرجع باطله وهو سكون الأرض ، والنص يرجع حقه وهو حركات الأرض ، فيحمل النص . قضية العلم أو الحس الحاطئ . على غير النص ، وهكذا العقل غير الناضج ، حيث يعقل أمرا بقصوره فيعتقد ثم الآية الصريحة أو الظاهرة في خلقه يظن أنها متشابهة قد يرجع حكم العقل عليها فتؤول على خلافها .

حيث يؤتى بها في لغات مشتركة الاستعمال بينه وبين خلقه ، فلا بد من تحريرها عن المعاني الخلقية عن بكرتها ، والإبقاء على المعاني الخالقية ، وذلك هو المعنى من تسبيحه سبحانه بحمده ، ان نزهه فيما نحمده بألفاظ متشابهة عما لا يليق بساحته ، ولا سبيل للتعريف بصفاته سبحانه . المشتركة لفظيا بصفات خلقه . إلا استعمال نفس الألفاظ المشتركة ، ثم علينا تحريرها عن معانيها في الخلق .

ومهما كان القرآن كله فرقانا لأهله ، ولكن المحكمات البينات في أنفسها هي فرقان للمتشابهات <sup>(١)</sup> تفرق المعنيات الإلهية بمشتركات الألفاظ ، عن المعنيات الخلقية ام أية تشابهات فيسائر الحقول العقلية والعلمية أماهيه ، وما لا ريب فيه ان الآيات الأحكامية . كقدر معلوم من القرآن . هي من الفرقان الحكم <sup>(٢)</sup> .

ولا يعني إحكامها عدم الحاجة الى التدبر فيها وتفسير بعضها بعض ، بل يعني عدم التشابه مدلوليا إذ لا تشبه فيها لفظيا ، مهما كانت عميقه المعان ، غالبا المعالي .

إذا ف «الحكم ما يعمل به والمتشابه الذي شبه بعضه بعض» <sup>(٣)</sup>

(١) في الكافي عن ابن سنان عمن ذكره قال سألت أبا عبدالله (ع) عن القرآن والفرقان أهما شيئاً أو شيء واحد؟ قال : القرآن جملة الكتاب والفرقان الحكم الواجب العمل به ، وفيه عن القمي بسنده متصل عن أبي عبد الله (ع) : الفرقان كل امر محكم ، وروى العياشي عن عبد الله بن سنان قال سألت أبا عبد الله (ع) عن القرآن الفرقان؟ قال : القرآن جملة الكتاب وأخبار ما يكون والفرقان الحكم الذي يعمل به وكل محكم فهو الفرقان .

(٢) الدر المنشور ٢ : ٦ . أخرج البخاري في تاريخ بغداد بسنده أن النبي (ص) قال في خطبته : أيها الناس قد بين الله لكم في محكم كتابه ما أحل لكم وما حرم عليكم فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وآمنوا بمتسابجه واعملوا بمحكمه واعتبروا بأمثاله .

(٣) العياشي عن أبي محمد الهمداني عن رجل عن أبي عبد الله (ع) .

ف «المتشابه ما اشتبه على جاشه»<sup>(١)</sup> وكون المنسوخات من المتشابهات كما في مستفيضة تعميم للمتشابه المدلولي الى التشابه تكليفيا ، حيث الجاهل بالمنسوخ يحسبه . على الدلالة المحكمة . أنه حكم ثابت لا حول عنه.

وحق القول في المتشابه . هو ككل . تشابه غير المراد بالمراد ، تشابها عقليا او علميا او معنويا او واقعيا ، والأخير هو تشابه المنسوخ ، وقبله تشابه الأسماء والصفات الإلهية ، والأولان هما في حقول القصور في العلوم والعقول وكما يروى «إن للقرآن آيات متشابهات يفسرها الزمن»<sup>(٢)</sup> مهما فسرها محكماتها ، او هي محكمات مدلوليا ، إلا ان قاصر العقل والعلم قد يهم تأويلا الى ما يوافقهما كالأيات الصريحة في حركات الأرض ودورانها أما شابها من آيات تحمل معارف غامضة عقليا او علميا .

فالمحكمات . إذا . هي غير المنسوختات ، ولا المتشابهات معنويا ولا علميا ولا عقليا ولا معرفيا ولا حسيا ، فهما مختلفان حسب الاستعدادات والقدرات العقلية والإيمانية والعقيدية ، دون ان تكون آيات محكمات في خمسة الجهات للكل ، وما سواها متشابهات لهم .

فكم من آية هي محكمة لمستفسر عنها متشابهة لآخر ، أم هي محكمة في بعض ألفاظها متشابهة في الأخرى ، كما ومنها ما هي محكمة واقعيا إذ لم تنسخ ، ولكنها متشابهة لفظيا ، أو محكمة لفظيا ومتشاربة عقليا أو علميا أو معرفيا ، وهكذا الأمر في اضراجها من احكامات وتشابهات في مربعة الجهات .

(١) العياشي عن مسعدة بن صدقة عنه (ع) وفي الدر المنشور ٢ : ٦ . أخرج ابن سعد وابن الضريس في فضائله وابن مردويه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله (ص) قال . إلى أن قال . : فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه عليكم فآمنوا به .

(٢) كما في الدر المنشور عن أبي عباس رحمه الله .

ذلك ما تحدى له آية التقسيم ورويات تفسرها كما هي ، فسائر التعريف . إذا . بين قاصرة ومقصرة ، مفرطة أو مفرطة ، أو أنها من التفاسير الجانبية غير المخلقة على مربعة الجهات في المحكمات والمتشابهات.

ومن أغرنها ان المحكمات هي الحروف المقطعة وغيرها متتشابهات ! معاكسه صريحة مدلول آية التقسيم ، فإنها أحق ان تكون من المتتشابهات ، بل هي من أعضلها ، وهي أوفق الظروف الملتوية للتتأويلات : ﴿فَإِنَّمَا الَّذِينَ فُرِّجَتْ لَهُمْ زِيَّةٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ .

وإذا كانت غير الحروف المقطعة متتشابهات ككل ، والمقطعة هي من اغمض المتتشابهات ، إذا فأين القرآن البيان ، وكيف واجب التدبر في القرآن؟! .

هذا ! وقد يصح القول ان الحروف المقطعة لا هي من المحكمات ولا المتتشابهات ، فانها لا تدل وضعيا على معنى ، فلا مداريل لها فضلا عن كونها محكمات.

ولعن أدخلناها في المتتشابهات فهي من أوغلها في التتشابه حيث لا تفسر بمحكمات في القرآن ، فقد يصبح القرآن محكما كلها . كما عند أهله الذين يعيشونه معرفيا علميا وعمليا حياتهم . يصبح محكما في حقل التفسير . ككل . مهما بقي متتشابها في ساحة التأويل ، ولكن الحروف المقطعة لا تفسير لها ولا تأويل إلا لأهله الخصوص وهم الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وذووه المعصومون (عليهم السلام) فالمتدبرون في القرآن حَقّه ، الراجعون في تفسير متتشابهاته الى محكماته سليما ناصعا ، وفوقهم الرافعون ستار التتشابه بالقمة العقلية والعلمية والإيمانية ، هم لا متتشابه لهم في آي القرآن في ساحة التفسير ، مهما تعاضل عليهم أمر التأويل ، فإن أهله الخصوص ايضا لا تحليق لهم في

تأويله كله ، فضلاً عن دوئم!.

#### ٦ وكيف تكون المحكمات ام الكتاب دون أمهاهات الكتاب؟.

حيث الأم هنا هي الأصل الذي يرجع إليه ويعتمد عليه في حاجيات الطفولة ، فالمتشابهات بحاجة إليها في تبيين معضلاتها وازاحة التشابهات عنها وليس كل واحدة من المحكمات بانفرادها أمّا لكل المتشابهات ، بل هي بأشدّها أمّ لها بأشدّها ، جمعاً أمّا جمع ، فهي . إذا . أمّ واحدة للمتشابهات مهمماً كانت كلّ من المحكمات أمّا لما تناسبها من متشابهات تقدح بها فيظهر مكتونها وتستثير دفينها ، كما وهي ام المحكمات من اضرابها حيث الكتاب تعمه كله ما يحتاج المستفسر في تبيانه الى بيان يفسر.

وهكذا تكون الفالحة ام الكتاب ككل ، لأنّها إجمالة بجملتها عن تفصيل الكتاب ، مهمماً كانت كل من سبعها المثنى أمّا لفصيل من التفصيل .

كما وان ﴿ابنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَة﴾ دون آيتين ، لأن آية كل لزام آية الأخرى خارقة في الولادة ، فابن مريم آية ولادة عنها دون والد ، ومريم آية توليدا له دون والد ، فهما . إذا . آية واحدة وهكذا : ﴿جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَة﴾ تلاقى منهما في فاقد الصلب المتعود في الولادة ، وهما فيه مشتركان .

٧ إتباع المتشابه . المذموم الضائق . هو اتباعه على تشابهه دون إرجاع صالح إلى محكمة تحميلا ، وإنما لمتهوسات الآراء على المتشابه دون رجوع إلى ركن وثيق ، ولا جلوء إلى برهان رفيق دقيق ، فإن اتباعه على تشابهه دون تفسير صالح ولا طالع غير ممكن ، وإنما يتبع المعنى الثابت صالحا وغير صالح ، وهذا هو الذي يشير الفتنة علميا وعمليا وعقيديا ، وأما اتباع المتشابه بعد إرجاعه إلى محكمه فليس اتباعا للمتشابه حتى يحظر عليه ، ثم وفي اتباع المتشابه هكذا واقع رائع زائف في بعدين اثنين هما :

١ ابتغاء الفتنة و ٢ ابتغاء تأويله ، هما ظاهرتان من زيف القلب وتقلبه عن ناصح الحق وناصحه الى ناعق الباطل وفاضحه ، وفي ثالوث : الزيف وابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل ، يبرز في المسرح كل إدغال وتدرجيل ، استدلالا بالكتاب ضده لصالح الأهواء والأباطيل .  
 ففي اتباع المتشابه على تشابهه فتنة في كل الحقول ، وفي ابتغاء تأويله إلى ما تحواه الأنفس فتنة على فتنة ، فان ذلك التأويل عليل حيث الأصل الذي يتباين . وهو اتباع المتشابه . عليل ، فلا يروي الغليل ولا يبصر الكليل ، رغم ان القرآن شفاء لما في الصدور ورحمة لذات الصدور : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ ومنهم . كأنفسهم . هم الذين في قلوبهم زيف فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .  
 ذلك هو الإتباع المرفوض لما تشابه منه ، دون تفسيره بمحكمه ام أيا كان من صالح التفسير استنطاقا للآيات بنظائرها ، ودخولها في حقوقها وحظائرها من أبوابها دون ظهورها .  
 اجل و «من رد متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم ... وإن في اخبارنا متشابها كمتشابه القرآن فردو متشابهها إلى محكمها ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها ففضلوا»<sup>(١)</sup> ، ودون ان يؤمن بها على تشابهها لمن لا يستطيع على رجعها الى محكمها .  
 و ﴿مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ قد يعم المتشابه في نفسه ، الى ما جعل متشابها رغم إحكامه ، ثم تحمل ما يتحمل عليه ، وهو من أحسن الإتباع لما تشابه منه

(١) عيون الأخبار حديثي أبي قال حدثنا علي بن إبراهيم عن أبيه عن أبي حيون مولى الرضا (ع) عنه (ع) قال :

ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله. وليس ضرب القرآن بعضه ببعض . المندد به في المأثور . إلّا ضرب التضارب ، دون ذلك التفسير التقارب ، فكل تفسير ينبع تضاربا بين الآيات هو من ضرب القرآن بعضه ببعض ضرب الدّقل ، وكل ما ينبع تقاربها بينها دون تحميم عليها إلّا ما تتحمله ، فهو من صالح التفسير ، وهو تفسير القرآن بعضه ببعض ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

فهنا تفسير لفظي للقرآن متشابها وغير متشابه ، ثم تفسير باطني لهما ، ومن ثم تأويل ، ولا بد لكلّ من دليل ، فمفسر المتشابه لفظيا دون دليل ، ثم تأويليا دون دليل ، انه جامع زيفا على زيف وفتنة على فتنة ، حيث التأويل كله في نفسه متشابه لأنّه غير مسنود الى لفظ متشابه أو محكم ، بل هو الأول معنويا الى مبدء او نتيجة ، فهو مخصوص بنجاحه علما بمبادئ القرآن ونتائجها.

فكل اتباع للمتشابه . على تشابهه . هو من زيف القلب ، ثم اتباع الحكم ذاتيا ام بعد الرجوع الى المحكم هو من استقامة القلب ، شرط عدم تحميم الآراء الجارفة عليها على إحكامها.

فقد يجعل المحكم متشابها ثم يجعل عليه رأي مزيف ، وذلك من اتباع المتشابه رغم إحكامه ، او يجعل المتشابه متبعا على تشابهه بنفس التحميل ، فكذلك الأمر. وأما ان يتبع المحكم على إحكامه ، او يتبع المتشابه بعد قلبه محكما . اتبعا في مثلث العلم والعقيدة والعمل أم يتبع المتشابه إيمانا دون تفسير : ﴿آمَنَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رِبَّنَا﴾ فذلك هو الرسوخ في العلم على درجاته. إن تأويل المتشابه . أيضاً لمعناه . يختص بالله ، حيث المحكمات تفسر المتشابهات ، كما ان تأويل القرآن . ككل . مختص بالله فانه الذي يعلم من

التأويل من هو أهله كالراسخين في العلم ب مختلف درجاتهم.

وعلى أية حال فكل تأويل . لأنه خارج عن مدلول اللفظ وراجع الى غامض المعنى .

إنه يحتاج إلى دليل من صاحب المعنى ، قد يبينه في سائر كلامه كالمحكمات بالنسبة للمتشبهات ، فهو عام لأهل القرآن المخصوص بكل .

أم يبيّنه بإلهام أو وحي وهم يختصان بأصحابهما المخصوص ، أم لا يبيّنه إلا يوم القيمة ، أم ليس ليبيّنه إطلاقا وهو التأويل المخصوص بعلم الله تعالى شأنه .

ففي مربع التأويل نجد واقعاً غيبياً مرتبطاً بالمعنى المفهوم من القرآن ، لا يعلمه إلا الله ، ام والراسخون في العلم بتعليم الله .

وبالنظر الدقيق الى آيات التأويل نعرف مدى صدق هذا البيان ، فلا تجد فيها ولا أية إشارة الى تأويل الألفاظ كما يهرون بما لا يعرفون ، بل هو مثلث التأويل في النشآت الثلاث الأولى والبرزخ والوسطى ، تأويلاً علمياً او واقعياً .

فتتأويل كل ما فعله خضر لم يكن تأويلاً لكلام إذ لم يكن منه فيما اختلفوا إلا العمل ، إرجاعاً له الى مأخذ او نتيجة لا يظهران في مظهر الأعمال .

وتأويل الرؤيا ليوسف هو إرجاعها الى واقعات لا تظهر من هذه الرؤيا إلا لمن علم علم التأويل .

وتأويل القرآن ، بروزاً له في حقوله يوم القيمة ليس إلا للحاضر يوم القيمة ﴿بَلْ كَذَّبُوا عَمَّا مَجِيئُوا بِعِلْمٍ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ (٢٩ : ١٠) . ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يُأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوا مِنْ قَبْلِ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ (٧ : ٥٢) .

إذا فعلم التأويل بكل هو من علم الغيب المخصوص تعليمه بالله ،

وليس ليعلم من نص الدلالة اللفظية او ظاهرها ، وانما يتبنى المعنى تدليلا من الله وهو يهدي السبيل .

والتأويل . في قول فصل . من الأول ، فهو الإرجاع ، إرجاع معنى الآية الى واقع مجهول أيا كان ، تخطيا عن المعلوم ، وليس تفسير النص او الظاهر الى خلافهما تأويلا إلا في اصطلاح مستحدث لا أصل له لغويانا ولا قرآنيا .

وللتأويل مآلات ثلاثة لا يعول . فيما يعول إليها . إلا بدليل قاطع ،凡ه من أوصاف المعنى . الخفية . دون اللفظ ، فلا يرجع اللفظ إلا إلى معناه المنصوص او الظاهر ، ثم ليس لتأويل المعنى إلى واحدة من الثلاثة أي دليل من اللفظ او المعنى .

إذا فكل متشابه له تأويلان اثنان ، تأويل للمعنى الى واقع المراد ، وتأويل له الى واحدة من الثلاثة ، فال الأول ميسور لأهله ارجاعا للتشابه الى محكمه ام تدبرا في نفس المتشابه ليزول عنه تشابهه ، والثاني غير ميسور إلا من علمه الله .

وللمحكم تأويل واحد هو الثاني ، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ راجع الى الثاني لكل محكم او متشابه .

ومن اقرب التأويلات محكمات او متشابهات هو واقع الأثر لثالث العلم والعقيدة والعمل بالقرآن في حياة التكليف وقد كشفت عنه النقاب آيات انعكاس الأعمال علميا وللمتقين عينيا .

ثم التأويل المأخذ ربانيا ، والمآل في الأخرى ربانيا ، هما مجهولان إلا من عرفه الله وعلمه .

فمما يعلمه الله صالح عباده المرسلين تأويل الأحكام ، قدر ما يقدّرهم على استنباط جزئيات الأحكام من مصادرها الربانية .

وَمَا لَا يَعْلَمُه تأوِيلُ الْحَقَائِقِ الْحَكِيمَةِ عَنْهَا بِالْقُرْآنِ ، قَدْرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ مُخْصُوصٌ بِاللَّهِ ، وَلَا يَخْصُ تأوِيلَ الْقُرْآنِ بِمُتَشَابِهِ بِلَ وَبِعِمْ مُحَكَّمِهِ ، مِهْمَا كَانَ الْأُولُ أَعْضَلُ .  
وَزِيغُ الْقَلْبِ هُنَا لَا بَعْنَى زِيغُهُ فِي كُلِّ الْحُقُولِ لِمَكَانٍ «زِيغٌ» مُنْكِرًا ، الشَّامِلَةُ لِكُلِّ زِيغٍ ،  
فَقَدْ يَرِيغُ عِلْمًا دُونَ زِيغٍ فِي إِيمَانٍ ، أَمْ يَرِيغُ إِيمَانًا وَلَيْسَ لَهُ عِلْمٌ حَتَّى يَرِيغُ ، أَوْ يَرِيغُ عِلْمًا وَإِيمَانًا  
فَوَا وَيَلَاهُ ، وَثَالِثُ هَذَا الشَّالِوْثُ هُوَ رَأْسُ الزَّاوِيَّةِ فِي الزِّيغِ الَّذِي يَسْبِبُ كُلَّ فَتْنَةٍ فِي اتِّبَاعِ  
الْمُتَشَابِهِ وَالْتَّأْوِيلِ .

٩ وَجْهٌ اشْتِمَالُ الْكِتَابِ عَلَى مُتَشَابِهَاتٍ بِجَنْبِ الْمُحَكَّمَاتِ مُوجَّهٌ فِي مَعْنَى التَّشَابِهِ  
وَالْإِحْكَامِ كَمَا بَيْنَاهُ ، فَلَيْسَ التَّشَابِهُ امْرًا قَاصِدًا فِي قَصُورٍ دَلَالِيٍّ وَإِجْمَالٍ مُتَعَمِّدٍ حَتَّى يَنْبَيِّ  
بِيَانِ الْقُرْآنِ ، بَلْ هُوَ كَأَصْلٍ مَا لَا بَدَّ مِنْهُ فِي عَرْضِ الْمَعَارِفِ الإِلَهِيَّةِ ذَاتَةً وَصَفَاتَ وَافْعَالًا ،  
وَفِي عَرْضِ الْمَسْوُخِ كَمَا النَّاسُخِ ، وَهُوَ كَهَامِشٍ عَلَى ذَلِكَ الْأَصْلِ طَبَيْعَةُ الْحَالِ فِي مُخْتَلِفِ  
الْإِدْرَاكَاتِ وَالْاسْتَعْدَادَاتِ لَحَدٍّ تَصْبِحُ آيَةً مُحَكَّمَةً عَنْ جَمَاعَةِ مُتَشَابِهَاتٍ عَنْ آخَرِينَ ، حَيْثُ  
الْمُتَشَابِهُ . فِي أَوْضَحِ تَعرِيفِهِ . مَا اشْتَبَهَ عِلْمُهُ عَلَى جَاهِلِهِ ، وَالْمُتَشَابِهُ فِي كُلِّ حَقْوَلِهِ هُوَ لَزَامُ  
الْكِتَبِ الْعُلُومِيَّةِ عَلَى الإِطْلَاقِ ، فَضْلًا عَنِ الْقُرْآنِ الَّذِي يَحْمِلُ كُلَّ مَا تَحْتَاجُهُ الْبَشَرِيَّةُ إِلَى يَوْمِ  
الْقِيَامَةِ . إِلَّا مَا بِالْإِمْكَانِ أَنْ يَحْصُلَ عَلَيْهِ . فَفِي حَقْلِ التَّشْرِيعِ الْكَافِلِ لِكُلِّ الْحَاجَاتِ  
يَسْتَحِيلُ عَدَمُ التَّشَابِهِ لِكُلِّ الْمَكْلُوفِينَ قَضِيَّةُ اخْتِلَافِ الْفَاعِلِيَّاتِ وَالْقَالِبِيَّاتِ وَالْاسْتَعْدَادَاتِ فِي  
تَفْهِيمِ الْكَلَامِ .

وَالْمُشَكَّلةُ الْعَوْيِصَةُ أَنَّمَا هِيَ مُتَشَابِهَاتٌ الَّتِي لَا تَفْسِيرٌ لَهَا حَكِيمًا صَالِحًا وَلَا نَجْدٌ هَكُذا  
الْمُتَشَابِهُ فِي الْقُرْآنِ عَنْ بَكْرَتِهِ ، فَإِنَّ لِكُلِّ مُتَشَابِهٍ مِنْ آيَاتِهِ مُحَكَّمًا قَدْ تَكُونُ هِيَ نَفْسُ  
الْمُتَشَابِهَاتِ بِامْعَانِ النَّظَرِ وَإِجَالَةِ الْفَكْرِ ، اللَّهُمَّ إِلَّا الْمُتَشَابِهَاتِ التَّأْوِيلِيَّةُ الَّتِي لَيْسَ عَلَى أَهْلِ  
الْقُرْآنِ تَأْوِيلُهَا ، لِأَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى الرَّاسِخِينَ فِي

العلم ، ألم لا يعلمه إِلَّا اللَّهُ حَيْثُ يَخْتَصُ عِلْمَهُ بِاللَّهِ.

١٠ وأما الراسخون في العلم و موقفهم من علم التأويل ايجابياً و سلبياً ، فلأن الرسوخ في شيء هو التمكّن فيه بلا تزعّز و تزلّزل تشبيهاً برسوخ الشيء الثقيل في الأرض الخوانة ، فالراسخون في العلم . إذا . هم المتمكنون فيه الذين لا يختلفون في علمهم ولا يختلفون. والعلم يعم علم المعرفة و علم العقيدة و علم اليمان والأخير أثبت مهما كان الأولان من أثافيه وأسه وأساسه ، فقد يثبت الراسخ في علم المعرفة والعقيدة ولا ثبوت له في علم اليمان والثابت في علم اليمان ثابت . لا محالة . في علم المعرفة العقيدة على أية حال.

ومن الأولين . وهم الأدنون في صنفي الراسخين . علماء اهل الكتاب دون المعصومين : ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ إِمَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (٤) : (١٦١) فإنهم من الذين هادوا ، هودا ورجوعا إلى اليمان بالله علما و عملا صالحا بعد سؤال الرؤية جهلا و عملا طالحا ، و ساحة العصمة القدسية براء من الجهل والجهالة على أية حال ، فهم من دون المعصومين (عليهم السلام).

والراسخون في العلم في آية التقسيم قد يشمل الأولين على هامش الآخرين ، فرسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأهل بيته المعصومون (عليهم السلام) هم أفضل الآخرين ، كما ان الأولياء دون المعصومين هم أفضل الأولين ، فليس ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ هنا ليختص بالأخرين فضلا عن أفضلهم (١).

(١) الدر المنشور أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم والطبراني عن أنس وأبي أمامة ووائلة بن الأسعع وأبي الدرداء أن رسول الله (ص) سُئل عن الراسخين في العلم فقال : «من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم».

والتفسير بهم ليس إلا من جري التأويل لأصدق مصاديقهم في العلم والإيمان ، و«العلم» هنا بمناسبة المورد هو العلم بالقرآن ، وهو بصورة طليقة لائقة طليق العلم به في مثلثه : معرفة وعقيدة وإيمانا قليبا ، وكل منها قد تكفي للخروج عن «زيف» الذي يدفع إلى اتباع المتشابه ، مهما كان الزيف في العلم قد يدفع إلى اتباع المتشابه كزيف العقيدة والإيمان ، فلا بد إذا من رسوخ في الإيمان كأصل ، ومن ثم رسوخ في العقيدة التي هي لزام الإيمان ، ورسوخ في علم المعرفة .

وأفضل الراسخين في العلم هو أفضليهم في هذه الثلاث ، ثم الراسخ في علم الإيمان .

على مرتبه . ومن ثم الراسخ في المعرفة . على مرتبها <sup>(١)</sup> .

وما يشعرنا أنّ أصل العلم هنا هو الإيمان ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَاءُ﴾ حيث الخشية هي من مخلفات الإيمان قدره ، فقد يكون عالماً عقلياً ومعرفياً وليس له ذلك العلم الإيمان الذي يخشى به الله ، فهو . إذا . العلم الخاشي .

ثم الواو في ﴿إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ كما تحمل العطف ، انهم يعلمون تأويله كما الله مهما اختلفت الدرجات ، كذلك الاستئناف ، انهم لا يعلمون تأويله كلها ، فما علموا منه فهو ، وما جهلوا منه اعترفوا بجهلهم والإيمان به كما علموا منه كما في العلوي (عليه السلام) حيث سأله رجل هل تصف لنا ربكم نزد لك حباً ومعرفة فغضب (عليه السلام) وخطب الناس فقال فيما قال : عليك يا عبد الله بما دلّك عليه القرآن من صفتة وتقديرك فيه الرسول

(١) نهج البلاغة عن الإمام علي عليه السلام ، وفي النبي (ص) أنزل القرآن على سبعة أحرف حلال وحرام لا يعذر أحد بالجهالة به وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه إلّا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب (الدر المنشور أخرج ابن حجر عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) : ...).

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مِنْ مَعْرِفَتِهِ فَأَتَمَّ بِهِ وَاسْتَضْفَى بِنُورِ هَدَايَتِهِ فَإِنَّمَا هِيَ نِعْمَةٌ وَحْكَمَةٌ أُوتِبِطَهَا فَخَذَ مَا أُوتِيَتْ وَكُنْ مِنَ الشَاكِرِينَ وَمَا كَلَفَكَ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ فَرَضَهُ وَلَا فِي سَنَةِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَالْأَئِمَّةُ الْمُهَادَةُ أَثْرَهُ فَكُلُّ عِلْمٍ إِلَى اللَّهِ وَلَا تَقْدِرُ عَظِيمَةُ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَنَكُونُ مِنَ الْمَالِكِينَ وَاعْلَمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ عَنِ الْاقْتِحَامِ فِي السَّدِّ الْمُضْرُوبِ بِدُونِ الْغَيْوَبِ فَلَزِمُوا إِلَقْرَارَ بِجَمِيلَةِ مَا جَهَلُوا تَفْسِيرَهِ مِنَ الْغَيْبِ الْمُحْجُوبِ فَقَالُوا آمَنَّا بِهِ كُلُّ مَنْ عَنِدَ رِبِّنَا فَمَدْحُ اللَّهِ اعْتَرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنِ التَّنَاؤلِ مَا لَمْ يَحْيِطُوا بِهِ عِلْمًا وَسَمِّيَ تَرْكُهُمُ التَّعْمُقُ فِيمَا لَمْ يَكُلِّفُهُمُ الْبَحْثُ عَنْهُ (عَنْ كَهْنَهُ مِنْهُمْ رَسُوخًا) <sup>(١)</sup>.

فَفَصَلَ الْقَوْلُ هُنَا فِي الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ اَنْهُمْ يَعْلَمُونَ مِنْ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ مَا عَلِمُوهُ اللَّهُ دُونَ مِنْ سُوَاهِمِ ، وَيَجْهَلُونَ مَا اخْتَصَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ مِنْ التَّأْوِيلِ ، وَمَا يَعْلَمُونَهُ تَأْوِيلُ الْأَحْكَامِ تَأْوِيلُ الْمُبْدِئِ وَالْمُخْتَامِ ، فَلَهُمْ فِي تَأْوِيلِ مِبَادَئِ الْأَحْكَامِ اسْتِبْنَاطُ غَيْرِ الْمَصْوُصِ فِي الْقُرْآنِ سَنَادًا إِلَى تَأْوِيلِ الْمَصْوُصِ ، وَلَيْسَ لِغَيْرِ الْمَعْصُومِينَ ذَلِكَ التَّأْوِيلُ لِلَّهِمَ إِلَّا الْقَلِيلُ الَّذِي لَهُ دَلِيلٌ أَوْ الْعَلِيلُ الَّذِي لَا يَرْوَى الْغَلِيلُ.

فَالْمُنْزَلَةُ الْوَسْطَى وَالطَّرِيقَةُ الْمُثْلَى فِي مَوْقِفِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْ عِلْمِ التَّأْوِيلِ هِيَ أَلَّا يَخْرُجُوا مِنْ عِلْمِ التَّأْوِيلِ جَمِيلَةً ، وَلَا يَدْخُلُوا فِيهِ جَمِيلَةً ، بَلْ هُمْ عَوَانٌ بَيْنَهُمَا ، يَعْلَمُونَ مِنْهُ مَا عَلِمُوهُ اللَّهُ مِنْ وَاجِبِ الْمَعْرِفَةِ الْوَاجِبَةِ لِأَئِمَّةِ الْأَمَّةِ ، وَلَا يَعْلَمُونَ مَا اخْتَصَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ.

---

(١) فِي النَّهَجِ وَالْإِحْتِجاجِ فِي كَلَامِ لَعْلَى (ع) فِي ذِمَّةِ الْقَضَاءِ السَّوْءِ . إِلَى أَنْ قَالَ . : وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يَصُدِّقُ بَعْضَهُ بَعْضًا وَأَنَّهُ لَا اخْتِلَافٌ فِيهِ . فَذَكَرَ الْآيَةَ ثُمَّ قَالَ : . وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرٌ أَنِيقٌ وَبَاطِنٌ عَمِيقٌ لَا تَحْصِي عَجَائِبُهُ وَلَا تَنْقُضِي غَرَائِبُهُ وَلَا تَكْشِفُ الظُّلْمَاتَ إِلَّا بِهِ .

والمستفيضة في حصر الراسخين في العلم في الموصومين تعني أفضليهم وأعلاهم ، كالتالي تخلق لهم علم التأويل حيث تعني غير ما اختص الله بعلمه منه <sup>(١)</sup>.

إذا فحصر الوقف عند اسم الله تعالى باستثناف ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ إخراج لهم عن ان يعلموا شيئا من التأويل من جليل أو قليل ، اطلاقا لطلاعه واستنباطا لغامضه ووامضه واستخراجا لکوامنه ، حطا لهم بذلك عن رتبة استحقوا الإيفاء عليها واطلاع شرفها ، فان الله تعالى قد أعطاهم من نجح السبيل وضياء الدليل ما يفتحون به المبهم ويصدعون به الظلم ، امتيازا لهم كقادة عن سائر الأمة مقودين ، وعلمهم بقسم من ذلك التأويل مستمد من علم الله ، فلا معنى للوقوف بهم دون منزلتهم ، والإحجام عن إيصالهم الى أقصى هذه المنزلة السامية.

ثم الوقف عند ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ت وفيه للاستثناء حقه بإدخال الموصومين فيه ، مزية لهم عمن سواهم بعلم من التأويل ، معرفة بداخله وخارجيه ، وسلوكا لحاجه ومناهجه المباح.

والمنزلة العوان . الوسطى . بين المنزلتين هي اللافقة بهم ، الابقة لهم ، تنزيلا لهم عن ساحة العلم بالتأويل ككل مساماة الله وعوضا بالله ، وترفيعا لهم عن قاعة الجهل به ككل مساماة لسائر الأمة وعوضا بالله.

فحصالة القول هنا وأصالته انه ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ لا سواه ، حيث يراد تأويلا كله بأسره دون إبقاء ، فإن معرفة كنه الذات والصفات

(١) في نجح البلاغة عن الامام علي (عليه السلام): اين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيانا علينا أن رفعنا الله ووضعهم وأعطنهم وحرمنهم وأدخلنا وأخرجهم.

والأفعال الربانية وعلم الساعة وما أشبه خاصة بالله.

كما انه ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ بفارق انهم لا يعلمون كل التأويل و ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ هو من الدليل على جهلهم بقسم من التأويل ، بل ما علمهم الله فإنه لم يعلموا ما علموا من التأويل إلّا بما علمهم الله القدر الصالح لقيادة العصمة وعصمة القيادة<sup>(١)</sup>.

وقد يوسع نطاق ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ تقابلهم ب ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زُبُغ﴾ فكما الزبغ دركات كذلك الرسوخ في العلم درجات.

وكما ان أفضل الراسخين هو الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) كذلك أرذل الزائجين هم الذين جعلوا القرآن عضين ، يعطفون القرآن على الرأي حين يعطف هؤلاء الرأي على القرآن ، ويعطفون المدى على الهوى حين تعطف المدى على الهوى.

فكل تفسير او تأويل للقرآن بعيد عن جادة الصواب هو من زبغ القلب ، كما ان صالح التفسير والسكوت عما لا يعلم من تفسير او تأويل ، ذلك من الرسوخ في العلم.  
١١ ولا يخص التأويل هنا تأويل ما تشابه منه بل والمحكمات ، حيث التأويل يعني المأخذ بدائيًا والمال نهائيا ، ولقد فصلنا القول فيه في مدخل التفسير

(١) الدر المثور ٢ : ٦ . أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): أنزل القرآن على سبعة أحرف حلال وحرام لا يعذر أحد بالجهالة به وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه إلّا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب .

فلا نعيد ، والجدير بالذكر هنا أن للمتشابه تأوين وللمحكم تأويل واحد ، مهمًا كان لكل بطون .

١٢ كما وقد سبق البيان في الفارق بين التأويل وتفسير المتشابه .

ويا للراسخين في العلم من خنوع وخشوع في جنب الله في دعاء السلب والإيجاب :

**﴿رَبَّنَا لَا تُرِغِّبْنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ﴾** (٨).

وترى أن إزاغة القلب هي من الله ولا سيما بعد إذ هدى ، وخاصة بالنسبة للراسخين في العلم؟ إنها من العبد حين يزيغ فيزيغ الله قلبه : **﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾** وإن كان بعد إذ هدى ، وأما الراسخون في العلم فدعاء السلب لهم تعني أنهم لا يملكون في أنفسهم هدى لولا تثبيت من الله : **﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتَنَا لَقَدْ كِدْنَا تَرَكْنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾** لا سيما وإن الراسخين هنا تشمل مع المعصومين سواهم ، الذينهم في خطر الريغ من أنفسهم فالإزاغة من الله .

فقد تعني هذه الدعاء لهم ككل : أدم لنا ألطافك وعصمتك وهداك ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أبدا ، ولا تبتلنا بأمر ينقل علينا القيام به والخروج إليك من حقه فترى له قلوبنا ، فهي . إذا . كمثل **﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْنَاهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾** (٢) .

وقد تعني الإزاغة ترك التوفيق عن زيادات الهدى بنقصان الاهتداء **﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾** فقد سأله . إذا . ان ياطف لهم بكثرة الخواطر وقوة الزواجر في فعل الإيمان حتى يقيموا عليه طيلة أعمارهم ولا

يتركوه في مستقبلهم فيستحقوا بتركه و فعل الكفر . بدلا منه . أن يزيغ الله تعالى قلوبهم عن الشواب ، فاعلا بهم مستحق العقاب .

وقد تعني . لا سيما بالنسبة للمعصومين . خضوعهم واستكانتهم بإذناتهم إلى الله على أن ترك الإراغة حاصل لهم لرسوخهم في العلم ، فهي كما ﴿قَالَ رَبِّ اخْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ وهو ليس ليحكم إلا بالحق .

وإنما اختص القلب من بين الجوانح والجوارح بتلك الدعاء لأنه شريف الأعضاء جانحة وجارحة ، فإنه قلب الروح وهي عماله وتحت إمرته ، فإذا اهتدى القلب اهتدت ، وإذا زاغ راغت واحتدى <sup>(١)</sup> .

﴿هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ رحمة خاصة لدنيا تعصمنا عن الزيف أيا كان من دركاته ، حيث الرحمة تعني كل درجاتها ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ﴾ .

وانما طلبوا إيجاب الرحمة بعد سلب الزيف لأن هذا السلب لا يغني عن ذلك الإيجاب ، فقد يكون عوانا بين سلب الزيف وإيجاب الرحمة فهو من المستضعفين الضالين ، كما الرائعون من غير المغضوب عليهم والمرحومون هم من المهددين إلى الصراط المستقيم ، فلذلك ثني هنا الإيجاب بعد السلب تكملا للهدي .

(١) الدر المنشور ٢ : ٨ . أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أم سلمة أن رسول الله (ص) كان يكثر في دعائه أن يقول : اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قلت يا رسول الله (ص) إن القلوب لتتقلب ؟ قال : نعم ما من خلق الله من بشر من بني آدم إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله فإن شاء الله أقامه وإن شاء أزاغه فسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنك رحمة إنه هو الوهاب ، قلت يا رسول الله (ص) ألا تعلمي دعوة أدعوك بها لنفسي ؟ قال بلى قولي : اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن ما أحسيتني .

فقد تنضم دعاء السلب والإيجاب هذه من الراسخين في العلم في خضم كلمة التوحيد **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾** حيث التعلق بكل ما سوى الله زيف ، والتعلق بالله هدى ورسوخ في العلم وبينهما عوان .

او يقال هناك زيف في القلوب وهنا رسوخ في العلم وبينهما عوان لم يذكر وهو القلب السليم غير الراسخ فيه العلم ، فلا هو يفسر المتشابهات زائغا ولا هو يعلم تفسيرا او تأويلا صالحا ، كالعوام من المؤمنين الذين لا يفهمون القرآن .

ومن اتباع المتشابه الجدال والمراء فيه ونشره نثر الدقل تأولا له على غير تأويله وتراجعا فيه ضربا لبعضه ببعض ، كما يروى متظافرا عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) <sup>(١)</sup> .

(١) الدر المنشور ٢ : ٥ . أخرج جماعة عن عائشة قالت : تلا رسول الله (ص) **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِيهِ فَهُمُ الَّذِينَ عَنِ اللَّهِ فَاحْذَرُوهُمْ وَلَفِظُ الْبَخَارِيِّ :** فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله باحذروهم . وفي لفظ ابن حجر . إضافة : والذين يجادلون فيه ، وفيه عنه (ص) قال : إن في أمتي قوما يقرءون القرآن ينشرونه نثر الدقل يتأنونه على غير تأويله ، وأنه خرج على قوم يتراجعون في القرآن وهو مغضب فقال : بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضرب الكتاب بعضه ببعض . قال . : وأن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه ببعض ولكن نزل يصدق بعضه ببعض مما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه عليكم فآمنوا به ، وفيه أخرج الطبراني عن عمر بن أبي سلمة أن النبي (ص) قال لعبد الله بن مسعود أن الكتب كانت تنزل من السماء من باب واحد وأن القرآن نزل من سبعة أحرف حلال وحرام ومحكم ومتشابه وضرب أمثال وآمر وزاجر فأحل حلاله وحرم حرامه واعمل بمحكمه وقف عند متشابهه واعتبر مثاله فإن كلاما من عند الله وما يتذكر إلا أولوا الألباب ، وفيه أخرج ابن حجر ونصر المقدسي في الحجة عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : نزل القرآن على سبعة أحرف المراء في القرآن كفر ما عرفتم منه فاعملوا وما جهلتكم منه فردوه إلى عالمه . وفيه عن ابن عباس قال : إن القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون لا تنقضي عجائبه ولا تبلغ غايتها فمن أوغل فيه برق نجا ومن أوغل فيه بعنف غوى أخبار وأمثال وحرام وحلال وناسخ .

وزيغ القلب يعم جانب الإيمان الى جانب العلم والعقل ، فكل ضيق للإنسان يتطلب ضيقا في فهم القرآن.

### نظرة ثانية إلى آية التقسيم :

**﴿هُوَ الَّذِي ..﴾** تحصر إنزال الكتاب ككل في الوحي ، فليؤمن المؤمن به كلّه . بما لا يفهمه إلى ما يفهمه . دون تفاصيل في المتشابه ما لم يجد لتأويله صالح السبيل ، أو وفي محكمه صالح التأويل.

ومهما اشتمل القرآن على متشابهات على ضوء الحكمات ، فالأصول

. ومنسوخ ومحكم ومتشابه وظاهر وبطنه التأويل وبطنه التأويل فجالسوه بالعلماء وجانبوا به السفهاء وإياكم وزلة العالم.

وفي نور النقلين ١ : ١٣٣ في كتاب الإحتجاج عن أمير المؤمنين (ع) حديث طويل وفيه : ثم إن الله جل ذكره لسعة رحمته ورأفته بخلقه وعلمه بما يحدّثه المبطلون من تغيير كلامه قسم كلامه ثلاثة أقسام فجعل قسمًا منه يعرفه العالم والجاهل وقسمًا لا يعرفه إلا من صفا ذهنه ولطف حسه وصح تمييزه من شرح الله صدره للإسلام وقسمًا لا يعرفه إلا الله وأنبياءه والراسخون في العلم وإنما فعل ذلك لئلا يدعى أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله (ص) من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم ولقيودهم الاضطرار إلى الاتّمام لمن ولاه أمرهم فاستكباوا عن طاعة تعزّزا وافتراوا على الله واغترروا بكثرة من ظاهرهم وعاوّنهم وعائد الله جل اسمه رسوله (ص).

وفي تفسير العياشي عن سعامة بن مهر أن قال قال أبو عبد الله (ع) : أكثروا من أن تقولوا ربنا لا تنزع ... ولا تؤمنوا الربيع ، وأصول الكافي عن هشام بن الحكم قال قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليهم السلام يا هشام إن الله حكى عن قوم صالحين أئمّم قالوا : ربنا لا تنزع ... حين علموا أن القلوب تزيف وتعود إلى عماها وردّها ، أنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يتصدّرها ويجد حقائقها في قلبه ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدقا وسره لعلانيته موافقا لأن الله لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه.

الحقيقة للعقيدة وأحكام الشريعة ككل هي من ضمن المحكمات التي لا تتشابه فيها.

اجل ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحَكَّمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ اما للمتشابهات . لا لأنفسها ايضاً مهما

كان من الكتاب . فالاضافة إذا ليست لامية بل هي بتقدير «من» أُمّ من الكتاب كما ان المتشابهات ولد من الكتاب والكتاب يجمعهما ، حيث يستشار بها دفائن مدلوّتها ، وأما لمبتدئي المعرفة عن اصل الشريعة والشريعة الأصيلة في حقل الأصول والفروع.

ذلك . فأما الذين في قلوبهم زيف عن الحق الناصع الناصح ، وضلال عن سوي الصراط فطرياً وعقلياً وواقعاً ، هم أولاء الأنكاد يتذكرون الأصول الواضحة التي تقوم عليها العقيدة والشريعة والمنهج العملي والعقيدي والعلمي للحياة ، ويجربون وراء المتشابه الذي لا يفهم بظاهره البدائي ، يتبعونه على تشابهه ، تأويلاً عليلاً كليلًا دونما اي دليل ، حيث يختلقون فيه مجالاً للفتنة بالتأويلات المزلزلة للعقيدة والاختلافات التي تنشأ عن بلبلة الأفكار ، نتيجة الاقتحام فيما لا مجال لتأويله اللهم إلا لأهله ام عن سبيله الواضح ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾.

ولأن التأويل من الأول : الرجوع ، فهو الباطن مأخذنا ومرجعاً للمحكمات كما للمتشابهات ، فمن التأويل ما يعلمه من لطف فهمه وهم الأولياء ، ومنه ما يعلمه المعصومون منه تأويل الأحكام فإنهم سباداً إلى مأخذها ونتائجها يستتبّطون فروعاً أخرى لا تدلّ عليهما ألفاظها.

ومنه ما لا يعلمه إلا الله كالحقائق الأصيلة . مأخذ ونتائج . للقرآن ، فان مصدره غيب عن سوى الله فلا يعلمه إلا الله ، فذلك مثلث من التأويل وكلّ أهله .

ويقابلهم في تلك المواجهة المضللة **﴿الرَّأْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾** حيث يعتمدون على المحكمات كأصول ، ثم يقولون آمنا به كل من عند ربنا في السدد المضروبة عليهم من تأويله ، واما إرجاع المشابه الى محكمه استيضاها لمعناه ، ام ازاحة للتشابه بالتدبر اللائق فيه ، فهما ليسا من اتباع المشابه حتى يدخلان في زيف التنديد ، بل هما ما امر به اهل القرآن ان يدّبّروا آياته فيذكر اولوا الألباب : **﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارِكٌ لِيَدَبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابُ﴾**.

**﴿وَمَا يَذَكَّرُ﴾** ناتجة الرسوخ في العلم **﴿إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابُ﴾** دون السطحيين القشرين الذين تخدعهم قشور من العلم ، فيخيل إليهم أنهم يعلمون كل شيء ، وان لهم الاقتحام في خضم السدد المضروبة المشابحة من علوم القرآن العظيم ، فيقابلون كلام الله . المطلق المخلق على كل العقليات والفتراء والواقعيات العلمية . يقابلونه بما صاغتها لهم عقولهم وعلومهم المحدودة ، ساحرين لأنفسهم كل تأويل فيما تشابه منه دون اي دليل على انهم الجديرون بإدراك كل غامض.

واما اولوا الألباب فهم يذكرون انهم مطلق الجهل امام علم الله المطلق ، يعتقدون كل وامض اتضاح لهم بتدبر وتفكير فيعملون به ، ويؤمنون بما تشابه منه ولم يتضح لهم قائلين : **﴿آمَنَّا بِهِ﴾** محكما ومتشارجا . متشارحا ومحكما «كل» منهما دون فارق **﴿مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾** **﴿وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابُ﴾** . **﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ ...﴾**

نظرة ثلاثة الى آية التقسيم فيها نتيجة البحث عنها بصورة مجملة :

المستفاد من آية التقسيم امور تالية :

١ تقسيم القرآن الى محكمات ومتشاربات حاصر فيما تعنى دلالته من آيات ، دون

الحروف المقطعة التي هي برقيات رمزية تخص الرسول (صلى الله

عليه وآلـه وسـلـمـ) وذويـهـ المعصـومـينـ ،ـ ثـمـ لاـ إـجـمـالـ ولاـ إـبـحـامـ فيماـ يـرـادـ دـلـالـتـهـ مـحـكـمـةـ اـمـ مـتـشـابـخـةـ.  
 ٢ ليس التشابه في المتشابهات من الناحية الدلالية فانه خلاف الفصاحة والبلاغة الساذجة فضلا عن القمة العليا لأعلى درجات الاعجاز في القرآن ، واما التشابه الذي يزول بالتأمل في المتشابه او بالرجوع الى محكمها هو التشابه اللغطي كالاسماء والصفات المشتركة الاستعمال بين الله وخلقه ، ثم الواقعى كالمحكمات الأحكامية المنسوخة حيث تتشابه الثابتة غير المنسوخة .

واما التشابه المعرفي والعلمي والعقلي والحسي ، فيما يختلف النص او الظاهر المستقر مع هذه الأربع ، فليس مقصودا في **﴿أَخْرُ مُتَشَابِهَاتٍ﴾** فانه من المحكمات لفظيا وواقعيا ولا بد من الرجوع الى نفس الآية واتباع دلالتها الظاهرة رفضا لخلافها في هذه الحقول الأربع .  
 والآيات المتشابهات بصورة عامة هي (٣٦) قسما بضرب المتشابهات الست في نفسها ، تخرج منها المكررات والباقيه بين ما تضمنه الآية وما هي متشابهة من جهات أخرى .

٣ التشابه والإحكام أمران نسيبان في القرآن حسب مختلف الاستعدادات والتأملات ، فلا متشابهة إطلاقا لأهل بيـت الرسـالـةـ صـلـوـاتـ اللهـ عـلـيـهـمـ أـجـمـعـينـ ،ـ وـكـلـهـاـ مـتـشـابـهـةـ مـلـنـ لاـ يـعـرـفـ اللـغـةـ العـرـبـيـةـ وـبـيـنـهـمـ عـوـانـ .

٤ زيف القلوب الذي يختلف اتباع ما تشابه منه يعم الزيف العلمي والعقلي والعقيدى لمكان «زيف» دون «الزيف» واتباع ما تشابه منه بين مستحيل ومحظور ومحبور ، فال الأول هو اتباعه على تشابهه دون تأويل صالح او طالحا ، والثاني تأويله دون سند الى دليل ، والثالث هو التأويل بصالح الدليل ، والاتباع يعم العلمي والعقيدى ، والعملى فيما فيه عمل ، فليس البقاء على التشابه دونما

تفسير اتباعا له ، ولا اتباع ما تشابه بعد تفسيره الصحيح اتباعا محظورا ، وانما المحظور هو اتباعه بتفسير وتأويل عليل دخيل.

٥ لا يعني التأويل تفسير النص او الظاهر الى خلافه رغم اشتهره فانه تأويل عليل للتأويل ، انما هو الإرجاع ، تأويلا للتشابه الى الحكم ليزول التشابه ، ثم تأويلا للمحكم الى مبدئه و نتيجته هنا ألم بعد الموت ، ومن التأويل ما يختص بالله ككل غيب مختص به ، ومنه ما يختص بالمعصومين كتأويل الأحكام فإنهم يعرفون مناطات الأحكام بما علمهم الله بالرسول : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحُقْقِ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ إِمَّا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ فهو (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يحكم بين الناس في كافة الحقول بما أراه الله ، اراءة خاصة له بعد عامة القرآن ، ومنها اراءة تأويلاط الأحكام حتى يأهل للافتاء في كل صغيرة وكبيرة بتلك الإراءة.

ومن التأويل ما يعم اهل القرآن على درجاتهم ، تأويلا للتشابه بنفسه ام بالرجوع الى محكمه ، ام تأويلا لبعض الأحكام الى مأخذها المنصوصة بالخصوص كتابا او سنة ، ام متلقاة منها بصورة قاطعة ، كمأخذ الإسکار للخمر حيث يعم التحرير الى كل مسكر وان لم يكن خمرا بالفعل ، كمن يشرب العصير الكثير ثم ينام وجاه الشمس ثم يسكر.

٦ الراسخون في العلم يعم كافة المؤمنين غير الراغبة ولو بكم مهما كانوا جهالا لا يعلمون من القرآن حرف ، مهما كان أفضل الراسخين في العلم هم الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والائمة المعصومون من عترته (عليهم السلام) ، وبينهما متوسطون.

والواو في ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ في العلم تعني كلا العطف والاستئناف ، عطفا للتدليل على ان منهم من يعلم جانبا من التأويل ، واستئنافا للتدليل على

اختصاص عامة التأويل بالله والله هو الهادي الى سواء السبيل.

**﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبٌ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (٩).**

فاعترافه اولى لأولى الألباب : **﴿آمَنَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾** جامعة مثلث الإيمان بالتوحيد والنبوة وكتاب الشريعة ككل ، وهنا ثانية هي تالية التوحيد في هندسة الإيمان أيا كان : **﴿رَبَّنَا إِنَّكَ ...﴾**.

ف **﴿لِيَوْمٍ لَا رَيْبٌ فِيهِ﴾** فطرياً وعلقرياً وعلمياً وحسياً ، هو هنا يوم الجمع ، حيث يجمع فيه الناس نشراً وحشراً وحساناً وجاء وفقاً ولا يظلمون فتيلاً.

وانه جمع يجمع في خضم كل متطلبات الجزاء الوفاق لكل عامل صالح او طالحا ، ناساً وغير ناس ، وما ذكر الناس هنا وفي كثير مثله إلا لأنهم المحور الأساس في شرعة الله.

ومما يؤكد ذلك الجمع **﴿لِيَوْمٍ لَا رَيْبٌ فِيهِ﴾** **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾** أفيخلفه عجزاً أم جهلاً أم تجاهلاً أم بخلًا أو ظلماً ، وساحة الربوية براء عن كل نقص لأنه «الله» و **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾**.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ﴾ (١٠).**

**﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** بهذه الأصول الإيمانية وماتوا وهم كفار . كما تعينه **﴿كَدَابُ آلِ فِرْعَوْنَ﴾** في التالية . **﴿لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ﴾** يوم الجمع **﴿أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾** بعد ما أغنت عنهم في حياة الابتلاء **﴿وَأُولَئِكَ هُمُ﴾** لا سواهم **﴿وَقُوْدُ النَّارِ﴾** حيث الكفار دركات أنزلها وأنزلها رؤوس الكفر ودعاة الضلاله

الذين هم وقود نيران الإضلال هنا ، فهم . إذا . وقود النار هناك ، يتقد بهم في النار هوامش الكفر المستحقين النار.

فلا وقود . إذا . للنار إلّا رؤوس الكفر والضلال ، كما لا نار هناك إلّا بروزاً ملوكوت الأعمال.

فهم الناس في آية الوقود . الأخرى . : ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٢٤) وهم المخاطبون في آية الحصب : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ (٩٨ : ٢١) وهم المعنيون بآيات الصلي : ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى . الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّ﴾ (٩٢ : ١٥)

فلأن مثلث الآيات في الوقود والمحصب والصلبي تعني المشركين والمكذبين بآيات الله فهم . فقط . المعنيون من ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هنا ومن سائر المحصب والصلبي هناك وهنالك ، ثم من سواهم من الكفار يحرقون بوقودهم اللهم إلّا ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (٤ : ١٠) إذا فسائر ما يستحق به النار هي من فروع الشرك والتکذيب بآيات الله ، أعني رؤوس الزاوية في الإشراك والتکذيب.

ولأن تلك النار . ككل . تطلع على أهلها من ذواههم بأعمالهم فليس لهم الفرار عنها إلا أن يفروا من أنفسهم الشريعة ولات حين فرار ، وقد كان لهم أن يفروا منها يوم الدنيا مخالفة لأهوائهم واتبعوا هدى الله ، ولكنهم ماتوا بنير انهم الجهنمية فليحرقوا بها ، وذلك : ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخْذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١١).

الدأب هو السير المستمر ، وهو هنا يعم النشأتين ، فالفرعون والذين

من قبلهم في دأبهم كانوا دائبين في الكفر والتکذيب بآيات الله وما توا وهم كفار ، فكذلك **﴿هُمْ وَقُوْدُ النَّارِ﴾** في دار القرار كما كانوا وقود النار في دار الفرار **﴿فَأَخَذُهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾** طبقا عن طبق جزاء وفاقا **﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** عدلا ، كما هو ارحم الراحمين ثوابا. وقد تحتمل **﴿كَدَابِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾** وجوها عدة على كلها معنية حيث يسعها ادب اللفظ وعنابة المعنى.

ف «آل فرعون» مفعول فاعله مخدوف معروف هو الله : كستته الجارية على هؤلاء وهؤلاء أخذنا لهم بذنوبهم في الأولى والأخرى **﴿إِنَّمَا حَطَّيَاهُمْ أَغْرِقُوهُمْ فَأَدْخِلُوهُمْ نَارًا﴾** (٧١) : **﴿وَيَوْمَ تَثْوِمُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾** (٤٠ : ٤٦).

أو أنه فاعل : كدأبهم في التکذيب برسل الله ورسلاته وآياته وكأنهم تواصوا به على طول خط الرسالات الإلهية.

او كدأب العذاب في آل فرعون دأبه في هؤلاء الأنكاد الذين هم فراعنة في هذه الرسالة القدسية السامية.

او ان الاضافة هنا لامية : كالدأب الذي لآل فرعون . منهم في تکذيبهم ومن الله في تعذيبهم . يكون الدأب في الذين كفروا من رؤوس الضلاله.

او كدأبهم في أنه لم ينفعهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا عن عذاب الأولى فضلا عن الأخرى.

ف «دأب **﴿آلِ فِرْعَوْنَ﴾** على أية حال تخلق على كل دأب منهم وفيهم وعليهم ومن الله في الاولى والأخرى طبقا عن طبق ولا يظلمون نقيرا.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُعَلَّمُونَ وَتُحَشَّرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتَنَنِ النَّاسَةِ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَى كَافِرَةُ يَرَوُهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْبَةً لِأُولَئِكَ الْأَبْصَارِ (١٣) زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْفَنَاطِيرِ الْمُقْنَطَرَةِ مِنَ الدَّهَبِ وَالْفَضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحُرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدُهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَنَتُنُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَاحٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ حَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطْهَرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْفَانِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (١٧) شَهِدَ

الله أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)  
 إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَيْهِ الْأَسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا  
 بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكُفِرُ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِي  
 لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمْمَيْنَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا  
 فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠) إِنَّ الَّذِينَ يَكُفِرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ  
 حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَئِكَ الَّذِينَ  
 حَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٢) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ  
 الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيُخْكُمْ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣)

ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَامًا مَعْدُوداتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤)  
 فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رِبْعٌ فِيهِ وَوُقِيتَ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٥)  
 ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سُتُّغْلَبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَإِنْسَنَ الْمَهَادُ﴾ (١٢).

هنا ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قد لا يعني كافة الكفار حيث نزلت بعد انتصار المسلمين في بدر كما تعنيه ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِنِ...﴾ فهم . إذا . باقية منهم في الجزيرة وهم اليهود كانوا يحسبونهم «الناس» الأقوياء لا يغلبون وهم يغلبون ، فنزلت هذه الآية منددة بهم مهددة لهم بغلب بعد غالب ... ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْرِيَةً لِأُولَئِكَ الْأَبْصَار﴾ (١).

هذا . وقد تعني الكفار ككلّ انهم مغلوبون على طول الخط كأصل أصيل في التقاء فتني الإيمان والكفر كما ﴿لَنْ يَضْرُوكُمْ إِلَّا أَذَى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوْكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ (٣ : ١١١) وليس غالب الكفار على المؤمنين أحياناً إلا

(١) الدر المنشور ٢ : ٩ . أخرج ابن إسحاق وابن حمير والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس أن رسول الله (ص) لما أصاب ما أصاب من بدر ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوقبني قينقاع وقال يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم عذاب الله بما أصاب قريشا فقالوا يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرا من قريش كانوا أعمار لا يعرفون القتال إنك والله لو قاتلتانا لعرفت إننا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا فأنزل الله ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا...﴾.

خطأ في قبيل اليمان كما كان في حرب أحد ما كان من تخلفهم عن أمر النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

وهذه الآية من الملاحم القرآنية لا سيما في خصوص يهود المدينة حيث غلبوها كما قال الله في حرب بني قينقاع ، وما كان لهم حول ولا قوة نقضوا هذه الملحمة تجتمعوا لقوتهم الهائلة مهما شرّقوا او غربوا وزمرروا وعربدوا ، مما يدل على صادق الوحي في هذه الإذاعة القرآنية.

ولأن الحشر هو إخراج جماعة عن مقرهم بإزعاج ، إذا فجهنم هي جحيم النار في دار القرار ، مهما سبقتها جحيم البرزخ فانها برزخ في ذلك الحشر الحاشر الحاشر **وَبِئْسَ الْمِهَادُ** الذي مهده الله لهم بما مهدوا له في أنفسهم في هذه الأدни.

**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةً فِي فِتْنَتِنَ النَّقَاتَا فِتْنَةً تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةً يَرَوُهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْبَةً لِأُولَئِكَ الْأَبْصَارِ** (١٣).

**قَدْ كَانَ لَكُمْ** : . الناس الأبطال ! «آية» لغلب المسلمين عليكم او امكانيته القريبة **فِي فِتْنَتِنَ النَّقَاتَا** في قتال حامية دامية **فِتْنَةً تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** وهي الضفة الإسلامية السامة **وَأُخْرَى كَافِرَةً** هم مشركون قريش ، والمسلمون ثلاثة عشر رجلا فيهم قلة فارسة ، والمشركون ألف وفيهم كثرة فارسة ، مما كان بطبيعة الحال يخلق لهم كارثة لقلة عددهم ، ولكنّما العدد اليمانية الكثيرة سدت فراغ العدد الحربيّة اليسيرة.

وما نصرهم الله في هذه المعركة الصاخبة ان **يَرَوُهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ** حيث تعني فيما تعنيه ان الكفار كانوا يرون المسلمين مثلهم رغم انهم ثلاثة ، مما يهين عزّهم ويفشل حزمهم كما فعل .

وتلك الإرادة المعاكسة كانت من الجانبين لصالح المسلمين ، فهنا ﴿يَرُوُهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَىِ الْعَيْنِ﴾ توهينا لعزمهم ، وفي الأنفال ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكُ فَلِبَلاً وَلَوْ أَرَاكُهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَسْأَعُمُ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقْيِيمِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٤٤).

هاتان القلتان المرئيتان هما من الحيل الربانية لصالح الفئة المؤمنة اضافة الى واقع الإيمان الصامد الذي لا يهدف لأصحابه إلا إحدى الحسينين ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ بحساب دونما فوضى جزاف ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التأييد المديد ﴿لِعِرْبَةً لِأُولَى الْأَبْصَارِ﴾ ألا فاعتبروا يا أولي الأ بصار.

وقد تعني ﴿يَرُوُهُمْ مِثْلَهُمْ﴾ كلتا المعاكستين ان :

يرى الكافرون المؤمنين مثلي أنفسهم ، فهم إذا ألفان ستة اضعاف العدد الواقع ، ويرى المؤمنون أنفسهم مثلي الكافرين وكذلك الأمر ، وما معا تشجيع للمؤمنين وتهين للكافرين ، وأما ان يرى المؤمنون أنفسهم مثلي أنفسهم (٦٢٦) وهم يرون الكافرين ألفا فليس مما يشجع المؤمنين فضلا عن توهين الكافرين.

فالأصل هنا في رؤية الكافرين انهم يرون المؤمنين مثليهم رأى العين ، وفي المؤمنين انهم يرونهم قلة بجنبهم ويرون أنفسهم مثليهم رأى العين ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً﴾ .

﴿رُزِّنَ لِلنَّاسِ حُبُ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقُنَاطِيرِ الْمُفَنَّطَرَةِ مِنَ الدَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحُرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (١٤).

«زين» مجهولا لا بد له من فاعل ، فهل هو الشيطان حيث التزيين هنا في مسرح

التنديد مفصولا عن حساب الله ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدُهُ

**حُسْنُ الْمَآبِ**؟ وليس خالق الخلق بزنته إلا الله : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ ! وهنالك وفر من الآيات تنسب زينة الحياة إلى الله كـ : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوْهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (١٨ : ٧). ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٢٧ : ٤). ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَجْهُمْ مَرْجِعُهُمْ ... وَنُقْلِبُ أَفْسَدَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةً وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَايِّهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٦ : ١١٠)!.  
نقول : هنا تزيين هو من فعل الله تحسينا لخلقـه كـلا على حـده : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ ولا تنديد فيه إذ لا إـضلـال.

وهـنـاك تـزيـين زيـادـة عن الواقع فيـه إـضـلـال وإـدـغاـل ، وـهـو من فعل الشـيـطـان بالـنـسـبة لـهـؤـلـاء الـذـيـن يـمـشـون عـلـى هـوـاه ، سـوـاء أـكـان تـزيـينـا للـحـيـاة الدـنـيـا أـكـثـر مـاـهـيـه اـم تـزيـينـا لـاعـمـالـهـم السـيـئـة حـتـى يـرـوـها حـسـنـة ، فـهـو من الشـيـطـان إـضـلـال وـمـن الله تـعـالـى عـقوـبـة عـلـى ضـلـال إـذ يـخـلـي بـيـنـهـم وـبـيـنـهـم يـضـلـهـم وـيـغـوـيـهـم ، يـعـدـهـم وـيـمـنـهـم وـلـا يـعـدـهـم الشـيـطـان إـلا غـرـورـا. فـهـنـا الله يـزـيـن لـهـم أـعـمـالـهـم ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ . ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ . أـوـلـىـكـ الـذـيـن لـهـم سـوـءـ العـذـاب وـقـعـهـم فـي الـآـخـرـة هـم الـأـحـسـنـوـنـ (٢٧ : ٥).

لا فـحـسـب بل ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنَوا لَهُمْ مـا بـيـنَ أـيـدـيـهـم وـمـا خـلـفـهـم﴾ (٤١ : ٤١) .  
فـ (٢٥) فـ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْرُهُمْ أَرَازًا﴾ (١٩ : ٨٣) مـهـما عـنـ التـقـيـيـض والإـرسـال عدمـ الـحـيـالـ بـيـنـهـم وـبـيـنـ الشـيـاطـينـ حيثـ يـكـلـهـمـ إـلـىـ أـنـفـسـهـمـ فـهـمـ يـعـمـهـونـ.  
وـأـمـاـ حـبـ هـذـهـ السـتـةـ المـذـكـورـةـ فـيـ الـآـيـةـ الـمـتـوـحـدةـ فـهـيـ مـنـ اللهـ تـمـشـيـةـ لـحـيـاهـ الجـسـدـ ، مـطـيـةـ لـحـيـاهـ الرـوـحـ وـبـلـيـةـ فـيـ مـدـرـسـةـ الدـنـيـاـ : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا

**ما عَلَى الْأَرْضِ زِيَّةٌ لَهَا لِتَبْلُوْهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً .**

فذلك . إذا . حب لذريعة الحياة العليا ، أن يتذرع بها الإنسان إليها ، ناظراً بها إليها ، لا ناظراً إليها اصيلة ، بل وسيلة إلى رؤية الحقائق في الأولى والأخرى .

ثم هو من الشيطان تركيز على الشهوات ، وحصر للحياة في هذه الأدنى ، أن يربها أكثر ماهيه فيجعل الحياة الأخرى لاغية كأن لا حياة إلا هذه الدانية وهنالك الطامة الكبرى ! .

وثالوث الشهوات . نساء وبنين وأموالا . هي أساس البلاء والهوة الجارفة لمن أبصر إليها فأعمته ، وهي أساس الكمال لمن أبصر بها فبصرته .

ولأن شهوة الجنس تحل الصف الأول من الشهوات نراها رأس الزاوية ، وهي كما هي ام المشتهيات ، ثم من أهم حصائلها «البنين» وقد تعني هنا الأعم من البنات .

ثم مرعنة الأموال التي تستخدم لأريحية الحياة التي تحل رأس الزاوية فيها ﴿النساء والبنين﴾ ، وهي ﴿القناطير المقنطرة من الذهب والنضة﴾ كرأس الزاوية في الأموال ، ثم ﴿الأخيل المسؤول﴾ المعلمة وهي جيادها ، ثم «الأنعام» وأخيراً «الحرث» .

«ذلك» البعيد البعيد ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ يتمتع بها فيها ويشتري بها الحياة الأخرى ﴿وَاللهِ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ والثواب لمن جاز شهوتها وهي خامدة إلا عما يتذرع بها لما عند الله .

ومهما كانت الحياة الدنيا خيراً كمزرعة ومدرسة فالحياة الأخرى خير منها كمنتوجة

صالحة :

﴿قُلْ أَتَيْسُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (١٥).

«قل» يا رسول المهدى والداعية إلى كل خير ﴿أَتَيْسُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فانه شر من ذلك للذين طعوا عند ربهم ، ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في الحياة الدنيا إذ لم يتناسو فيها . وهي حياة بعد والحجاب عن الرب . انهم عند ربهم وبمحضره فاتقوا . ف ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ . ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ . ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وain ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في الاخرى من ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في الاولى ، إذ تكشف الغطاء فيها كثواب دائم بما كشفت كما سعوا في الاولى .

واين ﴿أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ . ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في الاخرى من النساء عند ربهم في الاولى ، ثم لا خبر هنا عن خصوص البنين والأموال لأنهما كما النساء ﴿فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّلُ الْأَعْيُنُ﴾ وإنما يفرد بالذكر في عالم المضائقات ثم الأموال يوم الأخرى لا حد لها ولا حساب ، وهي حاصلة هناك دون تحصيل .

وقد تعني «مطهرة» اضافة إلى الطهارة عن التدنى طهارة عن كل تنفس أنثوي من هرم وضعف وقبح في المنظر والعشر ، فهن يظللن مطهرات كما كان على طول خط الحياة . ولماذا «ازواج» للمؤمنين ، لا وزواج للمؤمنات؟ قد يعني اختصاص الذكر . ان كان التجافي عن ذكر ازواج المؤمنات حفاظا على كرامة العفاف! ولكنهن ذكرن في مساح النكاح مرات عدة للدنيا ، ولا عفاف عن الحلال حتى يعف عن ذكرهن في مسرح الزواج يوم الأخرى ، وعلى ﴿أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ تعم

القبيلين كما ﴿لِلَّذِينَ اتَّقُوا﴾ و ﴿رَضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ فلا اختصاص في شيء من ذلك بقبيل الرجال ، و «الذين» تغليب جانب الرجال ، و «مطهرة» اعتبارا بلفظ الجمع المكسر وإبرازا أكثر لقبيل الرجال ، فإن رغبة الرجال فيهن أكثر من رغبتهن فيهم.

إذا فالنقطة الظرفية من ﴿أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ إلى ﴿وَرَضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ نقلة قاصدة إلى بلورة الحياة الأخرى وركيذتها الأخرى ، فجنة الرضوان هي رضوان الجنات ﴿لِلَّذِينَ اتَّقُوا عِنْدَ رَحْمَم﴾.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَاد﴾ من هم همهم الشهوات هنا وهناك مهما كانت محللة مرغبة وكثير ما هم.

ومن هم همهم ﴿رَضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ وقليل ما هم ، وهكذا يؤدبنا ربنا ويخطو بنا من شهوات الدنيا إلى شهوات الآخرة ، ومنها إلى أشهى الرغبات الروحية ﴿وَرَضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾! وهو أكبر كما ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنٍ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرَضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفُورُ الْعَظِيمُ﴾ (٩ : ٧).

هنا وهناك ﴿رَضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ يقابل كل الجنات وما فيها من كافة الشهيات ، تدللا على ان قليلا من رضوان الله خير من كثير من سائر الجنات ، مهما كان ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ فان جنة الرضوان هي الأصل والأخرى من فروعها ، كما الروح هو الأصل في الكيان الإنساني والجسم فرعه.

وقد يعني ﴿رَضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ على ضوء رضوان الله عن العبد ، رضوان العبد عن الله ، ولأنه ذريعة لرضوان الله ، كما ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبُّهُ﴾.

وإنما عدّي «رضوان» بـ«من» حيث الأصل هو رضوان من الله عن عبده وليس العكس إلا تقدمته.

ذلك ، وإلى مواصفات للذين اتقوا عند رحمة الله في قال وفعال :

**﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقُنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (١٧).**

هؤلاء الأكابر هم في خمسية من واقعية الصفات الإيمانية بعد قوله الإمامان وطلبة الغفران والاتقاء عن النيران ، دروب ثمان إلى جنة الرضوان **﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾**. والنصب في هذه الخمس على الإختصاص : أخص من القائلين **﴿رَبَّنَا إِنَّا آمَنَّا ..﴾** : **﴿الصَّابِرِينَ ...﴾**.

وهذه الصفات تخلق على كافة الصفات الإيمانية على الإطلاق ، كما وتحلق كل منها على سائر الخمس ، فالصابر في الله حقا هو الصادق حقا كما الصادق صابر ، والقانت حقا الله هو الصابر الصادق المنفق في الأسحار كما المنفق المستغفر صابر صادق قانت. ذلك . وفي كل صفة من هذه الخمس تتحقق سمة ذات قيمة في حياة الإيمان ، ففي الصبر ترقب على الآلام دون انكسار وتراجع ، ثباتا على أعباء الدعوة واستعلاء على الشكوى.

وفي الصدق اعتزاز بالحق المطلق ومطلق الحق في ظلاله ، ترفعا عن ضعف الكذب وكذب الضعف بما الكذب إلا ضعفا عن ناصع الحق اتقاء عن ضرر او اجتنابا للفعل . وفي القنوت لله أداء . قدر المستطاع . لحق الربوبية وواجب العبودية وتحقيق لكرامة النفس بالقنوت الخنوع لله الذي لا قنوت لسواه .

وفي الإنفاق تحرر من أسر المال بأسره ، وانفلات من رقة الشح ، وإعلاء لحقيقة الأخوة اليمانية على شهوة اللذة الشخصية وتكافل بين الناس يليق بعالم الناس خروجا عن عالم النسناس.

ومن ثم الاستغفار بالأسحار يلقي ظلالا عميقاً للندي ، قربة الهدى ، كما وصيغة الأسحار راسمة ظلال فترتها قبيل الفجر حيث يصفو فيها الجو وتترقرق فيها خواطر النفس ، تلقيا حفيما بين روح الإنسان والكائنات ككل اتجاهها إلى خالق الكون.

**﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨).**

هذه من غرر الآيات الجامعة لبراهين التوحيد ، الجامعة لكل مدليل آيات التوحيد آفقياً وانفصياً ، يجدر بنا ان نسير اغوار البحث فيها كما سرت.

هنا سؤال يطرح نفسه بطبيعة الحال ان كيف يشهد الله لنفسه وطبيعة الشهادة ان تكون لاثبات الدعوى من غير مدعيها عند فقدان اي برهان عليها؟ وإنما كل مدع ان يشهد لنفسه دون حاجة إلى سواه؟!.

هنا . بعد التأكيد من معنى الشهادة أنها أداؤها عن حضور كامل وهو بالنسبة للحضور المطلق على كل محضر لتلقي الشهادة وإلقاءها قبل خلق المشهود وبعده وبعد فناءه .

هنا نقول أولا : ان شهادة الله بوحدانيته قد تخص الذين يعتقدون في وجوده ثم هم به مشركون ، وهم معتبرون أنه الإله الأصيل وقد اتخذ لنفسه شركاء ، فأفضل من يشهد لوحدانيته هو نفسه المقدسة ، إذ هو الذي يعلم شركاء لو كانوا ، وهو الذي يتخذهم لو كان متخدلا لهم ، فلما ينفي العلم بان له شريكا ، وينفي اتخاذه لنفسه شريكا ، فتلك إذا شهادة قاطعة على توحيده : **﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَلَاءُ﴾**

شَفَعَوْنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبَيْتُونَ اللَّهَ إِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٠﴾ (١٨ : ١٠). أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ إِمَّا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سُوْهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ إِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ رِيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصَدُّوْا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿١٣﴾ (٣٣ : ١٣).

فلان اتخاذ الشركاء لله لا يعلم . كأفضل معلم . إلا من قبل الله ف **«شَهَدَ اللَّهُ»** هي أفضل شهادة لتوحيد الله وجاه من يفتررون على الله انه اتخذ لنفسه شركاء . هذا . ولكن شهادة الله على توحيده ليست لتوقف عند هذه فحسب ، فانه شهيد بكل حقول الشهادة على **«أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ..»**

قبل كل شهادة **«شَهَدَ اللَّهُ»** باسمه «الله» : **«أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»** ف **«هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَيِّئًا»** (١٩ : ٦٥)؟ كلا يا ربنا حيث اجمع العالمون ملحدين ومسركيين وموحدين على توحيد اسم «الله» لله فلم يسم به أحد إلا الله ، مهما اتخاذوا من دونه شركاء ، إذ لا يحملون اسم «الله».

ثم «الله» في ذاته القدسية يشهد ألا اله الا هو ، فان ذاته الالامحدودة تحيل تعدده ، حيث الالامحدود لا يتعدد ولو كان مخلوقا ، وهو في الخلق لا محدودية نسبية ، فالماء . مثلا . دون اي تقييد بزمان او مكان او الوان ليس إلا واحدا ، ولا يتصور التعدد إلا على ضوء اختلاف ما في اي من هذه الموصفات.

فاللامحدودية الإلهية . وهي حقها وحاقها . تحيل التعدد ، فهو واحد لا بعد ولا عن عدد ولا بتؤول عن عدد ، و **«لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا»** الآلة إلا الله مع الله ، حيث العدد يحيط ألوهية المعدود أياماً كأن .

وصفاته . كذلك . ذاتية هي ذاته القدسية ، وفعالية هي أفعاله ، إنما لا محدودة فلا تعدد في الموصوف بما بنفس السند .

كما وأفعاله المنضدة المنظمة دون تناقض وتفاوت ، وبكل تناسق وتوافق حيث ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوْتٍ﴾ ذلك ايضا دليل وحدة الخالق الناظم الناسق ، فتدبره العجيب وصنعه اللطيف اللبيب وحكمته البالغة وقدرته الحالة ، كل ذلك دليل وحدة الصانع الحكيم القدير .

كما وشهد الله بما خلق في أنفسنا ودبر من فطر وفكر وعلوم ، فالفطرة شاهدة ، والعقل شاهد ، والعلم في كل حقوله شاهد ، شهادة ثلاثة هي من الآيات الأنفسية اضافة إلى الآيات الآفاقية ﴿إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ .

ثم ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ المدبرات أمرا ، والحاملات رسالات الله على رسول الله ، إنما تشهد بوحدة التدبير ووحى الرسالة التوحيدية ﴿إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فلا تجد الرسائلات الإلهية ملكا يحمل خلاف التوحيد ، او يعمل في تدبير أمر الكون خلاف التوحيد .

وكذلك ﴿أُولُوا الْعِلْم﴾ بالله ، ف ﴿إِنَّمَا يَخْشَىَ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ولا سيما الرسل والنبيون <sup>(١)</sup> وهم الرعيل الأعلى من اولى العلم بالله ، فإنهم

(١) نور الثقلين ١ : ٣٢٣ في تفسير العياشي عن جابر قال سألت أبا جعفر عليهما السلام عن هذه الآية ﴿شَهَدَ اللَّهُ﴾ قال أبو جعفر عليهما السلام : شهد الله .. فإن الله تبارك وتعالى يشهد بما لنفسه وهو كما قال ، فأما قوله : والملائكة ، فإنه أكرم الملائكة بالتسليم له بهم وصدقوا وشهادوا كما شهد لنفسه وأما قوله : «أولوا العلم قائما بالقسط ، فإن أولى العلم الأنبياء والأوصياء وهم قيام بالقسط والقسط العدل في الظاهر والعدل في الباطن أمير المؤمنين» أقول : قائما بالقسط هي صفة الله لإفرادها دون الآخرين المجموعين ، مهما حملوا القسط في شهادتهم بالوحدانية ، اللهم إلا تأويلا أو حملأ لقسطهم على هامش قسط الله .

يزدادون على مثلث العلم لسائر العلماء علم الوحي الرسالي : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ﴾ (٢١ : ٢٥).

ذلك وأفضل الشهادات الربانية في حقل الكتب الرسالية هو القرآن : ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ عِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (٤ : ١٦٦). وهي بصورة عامة : ﴿فَلَنْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (١٣ : ٤٣).

هذا ، وكذلك سائر اولي العلم ، علما بالله كما الموحدون ، او علما بخلق الله ، حيث العلوم التجريبية بأسرها . لو خللت وطبعها . تحيل ازلية المادة (١).

إذا فالكون بأسره . خالقا وخلوقا ، وفي كل حقوله . شاهد صدق بكل صنوف الشهادة ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فلا نكير لتوحيده تعالى إِلَّا نكير فطرته وعقليته وعلمه . إذا فـ ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ : ١ باسمه «الله» ٢ وذاته و ٣ صفات ذاته ٤ وصفات فعله ، ٥ ومن الفطر ٦ والعقول ٧ وبقرأنه و ٨ ملائكته وسطاء في حمل التكوين والتشريع ، ٩ وأولوا العلم الرسل ومن يحدو مخاهم ١٠ وسائل اولي العلم حيث الصالح في ذاته يدل على وحدانيته تعالى .

فكل هذه الشهود العشرة هي من ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ منه او من فعله شهادة عقلية او علمية او واقعية ، وليس شهادات لفقدان البرهان .

(١) تجد القول الفصل في شهادة العلوم لإثبات وجود الله وتوحيده في كتابنا «حوار بين الإلهيين والماديين» في فصله الخاص .

ومهما دخلت في سائر الشهادات خلاف العدل والقسط ، ولكن الله في شهادته وفي ربوبيته ككلّ ليس إلّا :

**﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾** تشهد لقيمه بالقسط ألوهيته ، فاما يحتاج الى الظلم الضعيف ، كما وتشهد سائر الشهاء من الملائكة واولي العلم ، دون اي دخل ولا دجل او دغل في الشهادة التوحيدية ، فإنما هو قسط فوق العدل ، وليس ظلما دون العدل ، ولا هي . فقط . عدل ، فالقسط من اعدل العدل وأفضله ، وهكذا تكون شهادة الله على توحيده : **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** فعزته الوحيدة غير الوحيدة ، وحكمته الوحيدة الوظيدة تشهدان لتوحيده شهادة قاسطة.

تلك هي جملة براهين التوحيد المستفادة من هذه الغرة الكبيرة ، فكما ان وجود الله يملك كل البراهين المثبتة ، كذلك توحيده وسائر أسماءه الحسنى وصفاته العليا ، فإنه تعالى قائم بالقسط في كافة مسارح ربوبيته بمصارح آياته آفاقية ونفسية دون إبقاء .  
وها نحن نرى على مدار الزمن في التاريخ الجغرافي والجغرافيا التاريخي ، ان الفترات التي حكمت فيها شرعة الله وحدها ، هي التي ذاق فيها الناس طعم القسط واستقامت حياتهم قاسطة ، في حين نراها في الفترات المتخلفة عن شرعة الله ساقطة .  
لذلك نرى آية الشهادة الإلهية . هذه . مع زملائها في لسان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) «معلقات بالعرش ما بينهن وبين الله حجاب» (١)

(١) الدر المنشور ٢ : ١٢ . أخرج ابن السنى في عمل يوم وليلة وأبو منصور الشجامي في الأربعين عن علي قال قال رسول الله (ص) : وإن فاتحة الكتاب وأية الكرسي والآيتين من آل عمران : شهد الله .. إن الدين عند الله الإسلام . وقل اللهم مالك الملك .. بغير حساب ، هن معلقات .

وذلك لأنهن رافعات الحجاب عن وجه التوحيد كل نقاب.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ  
الْعِلْمُ بَعْدًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكُفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٩).**

في الحق «ان الدين» الطاعة الحقه **﴿عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾** الله خالصا ناصعا دونما

خليط من هواك ام اهواء من سواك ، والإسلام في كل شرعة هو الإسلام الله فيها دونما  
تلخلف عنها قيد شعرة.

إذا فالدين عند الله في الشريعة الأخيرة هو الإسلام فيها الله ، دونما إبقاء على تهود او  
تنصر ، ولذلك سميت هذه الشريعة الإسلام اعتبارا بمضي أدوار سائر الشرائع في دوره ، مهما  
كانت كل إسلاما في دوره الخاص به ، **﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلَنْ يُفْلِنَ مِنْهُ وَهُوَ فِي  
الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** (٣ : ٨٥) وهو إسلام الوجه الله بكل وجه في كل الأدوار الرسالية ،  
وهو هذا الإسلام الأخير بعد مضي أدوارها.

**﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾** في هذا الإسلام وهو أصله وأثافيته **﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ  
مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾** من قبل في كتابتهم بشارات بهذا الإسلام ، ومن بعد في القرآن العظيم  
**﴿بَعْدًا بَيْنَهُمْ﴾** في هذا الإسلام ، ترسبا على شريعة الطائفية وطائفية الشريعة فكروا بآيات الله  
**﴿وَمَنْ يَكُفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾** بالنسبة لهؤلاء المنحرفين عن إسلام الوجه  
الله .

. بالعرش ما بينهن وبين الله حجاب يقلن يا رب هبطننا إلى أرضك وإلى من يعصيك قال الله إبني حلفت لا يقرؤن  
أحد من عبادي دبر كل صلاة . يعني المكتوبة . إلا جعلت الجنة مأواه على ما كان فيه وإلا أسكنته حظيرة  
الفردوس وإلا نظرت إليه كل يوم سبعين نظرة وإلا قضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة وإلا أعدته من  
كل عدو ونصرته منه .

أقول وفي المجمع روى جعفر بن محمد عليهما السلام عن أبيه عن آبائه عن النبي (ص) مثله .

**﴿الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾** هم أخص من اهل الكتاب ، فالذين لا يعلمون الكتاب إلا امامي ، هم لم يؤتوا الكتاب علميا معرفيا مهما أوتوه مبدئيا ، ومن ادلة الاختصاص **﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ﴾** فلا يشمل **﴿أُمِيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾**.

وهذا الإسلام الذي هو الدين عند الله ، ليس فقط إقرارا باللسان فانه ليس دينا وطاعة ، بل هو تبلور الإيمان وتمامه وكماله <sup>(١)</sup> دخولا في جو السلم على ضوء الطاعة المطلقة لله.

فإنما الإسلام هو احسن دين مهما كان الإيمان دينا وإسلام الإقرار . كذلك . دينا في حقل الإقرار : **﴿وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا مِنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾** (٤ : ١٢٥) . **﴿بَلِّي مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** (٢ : ١١٢) . **﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾** (٣١ : ٢٢).

إسلام الوجه لله يشمل كل وجه في الإسلام وهو الدخول في السلم كافة **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَةً وَلَا تَبْيَغُوا خُطُوطَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾** (٢ : ٢٠٨).

وهكذا يؤمر مؤمنوا كل الشرائع الإلهية ، وحين تنتهي إلى الشريعة الأخيرة فهي هي الإسلام فقط إلى يوم الدين : **﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** والإسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين

(١) نور الثقلين ١ : ٣٢٣ في تفسير العياشي عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليهما السلام في الآية قال : يعني الذي فيه الإيمان.

أقول : فما ورد من تفسير الإسلام أنه الإقرار وأنه قبل الإيمان ، وأنه لا يشرك الإيمان والإيمان يشركه كل ذلك يعني الإسلام الأول لا الإسلام الذي بعد الإيمان ولا الأعم منه ومن الذي قبل الإيمان.

واليقين هو التصديق والتصديق هو الإقرار والإقرار هو الأداء والأداء هو العمل<sup>(١)</sup>.

﴿إِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمِينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلُّوا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٢٠).

﴿إِنْ حَاجُوكَ﴾ أهل الكتاب وسائر الكفار في شرعتك هذه الجديدة الجادة «فقل»

كلمة واحدة قاطعة للحجاج ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ﴾ واسلموا وجوههم ﴿مَنِ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمِينَ أَسْلَمْتُمْ﴾ فأنتم إذا أمثالنا مسلمون بشرعية القرآن ، فقد بعث محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بالإسلام كسائر الرسل والنبيين (عليهم السلام) ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنْ أَسْلَمُوا﴾ وجوههم الله فأسلموا ﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلُّوا﴾ عن الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ ف ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ المسلمين منهم والمتحولين.

(١) عن الإمام علي أمير المؤمنين (ع) قال : لأنفسن الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبله ولا ينسبها أحد بعده الإسلام هو التسليم ...

(٢) الدر المنشور ٢ : ١٣ . أخرج الحاكم وصححه عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال أتيت النبي (ص) فقلت يا نبي الله إني أسألك بوجه الله بم بعثك ربنا؟ قال : بالإسلام ، قلت وما آيته قال : أن تقول : أسلمت وجهي لله وتخليت وتقييم الصلاة وتوذدي الزكاة كل مسلم على مسلم حرم اخوان نصيران لا يقبل الله من مسلم أشرك بعد ما أسلم عملا حتى يفارق المشركين إلى المسلمين ما لي آخذ بمحرككم عن النار ألا إن ربي داعي ألا وإنه سائلني هل بلغت عبادي وإني قائل رب قد أبلغتهم فليبلغ شاهدكم غائبكم ثم إنه تدعون مقدمة أفوواحكم بالفدام ثم أول ما يبين عن أحدكم لفخذه وكفه قلت يا رسول الله (ص) هذا ديننا؟ قال : هذا دينكم وأين ما تحسن يكفك.

هنا إسلام الوجه لله يشمل كل الوجوه المقاومة للدين حنيفا في آية الفطرة ، من الوجوه الروحية والحسية ، فالإنسان . ومعه كل الكائنات . هو أمام الله وجه لا يخفى عليه منه خافية ، والمطلوب منه ان يختار إسلام الوجه بكل وجوهه لله ، دخولا في سلم الطاعة المطلقة لله .

**﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكُفِرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢١) أولئك الذين حبطوا أعمالهم في الدنيا والآخرة**

**﴿وَمَا هُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٢٢).**

هنا ثالوث من أبعاد الكفر للبعد عن شرعة الله وإسلام الوجه لله مهما كانوا كتابيين

ام سواهم :

- ١ - **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكُفِرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾** وحيا وصاحب وحي ٢ . **﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾** فالقتل بحق حق ولكن قتل النبيين ليس إلا باطلا لأنهم يحملون بлаг الحق من الله ، فقتلهم قتل للحق .
- ٣ **﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾** وهم حملة الرسالات بعد النبيين أيا كانوا (١).

(١) المصدر أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي عبيدة الجراح قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيمة؟ قال : رجل قتل نبيا أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف ثم قرء رسول الله (ص) الآية ثم قال يا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل وسبعون رجلا من عبادبني إسرائيل فأمرروا من قتلهم بالمعروف ونحوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار من ذلك اليوم فهم الذين ذكر الله .

وفي نور الثقلين ١ : ٣٢٤ في أصول الكافي بسنده متصل عن يونس بن طبيان قال سمعت أبا عبد الله (ع) يقول قال رسول الله (ص) إن الله عز وجل يقول : ويل للذين يختلون الدين وبالدنيا وبالدين ويل للذين يقتلون الذين يأمرؤن بالقسط من الناس وويل للذين يسير المؤمن فيهم بالتجهيز أبا يغترون أم علي يجترون في حلفت لأتيحن لهم فتنية ترك الحليم منهم حيرانا .

﴿فَبَشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وإذا كانت بشارتهم العذاب الأليم فما هي - إذا . نذارتهم ،

فاما التعبير يشي بعمق العذاب لهم وتحليقه عليهم لحد لا يشري لهم إلا العذاب !

﴿وَلِنَكَ الَّذِينَ حَبِطْتُ أَعْمَالَهُمْ﴾ إذ فسدت فبطلت ، وذلك مأخوذ من الحبط وهو

داء تمر له أجوف الإبل فيكون سبب هلاكها وانقطاع آكامها ، وهكذا تكون اعمال هؤلاء الأغباش قد تنتفح وتتضخم في الأعين ولكنه الانتفاخ المؤدي الى البطلان والهلاك ، ثم ولا ينصرهم ناصر ولا يعذرهم عاذر ، وقد أفردنا بحثا فصلا حول الحبوط من ذي قبل فلا نعيد.

﴿لَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٢٣).

سؤال تعجب وتأنيب ، تعجب للرسول والذين معه ، وتأنيب بالذين أوتوا نصيبا من الكتاب ، وتراء نصيبا من وحي التوراة والإنجيل إذ حرفا عن جهات اشراعهما فلم يبق لهم منه الا نصيب عسيب؟ وقد أوتوا كأصل كل الوحي في الكتابين !.

ام نصيبا من الوحي ككل ، فما وحي سائر الكتاب بمنتهي هذا الكتاب المبين إلا نصيبا ضئيلا من الكتاب؟ و ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾ حيث تعني الكتابين قد لا يناسبه !.

«نصيبا» هنا قد تتحمل النصيبين ولكل وجه والجمع أوجه ، وخلاصة القول انهم ما أوتوا كل كتاب الوحي وهم يزعمونهم قد أوتوا كله ثم انقطع به الوحي ، وتراءهم إذا أوتوا كل الوحي فلما ذا يتولى فريق منهم عن كتاب الله حين يدعون وهم معرضون؟.

هنا ﴿كِتَابِ اللَّهِ﴾ هو كل كتابه تعالى ، فليس - إذا . نصيبا من الكتاب ،

وأعجب بهم وهم لم يؤتوا إلا نصيба من الكتاب وهم لا يرضون بكتاب الله ككل وهو القرآن حكماً!.

وقد يعني ﴿كِتَابُ اللَّهِ﴾ كل ما كتبه الله على عباده ومنه التورات كما في الروايات ان اليهود حوكمو . في احكام عدة كتابية . إلى التوراة فتولى فريق منهم وهم معرضون <sup>(١)</sup>. ذلك ، ولكن الآية ليست لتجمد على طائفة غابرة من اليهود غائرة في خضم التاريخ ، بل هي شاملة لكل من أتوا نصيبا من كتاب الوحي هودا او نصارى امن أشبههما ، في الطول التاريخي والعرض الجغرافي ، فان ذلك التأي والتولى شيمتهم وطبيعتهم الطائفية العارمة ، لا يرضون عما عندهم بديلا ، ولا بما عندهم دليلا إذا خالف أهوائهم ! و : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ <sup>(٢)</sup>.

«ذلك» التأي عن قبول الحق والتجربة على الحق ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا ...﴾

(١) في التفسير الكبير للفارخر الرازي ٧ : ٢٣٢ ذكر في سبب نزول الآية روايات ثلات :

١ . أن رجلا وامرأة زنيا من اليهود وفي كتابهم الرجم فكرهوا الرجم لشرفهما فتحاكموا إلى الرسول (ص) لعله يكون عنده رخصة فحكم بالرجم فأنكروا ذلك فقال يبني وبينكم التوراة فلما أتى ابن صوريا على آية الرجم وضع يده عليها فقال ابن سلام قد جاوز موضعها يا رسول الله (ص) فرفع كفه عنها فوجدوا الآية فأمر (ص) برجهما فغضب اليهود فأنزل الله الآية.

٢ . أنه (ص) دخل مدرسة اليهود فدعاهم إلى الإسلام فقالوا : على أي دين أنت؟ فقال : على ملة إبراهيم ، فقالوا : إن إبراهيم كان يهوديا فقال (ص) هلموا إلى التوراة فأبوا ذلك فأنزل الله الآية .  
٣ . إن علامات بعثته (ص) مذكورة في التوراة فدعاهم النبي (ص) إليها فأبوا فأنزل الله الآية .  
أقول : هذه مروية في الدر المنشور باختلاف يسير مع الحفاظ على الأصول .

قيلتهم العليلة انهم أبناء الله فلا تمسهم النار ، ولو مستهم ف ﴿لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ عبدها فيها العجل ، وبذلك الضمان والأمان حرروا أنفسهم في كل تخلفه عن شرعة الله ، فإنهم . على زعمهم . مثابون على اية حال ، وليس عذابهم . لو كان . إلا أياما معدودات محتملات هي متحملات.

وهكذا ﴿عَرَهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ فلا يبالون بما يعملون.  
 ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَبَّ فِيهِ وَوُقِيتَ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ .(٢٥)

«فكيف» تكون حاكم بما لهم في اعمالهم ﴿إِذَا جَمَعْنَاهُمْ﴾ مع سائر الجموع يوم الجمع ﴿لِيَوْمٍ لَا رَبَّ فِيهِ﴾ في الشرائع الكتابية في ميزان العدل السوي ﴿وَوُقِيتَ كُلُّ نَفْسٍ﴾ نفس «ما كسبت» من خير او شر ، دون زيادة الا في خير ولا نقية في كل من الشر والخير «وهم» هودا ام سواهم «لا يظلمون» انتقادا عمما كسبوا.

وحين ينحصر الوفاء بما كسبت ، فهو المحور الأصيل ، حيث ﴿نَحْدُدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ حَيْرٍ مُخْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوْدُ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمْدًا بَعِيدًا وَنَحْدُدُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَوْفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣٠).

﴿فَلِلَّهِمَّ مَا لِكَ الْمُلْكُ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَعْزِيزُ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْذِيلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٦)

تُولِّيْ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِّيْ النَّهَارَ فِي الْلَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيَّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧) لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَدِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرِ (٢٨) قُلْ إِنْ تُخْفِقُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبَدُّوْهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩) يَوْمَ تَحِدُّ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوْدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمْدَأً بَعِيدًا وَيُحَدِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَوْفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠) قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوهُنِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ (٣٢)

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَا لِكَ الْمُلْكُ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْعِي الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ . ٢٦

آية منقطعة النظير في مسرح الملك والعزة والذلة سلبا وإيجابا نتفد فيها من مفرداتها الى جملها فجملتها ، لكي نحصل على معزها الصالحة ، ذبا عما يخيل إلى الذين في قلوبهم زيف من طالحة بشأنها والله من وراء القصد.

«قل» أنت يا رسول الهدى كحامِلِ الْوَحْيِ الْأَخِيرِ ، و «قل» ايها التالي للذكر الحكيم مع الرسول ، قوله باللسان والأفعال والجنان ، قوله لازماً ودعائياً في مختلف الجموع ومحتشد المكلفين الى يوم الدين.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ أمرا من الله ان نخاطب الله في كل الحقوق والمسارح ، بكل المصارح.  
**﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾** : «مالك» ملكاً حقيقياً لا حول عنه ، دون المالكين سواه ، فإنهم

بِعْلَكُمْ مُسْتَوْدِعُونَ فِيمَا يَمْلِكُونَ وَمُسْتَخْلَفُونَ فِيمَا يَمْلِكُونَ.

«والملك» يعم الملك ككل ، زمنياً وروحياً ، تكوينياً وتشريعياً ، ام هو مثلث ملك المال دولة<sup>(١)</sup> وملك المنال دولة في حقل القيادة : الروحية

(١) الدر المشور ٢ : ١٤ . أخرج ابن أبي الدنيا في الدعاء عن معاذ بن جبل قال : شكوت إلى النبي (ص) ديناً كان علي فقال يا معاذ أتحب أن يقضى دينك؟ قلت : نعم قال قل اللهم مالك الملك . وفيه أخرج الطبراني عن معاذ بن جبل أن رسول الله (ص) افتقده يوم الجمعة فما صلى رسول الله (ص) أتى معاداً فقال يا معاذ ما لي لم أرك؟ فقال : ليهودي علي وقية من بر فخررت إليك فحبسني عنك فقال : ألا أعلمك دعاء تدعو به فلو كان عليك من الدين مثل صير أداء الله عنك فداع الله يا معاذ قل اللهم ... إلى . غير حساب ، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطي من تشاء منهما وتمنع من تشاء منهما ارحمني رحمة تغبني بها عن رحمة من سواك اللهم اغنى من الفقر واقض عني الدين وتوفني في عبادتك وجهاد في سبيلك.

والزمنية ، فمثلث الملك المطلق على كل ملك يختصه اختصارا فيه وانحسارا عمن سواه إلا من آتاه وديعة زائلة ، فقد يستعمل الملك في مصطلح الذكر الحكيم في كل من الثلاثة.

وهنا «تؤتي» دون «تحب او تعطي» للإشعار بان الملك أيا كان ليس عطية ربانية فان قضيتها البقاء دونها تحول ولا تحويل ، ثم لا عطاء في الملك غير الحق لو صح في الملك الحق.

فاما الملك يؤتى إيتاء ، زمنيا او روحيا او ماليا ، بحق او بباطل ، والتشريعي منها كله حق ، لأنه شرعة من الدين ولا باطل في دين الله .  
ولكن التكوين . وكله حق . يعم تكوين الشر بما يختاره الشيرir قضية الاختيار للملكون .

فمن الملك الزمني : ﴿يَا قَوْمَ لِكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ (٤٠ : ٢٩) .  
﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرٍ﴾ (٤٢ : ٥١).

وهو بين حق كما للنبيين وسائر المعصومين الملوك ، وباطل كما للفراعنة والنمادرة ،  
فليس الله بمؤتيمهم الملك مرضاة له حتى يحتاج لبني أمية «أليس قد آتى الله عز وجل بنى أمية  
الملك؟ حيث الجواب : ليس حيث تذهب إن الله عز وجل آتانا الملك وأخذته بنو أمية منزلة  
الرجل يكون له الشوب فيأخذه الآخر فليس هو الذي أخذه<sup>(١)</sup> .

واين إيتاء من إيتاء ، إيتاء الله لأهله تشرعيها ، ثم إيتاءه لغير اهله تكوينيا بمعنى عدم منعه تسيرا ، كما ﴿الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَتَبَهُ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ﴾

(١) نور الثقلين ١ : ٣٢٤ في روضة الكافي بإسناده إلى عبد الأعلى مولى آل سام عن أبي عبد الله (ع) قال  
قلت له : قل اللهم ... أليس ...

**الْمُلْكَ** ﴿وهو نِرُودُ الطَّاغِيَةِ فِي أَهْدِ وَجْهِي الْآيَةِ وَهَا مَعًا مَعْنَىٰنٍ﴾.

ومن الروحي : في وجه لإبراهيم (عليه السلام) : ﴿أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ (٢ : ٢٥٨) وبكل الوجه : ﴿أَلَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ (٤ : ٥٣) فالرسالة الإلهية ملك ، بل هي أفضليها ومن ضمنها الرزمي: ﴿إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٧ : ١٥٨) ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهُبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ (٣٨ : ٣٥).

ذلك ، وهو بين حق كما شرعه الله وقرره لأنبيائه وأولياءه ، وباطل اغتصبه الذين احتلوا المناصب الروحية عن أصحابها الصالحين ، فهذه خرافية مجازفة ان واقع المرجعية الدينية ليس الا بخيرة صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه ، فكل مرجع ديني . إذا . هو نائب المنصوب المرضي عنده.

فإن واقع الخلافة الروحية عن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كان واقعا في الخلاعة اغتصابا لتلك الخلافة فضلا عن المرجعية الروحية زمن الغيبة ومن ملك الملك فانه من الملك ، فكل ما يملك يشتمل على الملك ، من دولة ودولة وقيادة روحية ، حقا ام باطلا . فقد يجتمع الإيتاءان تشريعا وتكويننا كما في الملك الحق في مثلثه ام مثناه ام موحده كما في الصالحين.

وآخرى إيتاء تشريعي ولم يحصل تكوين ، كالقيادة الزمنية للروحين الصالحين حيث تحول بينها وبينهم طغاة بغاة ، ثم لا ينصرهم في معركتهم الصالحة المؤمنون معهم قصورا أو تقصيرا.

وثالثة تحمل الإيتاء التكويني دون التشريعي كمن يؤتى من هذه الثلاثة ام كلها دون حق شرعي ، فليس الحصول عليها تغلبا على اراده الله وتأليها عليها ،

واما هو تخلف عن شرعة الله : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهَا نُّمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُّمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِنَّمَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٣ : ١٧٨) ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (٧ : ١٨٣) ﴿وَكَائِنٌ مِنْ قَرِيبَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخْذَهُ﴾ (٤٨ : ٢٢) ، وأصل الاملاء هذا من الشيطان ثم الله لا يحول بينه وبينهم فينسب اليه كما ينسب الى الشيطان وبينهما بون الرحمن والشيطان : ﴿الشَّيْطَانُ سَوْلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ (٤٧ : ٢٥) ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَرَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ ومن الجامع بين الأولين ام والثالث : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَنَاهُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمانَ﴾ (٢ : ١٠٢) ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلِمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ (٢ : ٢٥١) . ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ (١٢ : ١٠١) ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (٤ : ٥٤).

وذلك المثلث كما هو بين حق وباطل ، وبين جعل تشريعي وتكويني ، كذلك هو بين شخصي . كما في أشخاص الملوك . أو جماعي . كما في بيوتات صالحة ام طالحة ام عوان . بينهما .

ثم ﴿تُؤْيِنِ الْمُلْكَ﴾ دون «تعطي» تعميم لعظية الملك وهو الهمة الربانية في حقل التشريع والتكونين ، ولإيتائه لمن يؤتاه تكوينا في طالح الملك زمنيا وروحيا ، بمعنى لا يحول دون وصول الطالحين إليهما ام إلى أحدهما ، حين يحاولون ب مختلف المحاولات والخليل الوصول إليه ، والصالحون معزز عن المحاولات الصالحة لفصله عنهم وصولا للقواعد الصالحين إليه ، حيث الدار العاجلة هي دار الاختيار دون إجبار ، اللهم الا فيما لا تكليف فيه اماما أشبهه . إذا فمشية الإيقاء تعم التكوينية المحلقة على صالح الملك وطاله ، والتشريعية الخاصة بصالحه .

فمهما كان الملك الظالم . روحيا او زمنيا . هو المتغلب على ملكه والغاصب لما في يده ، ولكنه تعالى ليس بمنعزل عن إيجابه وسلبه ، حيث الإرادة الإلهية المخلقة على كل كائن هي قضية التوحيد الأفعالي ، فقد يحاول الظالم كل محاولة له ممكنة للوصول الى حكم والله يحول بينه وبين مغزاه ، ام يحاول بعض المحاولات والله لا يحول بينه ومغزاه ، وكما يراه من الحكمة العالية .

وعلى أية حال ليس مالك الملك . كأصل . إلّا هو ، ولا يؤتى به لأحد إلا من يشاءه ، دون جبر ولا تفويض ، فإنكما تنتقص لساحتة وتقويض ، فله الحكم في كل الحقول دون انعزالية تامة تفويضا ، ولا ايجابية طامة جبرا ، كما ويضل من يشاء وبهدي من يشاء ولا يظلمون نثرا .

إنه ﴿مَالِكُ الْمُلْكِ﴾ أي كان من الثلاثة بين تشريع وتكوين ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ شَاءَ﴾ منهم في صالح الحكمة الربانية امتحانا بامتهان ام سواه ، بإضفاء النعم عليهم ، وإقرار الأموال الدثرة عندهم ، وبما ترددتهم به من بنين وحفدة ، وعديد وعدة ، وإلزاماً لمن دونهم على طاعتهم متى أجابوا داعيك واتبعوا أوامرك ، وحين يعدلون عن نجح طاعتك ويفارقون سواه محجتك نزعت منهم الملك ، بان تسليهم ملابس نعمك وتجعل أموالهم وأحوالهم ، دولتهم ودولتهم ، غنما ونفلا لغيرهم من عبادك .

ذلك . وإيتاء الملك تشريعا ككل يخص الصالحين فلا انتزاع له عنهم ، اللهم إلا نقلة الملك الشّرعة عن قوم إلى آخرين بما بغوا وطغوا على صلاح رسليهم ، كما انتقلت الشّرعة الإلهية منبني إسرائيل إلىبني إسماعيل ، وإليكم نصا من التوراة من الأصل العبراني بهذا الصدد تصديقا للقرآن العظيم :

ففي سفر التكوين (٤٩ : ١٠) : «لوء يا ثور شبط ميهوداه ومحوقق ميبن رغلايو عدكي يا بوء شيلوه ولوء ييقهت عميم أو ثري لنفن عيروه ....».

«لا تنهض عصى السلطنة من يهودا ولا الحكم من بين رجليه حتى يأتي شيلوه الذي يجتمع فيه كافة الأمم ...».

فانتهاض السلطة من يهودا هو انتقالها من الشعب الاسرائيلي إلى غيرهم ، وهو هنا «شيلوه» من غير إسرائيل ، إذ لو كان منهم لما قوبل بهم في انتهاض السلطة عنهم إليه <sup>(١)</sup> وقد يندد بهم القرآن في ادعائهم الجوفاء ان النبوة منحصرة فيهم ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَاً لَا يُؤْثِنَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ (٤ : ٥٣) ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (٤ : ٥٤).

وقد ورد في الأثر ان النبي الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) سأله ربه أن يجعل ملك فارس والروم في أمتة فأنزل الله هذه الآية <sup>(٢)</sup> وذلك بعد ما أمره ربه ان يسأله <sup>(٣)</sup> ويروى عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ان اسم الله الذي إذا دعى به أجاب في هذه الآية <sup>(٤)</sup>.  
ذلك ! فليكن الصالحون على مدار الزمن ظروفًا لتحقيق مشيئة الله ان يؤتنيهم الملك تحقيقا لشرعه الله في بلاد الله ، دون تكاسل او تعاطل في أسبابه ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَى﴾.

(١) راجع كتابنا (رسول الإسلام في الكتب السماوية).

(٢) الدر المثور ٢ : ١٤ . أخرج عبد بن حميد وابن حجر وابن أبي حاتم عن قتادة قال : ذكر لنا أن النبي الله (ص)

...

(٣) المصدر أخرج ابن المنذر عن الحسن قال جاء جبرئيل إلى النبي (ص) فقال : يا محمد سل ربك قل اللهم ... ثم جاء جبرئيل فقال يا محمد فسل ربك قل رب ادخلني صدق ... فسأل ربه بقول الله تعالى فأعطيه ذلك.

(٤) المصدر أخرج الطبراني عن ابن عباس عن النبي (ص) قال : اسم الله ..

فهناك توفر شروط القيادة روحياً و زمنياً فيمن يحق له أن يقود الأمة ، يجب تحصيلها كفائلاً بينهم ، وهنا محاولات عاقلة صالحة لسائر المؤمنين في سلب القيادة عن الطالحين وإيصالها إلى الصالحين ، ففي نقض شرط أو نقصه هنا أو هناك الفرصة متاحة لمن يتربصون بهم دوائر السوء ، لكن يجعلوا القيادة وحتى الروحية منها فريسة لهم بكل إدخال ، وهذا ناقص الشرط أو ناقصة عن تقصير متخلص عن مشيئة الله وشرعته ، قائدًا أو مقودًا.

نجد النقص والنقض في عصور أئمة الدين العصومين إذ لم يناصرهم المؤمنون كما يجب فاحتلت مناصبهم فاحتلت موازين القيادتين روحية و زمنية .

ثم نجدهما في زمن الغيبة لولي الأمر تقصيراً جاهلاً أو متاجهلاً قاحلاً من قبل الأمة ، ومن قبل من تحقق لهم القيادة ، مهما كان البوء بين القواد والمقودين في أبعاد التقصير أو القصور .

ثم الملك قد يكون عزاً كما يرضاه الله ، وهو نفسه ذل فيما لا يرضاه ، كما الانحسار عن الملك ذل فيما يتوجب تقلده لصالح الأمة ، وهو نفسه عز إذا لزم محاظير أكثر حظراً من تركه .

وكضابطة ثابتة في إيتاء الملك وسواء وإيتاء العز وسواء : الخير كله بيديه والشر ليس إليه إذ : ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيبيده أصل الخير كله بيديه والشر ليس إليه إذ : ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيبيده أصل الخير في وصله وفصله ، وليس الشر إلا من يؤتاه مهما أمضاه ربنا تحقيقاً للمحنـة في دار البلـية . تكويناً . وهو لا يرضاه تـركـه .

فمهما كان كل من الخير والشر من عند الله ، ولكن الخير منه والشر من نفسك :

﴿.. وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا. مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ

**وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا** ﴿٤﴾ (٧٩) .

ومن خيره في تدبيره امور الكون غير المختار كما يدبر الكائن المختار وفي رجعة اخرى

إلى الآية نقول :

إن **﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾** تخلق الخير على كل أفعاله تعالى ، إذنا في خير او شر وعدمه في خير او شر ، فحين يريد فاعل تحقيق شره بما قدم له ، والله يعلم ما يريد ويكرهه ، فهلا يريد الله هنا سلبا ولا إيجابا وقد حرمته؟ وهذا انزال عن الربوبية! ام يريد سلبا والشرير يتحقق شره رغم ارادة الله؟ وهذا تغلب على ارادة الله! ام يريد إيجابا بعد ما اراده الشرير وقدم له ما أمكنه؟ وهذا هو الإيتاء الرباني لما حرمته تشريعا ، فلو انه أراد سلبه اضطر الشرير الى تركه وخرجت حياة التكليف عن دور الامتحان ، فهذه الارادة الربانية . إذا . خير وليس شرا.

نعم في دوران الأمر بين ارادة السلب والإيجاب في الشر قضية الحكمة الربانية تقديم الأهم على المهم ، فان كانت ارادة السلب أهم قدّمت على الإيجاب كما في نار ابراهيم ، وان كانت ارادة الإيجاب أهم قدمت على ارادة السلب كما في الأكثريّة الساحقة من الشرور الشخصية ، فاما يريد الله السلب في الشرور الجماعية التي فيها استئصال الحق باهله عن بكرته كما في قصة ابراهيم .

ولا يعني «الخير كله بيديك والشر ليس إليك» انه لا يريد الشر وان كانت ارادته خيرا ، وانما هو الشر الذي هو يسببه دونما اختيار لأهله .

وفيما يسد عن الشر رغم توفر مقدماته الاختيارية ، فقد يجازى الشرير حيث لم يكتف بالنية ، فقد قدم ماله فيه امكانية ، فليعاقب بما قدم مهما خف عقابه إذ لم يحصل شره !.

اجل ﴿بِئِدَكَ الْحُمْر﴾ فليس منه الا الخير مهما كان عندنا شرا وإيالاما ، فقد يمنع عن سلطة شريرة رغم توفر شروطها حفاظا على الأهم في صالح الحكم الربانية ، ام لا يمنع تحريلا لاختيارسوء وإملاء لصاحبه وآخر لآخرين قدموا له ام سكتوا ام لم يقصروا ، فكل الأفعال الشريرة لها وجهة شر هي شرارة الفاعل بعقيدته ونيته وعمليته ، وواجهة خير هي تحقيق الاختيار وتعديل المختار بسوءه وإملاءه ومن ثم إبلاء الآخرين.

وقد يأتي الشر خيرا مما في تركه كما قد يأتي الخير شرًا مما في تركه ، ف ﴿لَا يُشَتَّلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُون﴾ !

﴿ثُولُجُ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ وَتُولُجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرُجُ الْحَيٌّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرُجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ . ٢٧

آية الإيلاج هذه ونظائرها في سائر القرآن هي من أدلة كروية الأرض ، فليست الآفاق لوقت واحد ليلا ولا نهارا ، بل هي تقسم إلى ليل بساعاته ونهار بساعاته وهذا يتداخلان حسب مختلف الفصول كما يصلح في الحكمة العالية الربانية.

وهذه عبارة عبيرة لابقة لحة عن كروية الأرض ، ان ما ينقصه من النهار يزيد في الليل وما ينقصه من الليل يزيد في النهار ، ولفظ الإيلاج هو ابلغ الألفاظ تعبيرا عن ذلك التناقض لأنه يفيد إدخال كل واحد منها في الآخر بطريق المازجة وشدید الملابسة فيصبح جزء من الليل نهارا وآخر من النهار ليلا.

ذلك . وكما الإخراج للحي من الميت وللميت من الحي فاعلية حكيمه أخرى هي الأخرى من صالح التدبير.

وآية ثانية في متعاكس الإيلاج تشريع السماح في العاقبة بالمثل : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِعِذْلٍ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعْفُوٌ غَفُورٌ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّلَّيْلِ وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٦١ : ٢٢) تمثيلاً للتشريع العدل بالتكوين العدل ، إذ يوجِّه ليل العذاب في نهار الحياة الظالمة ، كما يوجِّه نهار العذاب في ليل الحياة المظلومة.

وثالثة تمثيلاً للخلق والبعث بمتعاكس الإيلاج : ﴿مَا خَلَقْتُكُمْ وَلَا بَعْثَتُكُمْ إِلَّا كَنْفُسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّلَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى وَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَسِيرٌ﴾ (٣١ : ٢٩).

فكمما انه يوجِّه الليل في النهار ، كذلك يوجِّه ليل الموت في نهار الحياة ، وكما انه يوجِّه النهار في الليل كذلك يوجِّه نهار الحياة في ليل الموت ، فـ ﴿مَا خَلَقْتُكُمْ وَلَا بَعْثَتُكُمْ إِلَّا كَنْفُسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ! إذا فمتعاكس الإيلاج ينعكس . بطبيعة الحال . على واقع الحياة بعد الموت آجالاً ، كما هو في واقع التشريع قبل الموت عاجلاً.

ذلك . وكما في إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي كشرطة تدار طول الحياة برهان لا مرد له على امكانية الإخراج الأول بعد الموت كما قبله ، كإمكانية الإخراج الثاني واقعاً ملمساً في عاجل الحياة.

ذلك وكما يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر <sup>(١)</sup>.

(١) الدر المنشور ٢ : ١٥ . أخرج ابن مرويٍّه من طريق عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله (ص) لما خلق الله آدم عليه السلام أخرج ذريته فقبض قبضة بيمنيه فقال : هؤلاء أهل الجنة ولا أبالي وقبض بالأخرى قبضة فجاء فيها كل رديء فقال : هؤلاء أهل النار ولا أبالي فخلط بعضهم ببعض فيخرج الكافر من المؤمن وبخرج المؤمن من الكافر فذلك قوله : ﴿تَخْرُجُ الْحَيٌّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتَخْرُجُ الْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ﴾ .

كما ومن إيلاج الليل في النهار حرمان أهل الله . أحيانا . عن السلطة الزمنية لتحقيق شرعة الله ، ومن إيلاج النهار في الليل إيتاء غير الآهلين السلطة الزمنية اماهيه ، وهما من الإيتاء التكويني دون التشريعي .

كما ومن إخراج الحي من الميت إخراج بلورة الامان في دولة الكفر ، ومن إخراج الميت من الحي اخطاء السلطات الحقة فانتقامها الى اهل الباطل .

**﴿وَرَزَقْتَ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** في النشأت الثلاث ، وليس **﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** فوضى جراف ، بل هو بحساب وتقدير عادل قاسط **﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَعْلَمُ﴾** فإنه : **﴿جَزَاءً مِّنْ رِبَكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾** (٧٨ : ٣٦).

فالحساب هو المحاسبة مصدر حاسب ، والمحاسبة المنفية لا تناحر **﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾** فان حساب الحسابيين مختلف .

ثابت الحساب هو الميزان العدل والفضل في رزقه سبحانه ، وساقط الحساب هو الحد من فضل الله ، إذ لا حد لفضله في مجالاته مهما حدّ عدله فيها حيث التجاوز عن العدل ظلم .

فرزقه بغير حساب لمن يشاء قد يعني عدم الموازنة بين الصالحات والثوابات ، وعدم الحد في الثوابات ، وترك الحساب لصغار السينات وترك صغار الحسنات ، وما أشبهها من حساب لا يناسب عميم فضله لأهله .

... لقد سبق **﴿ثُوَّقِ الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ ... بِيَدِكَ الْحُكْمُ﴾** ما ينبعها بواجب المحاولة الدائبة للحصول على حق الملك بفضل الله ، وهنا يأتي واجب المفاصلة في اية ولادة بين كتلة الامان والكفر ، وقد تختصران في **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾** : فهالة الامان تقتضي حالة بين السلب والإيجاب في حقل الولاية كما في

كافة الحقوق ، فعلى المؤمن مثلث السلب في ولاية الكفار ، ثم مثلث الإيجاب في ولاية المؤمنين ، وهم العبر عنهم في حقل الفروع الدينية بالتولى والتبرى ، كل فى كل الزوايا الثلاث إلا في حقل التقبة وهي الحفاظ على أهم الواجبين.

وليس فحسب المؤمن بل الإنسان أيا كان يعيش بين إيجابيات وسلبيات ثلاثة ، في نفسه وفي عمله شخصيا أو جماعيا ، وعلى المؤمن تحقيق كلمة التوحيد إيجابا في ملائكة وسلبا في ثالوثه.

**﴿ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أُولَيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَقَوَّلُوهُمْ تُقَاهَةً وَيَحْذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ ٢٨**

«الكافرون» هنا يعم ثالوث الكفر إلحادا وإشراكا وتوحيدا كتاينا.

والولاية المنهي عنها هنا هي مطلق الولاية ما صدقت ، حبا وعمل الحب وقوله ، والسلطة الكافرة ، ثالوث منحوس من ولاية الكافرين يجمعها التحجب والتودد إليهم كيما كان.

والاتخاذ في الأصل هو القصد إلىأخذ الشيء والعزم عليه والتمسك به والملازمة له كما **﴿ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (٤ : ٢٥) . ﴿ لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾ (١٨ : ٢١) .**  
**﴿ وَأَخْذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آهَاتٍ ﴾ (١٩ : ٨١)** : انقطاعا إليها واقامة على عبادتها ، ففلترة الولاية قد لا يشملها الاتخاذ حتى تختلف **﴿ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾** فانها من اللهم والسيئات غير الكبيرة المكفرة بترك الكبيرة : **﴿ إِنْ تَجْعَلُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهِنَّ عَنْهُ نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾**.

فالمتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين لا يؤمنون بالله مهما ادعوه ، فهم بين ملحد يوالي الكافرين ولا يوالي المؤمنين ، او مشرك يواليهما مع بعض.

واما المتفلت في ولادة للكافرين في لفظة قول ام فعل خارجين عن الاستثناء ، فلا يشمله ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾.

ثم ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تعني من دون توحيد الولاية لهم كما «من دون الله» في اتخاذ من سواه ، فكما الإلحاد والإشراك في ولادة الله محظور ، كذلك هما في ولادة أهل الله محظور ، فانها استمرار لولادة الله.

إذا فولادة الكفار محظورة في مثلثها على اية حال ، توحيدا لولائهم دون المؤمنين . وهو الحال . فأنس وأنكى ، ام اشراكا لهم بالمؤمنين في ولائهم ، فما صدقت ولادة الكافرين اتخاذها لها فهي محظورة ، إذ كما تجحب ولادة الله الموحدة دون إلحاد به فيها ولا اشراك ، كذلك تجحب . على هامشها . ولادة المؤمنين الموحدة ، دون إلحاد بهم فيها ولا اشراك ، فان ولادة المؤمنين من خلفيات ولادة الله ، فلا تختلف عن ولادة الله اشراكا فيها للكافرين بالله .

فالمراد بالمنع هنا ليس ان يفردوا بالموافقة فلا تمنع موالاتهم معهم! بل هو المنع من اتخاذهم اولياء جملة وتفصيلا ، كما اتخاذ من دون الله آلة يعني ضمهم اليه في الألوهية.

والنهي بات في ثالوث المثلث ، وها توحيد الكفار في الولاية ام اشراكهم بالمؤمنين فيها على اية حال وان كان قليلا ضئيلا ، فان «لا يتخذ» تجحب كل دركات الولاية في ثالوثها.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ كما المشرك بالله والملحد في الله ليس من الله في شيء ، «في شيء» من مربع الولاية حبا وعمل الحب وقوله وسلطانه ، إذ لا يرضى من عباده إلا توحيد الولاية له لا لسواه ، وعلى هامشه اهل الله ف ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَائِهً مِنْ دُونَكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ حَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبُغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ لَا تَحْدُدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ﴾ . (١١٧)

﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءُهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْ لِئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِعْانَ وَأَيَّدُهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ ...﴾ (٥٨ : ٢٢). ﴿وَإِمَّا يُنْسِيَنَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدُ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٦ : ٦٨). ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَحَلَّوْا إِلَيْهِودَ وَالنَّصَارَى أَوْ لِيَأْتِ بَعْضُهُمْ أَوْ لِيَأْتِ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ...﴾ (٥ : ٥١).

تلك هي المواصلة القاطعة دون أية مواصلة في ولاية بين كتلة الایمان والكفر ، لا شذوذ عنها ولا استثناء فيها على أية حال ، والولاية حبا وقولا وعملا وسلطة زمنية ام روحية ، موحدة في اهل الله محبورة ، محظورة في غير اهل الله ولا سيما قلبيا وسلطة روحية فإنهما لا يلائمان الایمان على اية حال ، وليس التقى الا في الثلاثة الوسطى على اختلافها في الحظر.

﴿إِلَّا أَنْ تَتَقْوَى مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ ومع العلم ان التقى لا موقع لها ولا دور إلا في المظاهر ، نعلم أن الاستثناء محصور فيها محصور عن الباطن ، وهو الحبة القلبية والاعتقاد في ولائهم وعقد القلب عليها ، فهي إذا تقى اللسان ، لا ولاء القلب بل ولا ولاء العمل إلا عند الاضطرار.

فكمما يستثنى مورد الإكراه في الكفر وليس إلا ظاهره : ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقْلُبُهُ مُطْمَئِنٌ بِإِيمَانِ﴾ (١٦ : ١٠٦) كذلك التقى في ولاية الكفار ليست إلا فيما سوى القلب اكرها على المظاهر وقلبه مطمئن بولاية موحدة للمؤمنين . فقد بقيت عند التقى الولاية الظاهرة إظهارا للحب قولا او عملا ثم ولاية السلطة ، والاستثناء ظاهر في أولاهما ، منقسم الى تقى الخوف على اية حال وتقى الحب جذبا لهم الى الایمان فيمن يرجى منهم ، إذ : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبْرُوْهُمْ وَتُنْقِسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ قاتلوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوْلُوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٠﴾ (٩ : ٦٠).

فما أمكن جذب الكفار إلى الإيمان بتوليهم في ظاهر الحال وعشرة الأعمال ، فهو من تكاليف داعية الایمان وقد يحب ، وكما لهم كمؤلفة قلوبهم حق من الزكاة الواجبة مهما كانوا أغنياء ، كما ويسلم على الكفار بنفس السبب كما سلم ابراهيم (عليه السلام) على آزر من قبل ان يتبيّن له انه من اصحاب الجحيم.

وعند الإياس منهم فلا ولاية إلا عند تقية الخوف على ما هو أهم من محظور الولاية نفسها وعرضها وما أشبهه.

واما ولاية السلطة ولا سيما الروحية فالتقنية فيها أضيق من الأخرى ، حيث السلطة الكافرة قاضية على خطوط الایمان وخيوطه مهما كانت بصورة تدريجية ، فلا تقنية فيها على اية حال ، اللهم إلا إذا ترجحت ميزانية الحفاظ على النفس والنفيس على وجوب معارضة السلطة الكافرة ، وحرمة الإبقاء عليها تظاهرا بالولاء ، ولا دور لهذه الرجاحة إلا في غربة غريبة للمؤمن ، حيث لا يجد ناصرا له في دولة الكفر ، ولا سبيل له للقضاء عليها او معارضتها عمليا وقوليا ، فقد يتبع المؤمن في دولة الكفر . حين لا يجد حيلة لترك الموالاة ، ولا وسيلة للفرار الى دولة أخرى . يتبع نظرة ان يأتي دور المعارضة على السلطة والقضاء عليها <sup>(١)</sup> وأية ولاية مسمومة بالنسبة للكافرين هي مقدرة بقدر

(١) للوقوف على تفصيل البحث حول موارد التقية راجع تفسير الإكراه «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ».

الضرورة في تقية الحب والخوف ، دون استرسال فيها كما في المؤمنين حيث الضرورات تقدر بقدرها.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فحذر حذار من ولية الكفار كما اتخذ من دون الله آلهة ، حيث الولاية هنا هي من فروع الإلحاد في الله والإشراك بالله ، والمحير إلى الله يقتضي الصمود على ولاية الله وولاية أهل الله ﴿إِلَّا أَنْ تَنْقُوا مِنْهُمْ نُقَاحَةً﴾ ، وترى كيف ﴿يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾؟ والله نفسه لا يتحذر لأنّه عدل كريم!

إنّه يحذركم نفسه لمكانة عدله ، فليس عذابه إلا من خلفيات عدله تعالى ، وعلى «نفسه» دون «عقابه» قصد إلى خاصة عقابه الذي يأتي من قبله ويصدر عن أمره ، دون الذي يجرّيه على أيدي خلقه ، حيث العقاب على الوجه الأول أبلغ ألمًا وأشد مضاضا. ونفس الله هي ذاته سبحانه دون شيء من كيانه إذ لا يتجزأ ، فهي من إضافة الكائن إلى نفسه ، ولا تأتي الله إلا مضافة دون إفراد.

هذا . ومن الولاية الظاهرة للكفار مخالطتهم التي تحركم إلى أهواءهم شئت أم أبيتم ، مخالطة قولية أو عملية هي الولاية الوسطى بعد الحجة وقبل السلطة الكافرة ، التي كانت مجالة للتنمية .

فانها في غير تقية الخوف ككل ، وغير تقية الحبة . في مجالاتها غير المحظورة . محظورة وقد نزلت فيما نزلت . بشأن الحظر عنها <sup>(١)</sup>.

(١) الدر المنشور ٢ : ١٦ . أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : كان الحجاج بن عمر وحليفه كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق وقيس ابن زيد قد بطروا بنفر من الأنصار ليفتونهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعد بن خيثمة لأولئك النفر .

ولأن التقبية هي وقاية الأهم بتنفيذية المهم فليراع فيها الأهم من المهم دونما فوضى جزاف ، ان يتقيى بأس الكافر في خطر دخولا في الأخطر ، فاما التعرض للهلاك حفاظا على ادنى منه محظورا هو خلاف التقبية المحبورة <sup>(١)</sup>.

فمن اليمان حفظ الأوجب في اليمان تفدية للواجب فيه كضابطة ايمانية صارمة ، إذا ف «لا ايمان لمن لا تقبية له» <sup>(٢)</sup> كما وان «التقبية في كل شيء يضطر اليه ابن آدم فقد أحله الله له» <sup>(٣)</sup> و «التقبية ترس الله بيته وبين خلقه» <sup>(٤)</sup> ولا ترس إلا في المعركة ففي معركة الصدام بين الأهم والمهم دور للتقبية دائرة حفاظا على الأهم ، ولا بد . إذا . من تمييز الأهم في شرعة الله اجتهادا او تقليدا صالحا.

فالتقبية قد تكون واجبة حينما يحافظ بها على الأهم المفروض ، أم محرمة حينما يهدى الأهم فيصبح المرفوض كتبية السحرة من فرعون الطاغية ، وثالثة

. اجتنبوا هؤلاء النفر من يهود واحذروا مباطفهم لا يفتنوكم عن دينكم فأبى أولئك النفر فأنزل الله فيهم ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكُفَّارِينَ...﴾.

وفيه أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس قال : نهى الله المؤمنين أن يلطفوا الكفار ويتحذوهم وليجة من دون المؤمنين إلا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين أولياء فيظهرون لهم اللطف وبمخالفتهم في الدين وذلك قوله : إلا أن تتقوا منهم تقاة.

(١) نور الثقلين ١ : ٣٢٥ في الإحتجاج للطبرسي عن أمير المؤمنين (ع) حديث طويل يقول فيه لبعض اليونانيين : وأمرك أن تستعمل التقبية في دينك فإن الله يقول ﴿لَا يَتَّخِذِ... إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ ثَقَاءً﴾ . وإياك ثم إياك أن تتعرض للهلاك وأن تترك التقبية التي أمرتك بها فإنك شائن بدمك ودماء إخوانك ، معرض لنعمك ونعمهم للزوال ، مذل لهم في أيدي أعداء الدين وقد أمرك بإعزازهم.

(٢) المصدر في تفسير العياشي عن الحسين بن زيد بن علي بن جعفر عن محمد عن أبيه عليهم السلام قال : كان رسول الله (ص) يقول : لا إيمان ... ويقول قال الله : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ ثَقَاءً﴾ .

(٣) المصدر عن جماعة من أصحاب الباقر (ع) سمعناه يقول : «التقبية ...».

(٤) المصدر عن حريز عن أبي عبد الله (ع) قال : ....».

تخيير بين المحظورين وهم المتساويان وقد فرض أحدهما عليك ، ورابعة يتوجه أحد المحظورين برجاحة غير مفروضة.

ف ﴿إِلَّا أَنْ تَئْقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ لا تعني إلا تقاة الأهم تركا للمهم الواجب وهو ترك توليهم ، إحرارا للأهم الواجب وهو ترك النفس إذا كانت نفس من الواجب الآخر.  
 ﴿قُلْ إِنْ تُخْفِوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبَدِّلُوهُ يَعْلَمُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٩).

اجل . وانه لا فارق في علم الله بين ما تخونه في صدوركم وما تبدونه ، ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ بل وككل ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ .

ذلك ، وانه إمعان في التحذير والتهديد واستجاشة الخشية واتقاء التعرض للنقطة التي يساندها العلم والقدرة ، فلا ناصر منها ولا عازر ، وإلى حاذر العذاب في تحسد الأعمال :  
 ﴿بِيَوْمٍ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ حَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوْدُ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمْدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَوْفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣٠).

﴿مَا عَمِلْتَ مِنْ حَيْرٍ﴾ علّها تعم مربع العقائد والنبيات والأعمال والأقوال ، إذ أفرد العمل بالذكر ، حيث العقيدة والنية هما عمل الجنان والآخران هما عمل الأركان .  
 وعلى «ما عملت» على اختصاصها بعمل الأركان تطوي العقيدة والنية الصالحتين ، حيث العمل قوله او فعله ليس خيرا إلا بصالح العقيدة والنية .  
 ثم الوجدان هناك كما هنا هو وجдан نفس العمل بصورته وسيرته

وصوته ، المسجلة في مربعة المسجلات : أعضاء وأرضاً وملائكة وشهداء ، كما فصلناه في آية الأسرى والزلزال ونظائرها.

وكذلك ﴿عَمِلْتُ مِنْ سُوءٍ﴾ ولكنما الوجدان في خيره وشره لا يحلى على كل حير وشرّ ، وإنما الخير الباقى غير الحابط ، والشر الباقى غير المكفر ، كما استثنتها آيات التكfir والغفر والإحباط.

ثم الخير هو بنفسه ثواب كما الشر بنفسه عقاب ، ف﴿إِنَّمَا تُجَزَّوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حيث تبرز ملائكة الخير والشر ، مهما كان جزاء الخير فضلاً وجزاء الشر عدلاً. ولماذا ﴿تَوَدُ .. أَمَدًا بَعِيدًا﴾ في السوء ترجياً للمفاصلة الزمنية البعيدة ، دون المفاصلة الواقعية وهي هي المخيفة قريبة أم بعيدة؟.

لأنه لا يجد هناك مفراً عملاً من سوء حيث يراه لزامه على أية حال ، فيترجى . لأقل تقدير . أمداً بعيداً ، يرتاح فيه عن بأسه.

فالعمل السوء كالقرين السوء لا مفر عنه ولا مفلت إلا ترجى البعد عنه لفترة كما :

﴿نُقَيِّضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ... حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنِكَ بُعْدَ الْمَشْرِقِينَ فِيْسَنَ الْقَرِينُ﴾.

وعلى ﴿يُنذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ هنا المكررة بعد الأولى ، تعني في كل معناه ، فالآولى تحذير عن موالات الكفار ، والثانية تحذير عن كل الشرور ، إضافة إلى ما تحمله الثاني من شديد الحذر حين تبرز الأعمال كما عملت فلا مجال لناكر أو عاذر ، وقد حذرت الأولى عن وبال الأولى.

ثم ﴿وَاللَّهُ رَوْفٌ بِالْعِباد﴾ تزويد للخيرات في فضل الجزاء ، ورأفة في عدله ، انه يعاقب أقل ما تستحقه العصاة ، لحد لا يستوجب الظلم بحق المتقيين.

ومن صالح الأعمال وركيذتها اتباع الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) على مدار حب

الله :

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

(٣١) ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (٣٢).

و «هل الدين إلا الحب»<sup>(١)</sup> فان الدين العقيدة والطاعة هو خلفية واقعية لواقع الحب ، حيث الحب . ومكانه القلب . ليس دعوى باللسان ، ولا هياما بالوجودان ، إلا بما يظهر من الجنان على الأركان ، والا فهو حب جاهل ، ام كاذب قاحل.

ان حب الله في أية درجة من درجاته لا دور له إلا بآثاره الظاهرة كما الباطنة ، وهي اتباع الله ، ولا موقع لاتباع الله إلا باتباع رسول الله ، إذ ليس الله ليوحى إلى محببه إلا الرسل ، فاما يحب الله من يحبه إذا اتبع رسوله الحامل لشروطات حبه ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ﴾ فـ «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»<sup>(٢)</sup>.

وإذا كانت لكم ذنوب ﴿وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ بذلك الإتباع ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

يغفر سيئاتكم إذا تركتم الكبائر ، ومن أكبر الكبائر التولي عن رسول الله مع الادعاء انك تحب الله : ﴿إِنْ تَجْتَبِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ثُكِرْ عَنْكُمْ سِيَّئَاتِكُمْ﴾.

فاتباع رسول الله على ضوء حب الله هو الإيمان ، والتولي عن رسول الله وان كنت

تدعي حب الله هو من الكفر ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ في محكم كتابه وفيما

(١) نور الثقلين ١ : ٣٢٦ في كتاب الحصول عن سعيد بن يسار قال أبو عبد الله (ع) : هل الدين إلا

الحب إن الله تعالى يقول : ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ...﴾.

(٢) في ظلال القرآن ١ : ٥٧٠.

امر من طاعة رسوله «والرسول» رسالة من الله «فإن تولوا» عن طاعة الله ورسوله ، او طاعة الله او طاعة رسوله **﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾**.

هنا **﴿يُحِبُّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾** لا تتعلق إلا بـ «فاتبعوني» فالحب الفاضي عن اتباع الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) هو حب لا يتبع حب الله وغفرانه ، فانه تعالى يحب من يحبه إذا اتبع مرضاته ، بل وليس الحب إلا في اتباع مرضاته ، والحب الفارغ عن مرضاته فارغ عن حبه ومرضاته ، بل هو مجرد ادعاء جوفاء لا تحمل من الواقعية شطراً إلا الدعوى.

وإذا كان حب الله لا يفيد إلا باتباع شرعته ، فبأحرى لا يفيد حب الرسول وذويه إلا بنفس الإتباع ، و «حب علي حسنة لا يضر معها سيئة» لا تعني . إن صحت . انه الحب فقط ، بل لا تأتي معها سيئة حتى تضر ، او لا تضر معها الصغار لأنه من كبار الحسنات كما **﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَيِّمًا﴾**.

وقد يروى عن الصادق (عليه السلام) قوله : ما أحب الله من عصاه ثم تثلب بقوله:  
 تعصي الإله وأنت تظهر حبه      هذا لعمري في الفعال بديع  
 لو كان حبك صادقا لأطعه      إن الحب لمن يحب مطيع<sup>(١)</sup>  
 فالحب من خلفيات الإيمان ، والطاعة من خلفيات الحب ، مثلث لا تفارق في زواياها وحواياها إلا فصلا عن صادق الإيمان.

فالناس في حب الله على ضروب شتى.

١ منهم من يؤمن به ولا يحبه نتيجة الإيمان.

(١) في المعاني عنه (ع) وفي الكافي عنه (ع) في حديث قال : ومن سره أن يعلم أن الله يحبه فليعمل بطاعة الله ولبيعنا ألم يسمع قول الله عز وجل لنبيه **﴿فَإِنْ كُنْتُمْ ...﴾** وفيه عنه (ع) لا قول إلا بعمل ولا قول ولا عمل إلا بنية ولا قول ولا عمل إلا باصابة السنة.

٢ وَمِنْهُمْ مَنْ يُحِبُّهُ كَمَا يُؤْمِنُ بِهِ وَلَا يُطِيعُهُ.

٣ وَمِنْهُمْ مَنْ يُطِيعُهُ عَلَى حِبِّهِ وَالإِيمَانِ بِهِ وَلَكِنَّهُ عَلَى خَلَافَ طَاعَةِ رَسُولِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، وَهُؤُلَاءِ هُمْ شَرُعٌ سَوَاءٌ فِي أَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّهُمْ وَلَا يَغْفِرُ لَهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ.

٤ وَمِنْهُمْ مَنْ يُطِيعُ رَسُولَهُ عَلَى حُبِّ اللَّهِ وَالإِيمَانِ بِهِ ، تَبَنِّيَا لَحْيَاتِهِ عَلَى تَلْكَ الطَّاعَةِ ، وَهُمْ عَلَى درَجَاتِهِمْ . مَنْ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ .

**﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٣٣)**  
**مِنْ بَعْضِ وَاللَّهُ سَعِيَعُ عَلَيْهِمْ (٣٤)** إِذْ قَالَتِ امْرَأُ عِمْرَانَ رَبِّي إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَنَقَبَلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّي إِنِّي وَضَعَتْهَا أُنْثِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الدُّكْرُ كَالْأُنْثِي وَإِنِّي سَمِّيَتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَنَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّاً كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّاً الْمُحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رُزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنِّي لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)

هُنَالِكَ دَعَا زَكْرِيَا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمُحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي عُلَامٌ وَقَدْ بَأْغَى الْكَبُرُ وَأَمْرَأَتِي عَافِرَ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعُلُ مَا يَشَاءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آتِكَ أَلَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً وَإِذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَيَّخْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِنْكَارِ (٤١) وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ افْتَقِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدْ يَارَبِّكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤) ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عُمَرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِ﴾ (٣٤).

«آدم» هنا وفي سائر القرآن هو الوالد الأول من هذا النسل الأخير ، كما هو لائق

في سائر القرآن دون ريب حيث جيء باسمه الخاص هذا (٣٥) مرة.

وترى اصطفاءه يلمح انه كان معه أوادم آخرون ، فاصطفاه الله من بينهم رسولا ،

فليس . إذا . هو الوالد الأول إذ قد يكون هو من مواليدهم وهذا النسل الانساني متسل

مقطما بينهم؟ وليست قضية اصطفاءه ذلك الهارف الخارف ان هناك كان أوادم آخرون لم

يكن هو والدهم ، حيث الاصطفاء المطلق وفي حقل الرسالة كما هنا لا يقتضي الجانسة بين

جمع ، بل يعني اصطفاءه من بين سائر الخليقة ليكون حامل لواء الدعوة الربانية بين

المكلفين ! حيث الرسالة الى العالمين خاصة بالإنس أصالة مهما كانت في الجن أيضا كفروع

للرسالة الإنسانية الى قبيلهم قبل اختتام الوحي .

إذا فلا بد في الاصطفاء الرسالي من اجتباء الأصفى بين عامة المكلفين ، حتى يصلح

الرسول المصطفى لحمل الرسالة الى العالمين أجمعين .

فالله اصطفاه من بين قرينه زوجه وإبليس وذريته الابالسة وسائر الجن حيث ﴿الْجَنَّ

خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ السَّمُوم﴾ (١٥ : ٢٧) ومهم ما كان الاصطفاء بحاجة إلى عديد ،

فقد يكفي له اثنان يصطفى أحدهما على الآخر ، فضلا عن آخرين . سوى زوجه . من قبيل

الجن ككل .

وليس اصطفاءه حين خلقه حتى يقال فكيف ذلك الاصطفاء ولما يخلق زوجه؟ وإنما

كان بعد عصيانه وهبوطه وتوبته وتوبة الله عليه : ﴿وَعَصَى آدُمْ رَبَّهُ فَغَوَى. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ

فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (٤٠ : ١٢٢) واجتبائه هو اصطفاءه وهو مرحلة تالية لعصيانه فتوبة

الله عليه ليتوب وتوبته الى الله وتوبة ثانية من الله عليه قبولا لتوبته ثم هدايته الى ما قبل

عصيانه من طهارته ثم يأتي دور اجتبائه واصطفائه (١) .

(١) نور الثقلين ١ : ٣٢٨ في عيون الأخبار في مجلس الرضا (ع) عند المؤمن مع أهل الملل والمقالات .

وهكذا يحاب عن غائلة العصيان في الرسول المعصوم ، انه اصطفى رسولا بعد توبته النصوح ، الكاملة الكافية لتركه على طول خط الحياة الرسالية ، كما فصلنا في طه والبقرة ، وهنا الاصطفاء الأول لآدم يعني الاولية الزمنية ، لا في الرتبة.

ثم **﴿نُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عُمَرَ﴾** المصطفين **﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾** تشمل كافة المسلمين والنبيين ، فنوح . وهو أول اولي العزم . اول من دارت عليه رحى ولاية العزم الرسالية . **﴿وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾** تعني ابراهيم وأله الابراهيميين رسلا ونبيين ، منذ إسماعيل إلى خاتم النبيين وعترته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين <sup>(١)</sup> ومنذ إسحاق ويعقوب وسائر الرسل الاسرائيلين (عليهم السلام) ، وهنا يختص

. وما أحباب به علي بن محمد بن الجهم في عصمة الأنبياء صلوات الله عليهم حديث طويل يقول فيه الرضا (ع) أما قوله عز وجل في آدم **﴿وَعَصَى آدُمْ رَبَّهُ فَغَوَى﴾** فإن الله عز وجل خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده ، لم يخلقه للجنة وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض وعصمته يجب أن تكون في الأرض ليتم مقدار أمر الله عز وجل ، فلما أهبط إلى الأرض وجعل حجة وخليفة عصم بقوله عز وجل **﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَنِي ...﴾**.

وفيه في باب مجلس آخر للرضا (ع) عند المؤمنون في عصمة الأنبياء حديث طويل وفيه يقول : وكان ذلك من آدم قبل النبوة ولم يكن ذلك بذنب كثير استحق به دخول النار وإنما كان من الصغائر المohoبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبيا كان معصوما لا يذنب صغيرة ولا كبيرة قال الله تعالى : **﴿وَعَصَى آدُمْ رَبَّهُ فَغَوَى. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَسَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾** وقال عز وجل : **﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَنِي آدَمَ ...﴾**

(١) الدر المثور ٢ : ١٧ . أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس في قوله **﴿وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾** قال : هم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد (ص) ، وفيه عن قتادة قال : ذكر الله أهل بيته صالحين ورجلين صالحين ففضلهم على العالمين فكان محمد (ص) من آل إبراهيم (ع).

بالذكر «آل عمران» اعتبارا بمريم العذراء الطاهرة المعصومة وابنها المسيح (عليهما السلام) حيث المسرح هنا في سورة آل عمران سرد القصص الفصل لآل عمران.

فلا يعني عدم التصريح بمحمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) هنا تسييجا له عن موقف الاصطفاء الخاص ، كما ولم يصرح بإسحاق ويعقوب وموسى وسائر الرسل الاسرائيليين ، وموسى هو رأس الزاوية الرسالية بينهم ، وقد يأتي في نفس السورة التصريح بان محمدا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إمام النبيين أجمعين ، . مهما لم يكن أمامهم . في آية الميثاق.

«ذرية» انتشا ﴿بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ نشأة الروح القدسية مع نشأة الجسم ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾<sup>(١)</sup> فليست نشأة الجسم . فقط . عن جسم بالذي يؤهل الناشئ للقدسية الروحية التي هي في المنشأ ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ مقالات السائلين وسواهم «عليم» بحالاتهم ومؤهلاتهم فينشئ الذرية الرسالية عن الرسل .

هذا . والى نظرة تفصيلية في آية الاصطفاء نقول : الاصطفاء هوأخذ صفة الشيء تخلصا له عما يكرره ، والصفة الربانية هي العصمة لا محالة للرسل أمن سواهم من يختلفون في حمل الدعوة الرسالية المعصومة العاصمة لها عن الانزلاق والانحراف .  
فقد يشمل الاصطفاء هنا آل محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) المعصومين وهم ورثة الكتاب بعده ، المصطفون في نص آخر : ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا﴾

(١) المصدر أخرج ابن سعد وابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليهم السلام أن عليا (ع) قال للحسن (ع) : قم فأخطب الناس ، قال : إني أهابك أن أخطب وأنا أراك فتغيب عنه حيث يسمع كلامه ولا يراه فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه وتكلم ثم نزل فقال علي (ع) ﴿ذُرْيَةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ حَسِيرٌ ۗ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَايِقٌ بِالْخُبْرَاتِ يَأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٥﴾

واصطفاء آدم ونوح دون آل آدم وآل نوح . وبعدهما آل ابراهيم وآل عمران . مما يلمح باختصاصه بجما دون آلهما ، إذا فلا نبي من آل آدم ونوح ام لا مصطفى منهما ، وهناك شيش وهابيل وإدريس؟ .

قد يعني الاصطفاء قمته في كل دور رسالي ، فأ adam نفسه هو المصطفى في الدور الاول الرسالي ككل ثم النبيون بينه وبين نوح كادريس لم يكونوا من آله مهمما كانوا من ذريته . ولكن إدريس من آله كما محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من آل ابراهيم ، وعدم ذكر إدريس شخصيا ولا ضمنيا في آل آدم لا يدل على خساسة شأنه وله خصاصة النبوة السامية أعلى من آدم ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَّبِيًّا﴾ .

وعلى عدم ذكره كما لم يذكر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وسائر النبيين لأن المقام مقام ذكر آل عمران عرضا لقصة مريم وعيسي (عليهم السلام) ، ولذلك طوي عن ذكر إسحاق ويعقوب وموسى (عليهم السلام) .

كما وان الآل لا يذكر لشخص واحد ، فالآدم ليس يعني خصوص إدريس ام آدم وإدريس ، ولم يأهل لذلك الاصطفاء غير إدريس من ذرية آدم (عليهم السلام) .  
اجل . ولأن وراثة النبوة المصطفاة ليست من وراثة الدم ، إنما هي وراثة

العقيدة مهما حلّت في وراثة الدم **ذريةً بعضها من بعضٍ** في الوراثتين واهماها الثانية.  
ونوح هو المصطفى في الدور الاول من ولاية العزم ، ولم يرسل احد من ولده  
الخصوص.

ثم الآل لغويًا كما يعني أخصّاء الشخص ، كذلك شخصه اعتباراً بكونه عماداً لأخصائه ، ف «آل كل شيء شخصه» و «الخشب الذي يعمد عليه الخيمة» و «آل الجبل أطرافه».

إذا ف ﴿آلٌ إِبْرَاهِيمَ وَآلٌ عُمَرَانَ﴾ هما شخص ابراهيم وعمران عمودين لخيمة الأشخاص ، وقد جاء بجمع المعنى في الذكر الحكيم كال ياسين . آل موسى . آل هارون . آل يعقوب . آل لوط وآل فرعون ، عنایة إلى الخيمة بعمودها ، دون الخيمة بلا عمود ، ولا العمود بلا خيمة.

ثم ولا يختص الآل : الإخماء ، بالأخفاء في النسب ، فعلى (عليه السلام) هو من آل محمد وأفضلهم وليس في النسب ، وسائر ولد الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) سوى الصديقة الطاهرة هم من آله بواسطتها<sup>(١)</sup> و «آل فرعون». ولم يكن له ولد. هو من صارم الدليل على عدم

(١) نور الثقلين ٣٢٩ : في كتاب كمال الدين وقام النعمة بإسناده إلى محمد بن الفضيل عن أبي حمزة الشمالي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (ع) حديث طويل يقول فيه : فلما قبضي محمد (ص) نبوته واستكمل أيامه أوحى الله عز وجل إليه أن يا محمد قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبير وميراث العلم وأثار علم النبوة عند علي بن أبي طالب (ع) فإنه لم أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبير وميراث العلم وأثار علم النبوة من العقب من ذريتك كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء الذين كانوا يبنون بيبي ولين أيك آدم وذلك قوله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذريته بعضها من بعض والله تسبیح علیهم .

اختصاص الآل باخصاء النسل.

وهنا «آل ابراهيم» قد يشمل كافة الأنبياء وسائر المعصومين الابراهيميين ، حيث الكل كانوا من نسل ابراهيم منذ إسماعيل وإسحاق والى خاتم النبيين وعترته المعصومين ، ولا يعني اختصاص «آل عمران» بعد «آل ابراهيم» إلا سردا طويلا للعمريين : مریم والمسيح (عليهما السلام).

ولقد اختص آل محمد (عليهم السلام) من بين آل ابراهيم بذكر خاص في أخلص دعاءه وأخصه : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقُوَادِيدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ... رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذُرَّتْنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ...﴾ (٣ : ١٢٩).

ثم اصطفاء آدم (عليه السلام) من براهين رسالته كما ﴿لَمْ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ و ﴿فَإِنَّا يُأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى﴾ تساندان منزلته الرسالية.

وهل يشمل «آل عمران» آلين لعمريين ، عمران أبي موسى وعمران أبي مریم؟ قد لا يعني إلا الثاني ، إذ لم يأت في القرآن . ولا مرة يتيمة . ذكر من أبي موسى ، ثم وبينه وبين أبي مریم (١٨٠٠) سنة ، ولا تصح عنایة الجنس من عمران ، الخاص بهما ، حيث العبارة الصالحة له «آل عمريين» والا لشتمل آل كل عمران في العالمين.

هذا . ولا سيما ان الآية التالية تخص آل عمران أبي مریم : ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عُمَرَانَ فَلَا دور - إِذَا - لآل عمران أبي موسى هنا ، على انه لم يرسل احد من ولد موسى ولا آله إلا هارون (عليه السلام).﴾

ذلك! فلم يكن لذكر محمد وآلـه (عليهم السلام) هنا دور خاص مهما كانوا هم المدار في كل الأدوار ، فلا موقع . إذا . مختلق الأحاديث القائلة ان «آل محمد» أسقطت عن الآية

(١) ام ابدل عنها ب «آل فرعون» (٢) وانا

(١) في الجمـع وفي قرائـة أهـل الـبيـت «وآلـ محمد عـلـى العـالـمـين» وـقـالـوا أـيـضاـ : إنـ آلـ إـبرـاهـيمـ هـمـ آلـ .

الصحيح هو نص الآية وعلى غرارها وقرارها رواية ثالثة<sup>(١)</sup> هي المصدقة لموافقة القرآن.

. محمد الذين هم أهله ، أقول : القالة الثانية تصدق تأويل الأولى أنها تعني التأويل ، دون تحريف النص في لفظ الآية.

وفي نور الثقلين ١ : ٣٣١ عن أبي عمرو التبیری عن أبي عبد الله (ع) قال قلت له : ما الحجۃ في كتاب الله أن آل محمد هم أهل بيته؟ قال : قول الله تبارك وتعالی : إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمد . هكذا نزلت . على العالمين ... أقول : قد يعني نزول التأويل دون التنزيل . والقمي عن الباقر (ع) فأسقطوا آل محمد من الكتاب.

وفي تفسیر البرهان ١ : ٢٧٩ عن أيوب قال سمعني أبو عبد الله (ع) وأنا أقرء ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فقال لي : وآل محمد كانت فمحوها وتركوا آل إبراهيم وآل عمران . وفيه عن تفسیر الشعلی رفعه إلى أبي وائل قال قرأته في مصحف ابن مسعود «.. وآل محمد على العالمين».

(٢) في تفسیر البرهان ١ : ٢٧٨ عن هشام بن سالم قال سألت أبي عبد الله (ع) عن قول الله : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾ فقال : هو آل إبراهيم وآل محمد على العالمين فوضعوا اسماً مكان اسم.

(١) المصدر في أمالی الصدوق بإسناده إلى أبي عبد الله (ع) قال قال محمد بن أشعث بن قيس الكندي للحسین (ع) يا حسین بن فاطمة أیة حرمة لك من رسول الله (ص) ليست لغيرك؟ فتلخ الحسین (ع) هذه الآية إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض .. قال : «والله إن محمداً لم ين آل إبراهيم والعترة المادیة لمن آل محمد ...».

وفي تفسیر البرهان ١ : ٢٧٧ بسنده متصل عن ابیان بن الصلت قال : حضر الرضا (ع) مجلس المؤمنون وقد اجتمع إليه في مجلسه جماعة من أهل العراق وخراسان ... قال المؤمنون هل فضل العترة على سائر الأمة؟ فقال أبو الحسن (ع) إن الله عز وجل أباًن فضل العترة على سائر الناس في محکم كتابه فقال المؤمنون وأين ذلك من كتاب الله؟ فقال الرضا (ع) في قوله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذریةً بعضاًها مِنْ بعضاً ﴿﴾ ، قال : يعني أن العترة

وقد تؤول الأولى بإسقاط التأويل ، ان جماعة من المحرفين الكلم عن مواضعه اسقطوا تأويل آل ابراهيم عن آل محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وهم أفضل آله .  
وكذلك الثانية انهم فضلوا آل عمران على آل محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لأنهم المذكورون هنا دونهم.

والاصطفاء على العالمين درجات أدناها عالمي زمان المصطفى كما في آدم وأوسطها عالمي دور رسالته كما لنوح وابراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام) ، وأعلاها عالمي كل زمان كما في محمد المصطفى وآلـ المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .  
ذلك . ولأن «العالمين» الطليقة تشمل كل الكائنات العاقلة في الطول التاريخي والعرض الجغرافي ، فالاصطفاء الحمدـيـ الطـلـيق يـحـلـقـ عـلـيـهـمـ كـلـهـمـ ، كما ان الاصطفاء الخاص بـعـالـمـيـ زـمـنـ آـدـمـ وـنـوـحـ وـآلـ إـبـرـاهـيمـ وـآلـ عـمـرـانـ يـشـمـلـ مـثـلـثـ الإـنـسـ وـالـجـنـ وـمـنـ لـاـ نـعـرـفـهـمـ . تماما .

**﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَنَقَبَلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْغَلِيمُ﴾ (٣٥).**

في «عمران» معاكسـةـ النـقـلـ بـيـنـ الـقـرـآنـ . حيثـ يعنيـهـ أـبـاـ مـرـيـمـ . وبينـ التـورـاةـ إذـ تعـنيـهـ أـبـاـ مـوسـىـ : عمرـاـمـ بـعـنـيـ قـوـمـ اللـهـ . ابوـ مـوسـىـ

. داخـلـونـ فـيـ آـلـ إـبـرـاهـيمـ لـأـنـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـ) مـنـ وـلـدـ إـبـرـاهـيمـ وـهـوـ دـعـوـةـ إـبـرـاهـيمـ ، وـفـيهـ عـنـ الحـجـةـ (عـ) لـما يـقـومـ الـاسـتـدـلـالـ بـالـآـيـةـ كـمـاهـيـهـ وـمـثـلـهـ روـاهـ العـيـاشـيـ عـنـ سـدـيرـ عـنـ أـبـيـ جـعـفرـ عـلـيـهـمـاـ السـلـامـ .  
هـذـاـ . وـجـمـوعـ الـأـحـادـيـثـ الـمـوـافـقـةـ لـنـصـ الـآـيـةـ الـآـيـةـ أـحـدـىـ عـشـرـ حـدـيـثـاـ ، وـفـيـ أـرـبـعـةـ إـضـافـةـ آـلـ مـحـمـدـ وـفـيـ وـاحـدـ تـبـدـيـلـ آـلـ مـحـمـدـ بـآلـ إـبـرـاهـيمـ ، وـالـأـوـلـىـ هـيـ الـمـصـدـقـةـ وـلـوـ كـانـتـ أـقـلـ عـدـدـاـ وـيـرـدـ إـلـاـ مـاـ خـالـفـ الـآـيـةـ حـيـثـ الأـصـلـ هـوـ الـقـرـآنـ الـمـتـوـاتـرـ الـمـوـجـودـ .

(الخروج ٦ : ٢٠ - ١٨) وتبديل الميم بالواو وهو من قضايا التعريب.

ولقد حمل هذا جماعة من المبشرين الكنسيين الى تزييف عمران القرآن انه اخطأ (١٨٠٠) سنة! وما اجهلهم إذ زعموا اختصاص «عمران» في تاريخ الإنسان بابي موسى ، فلا يحق لأبي مريم او سواه ان يسمى عمران ، لا لشيء إلا أن عمرام التوراة هو ابو موسى .

**﴿قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي حُرَّارًا﴾** إذ زعمت ان ما في بطئها ذكر يصح تحرره لخدمة بيت الله دون خروج عنه وعلها وعدت بذلك <sup>(١)</sup> او علّها نذرته هكذا ان كان ذكرا لكي يرزقها الله إيه ، والظاهر هو الاول لمكان الإطلاق وتأييده الرواية .

ومما يعنيه ذلك التحرر المنذور هو التحرر عن حقوق الأم المعيشية ، ثم التحرر عن كل عملية سوى خدمة بيت الله ، مما يدل على ان للام على ولدها حق يجوز التنازل عنه لحق أولى بنذر وسواء .

ولأن الأب او الجد هما الاولى بالولد . مهما كان للام عليه حق . قضية التحرر المطلق هنا انها كانت منفردة في هذه الولاية لفقد الأب والجد ، ام كانت هي ماذونة من قبل الولي الأولى في نذرها مطلق التحرر ، ام لا يشترط في نذر الام اذن الأب مهما اشترط عدم منعه ولكنه لا يجوز له منعها عما يحل ولا سيما ذلك الحل الطيب لبيت الله .

(١) نور الثقلين ١ : ٣٣٤ عن الكافي عن أبي عبد الله (ع) قال : إن الله أوحى إلى عمران إبي واهب لك ذكرا سويا مباركا يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله وجعله رسولًا إلى بني إسرائيل فحدث عمران امرأته حنة بذلك وهي أم مريم فلما حملت كان حملها عند نفسها غلام فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أثنتي وليس الذكر كالأثنتي ولا تكون البنت رسولا يقول الله ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ فلما وهب الله لمريم عيسى كان هو الذي بشر به عمران ووعده إيه ، فإذا قلنا في الرجل منا شيئا فكان في ولده أم ولد ولده فلا تنكروا ذلك .

فعلى اية حال انما نذرت هكذا مما يدل على صحة ونفاذ هكذا نذر بحق الولد شرط الحفاظ على حق الولي الاولى . ان كان . وكذلك صالح الولد ولا أصلح له من خدمة الله .

**﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي﴾** ذلك النذر ، تقبلاً لتحرره لك **﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾** الدعاء «العليم»

بصلاحيات و حاجات العباد.

اجل «محرا» وما ادرك ما ذلك التحرر؟ انه خروج عن رقية الناس إلى رقية إله الناس فهو . إذا . تحرر عما سوى الله «والمحرر للمسجد لا يخرج منه أبدا» (١).

والنذر لغويًا هو الخوف كما الإنذار هو الإخافة ، إذا فهو الخوف من الله إنما شكره الله أن توجب على نفسك امراً لله محبوباً لدى الله استزاده في العبودية كما فعلته امرأة عمران دونما شرط على الله ، ومثلها مريم **﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِرَبِّنِي صَوْمًا﴾** (١٩ : ٢٦) حيث لم تشرط على الله امراً في نذرها لله وتوافقه صاحح عدة (٢) والموثق المخالف غير موثق او مأول (٣).

(١) نور الثقلين ١ : ٣٣٢ عن أبي جعفر عليهما السلام قال : إن امرأة عمران نذرت ما في بطنهما محراً قال : والمحرر ..

(٢) كما في الصحيح «من جعل الله عليه أن لا يفعل محراً سماه فركبه فليعتق رقبة أو ليصم شهرين متتابعين أو ليطعم ستين مسكييناً» (التهذيب ٢ : ٣٣٦) وفي صحيح الحلبي عن الصادق (ع) إن قلت : الله على فخاره يمين (الكافٰ ٧ : ٤٥٦) وفي ثالث «ليس من شيء هو الله طاعة يجعله الرجل عليه إلا ينبغي له أن يفي به» (التهذيب ٢ : ٣٣٥) وفي رابع «وما جعلته الله تعالى فرق به» (الكافٰ ٧ : ٤٥٨). وخامس هو موثق السابطي عن أبي عبد الله (ع) عن أبيه (ع) في رجل جعل الله على نفسه عتق رقبة فأعتق أشل أو أعرج؟ قال : إذا كان من يباع أجره عنه إلا أن يكون سماه فعليه ما اشترط (التهذيب ٢ : ٣٣٥).

(٣) وهو موثق إسحاق بن عمار قال قلت لأبي عبد الله (ع) : إني جعلت على نفسي لله شكرًا ركتبين .

ام توجبه على نفسك شرط ان يستجبيك الله فيما تخاف من إقبال محظوظ أو إدبار محظوظ وأنت لا تستطيع بمحلك وقوتك ان تحصل على بغتك فيها ، حيث الوصول الى المغزى والحصول عليها قد لا يكتفى فيه بصرف الدعاء ، فلا بد من تقريب قربان الى الله وهو كل محظوظ لدى الله مندوبا او مفروضا ، وهذا هو مسرح النذر وشببه من عهد او يمين . ثم ولا نذر إلا لله كما هنا وفي مريم ، ونية القرابة هي لزام كون النذر لله ، فإذا نذر لغير الله ، ام نذر لله دون نية القرابة الى الله ، فلا نذر . إذا . ولا يفرض عليك امرا . وما يشرط في النذر مشروطا وغير مشروط إمكانية متعلقه واقعيا وشرعيا ،

. أصليهما في السفر والحضر فأصليهما في السفر بالنهار؟ فقال : نعم ، ثم قال : إني لأكره الإيجاب أن يوجب الرجل على نفسه ، فقلت إني لم أجعلهما علي إما جعلت ذلك على نفسي أصليهما شكر الله ولم أوجهما على نفسي فأداعهما إذا شئت؟ قال : نعم (الكافي ٧ : ٤٥٥ والتهدى ٢ : ٣٣٣) أقول : على «إني لأكره» لأن متعلق النذر كان حرجا ، ولكن المتعلق الخارج لا يصح ندره.

وأما موثق سماعة سأله عن رجل جعل عليه إيمانا أن يمشي إلى الكعبة أو صدقة أو نذرا أو هدية إن هو كلام أبيه أو أمه أو أخيه أو زارهم أو قطع قربة أو مائلا يقيم عليه أو أمرا لا يصلح له فعله؟ فقال : لا يمين في معصية الله إنما اليمين الواجبة التي ينبغي لصاحبها أن يفي بما جعل الله عليه في الشكر إن هو عفاه الله من مرضه أو عفاه من أمر يخافه أو رد عليه ما له أو رده من سفره أو رزقه رزقا فقال : الله علي كذا وكذا شكر ، فهذا الواجب على صاحبه وينبغي له أن يفي به (التهدى ٢ : ٣٣٥ والإستبار ٤ : ٤٦) أقول : إنه في مقام بيان بطلان هذه التعهادات في معصية الله ، وأخيرا مثال فيما يصح فيه التعهد كاليمين المنوي هو كذا وكذا ، وحتى أذاب كان صريحا في بطلان النذر غير المشروط لكان معارضا للأية والصحاح المتعددة الماضية ، كما وأن «في الشكر» يعم الشرط وسواه وإن مثل بالشرط أقول : والمصدق المتيقن المعلوم من «الله علي» هو النذر ، مهما شمل البعض منها اليمين والعهد أيضا.

وكونه راجحا في شرعة الله دونها حرج في تحقيقه ، فغير الراجح لا يحق لله ، والمحرج ليس من دين الله ف ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ فضلا عن غير المقدور او المحظور فانه هراء بالله او مهانة لله أن تقدم له ما نهى عنه تحذيرا أو تنزيها ، بل وما هو عوان بين الراجح والمرجوح .

والنذر في فعل الراجح او الواجب او ترك المرجوح الحرم يعم المشروط وسواه ، والنتيجة اصل الوجوب او ضعفه او اصل الحرمة او ضعفها ، وخلفيته في تخلفه دنيويا هي الكفارية وأخرويا هي العقاب ان لم يثبت ويکفر . وكافة الشروط في النذر غير المشروط هي مشروطة في المشروط ، إِلَّا رجاحة المتوقع ، فإنما يکفيه السماح الشرعي إباحة أَمْ دونها .

فالفارق بين المتعلق والمتوقع في الشروط إنما هو شرط الرجاحة في الأول دون الثاني إذ لا نذر إلا في طاعة الله ، ثم الامكانية مشتركة بينهما ، ولكن القدرة غير المحرجة خاصة بالمتصل دون المتوقع ، حيث المتوقع خارج عن قدرتك مقدورا لله غير مستحيل كونيا ولا شرعا ، ولكن المتعلق شرطه كونه ميسورا عندك دون حرج واقعيا وشرعيا .

فتوقع المحظور من الله ، كما المستحيل على الله حكمه أَمْ سواها ، هو توقع محظور . كما المتعلق غير المقدور واقعيا او المحرج او غير الراجح شرعا هو محظور او غير مشكور ، حيث النذر في الأساس يتبني الخوف من الله كما في غير المشروط ، او الخوف مما ترجوه ولا تستطع عليه ، والكل مشروط بعدم الحظر واقعيا ولا شرعا ، مهما اختص متعلق النذر بالراجح الميسور ، والمتوقع يكتفى فيه بعدم الحظر .

فكما لا نذر الا الله ، كذلك لا نذر فيما ليس راجحا في شرعة الله مهما

كان المتوقع . كما في المشروط . لا يشترط فيه إلّا عدم الحظر واقعياً وشرعياً .  
فإذا نذر راجحاً أو واجباً في متوقع محظور فهو محظور لا ينعقد ، كما وإذا نذر  
مرجحها في متوقع محظور لم ينعقد ، أو نذر فعلاً محرجاً فعله فيما دون حرجه ينعقد وفي غيره  
غير منعقد ، وشرط الصحة في النذر المشروط عدم تحقق شرطه قبله ، فإذاً لا مورد لشرطه  
وكما في الصحيح <sup>(١)</sup> .

والصيغة السائعة الصائحة للنذر هي «الله علی» لا سواها كـ «علی» إذ لا نذر إلّا لله  
، وأما أن يعاهد نفسه على أمر دون أن يعاهد الله عليه فلا نذر ، سواء أكان في نذر  
مشروع أو غير مشروع <sup>(٢)</sup> ولا «علی نذر» ولا «الله علی نذر» <sup>(٣)</sup> فإن النذر ليس مورداً  
للنذر .

(١) وهو صحيح ابن مسلم عن أحدهما عليهما السلام سأله عن رجل وقع على جارية له فارتفع حيضها وخاف  
أن تكون قد حملت فجعل الله عتق رقبة وصوماً وصدقه إن هي حاضرة وقد كانت الجارية طمثت قبل يوم أو  
يومين وهو لا يعلم؟ قال : ليس عليه شيء (الوسائل بـ ٥ من كتاب النذر ح ٢) ومثله خير جميل بن صالح  
(المصدر ح ١) .

(٢) كما في صحيح منصور بن حازم عن أبي عبد الله (ع) قال : إذا قال الرجل على المشي إلى بيت الله وهو  
محرم بحججة أو على هدي كذا وكذا فليس بشيء حتى يقول : الله على المشي إلى بيته أو يقول : الله على أن أحزم  
حججة أو يقول : الله على هدي كذا وكذا إن لم يفعل كذا وكذا (الكافي ٧ : ٤٥٧ والتهذيب ٢ : ٣٣٢)  
وال الحديث مصححاً بكتاب النذرين مشروع وغير مشروع .

هذا وأما خير إسحاق بن عمار عن أبي إبراهيم (ع) قلت له رجل كانت عليه حجة الله سلام فأراد أن  
يحج فقيل له تزوج ثم حج ، فقال : إن تزوجت قبل أن أححج فغلامي حر فتزوج قبل أن يحج فقال : أعتق غلامه  
، فقللت لم يرد بعتقه وجه الله ، فقال : إنه لا نذر إلّا في طاعة الله والحج أحق من التزويج وأوجب عليه من  
التزويج قلت : فإن الحج تطوع؟ قال : وإن كان تطوعاً فهي طاعة الله عز وجل فقد أعتق غلامه (الكافي ٧ :  
٤٥٥ والتهذيب ٢ : ٣٣٣) .

أقول : ليس هذا العتق لكونه متعلقاً للنذر ولم يكن هناك نذر ، إنما هو عتق مشروع وقد تتحقق شرطه  
كان يقول : إذا جاء زيد فغلامي حر ، فلا رباط للحديث بباب النذر .

(٣) كما في صحيح أبي الصباح الكنائي سأله أبو عبد الله (ع) عن رجل قال : علي نذر؟ قال : ليس .

وكما يشترط في النذر أيا كان ألا يحل حراما او يحرم واجبا ، كذلك ألا يفوّت حقا مفروضا كحق الزوج لزوجه وحق الوالدين للولد وحق الولد لهما ، فان لكل حقا على الآخر ليس ليقوته نذر مهما كان في راجح ام واجب هو أدنى من واجب الحق الحاضر في شرعة الله ، فلا نذر . إذا . لزوجة إلا بإذن الزوج إلا فيما لا يفوّت له حقا عليها ام هي سفيهه فإذا فوت عليه حقا ام هي سفيهه لم ينعقد نذرها إلا باذنه ، وينعقد فيما سواها ، وال الصحيح المخالف مأول أو غير صحيح <sup>(١)</sup> .

وجملة القول في النذر ان يكون متعلقة محبورا مقدورا دون الحرج ، ومتربة في مشروطه مسموها غير مستحيل على الله عقليا او في الحكمة.

وفي الحق إن النذر ولا سيما المشروط منه داخل في حقل الدعاء ، بل وهو أدعى الدعاء ، حيث تفرض على نفسك ما يرضاه الله حتى يستجيبك الله ما تتلقضاه.

وليس النذر تشريعا ، إنما هو سماح من الله ان تفرض على نفسك

. النذر حتى يسمى الله شيئا صياما أو صدقة أو هديا أو حجا(الكافٰ ٧ : ٤٥٥ والتهذيب ٢ : ٣٣٣). وفي خبر أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله (ع) عن الرجل يقول : على نذر قال : ليس بشيء حتى يسمى النذر ويقول : على صوم الله أو يتصدق أو يهدى هديا وإن قال الرجل أن أهدي هذا الطعام فليس هذا بشيء إنما تحدى البدن (المصدر).

(١) وهو صحيح التهذيب ٢ : ٣٢٠ «ليس للمرأة مع زوجها أمر في عتق ولا صدقة ولا تدبير ولا هبة ولا نذر في مالها إلا بإذن زوجها إلا في حج أو زكاة أو بر والديها أو صلة قرابتها». أقول : عله يعني المرأة السفيهه حيث إن تصرفاتها المالية منوطه بإذن ولديها زوجا أو أبا أو غيرها ، وأما الحج والزكاة وبر الوالدين وصلة القرابة ، فهي منذورة وغير منذورة ليست بحاجة إلى إذن حيث لا يضر فيها السفه ، ولا سيما المفروض منها.

راجحاً مهما كان مفروضاً وتحرم على نفسك مرجوحاً مهما كان محظياً ، فهو من العناوين الثانوية من نوع ثان محدد من قبل الله موضوعاً وحكمها وشروطها ، كما العناوين الثانوية من النوع الأول مقررة من قبل الشعّ كالاكراه والاضطرار اللذين هما موضوعان للسماح في قسم من المحرمات.

فلا نذر في معصية الله<sup>(١)</sup> كما لا نذر في مباح فعلاً أو تركاً ولا في فعل مرجوح أو ترك مندوب ، اللهم إلّا بعنوان ثان يجعلها راجحة.

وكذلك لا نذر في تفويت حق أو إفراط أو تفريط في حق ، أو إسراف أو تبذير.

وترى أن نذر الوالدين على الولد منجز بحق الولد كأنه هو الذي نذر؟ أم لا ينجز إلا على النادر أن يتحقق نذره في ولده وعليه القبول قضية وجوب طاعة الوالدين اللهم إلّا في أمر مخرج أم مرجوح فضلاً عن المحظور ، وإذا خالف الولد فهو عاصٍ ولا شيء على الوالدين حيث حققا الواجب عليهما ، ثم ومخالفة الولد في النذر المحظور واجبة إذ لا طاعة لخلقٍ في معصية الخالق.

وهنا نعرف مدى عمران قلب امرأة عمران ، حيث تتجه إلى ربهما بكامل الإيمان بأعز ما تملكه تحريراً لغيرة عينها لله كما وهي محررة في طاعة الله ، تحررها عن كل عبودية لكل أحد ، وعن كل اتجاه إلى أي شيء وأي أحد وأية قيمة سوى الله ، فقد حررتها بنذرها عن كل تقييد جماعي بأية مسئولية حتى تتخلى لخدمة الله في بيت الله<sup>(٢)</sup>.

(١) كما في صحيح البخاري عن أبي عبد الله (ع) ليس من شيء هو طاعة لله يجعله الرجل عليه إلّا ينبغي له أن يفي به وليس من رجل جعل الله عليه شيئاً في معصيته تعالى إلّا ينبغي له أن يتركه إلى طاعة الله (التهذيب ٢ : ٣٣٥ ونواذر أحمد بن عيسى ٥٨ واللفظ له).

(٢) نور الثقلين ١ : ٣٣١ في كتاب علل الشريعة بسند متصل عن إسماعيل الجعفري قال قلت لأبي جعفر عليهما السلام : أن المغيرة يزعم أن الحائض تقضي الصلاة كما تقضي الصوم فقال : ما له لا .

فالتوحيد الحق في مثلث : العقيدة والنية والعملية ، هو الصورة المثلثى للتحرر المطلق ، إنه يتمثل هنا في نذر التحرر لقرة العين وفلذة الكبد : الولد . ولما يولد . مما يشي بعمق الإيمان وخلوص العمran لقلب امرأة عمران.

ولقد كانت تنتظر لذلك التحرر المنظور المندور ولدا ذكرا هو المحرر في نذرها ، والنذر للمعابد لم يكن معروفا إلا للذكور ليخدموا الهيكل وينقطعوا للعبادة والتبتل ، ولكنها هي تجدها أنثى وليس الذكر كالأوثى :

**﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعَتْهَا أُنْثِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنْثِي وَلِيَ سَمِّيَّهَا مَرْيَمٌ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٣٦).**

لقد تتحسر امرأة عمران على ما كان من خيبة رجائها ومعاكسة تقديرها ، وتحزن إلى رحها إذ كانت ترجو ذكرا تبه محرا لبيت الله وتقفه على خدمته ، ولكن الوليدة أنثى والبنات لا يصلحن لذلك التحرر الطليق ، للزوم مقامهن عند أزواجهن في زواجهن ، ولزوم الخروج عن بيت الله حالة الحيض والطلق على أية حال.

**﴿فَهَنَا .. قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعَنِي أُنْثِي﴾** ليست اخبارا **﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾** بل هو تحسّر أنها لا تصلح لذلك التحرر لأنها أنثى ، فقد تناجي رحها كمعترضة عن تحررها أو كئيبة لأنها أنثى ، راجية ان تقبلها رحها على أنوثتها كما تقبّلها ، مشفقة من ألا يقبل نذرها.

وقفه الله إن امرأة عمران قالت : رب إني ندرت لك ما في بطني محرا ، والمحرر لا يخرج منه أبدا فلما وضع مريم قالت رب إني وضعتها أُنْثِي وليس الذكر كالأُنْثِي فلما وضعتها أدخلتها المسجد فلما بلغت مبلغ النساء أخرجت من المسجد ، أني كانت تجد أياما تقضيها وهي عليها أن تكون الدهر في المسجد.

هنا ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ كجملة معتبرة ، هي ذود عن ساحة الرب ان يعلم ، على ذود عن ساحتها ان تعلّمه ، وبيان انها قائلة قولها متحسسة في ذلك العرض . وترى ﴿وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنْثَى﴾ هي من قولها ، والعكس أخرى لأنها وضعتها أنثى فليقل «وليست الأنثى كالذكر» !

ام هي من قول الله ، والجملة المعتبرة بحاجة الى برهان لأنها خلاف المتعدد من سرد الجمل .

قد تكون هي من قول الله اشعارا في هذه الاذاعة القرآنية ان الذكر المطلوب هنا ليس كالأنثى الموهوبة ، بل هي أعلى منه وأولى ، إذ تحمل اضافة الى ما تطلبته من التحرر ، فانها تتقبل محررة في نفسها ، ووالدة لعيساها وهمما من آيات الله الكبيرة ، وليست «وليست الأنثى كالذكر» لتفيد ذلك المعنى .

ثم هي من قولها على هامش قول الله ، عناية الى غير معناها : ان الذكر ليس معذورا كما الأنثى ، حيث الأنثى لا تصلح لما يصلح له الذكر ولا سيما في حقل التحرر هكذا ، لأجل ما يلحقها من الحيض والنفاس ، وما يلزمها من الصيانة عن التبرج للناس ، فإذا خالطت الرجال افتنوا بها واستضرروا بمكانتها كما تفتنت هي بهم ، حيث النساء أوهن عقودا ، وأضعف عقلية وصمودا ووساووس الشيطان إليهن أسرع ، فأهواهه إليهن أهرع .

ثم العكس يفيد نفس المعنى ولكن في الأصل رجاحات ليست فيه :

١ ﴿وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنْثَى﴾ اختصار عن قالتين مختلفتي المعنى : قول الله وقولها ، وليس العكس يعني . فيما يعني . قول الله .

٢ حسن التعبير في وزن الكلام يقتضي تقديم الذكر على الأنثى .

٣ حسن المعنى في تقدم الأفضل على الفضيل .

٤ يتقدم الذكر لتقدمه في عناية النذر فيذكر . إذا . تحسرا على فقده . وإنما تحسسر عن فقد الذكر انه ليس كالأنثى ، فلا يتهم في خلوة البيت كما تتهم ، وهو أقوى من الأنثى ، وهو خلو من اعذار الأنثى ، وهو يصلح للنبيه وما أشبهها دون الأنثى ، و ﴿إِنِّي وَضَعَتُهَا أُنْثِي﴾ فهل من علاج أن تقوم الأنثى مقام الذكر وتغفي بما يفي ؟! فمما تقوى رجاءها في تحقق بغيتها ﴿وَلَيْسَ سَمِّيَّتُهَا مَرْبِيع﴾ : المرتفعة الغالبة . تتغلب على عرائيل الأنوثة ونقاوصها وضعفها وما سواها ، وترتفع عن كل نقاوص الانوثة والرجلة بمنصب الله .

ثم ﴿وَلَيْسَ أَعِيذُهَا بِكَ﴾ لا هي فحسب بل ﴿وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ مما يلمح صراحة أنها ألمحت بمستقبل ذريتها ، وعلل ﴿لَيْسَ الدَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ كقول الرب ألمحت إليها بعد قالتها نفس القول أم عنده .  
 ﴿فَتَقْبَلَهَا رَجُلًا بِقَبْوِلِ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَلَهَا زَكَرِيًّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيًّا  
 الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْبِيعَ أَنِّي لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ  
 يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٧) .

التقبل هو قبول على تكلف ، وإذا لا تكلف في قبول ربنا فقد يعني هنا متنوّج كل تكلف في القبول ، وهو من ربنا يخلق على كل الفضائل والفوائل في القبول ، فلا رد فيه ولا افول ، بل هو قبول على مدار حياة مريم البطل سلام الله عليها .  
 فإنه تقبل في قبول نذرها ان تنوب الذكر ، وتقبل في جعلها كالذكر ، ثم حسن زيادة حسن على قبولها أن جعلها وابنها آية للعالمين .

وهنا نستوحى من تقبلها منعها عن الزواج ، ام وظهارتها عن الدماء ، فلتبقى كالذكر وفوقهم إذ لم تحتاج لرزقها الى خروج حيث ضمته رها .  
 هنا تقبل رباني ملئيم سلام الله عليها في مربعة الجهات هي :

١ ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ ﴿فَتَقْبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبْوِلِ حَسَنٍ﴾ محررة الله لخدمة  
بيت الله.

٢ ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَم﴾ ﴿فَتَقْبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبْوِلِ حَسَنٍ﴾ ان تكون مريم : مرتفعة . في  
اللغة السريانية . غالبة متغلبة على كل رجس ونقص ونجس في أنوثة وعبودية ، وقد تعني  
تسميتها مريم تفألا من أنها علّها تربو على أقرانها وعلى الذكر الذي كانت ترجوه أنها  
تطبيقا لنذرها ، ثم لتحقيق هذا المعزى تعيدها بالله وذريتها من الشيطان الرجيم ، تعيدها ان  
ينالها نقص في سبيلها كما ينال النساء في خدمة البيت ، او ان يصيبيها ما تمس عفافها في  
خلطها بعباد البيت ، او أن يعترضها ضعف في خدمتها ، او تلحقها همة في اختلاطها  
بالرجال.

٣ ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِك﴾ «تقبلها» معادة بالله ، فهو يعيدها من الشيطان الرجيم.  
٤ «وذريتها» عيسى (عليه السلام) وهو الأصل في ذلك المسرح حيث يحتل القمة  
الرسالية والمرتبة الرابعة من ولاية العزم بين النبيين (عليهم السلام).

فذلك قبول حسن في مربع الدعاء والاستدعاء ، أحسن مما إذا كان ذكرا .  
فرغم ان الذكر ليس كالأنثى في قالتها ، ﴿لَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنْثَى﴾ في قول الله ، حيث  
فاقت كل ذكر في تاريخ الرسالات اللهم إلا أولياء العزم ولا سيما محمدا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) .

«تقبلها .. ثم ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ منذ ولادتها حتى حملها ووضعها وإلى موتها ،  
فقد كانت تتربع على رقاية الله الخاصة وعينه الحامية لتقبلها محررة مريم معادة بربها وذريتها  
من الشيطان الرجيم ، عصمة ربانية في كل أبعادها إلا الوحي الرسالي .

ولماذا ﴿نَبَاتَ حَسَنًا﴾ بالإنبات ، دون تربية حسنة؟.

علّه للإشارة إلى تحليق المراقبة الربانية لها منذ انعقاد نطفتها وتكاملها جنبنا ولادتها والي موتها ، فانها كلها من الإنبات ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾.

فالسلالة من ماء مهين هي الصفة المختارة من المني ، ثم المواد الكيماوية الكامنة في ماء الرجل والمرأة هي صفة العناصر الكيماوية المنتزعة من الدم ، الذي هو ايضا بدوره صفة ما نتناوله من مشرب ومؤكل ، وكل لاحق نابت من سابقه حتى السلالة النطفة ، ثم العلقة والمضغة والعظام واللحم ، كل نابت من سابقه.

وإخراجنا من الأرض نباتا له دور عام يعمسائر النسل الانساني ، وآخر خاص يخص الأصفباء المخلصين.

فقد يعني ﴿وَأَنْبَثَاهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ كل هذه المراحل ، ولكي تصلح للاصطفاء على نساء العالمين وتلد المسيح (عليه السلام) ، فقد جمع في الإنبات نباتا حسنا إلى طهارة الوالدين وطهارتها حين بلغت ، الطهارة الربانية الملقة على كل مراحل إنباتها على طول الخط.

ومن إنباتها النبات الحسن : ﴿وَكَفَلَهَا زَكْرِيَا﴾ كفالة النبات الحسن والتربية اللاحقة الرسالية ، فقد جعل الله باقتراحهم كفالتها لزكريا . زوج خالتها . أمينا مؤمنا علينا بشأنها ، وكان رئيس الهيكل اليهودي من ذرية هارون الذين انتقلت إليهم سدانته الهيكل ، فنشأت مباركة مجددة ، يهبي لها الله من رزقه فيضا متواصلا .

أترى تلك الكفالة كانت ذات بعدين أولهما خصوص الوحي بشأن كفالته إليها ، وثانيهما الاقتراح تأييدا وتأكيدا لذلك الاختصاص؟ النص ساكت عن

بعدين اثنين ، وعلـ «كفلها» تعني كفالته إياها بمحـي الاقتراع ، سـكوتـا عـما سـكتـ عنـه الصـص وذـدوا عنـ سـاحة الـقـديـسـين اـخـتـصـامـهـم فيـ كـفـالـتـهـا بعدـ وـحـيـهـا لـزـكـرـيـا.

هـنـا فـاعـلـ «كـفـلـهـا» هوـ اللـهـ وـزـكـرـيـا المـفـعـولـ الـأـوـلـ وـمـرـيمـ هيـ الـثـانـيـ ، حـيـثـ الـكـفـلـ مـتـعدـ بـنـفـسـهـ ، فـرـغـمـ انـ الـوـلـدـ فيـ كـفـالـةـ الـأـبـوـيـنـ عـرـفـاـ وـشـرـعاـ ، وـلـكـنـ مـرـيمـ النـابـتـةـ نـبـاتـاـ حـسـنـاـ بـحـاجـةـ الـىـ كـفـالـةـ عـاصـمـةـ مـعـصـومـةـ لـمـ يـكـنـ يـحـمـلـهـاـ هـنـاكـ إـلـاـ زـكـرـيـاـ ، مـهـمـاـ تـخـرـجـ بـالـقـرـعـةـ الشـرـعـيـةـ مـنـ بـيـنـ الـقـدـيـسـينـ الـمـتـنـازـعـيـنـ بـشـأـنـهـاـ.

وـ «ـالـمـحـارـبـ» كـأـصـلـ هوـ مـحـلـ الـحـرـبـ فـانـ عـبـادـةـ الرـحـمـنـ مـحـارـبـةـ الشـيـطـانـ ، وـلـانـ الـعـبـادـةـ الـخـالـصـةـ بـحـاجـةـ إـلـىـ الـإـنـسـرـاحـ عـمـاـ سـوـىـ اللـهـ ، فـالـمـحـارـبـ الـحـرـبـ. هـوـ اـيـضـاـ مـنـ الـحـرـبـ : السـلـيـبـ ، يـعـنـيـ عـنـ اـشـغـالـ الدـنـيـاـ ، وـهـوـ الـمـقـدـمـ فـيـ كـلـ مـسـرـحـ ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مـاـ يـشـاءـ مـنـ مـحـارـبـ﴾ فـالـمـحـارـبـ مـعـنـوـيـاـ هوـ مـحـلـ الـإـنـسـرـاحـ عـمـاـ سـوـىـ اللـهـ لـاـخـلاـصـ عـبـادـةـ اللـهـ بـحـرـبـ الشـيـطـانـ ، وـهـوـ مـكـانـاـ الـمـقـصـورـةـ فـيـ مـقـدـمـ الـمـعـبدـ لـهـ بـابـ يـصـدـعـ إـلـيـهـ بـسـلـمـ ذـيـ درـجـاتـ قـلـيلـةـ ، وـيـكـونـ مـنـ فـيـهـ مـحـجـوـبـاـ عـمـنـ فـيـ الـمـعـبدـ ، وـ «ـكـلـمـاـ دـخـلـ» مـاـ يـلـمـحـ بـهـذـهـ الـخـصـوصـيـةـ لـحـرـابـهـ ، وـكـمـاـ يـصـرـحـ بـهـ ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَاب﴾ حـيـثـ الـمـعـبدـ الـمـكـشـوفـ لـاـ يـتـصـورـ فـيـهـ التـسـوـرـ. وـالـكـفـالـةـ . كـكـلـ . هـيـ مـنـ الـمـوـاضـيـعـ الشـرـعـيـةـ ، سـوـاءـ فـيـ التـرـبـيـةـ وـالـحـفـاظـ بـدـنـيـاـ اوـ مـعـنـوـيـاـ اـمـ مـالـيـاـ اـمـاهـيـهـ مـاـ تـصـحـ فـيـهـ الـكـفـالـةـ.

وـ أـصـلـهـاـ مـنـ الـكـفـلـ : الـمـرـكـبـ ، فـيـ رـكـبـ الـحـيـاةـ كـبـعـضـ اوـ كـكـلـ ، وـقـدـ تـكـفـهـاـ زـكـرـيـاـ فـيـ مـسـيرـ الـحـيـاةـ كـفـيـلاـ ضـامـنـاـ عـادـلـاـ مـعـصـومـاـ فـيـ مـسـيرـهـ إـلـىـ مـصـيـرـهـ ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ وـ «ـرـزـقـاـ» يـعـنـيـ ، رـزـقـاـ مـعـيـشـيـاـ إـلـىـ رـزـقـاـ مـعـنـوـيـاـ لـتـكـونـ مـتـحـرـرـةـ عـمـنـ يـرـزـقـهـاـ سـوـىـ اللـهـ مـهـمـاـ كـانـ لـلـكـفـالـةـ

الرسالية دورها الفعال على عين الله ورعايته.

اجل «رزقا» جليلا لا يعرف مصدره ولذلك نَكْرُ ، واحتار زَكْرِيَا من ذلك الرزق المكرور دونما انقطاع ف ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنِّي لَكِ هَذَا﴾ اي زمان ومن أيٍّ والسبيل المألفة له . وانا الوسيط الوحيد فيها بظاهر الحال . منقطعة عن قمة الحراب ، حيث لا يسمح لأحد غيري ان يدخله ، ف ﴿أَنِّي لَكِ هَذَا﴾؟.

﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ بقطع الأسباب المعتادة ، وكما تحررت عنها في ذلك التحرر ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ نحاسبه نحن في حياتنا المعتادة ، او يحاسبه الله ، مهما كان رزقه بغير حساب بميزان وحساب.

ويالها من خنوع وخشوع امام العطية الربانية ، احتفاظا بالسر الذي بينها وبينه ، والتواضع في التحدث عن ذلك الرزق السرّ ، دون اية مباهاة وتنفج وتبهج .

هنا لا نخوض في مواصفة ذلك الرزق ونوعيته ، ولكننا نعلم حسب النص انه ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ عنديه خاصة مباركة طيبة ، مختلفة عن سائر الرزق المؤتلفة ، فليكن من الجنـة أم خلق الساعة.

فلا يرد نقد الجمعية الرسولية الامريكية على ذلك الرزق بـان «الجنـة ليست محل أكل وشرب بل هي محل التقديس والتسبـح وكل تعـاماـتها روحـية»<sup>(١)</sup>.  
أولاً ان ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ لا تخص الجنـة إلا بتـأويل ان الله سـاـكـنـ الجنـة فالـرـزـقـ منـ عـنـدهـ ليسـ إـلـاـ منـ الجنـةـ.

(١) كتاب المـهـادـيـةـ للـجـمـعـيـةـ الرـسـوـلـيـةـ الـأـمـرـيـكـيـنـ . ٣٦ : ٢

ثانياً ان الجنة حسب القرآن والعهدين فيها تنعمات مادية اضافة الى الروحية.  
 ثالثاً ان هذه الجنة علّها جنة آدم والتي صعد إليها المسيح وهي من جنان الدنيا.  
 رابعاً ان الرزق من عند الله يعني هنا من غير السبل المتعودة وكما «ان الله سخر الغربان لإيليا فكانت تأتيه بلحם صباحاً ومساء» (أمل ١٧ : ٤ و ٦).  
 كما و «هيا له الكعكعة (نوع من الخبز) وكوز الماء فنبهه الملائكة للأكل والشرب حتى سار بقوه تلك الأكلة أربعين يوماً» (أمل ١٩ : ٥ . ٩).  
 وإذا هم يستغرون رزق الطاهرة من عند الله حلالاً طيباً ، فكيف يستقربون شرب المسيح جديداً من نتاج الكرمة . الخمر . في ملكوت الله (متى ٢٦ : ٢٩ و مرقس ١٤ : ٢٥)  
 ولوقا ٢٢ : ١٨ ) او ما يأكل منه التلاميذ على مائدة المسيح في ملكوته (لوقا ٢٢ : ٣٠)  
 هذه مريم الطاهرة العذراء تجد عندها رزقاً من عند الله ، وهي منقطعة عن عباد الله ، ثم انظر إلى فاطمة الزهراء مولاة العذراء ، حيث تجد عندها رزقاً وتتمثل لأبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) بقول الله عن العذراء يا أبتي ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾  
 (١).

(١) الدر المنشور ٢ : ٢٠ . أخرج أبو يعلى عن جابر أن رسول الله (ص) أقام أياماً لم يطعم طعاماً حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجـه فلم يجد عند واحدة منها شيئاً فأتـى فاطمة فقال : يا بـنية هل عندك شيء أكلـه فإـني جائـع؟ فـقالـت : لا والله ، فـلما خـرج من عـنـدهـا بـعـثـت إـلـيـها جـارـة بـرـغـيفـين وـقطـعة لـحم فـأخذـته مـنـها فـوضـعـهـ في جـفـنةـ لها وـقـالتـ واللهـ لأـوـثـرـ بـهـذاـ رسـولـ اللهـ (صـ) عـلـىـ نـفـسيـ وـمـنـ عـنـديـ وـكـانـواـ جـمـيعـاـ مـخـتـاجـينـ إـلـىـ شـبـعةـ طـعـامـ فـبـعـثـتـ حـسـنـاـ أوـ حـسـيـنـاـ إـلـىـ رسـولـ اللهـ (صـ) فـرـجـعـ إـلـيـهاـ فـقـالـتـ لهـ : بـأـيـ وـأـمـيـ قـدـ أـتـىـ اللهـ بـشـيـءـ قـدـ خـبـأـتـهـ لـكـ فـقـالـ هـلـمـيـ يـاـ بـنـيةـ بـالـجـفـنةـ فـكـشـفـتـ .

هنا زكريا المكفل مريم لما يرى هذه الكراهة الربانية لها ، تتحرك عنده الرغبة في ذرية طيبة ، حكمة عالية مرغوبة فيها لامتداد الرسالة في نسله.

**﴿هُنَالِكَ دَعَا رَجَرِيًا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَيِّعٌ﴾**

الدُّعَاء (٣٨)

انه لم تكن حتى الآن لزكريا ذرية ، وطبيعة الحال في الدعاء ائما عند انقطاع الرجاء ، وانقطاع الأسباب المعتادة لحصول المدعو له ، فـ **﴿هُنَالِكَ دَعَا رَجَرِيًا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ﴾** الذي رببني بال التربية الرسالية وهي خارقة العادة **﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِيَّةً طَيِّبَةً﴾** كخارقة أخرى . و «من لدنك» استيهاب من رحمته اللدنية الخاصة ، ليست كالعادة

عن الجفنة فإذا هي مملوأة خبزا ولحما فلما نظرت إليها بحثت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله تعالى وقدمه إلى النبي (ص) فلما رأه حمد الله وقال : من أين لك هذا يا بنية؟ قالت يا أبت هو من عند الله ... وفي نور الثقلين ١ : ٣٣٣ عن تفسير العياشي عن سيف بن نجم عن أبي جعفر عليهما السلام قال أن فاطمة ضمنت لعلي عليهما السلام عمل البيت والعيش والخبز وقم البيت (كتنسه) وضمن لها علي (ع) ما كان خلف الباب نقل الحطب وأن يجيء بالطعام فقال لها يوما يا فاطمة هل عندك شيء؟ قالت لا والذي عظم حفتك ما كان عندنا منذ ثلاثة إلا شيء نقرتك به قال : أفلأ أخبرتني؟ قالت كان رسول الله (ص) يكاني أن أسألك شيئا فقال : لا تسألي ابن عمك شيئا إن جاءك بشيء عفوا ولا فلا تسأليه ، قال فخرج (ع) فلقى رجالا فاستقرض منه دينارا ثم أقبل به وقد أمسى فلقى مقداد بن الأسود فقال للمقداد : ما أخرجك في هذه الساعة؟ قال : الجوع ، والذي عظم حفتك يا أمير المؤمنين (ع) قال : قلت لأبي جعفر عليهما السلام : ورسول الله (ص) حي؟ قال : رسول الله (ص) حي ، قال : فهو أخرجنـي وقد استقرضـت دينارا وسأـثرـكـ بهـ فـدـفعـهـ إـلـيـهـ فأـقـبـلـ فـوـجـدـ رسـولـ اللهـ (ص)ـ جـالـسـاـ وـفـاطـمـةـ تـصـلـيـ وـبـيـنـ يـديـهاـ شـيـءـ مـغـطـيـ فـلـمـاـ فـرـغـتـ أحـضـرـ ذـلـكـ الشـيـءـ إـلـاـ جـفـنـةـ مـنـ خـبـزـ وـلـحـمـ ،ـ قالـ :ـ ياـ فـاطـمـةـ أـنـ لـكـ هـذـاـ .ـ

بأسبابها العادية ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ فهو . إذا . تطلب لخرق الأسباب المألوفة في الإيلاد . فقد حمل زكريا «هناك» مظهرا من مظاهير طلاقة المشيعة الإلهية ، الطليقة عن المألوف ، رغم ما نحسبه قانونا لا يختلف فنشك . إذا . في كل حادث خارج عن نطاق هذا القانون المزعوم ! .

فها هو زكريا الشيخ الكبير وزوجه . العاقران . اللذان لم يلدا في صباهم ، هناك تجيش في قلبه الرغبة في ذرية طيبة هبة من عند الله ، وحق له وهو يرى بين يديه مريم العذراء الصالحة الرعناء : ﴿وَزَكَرِيَا إِذْ نَادَ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَدْرِي فَرْدًا وَأَنْتَ حَيْزُ الْوَارِثِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَئِيْحَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّمَّا كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَذْعُونَا رَغْبَةً وَرَهْبَةً وَكَانُوا لَنَا خَائِشِينَ﴾ (٢١ : ٩٠) . ﴿دَكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَا ، إِذْ نَادَ رَبَّهُ نِدَاءً حَفِيًّا ، قَالَ رَبِّهِ إِنِّي وَهَنَ الْعَظَمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا ... وَإِنِّي حَفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَافِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا . يَرِئِنِي وَبَرِئُ مِنْ أَلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (٦ : ١٩) . ﴿فَنَادَهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةِ مِنَ اللَّهِ وَسِيدًا وَحَصُورًا وَتَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٣٩) .

« هنا » نادته الملائكة وفي مريم ﴿يَا زَكَرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ...﴾ (٧) ولا منافاة بينهما فان الملائكة هم وسطاء في ذلك البلاغ المبين .

والتبشير هنا يحمل مواصفات اربع ليحيى :

١ ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةِ مِنَ اللَّهِ﴾ هي المسيح عيسى بن مريم ، فانه كلمة قالها من قبل<sup>(١)</sup> وكلمة دالة على الله تكوينيا حيث ولد دون أب ، وكلمة رسولية

(١) كما في الأصل العربي (نث ٣٣ : ٢ - ١) وزئت هرفاً أحشر بريخ موشة إيش ها الوهيم إت .

حيث تدل على الله بربانية اعماله وفعاليه وقاله ، وكلمة رسالية تكلم بها المرسل إلَيْهِم ، مربع الكلمات يحملها المسيح (عليه السلام) ولم يحملها كلها سائر الخلق أجمعين ، فقد ولد دون أب ولادة منقطعة النظير في تاريخ الإنسان ، وآدم لم يكن وليدا حتى يكون هو الاول في تلك الولادة ، فانما خلق من تراب.

وليس كونه كلمة آية خارقة للعادة من حيث الولادة ، ليفضله على سائر الرسل ، إذ إنها آية أقوى من سائر الآيات المبصرة لأن بني إسرائيل هم أقوى من سائر الأمم ، ثم آية القرآن هي أقوى الآيات الرسولية والرسالية على الإطلاق لأنها تخلق على كافة المكلفين منذ نزولها إلى يوم الدين.

٢ «وسيدا» : عظيما في الحقل الروحي علما وتقى ، يمتاز عن كثير من رجالات العلم والتقوى ، الرسالين و «سيدا» في كل حقول السيادة الصالحة.

فالتصديق بكلمة من الله ، والسيادة الالاقية للقيادة ، والحصر عن كل الشهوات ، كل هذه من الشروطات الأصيلة للنبوة حيث تجمع القيادتين : الروحية والزمنية.

٣ «وحصورا» مبالغة الحصر ، وهو الحصر عن الشهوات محمرة ومرجوبة ، دون الراجحة في شرعة الله كالنكاح ، خلاف ما يهرف بشأنه

- بني إسرائيل لفني موتوا (١) ويومر يهواه مسّيني باو زارح مسّعير لامو هو فيع مهر فاران وآتاه مرببت قدش مى مينواش دات لامو .

«وهذه بركة باركها موسى رجل الله بني إسرائيل عند موته (١) وقال : الله من سيناء جاء تجلى من ساعير ، تطلع من جبل فاران وورد مع آلاف المقدسين من يمينه ظهرت الشريعة النارية». أقول : وفي دعا السمات : «ومجدك الذي ظهر على طور سيناء فكلمت به عبدك ورسولك موسى بن عمران وبطلعتك في ساعير وظهورك في جبل فاران بربوات المقدسين وجند الملائكة الصافين وخشوع الملائكة المسيحيين».

تبجيلا له وتخجيلا لكل هؤلاء الذين تزوجوا من نبيين وسواهم من الصالحين ، لا ! وإنما «حصورا» نفسه عن الشهوات واللهوات المرجوحات ، وحصورا كل وجهه بكل وجوهه إلى الله ، فهو حصور في «لا إله» ثم حصور في ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ حسرا عما سوى الله وحصرا في الله . والحديث الخبيث المفترى على الرسول الظاهر الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم) ، المخلق للذنب على الكل إلا يحيى (عليه السلام) لأن ذكره مثل هدبة الشوب<sup>(١)</sup> مضروب عرض الحائط حيث يمس من كرامة الخالق للعورات والشهوات الحللة ، ومن كرامة الصالحين الناكحين حلاً !.

أجل ! وقد تعني «حصورا» فيه فيما تعنيه ، تركه . كما المسيح (عليه السلام) . للزواج على شبهه ، ترجيحا لتقديم الدعوة الرسالية على تحقيق الشهوة الحللة ، إذ لم تكن ظروفه لتسمح له بالجمع بين الزواج وتحقيق الرسالة ، معاكسا لحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث اقتضت ظروفه

(١) الدر المنشور ٢ : ٢٢ . أخرج ابن حجر وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر عن عمرو بن العاصي عن النبي (ص) قال : ما من عبد يلقى الله إلا ذنب إلا ذنب إلّا يحيى بن زكريا فإن الله يقول : وسيدا وحصورا ، قال كان ذكره مثل هدبة الشوب وأشار بأعملته .

أقول : ولا يرجى من ابن العاصي إلا هكذا اختلاف معادي على رسول المهدى (ص) . واختلاف آخر حفاظا على «حصورا» له إيجابا وعلى غيره سلبا ، أخرجه الطبراني عن أبي أمامة قال قال رسول الله (ص) أربعة لعنوا في الدنيا والآخرة وأمنت الملائكة رجل جعله الله ذكرا فأنت نفسه وتشبه بالنساء وامرأة جعلها الله أثثى فتنذكرت وتشبهت بالرجال والذي يضل الأعمى ورجل حصور ولم يجعل الله حصورا إلا يحيى بن زكريا ، أقول : ذكره حصورا في الذكر الحكيم دليل أنه من كمالاته الممتازة ففيه إذا نقص وعدوا بالله من هذه الجهالة المزدوجة !.

وفي نور الثقلين ١ : ٣٣٥ عن الجمع «وحصورا» لا يأتي النساء وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) .

الرسالية زوجا وأكثر من الأربع المسموح للأمة تحقيقا حقيقة لكرامة الرسالة بضم عوائل كثيرة إلى خصميه.

إذا ف «حصورا» المخلق على كل داعية إلى الله تختلف ظروفه وطقوسه في البعض من مصاديقه ، فكما النكاح راجع ام واجب أحيانا ، كذلك هو مرجوح او محروم أحيانا أخرى ، والمحصور هو الذي يتبع صالح الدعوة وفقا لظروفها المواتية المناسبة.

﴿ وَنِيَّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ وترى هناك أنبياء غير صالحين حتى يوصف هنا «نبيا» بـ

﴿ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾؟

كلا ، حيث يعني «نبيا» رفيع الدرجة ، ولأن رفعة الدرجة درجات هنا يقيد بـ ﴿ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ يعني المسلمين ، حيث المسلمين درجات والنبيون منهم أرفع شأنًا وأنى مكانة ويحيى منهم ، كما و ﴿ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ آباء وأمهات منذ آدم إلى زكريا.

فلقد استجيبت الدعوة الحانية ، المنطلقة من القلب الطاهر الحاني ، الذي علق رجاءه بسميع الدعاء ، وهو يملك الإجابة كيف يشاء حيث يشاء ، استجيبت في «يجي» الذي ﴿ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلِ سَمِّيًّا ﴾ . ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةِ مِنَ اللَّهِ ﴾ اسمه المسيح عيسى بن مریم «وسیدا» كريما «وحصورا» يحصر نفسه عن الشهوات ويملك زمام نزعات من الانفلات ، «ونبيا» رفيع المنزلة ﴿ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ الرساليين.

ذلك! ولكننا نسمعه كأنه يستغرب ما استقر به الله ، استغرابا عن عقره وزوجه لا عن

رحمة الله :

﴿ قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأَمْرَأٍ عَاقِرٍ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (٤٠).

ولكن «أني» سؤال عن زمن تحقيق البشرة ، وليس استفهام انكار واستبعاد عنها ، فلم يقل «كيف . او . اين» وانما «أني» . ولكن لا تتأخر اكثراً مما تأخرت يعرض حاله **﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبِيرُ﴾** وحال زوجه **﴿وَامْرَأِي عَاقِرٌ﴾** فأجيب من فوره بتأكيد البشرة «قال كذلك» **﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾** دون رادع البعيد بعيد عن حساب الناس ، العظيم العظيم عند الله **﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾** ولا مانع ، فاما امره إذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون ... فلا ينسب إلى اي عاقل فضلاً عن النبي ان يستبعد من رحمة الله ما رجاه ودعاه ولقد كانت «أني» في موقعها . حين يرى ان البشرة واقعة موقعها . إذ يتنهج بمجارته لها فوزاً بمحظتها ، حاصلاً على مزيتها ، فتطلب زمن تتحققها ، عالماً انه يورق المتشيم ويستنتاج العقيم.

وهذه طبيعة الحال لمن بشر بما يتمناه ، وهي غريبة عن حاله على رجاءه أن يولد له فرط السرور عند اول ما يهجم على سمعه ما تقاضاه ، استثنافاً في المعرفة وزيادة في الاستبانة ، ولا اقل من استعلام زمن الهمزة المبشرة.

اجل و **﴿قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبِيرِ عِتِيًّا﴾** (١٩ : ٨) عرضاً لحاله بعيدة عن هذه الرحمة الغالية ، بعد ان دعا ربها **﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾** وهو الرحمة اللدنية الخاصة ، بعيدة عن المألف تكويناً وتشريعاً ، وهذه شيمة كريمة من الصالحين في دعاءهم عرضاً لفقرهم وغناه ، واستعراضاً لسلب اهليتهم في أنفسهم رجاء رحمة الله.

فما اقبحه تأويلاً عليلاً قيلة القائل : ان الله لما بشره بالولد . وكان عنده ان العاقر لا تلد . والعقيم لا تنسل . اعترضه الشيطان حين نادته الملائكة ان ما سمعه انا هو منه لا منهم ، فشك فيما بشر.

وذلك جهل عظيم من قائلة وقلة بصيرة بمنازل الوحي ، فإنهم بخل

أقدارهم عن تلاعب الشيطان بهم ، وان تخلط النداءان عليهم.

فإذا كانت الملائكة هي التي بشرته كما قال الله ، وقد جرت عادته الرسالية باستماع كلامها ، وألف مهابطها ، وثلج صدره بما تؤديه عن ربهما ، فأي عاذرة له . إذا . في ان يعترضه الريب او يختلجه الشك.

ولو كان مرتابا في بشارته فكيف ينادي ربه فيها ﴿رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ ...﴾؟!.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آتَاكَ أَلَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً وَإِذْكُرْ رَئِكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعُشَّى وَالْإِنْكَار﴾ (٤١).

هنا ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ وفي مريم ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ﴾ تتجاوיבان في مجموع الثلاث الليالي والأنوار .

والآية المطلوبة هنا ليست آية لأصل البشرة كأنه شاك فيها ، واما في زمنها حتى يحضر نفسه في حالة خاصة وهالة من عبادة راقصة لاستقبال تلك البشرة والتفصيل الى سورة مريم (عليها السلام) حيث نفصل فيما فصل الله ونجمل فيما أجمله الله.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٢).

هنا تشافه الملائكة مريم الطاهرة المصطفاة وحيا دون رسالة تحمل شرعا رسالية ، فلم تصيح به مرسلة من الله كالرسل ، وكما ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْ أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ وحيان هما تقدمتان لوحين رساليين موسوي ويعيسوي (عليهما السلام) ، كما والمؤمنون المستقيمون ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجُنَاحِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أُولَئِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

**الآخرة ولُكْمٌ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلُكْمٌ فِيهَا مَا تَدَعُونَ** ﴿٤١﴾ (٣١ . ٣٠ :).

و «اصطفاك» الأولى دون متعلق ، قد تعني غير الثانية فانها **﴿عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾**

دونها ، إذ لا تصح «وطهرك على نساء العالمين» حتى تقبل العطف.

وهذه العناية المختلفة هي طبيعة الحال في تكرار ، ولا سيما بوسط غير المكرر «وطهرك» فلتكن الأولى اصطفاء غير التطهير المتوسط وغير الاصطفاء الثاني ، فقد تعني اصطفاءها على ذكر تطلبته أمها محرا ، كما اصطفاها على كل ذكر لا ينجب ولدا دون أنثى وهي أنجبته دون ذكر ، كما واصطفاها من ذرية الأنبياء المصطفين المرسلين <sup>(١)</sup> والى سائر الميزات الأنثوية ، ولكنها على قمتها بحاجة الى طهارة قمة تندوّد عنها مستلزمات تحررها لخدمة البيت خلطا بالرجال على أية حال ، فلذلك :

«وطهرك» طهارة مطلقة تناسب الاصطفاء سببا ونتيجة و «طهرها من ان يكون في

ولادتها من آبائها وأمهاتها سفاح» <sup>(٢)</sup> ومن أن تأتي سفاحا ... ومن ثم الاصطفاء الثاني :

**﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾** اصطفاء يحلك على كل صفة سامية ، ومن ذلك اختصاصها في خطاب ربها **﴿يَا مَرْيَمَ اقْنُتِي ..﴾** <sup>(٣)</sup>.

أترى أن سعة **﴿نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾** هي عرض المكان وطول الزمان؟ فهي . إذا . مفضلة

على الصديقة الطاهرة . وهي خير نساء العالمين من الأولين والآخرين !.

(١) نور الثقلين ١ : ٣٣٦ عن تفسير العياشي عن الحكم بن عتبة قال سألت أبا جعفر عليهما السلام عن قول الله في الكتاب **﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمَ ...﴾** اصطفاها مرتين وإلا الاصطفاء إنما هو مرة واحدة؟ قال : فقال لي يا حكم إن لهذا تأويلا وتفسيرا فقلت له ففسره لنا أباك الله فقال : يعني اصطفاه إليها أولا من ذرية الأنبياء وطهرها من أن يكون في ولادتها من آبائها وأمهاتها سفاحا واصطفاها بهذا القرآن : **﴿يَا مَرْيَمَ اقْنُتِي ..﴾**.

رجالاً ونساءً كما شرحنا عند تفسيرها في آية التطهير بقول فصل ، فهي خير العالمين . كأبيها وبعلها وبنيها المعصومين . رجالاً ونساءً ، فهي مفضلة على نوح وابراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام) فضلاً عن مريم سلام الله عليها .

وما يروى عن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ان «أفضل نساء العالمين خديجة وفاطمة ومريم وأسيمة امرأة فرعون»<sup>(١)</sup> لا يعني مساماًهن مع بعض ، وإنما فضلهم على النساء ، على تفاضلهم فيما بينهن .

ذلك كما وهي سيدة نساء أهل الجنة لا مريم البتوول<sup>(٢)</sup> فهي . إذا . «أفضلهن عالما»

<sup>(٢)</sup> في الدنيا والآخرة .

ذلك . وليس ذكر مريم سلام الله عليها مرات في الذكر الحكيم وتطهيرها واصطفاءها إلا ذوداً عنها وابنها المسيح (عليهما السلام) ملابساتهما من الشبهات التي لم يتورع اليهود والنصارى ان يلصقونها بهما ، وإنما فلا دافع لذكر النساء بأسمائهن في القرآن كما لم يذكرون فيه إلا هي .

(١) الدر المنشور ٢ : ٢٣ . أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) أفضل ... وفيه أخرج ابن مردوية عن أنس قال قال رسول الله (ص) أن الله اصطفى على نساء العالمين أربعة أسيمة بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخدجية بنت خويلد وفاطمة بنت محمد (ص) ، وأخرج أحمد والترمذى وصححه وابن المنذر وابن حبان والحاكم عن أنس أن رسول الله (ص) قال : حسبك من نساء العالمين ....

(٢) المصدر أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير عن فاطمة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله (ص) : أنت سيدة نساء أهل الجنة لا مريم البتوول .

(٣) المصدر أخرج ابن عساكر من طريق مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي (ص) قال : أربع نسوة سادات عالمهن مريم بنت عمران وأسيمة بنت مزاحم وخدجية بنت خويلد وفاطمة بنت محمد (ص) وأفضلهن عالما فاطمة .

أم ان القدر المعلوم من «العالمين» عالمي زمانها الحاضر ، ام والغابر الى حواء ، واما المستقبل فلا ، فلأن الاصطفاء ماض في «العالمين» إذا ماضون ، فلا يعني إلا ماضيه في الماضين دون الآتين إلى يوم الدين ، فالشمول ملن يأتي بحاجة الى دليل وليس فليس.

صحيح ان العالمين في **﴿زَرِّ الْعَالَمِينَ﴾** يعمهم كلهم ولكن بغيرنة الرب الملحق روبيته على كلهم ، واما الخلق قضية محدوديته هي محدودية العالمين إلا بدليل.  
واما الصديقة الطاهرة فهي حسب النص «خير نساء العالمين من الأولين والآخرين»<sup>(١)</sup>.

وحتى لو دل دليل على اصطفاء مريم على كل نساء العالمين . ولن . فآية التطهير ترفع دور فاطمة في العصمة الى القمة الحمدية الفائقة على كل العالمين

(١) مجمع البيان : أي على نساء عالمي زمانك لأن فاطمة بنت رسول الله (ص) سيدة نساء العالمين وهو قول أبي جعفر عليهما السلام ، وفي نور الثقلين عن أمالي الصدوق بإسناده إلى النبي (ص) أنه قال أيما امرأة صلت في اليوم والليلة خمس صلوات وصامت شهر رمضان وحجت بيت الله الحرام وزكت ما لها وأطاعت زوجها ووالدت علينا دخلت الجنة بشفاعة ابنتي فاطمة عليها السلام وإنما لسيدة نساء العالمين ، فقيل يا رسول الله هي سيدة عالمي زمانها؟ فقال (ص) ذاك مريم ابنة عمران وأما ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين وإنما لتقوم في محارتها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين وينادوها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون يا فاطمة إن الله اصطفاك وظهرك واصطفاك على نساء العالمين.

أقول : وهذا النص متواتر من طريق الفريقين توافرا معنويا أنها أفضل من نساء العالمين من الأولين والآخرين دونما استثناء وإنما سيدة أهل الجنة (راجع ملحقات احراق الحق ٩٦ - ٦٩ : ١٠) وسيدة نساء هذه الأمة (١١٥ : ١٠٣) تجد مئات الأحاديث من طرق إخواننا حيث تعني أفضليتها المطلقة على نساء العالمين في الدنيا والآخرة.

ومكثت بالبيت تعبد رجها متحررة للخدمة ، ملخصة في القيام بالسدانة حتى صارت مضرب الأمثال ، لأن رجها **أَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا رَجَرِيًّا ...**

تقبليها ربيها محررة للبيت ولا يحق لخادمة البيت ، والمنذور لتلك الخدمة ، المقبولة عند ربيها ، لا يحق لها خدمة أخرى ، لزوج وسواه ، فلا تفكـر . إذا . في زواج وسواه ما استلزم الخروج عن البيت ، او خدمته داخل البيت ، ولا تعرضها فكرة الخروج لأية حاجة إذ كانت مكفولة الرب في كل حاجياتها محررة بالبيت.

إذا فككة الزواج او اختيار خطيب لها نائية عن خلدها ، بعيدة عن تحررها ، لأنها تنافي ونذر أمها وتقبل رحها بقبول حسن.

﴿ذلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعِصْبِ نُوَحِّيْهُ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقَوْنَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٤٣).

«ذلك» الذي أبناك من القصص **﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾** ومنها الاقتراع بشأن من يكفل مريم **﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقَوْنَ أَفْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْءَمَ﴾** وذلك بوجي من الله الى زكريا بشأن هذه الكفالة المختص بغيرها بين القديسين **﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصُّونَ﴾**.

فقد كان هناك اختصار بشأن تلك الكفالة الكافلة لصالح مريم سلام الله عليها ،  
فلا إن القرعة لكل امر مشكل ، أمروا بذلك الاقتراع حسماً للموقف بما يشاء الله فيه ، وعلمه  
دون وحي خاص بكفالة زكريا رعاية لذلك الجمع القديس.

لقد كانت كفالتها فريضة بارزة ل موقفها الخاص في تحررها ، فمن يكفلها إذا بين هؤلاء المختصمين بشأنها وهم كلهم صالحون؟ لا سبيل صالحة لتلك

ولأن فاطمة سلام الله عليها لم تذكر بأي سوء حتى في السنة أعدائها فلا موجب لذكرها اللهم إلا في جماع الطهارة والعصمة العليا مع أبيها وبعلها وبناتها كما في آية التطهير .  
 ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكَ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (٤٣) .

ذلك التخصص في خطابها بثلث القنوت والسجود والركوع لربها ، هو صورة لامعة من اصطفاءها على نساء عالمي زمانها وقبلها ، حيث لم تخاطب من قبلها كآسية وسوها بذلك الخطاب الحنون ، فهو خطاب رسالي مهما لم تكن هي من الرسل ، تدليلا على القمة البالغة فيها مبلغ الرسل ، فتخاطب كما يخاطبون ويوحى إليها كما يوحى إليهم اللهم إلا وهي الرسالة .

﴿ اقْنُتِي لِرَبِّكَ ﴾ في مطلق الطاعة والعبادة ، ثم في خاصتها التي هي عمود الدين ، المذكورة باسمها في جموع المصلين ﴿ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ .

فكم السجود والركوع هما معنيان بعنابة الصلاة ، كذلك الإتيان بهما في جماعة لمكان «مع» الشاملة لكليهما ، وليس جمعهما إلا في الصلاة ، فقد تأتي هذه الآية في عداد آيات فرض الجماعة في فرض الصلاة ، كـ ﴿ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ و ﴿ لَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾ وهي سبيل المسجد مكانا لزاما للصلاة .

فليكن القنوت للرب ، والمتمثل كأفضله في الصلاة ، ليكن في جماعة القانتين ، كشيرة عظيمة جاهرة ليل نهار أمام الناظرين ، فإن ﴿ مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ تعم مثلث القنوت والسجود والركوع .

فلقد نمت مريم وترعررت وشببت واشتد ساعدها وعمر قلبها بتقوها

النمام الذي كان في أصحابه بالقرعة بتعليم الله سبحانه وإيه «وكان رسول الله (صلى الله عليه وآلله وسلم) إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتها خرج اسمها خرج بها» واقترع (صلى الله عليه وآلله وسلم) بين أهل الصفة لتخرج إلى من يبعثهم إلى غزوة ذات السلاسل واقترع (صلى الله عليه وآلله وسلم) في غنائم حنين ليخرج سهم عينة والأقرع ، «واقتزع علي (عليه السلام) في الولد الذي كان بين ثلاثة» وكذلك القرعة لتعيين الشاة الموطئه التي دخلت بين الغنم وليس بمعونة (١).

وحين يقتزع النبيون في المشاكل وهم أصحاب الوحي فأحرى بنا أن نقتزع استناداً  
بستهم كما أمضها الله تعالى.

وفي ناصية الاقتراعات الرسالية ما اقترع رسول الله (صلى الله عليه وآلله وسلم) فكان  
إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه (٢).

كما «فاقرع (صلى الله عليه وآلله وسلم) بينهم والحق الولد الذي أصابته . صارت عليه  
القرعة» (٣).

«فاقرع بينهم فضمن الذي أصابته القرعة ثلثي الديمة» (٤).

(١) سفينة البحار ٢ : ٤٢٥ عن الصادق (ع) وقد رواها كلها عن الأئمة المعصومين عليهم السلام وقد وردت  
زهاء ثلاثة حديثاً في مختلف الأبواب في وسائل الشيعة كلها تقول ما معناه «القرعة لكل أمر مشكل».

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٥ : ٣٦٧ ، أخرجه بألفاظ عدة باختلاف المعنى عن : خ هبة ١٥ .  
جهاد ٦٤ . شهادات ١٥ ، ٣٠ . مغازي ٣٤ ، ٥٥ . تفسير سورة ٣٤ ، ٦ . نكاح ٩٧ . م فضائل الصحابة  
٨٨ ، توبة ٥٦ ، نكاح ٣٨ ، جه نكاح ٤٧ ، أحکام ٢٠ ، دی جهاد ٣٨ ، نكاح ٢٦ ، حم ٦ ، ١١٤ ،  
٢٦٩ ، ١٩٧ .

(٣) المصدر د طلاق ٣٢ ، ن نكاح ٥٠ ، جه أحکام ٢٠ .

(٤) المصدر حم ٤ ، ٣٧٣ ، وفيه : إن قوماً اختلفوا في الأذان فأقرع بينهم سعد.

المصلحة الروحية القمة إلّا الاقتراع وهو هنا كان بأقلام الوحي حيث كانوا يكتبون بها ، وما أنسبها بالنسبة لمن يكفل بالوحي ، والدة لصاحب الوحي العظيم المسيح (عليه السلام). لم يكن اختصاص هؤلاء الكرام عدائياً كاللثام ، وإنما سباقاً إلى رحمة الله وهم رفاق في الله وكما اختص الملاّء الأعلى ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٣٨ : ٦٩) كما واهل الجنة ﴿يَتَنَازَّعُونَ فِيهَا كَأساً لَا لَعْقَرَ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ (٥٢ : ٢٣).

ولقد جرى في ذلك الجرى قلم زكريا في الماء على خلاف الجرى خرقاً للعادة ، تبيينا انه هو المخصوص هنا بكرامة الكفالة على كرامتهم جميعاً فقضى الأمر كما أراد الله. وترى ما هي حدود القرعة حكمياً وموضوعياً في شرعة الله؟.

حين نرى أن الله تعالى يرضى هنا بالاقتراع ولم يشكل عليه حكم ولا موضوع ، وإنما رعاية لجمع القديسين ، فبآخرى لنا الاقتراع حين يشكل لنا أمر في موضوع وقد انقطعت كافة السبل والبراهين لتعيين الموضوع.

لا أقول إننا نستبطن الحكم بالقرعة ، حيث الأحكام العامة مبينة في الكتاب والسنة ، فاما ذلك هو الموضوع المبين حكمه ، المجهول مصادقه ، كواجب الكفالة لمريم (عليها السلام) ، ثم المصدق يتبين بالقرعة والله عالم بالحكم والموضوع ، ولكن المصلحة تقتضي تعيين الموضوع بالقرعة حسماً للاختصار ، وتجنبنا عن أي ترجيح بلا مرجع ظاهر. إذا فالاختصار صالحاً وسواء . هو المورد الصالح للاقتراع إصلاحاً للموقف وإيلاجاً للمختصمين ، فأي قضية أعدل من القرعة إذا فوض الأمر إلى الله تعالى لقوله ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ وكما استعلم موسى (عليه السلام)

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمُهَدِّ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّي أَنِّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَمَمْ يَسْسَنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧) وَيَعْلَمُهُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ وَالنَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهْيَنَةً الطَّيْرِ فَأَنْفَخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأَخْرِي الْمُؤْتَمِي بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَايَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَ مِنَ النَّوْرَةِ وَلِأَحْلَالِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ

فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٥١) فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى اِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطْهِرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلُفُونَ (٥٥) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعْدِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفَّىْهُمْ أُجُورُهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الطَّالِمِينَ (٥٧) ذَلِكَ نَتْلُوْهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ (٥٨)

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُفَرَّقَيْنَ﴾ (٤٥).

هنا قالات ملائكة لمريم سلام الله عليها بما أوحى الله ، تحمل البشرة بال المسيح (عليه السلام) مولدا ورسالة عالية بآيات لها ، قرأ عينها وقرارا لقلبها ، وخفيفا عن وطتها بحملها ووضعها دون بعل ، ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾.

لقد تحدّرت الأيام وتحدلت ، ففي يوم ما وهي في محاجها اضطررت نفسها فجأة وداخلتها رهبة لم تعهد لها من ذي قبل إذ تظهر أمامها ملاك الرب يبشرونها بوليد لها وجهه في الدارين ، ولا وجه لوجهه وغير وجهه من عذراء لم يمسسها بشر ولم تك بغيا!.

في سائر القرآن آيات ثلاث تواصف المسيح بن مريم (عليهما السلام) ب «كلمة» ثانية : ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰي مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ (٣٩) وثالثها : ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ الْقَالَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوْحَ مِنْهُ﴾ (٤١) مما ذا تعني كلمة الله بحقه (عليه السلام) ولم يوصف اي نبي ولا خاتم النبيين ب «كلمة»؟.

الكلمة لغويًا هي ما تدل على معنى ، شاملة للألفاظ الموضوعة على معانيها ، والمواضيع الدالة على واضعيها ، والأفعال الدالة على فاعليها وكياهم فيها ، أما إذا من دلالات في دالات وضعية أم ذاتية أم قصدية أماهية.

لذلك سميت ذوات محمد والحمديين صلوات الله عليهم أجمعين اسماء هي هي الكلمات ﴿وَعَلِمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ كما تقدمت في البقرة.

ذلك . إلّا ان اختصاص المسيح (عليه السلام) بوصف الكلمة يزيد على تلك الدلالة الأسمائية بما يخصّصه بالكلمة .

فهو نتيجة كلمة «كن» و ﴿الْمُهَمَّةُ الْمَسِيحُ﴾ وإن كان كل مولود يكون عند قوله تعالى : «كن» فإن كل مولود سواء إنما يكون بـ«كن» على طريق العلوق من الرجال ، و وسيط اللقاح المتعود من الرجال ، وليس كذلك المسيح (عليه السلام) فليختص بخاصة «كلمة» لخاصة «كن» الخارقة في بعد ثان بحقه .

فهو الكلمة الملقة الى مريم : ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ فالروح هو روحه وعلى الكلمة . إذا . هو جسمه : النطفة الرجولية الملقة إليها دون وسيط رجل ، ألقيت من المجرى التناسلي بدفع عبر عنه هنا بالإلقاء وفي غيرها بالتنفس ، وهما مشتركان في معنى الدفع . وقد تعني الكلمة المسيح . فيما عنت . كرور ذكره في منزلات كتب السماء المتقدمة لميلاده ورسالته ، فلما خلقه الله قال : هذه كلمتي المتقدمة ، فقد كانت البشرة . التي هي الكلمة . ابتداء معرفته بواقعه ، والمطرقة بين يدي مورده .

وكذلك كلمته التشريعية . إضافة إلى تكوينية . الدالة عليه ، الهدية إليه . ومهما شاركت المسيح سائر الكلمات تكوينية وتشريعية ، لم يكن ليشاركه في «كن» الخارقة ولادة دون أب ، اللهم إلّا آدم (عليه السلام) ولكنه . مع ذلك . لا يستحق كرامته هذه «الكلمة» لعدم ولادته هكذا وإنما خلق من تراب ولعدم جمعه سائر معاني الكلمة ، إلّا في بعضها عدّة وعدّة ضئيلة .

ومهما يكن من شيء فكلمة اسمه المسيح تصدق كأصدقه على تكوينه

الخارج عن المأثور ، وقد أقيمت الى مريم لقاها رجوليا دونما رجل ! . ﴿وَجِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ .

«وجيهها» عند الله ، وعند المخصوصين بالله والمقربين إلى الله ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم أفضل الوجهاء عند الله ، وهم السابقون كلخلق في معرفة الله وعبادته : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (٥٥ : ١١) .

ومقربون هم الذين قربهم الله إليه بما تقربوا إليه سعيا لأعلى قمم ، فأتم الله تقربهم إليه بما قربهم ، فعصمهم من كل زلة وضلة .

أجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكُ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ ليس من صلب رجل وإنما بنفح منه ﴿إِنَّهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وقد تعني تذكير «كلمة» هنا واقع ذكرة المسمى ، وأنها لا تعني فقط . كلمة لفظية ، بل وتكوينية هي واقع تكوينه المنقطع النظير .

وذلك من غرائب القرآن وبداعه وعجائبه ، حيث يذكر الكلمة في الضمير الراجع إليها رجعا إلى معناها ، فلو قال «اسمها المسيح» لأنليس اللفظ إذ لم يتقدم هنا ذكر المسيح (عليه السلام) ما يؤمن بالالتباس .

ثم نراها مؤنثة الضمير فيما أمن الالتباس ﴿وَكَلِمَتُهُ الْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ حيث تقدمت هناك أسماء المسيح وتعريفاته التي تؤمن بالإلباس .

او يقال تأنيث الضمير الراجع إلى «كلمة» مرة وتذكيره أخرى دليل الجواز للصورتين اعتبارا لجاز التأنيث .

أو أن المعنيين معنيان ، جمعا لأدب اللفظ إلى ادب المعنى ، وذلك من ميزات القرآن العظيم ، أن يجمع ميزات الألفاظ إلى ميزات المعاني .

ثم ﴿الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَم﴾ هو أجمع اسم وأشمله له (عليه السلام) ، وقد جاء المسيح إحدى عشر مرة ، وعيسى بن مريم خمسة وعشرون مرة في القرآن كله ، مما يدل على أن عيسى بن مريم هو اسمه الأصيل ، وعلل المسيح لقب له يصفه.

﴿وَكَلِمَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

ففي المهد لما أشارت إليه ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ...﴾ .  
 «وكهلا» وهو منذ ثلاثة وثلاثين من سني عمره الشريف او العشرين حيث ابتدأ واقع نبوته ودعوته ، وهو بين مهده وكهله لم يكلم الناس رساليا ، وإنما في المهد رسوليا ذودا عن ساحته وأمه وكما كان يبشر به بلسان يحيى (عليه السلام).  
 فنبوته . وهي بعد رسالته . ابتدأت منذ كهولته ، مهما كان نبيا يبدأ بالوحى غير الرسالي بين المرحلتين ، كما كان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل بعثته <sup>(١)</sup>.

(١) نور الثقلين ١ : ٣٤٦ في كتاب كمال الدين وقام النعمة بإسناده إلى محمد بن إسماعيل القرشي عمن حدثه عن إسماعيل بن أبي رافع عن أبيه قال قال رسول الله (ص) : إن جبريل نزل علي بكتاب فيه خبر ملوك الأرض وخبر من بعث قبلي من الأنبياء والرسل . إلى أن قال . : لما ملك أشجع بن أشجان وكأن يسمى الكيس وقد كان ملك مأيٍّ وستين سنة ففي سنة إحدى وخمسين من ملكه بعث الله عز وجل عيسى بن مريم (ع) واستودعه النور والعلم والحكمة وجميع علوم الأنبياء قبله وزاده الإنجيل وبعثه إلى بيت المقدس إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى كتابه وحكمته وإلى الإيمان بالله وبرسوله فأبى أكثرهم إلا طغياناً وكفراً فلما لم يؤمنوا به دعا رباه وعزهم عليه فمسخ منهم شياطين ليربهم آية فيعتبروا فلم يزدهم ذلك إلا طغياناً وكفراً فأبى بيت المقدس فمكث يدعوهم ويرغبهم فيما

عند الله ثلاثة وثلاثين سنة حتى طلبه اليهود وادعى أنها عذبته ودفنته في الأرض حيا وادعى بعضهم أنهم قتلوا وصلبوا وما كان الله ليجعل لهم عليه سلطانا وإنما شبه لهم وما قدروا على عذابه ودفنه ولا على قتله وصلبها لقوله عز وجل ﴿إِنَّ مُتَوَقِّيَكَ وَرَافِعَكَ إِلَيْهِ وَمُطْهِرَكَ مِنَ الظِّنَنِ كَفَرُوا﴾ فلم يقدروا على قتله وصلبها لأنهم لو قدروا على ذلك لكان تكذيباً لقوله ولكن رفعه الله بعد أن توفاه فلما أراد أن يرفعه أوحى إليه أن يستودع نور الله وحكمته وعلم كتابه به شمعون ابن حمون الصفا خليفة على المؤمنين فعل ذلك.

وفيه عن الرضا (ع) قد قام عيسى (ع) بالحجارة وهو ابن ثلاط سنين ، وفيه ٢٥٧ عنه (ع) قال: إن الله احتاج بعيسى (ع) وهو ابن ستين.

وفي بحار الأنوار ١٤ : ٢٥٦ عن الكافي الحسين بن محمد عن المخرياني عن أبيه قال كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن (ع) بخراسان فقال له قائل: يا سيدي إن كان كون فإلى من؟ قال: إلى أبي جعفر ابني ، فكأن القائل استصغر سن أبي جعفر عليهما السلام فقال أبو الحسن (ع): إن الله تبارك وتعالى بعث عيسى بن مریم عليهما السلام رسولاً نبياً صاحب شريعة مبتداة في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر.

أقول: لا يدل «أصغر» هنا على أنه منذ مهده ، فعلمه كان منذ سبع أو ثمان قبل التسع التي كان عليها أبو جعفر (ع) وكما في البحار ١٤ : ٢٥٥ عن الكافي عن يزيد الكناسى قال: سألت أبا جعفر (ع) كان عيسى بن مریم عليهما السلام حين تكلم في المهد حجة الله على أهل زمانه؟ فقال: كان يومئذ نبياً حجة الله غير مرسل أما تسمع لقوله حين قال: ﴿إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ﴾؟ قلت: فكان يومئذ حجة الله على زكريا (ع) في تلك الحال وهو في المهد؟ فقال: كان عيسى في تلك الحال آية للناس ورحمة الله من الله لمريم عليها السلام حين تكلم فغير عنها وكان نبياً حجة على من سمع كلامه في تلك الحال ، ثم صمت فلم يتكلم حتى مضت له ستان وكان زكريا الحجة لله عز وجل على الناس بعد صمت عيسى (ع) بستين ثم مات زكريا (ع) فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبي صغير أما تسمع لقوله عز وجل: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِينَاهُ الْحُكْمُ صَبِيًّا﴾ ، فلما بلغ عيسى سبع سنين تكلم بالنبوة والرسالة حين أوحى إليه فكان عيسى الحجة على يحيى وعلى الناس أجمعين وليس تبقى الأرض يا أبا خالد يوماً واحداً بغير حجة على الناس منذ خلق الله آدم (ع) وأسكنه الأرض.

فلو أنه كان يكلم الناس رسالياً بينهما كما فيهما لكان صحيح العبارة عنه «ويكلم الناس طول عمره . او . منذ مهده إلى صعوده» ولكنه **﴿في المهد وكهلا﴾** كما يقال مرجعنا مرجع للتقليد في ايران وفي باكستان ، حيث لا يعني أنه كذلك مرجع في البلاد الفاصلة بينهما فان حق تعبيره . إذا . في ايران الى باكستان.

فقد كان تكليمه الناس **﴿في المهد﴾** بشارة تمهيدية لرسالته كهلا ، وذودا عن ميلاده وصمة الرجس ، فهو يحمل خارقة حالية في أصل تكليمه وهو وليد سويعت ، وأخرى استقبالية حيث يكلمهم رساليا «كهلا».

كما وأن تكليمه «كهلا» وهو في نفسه خارقة ، تحقيقا لكلامه في المهد ، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء.

ونرى كهلا يحضر فقط السنتي الثلاث لرسالته الظاهرة؟ وهي ثابتة منذ بعثه الى ابتعاث محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) !.

إن تكليمه «كهلا» ينقسم إلى التكليم الرسالي منذ بعثه إلى صعوده جاهراً ظاهراً ، وتکلیمه برسالته منذ صعوده حتى بعث الرسول محمد (صلى الله عليه وآلہ وسلم) ، ثم وتکلیمه بغير الرسالة الفعلية حين ينزل ويصلی خلف الإمام المھدی (عليه السلام) ، فإنه منذ الرسالة الحمدية أصبح من أمته (صلى الله عليه وآلہ وسلم) دون عزل عاضل قادر ، وإنما هو انزال فعلى بشأن الاتمام من هو أفضل منه ، على عصمته وقداسته الرسالية السامية ، حيث العصمة لا تختص بالرسول والإمام معه أو بعده ، فقد حمل العصمة الثالثة بعد الأولى وهي نفسها إلا الرسالة.

ولن رفع المسيح (عليه السلام) ولو ثلاثة وثلاثون سنة والكھل ما اجتمع قوته وكمل شبابه مأخذوا من أكتھل النبات إذا قوي ، ففي غالب الظن

أنه بدأ بالدعوة الرسالية منذ العشرين ، إلا إذا دل دليل قاطع على أكثر منه ، وقد يروى عن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أن سني دعوته الرسالية بشخصه كانت ثلاثة وثلاثين سنة ، إذا فقد يكون صعوده في ثلاثة وخمسين من عمره الشريف ، ورسالته منذ كهولته كما تلمحناها من «وكهلا» ويدل عليه الإنجيل<sup>(١)</sup>.

وترى ما هو دور ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ هنا ، بعد ﴿وَجِئَهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ هناك؟

قد تعني ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الصلوح لتلك الرسالة العظمى والنبوة العليا ، دون مطلق الصلاح الشامل لمطلق الوجهاء والمقربين.

ذلك . وكما يلتمسه سليمان النبي ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢٧) : ١٩ ) وأفضل منه ابراهيم من قبل ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (٢٦) : ٨٣ . ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢٩) : ٢٧ .

(١) في إنجيل يوحنا ١ : ١٩ : ٢٧ : وهذه شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولوبيين ليسألوه من أنت؟ فاعترف ولم ينكر وأقر إيني لست أنا المسيح فسألوه إذا ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال : لست أنا ، النبي أنت؟ فأجاب لا ، فقالوا من أنت لتعطي جوابا للذين أرسلونا ماذا تقول عن نفسك؟ قال : أنا صوت صارخ في البرية ، قوموا طريق الرب كما قال أشعيا النبي وكان المسلمين من الفريسيين فسألوه وقالوا له ما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي أجاهم يوحنا قائلا : أنا أعمد بماء ولكن وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه». أقول : فقد كان المسيح قائما بينهم وهم لا يعرفونه بالرسالة الفعلية وكيف يقوم بينهم وهو في المهد صبيا.

هذا . وقد تعني ﴿مِن الصَّالِحِين﴾ فيما عنت تخليق الصلاح على كل كيانه ، كعبارة ناطقة عن كل نبوة الصلاح وحلقاته بعد ما ذكر قسم منها عظيم ، فهو إذا تعميم بعد تحصيص .

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَمَمْسَسِنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٤٧ .

«قالت» محتارة من بشارة الولادة «رب» الذي ربيتني تكوينيا لا أنتج ولدا إلا بأسبابه المقررة عندك ، وتشريعيا إذ ظهرتني عن كل سوء وفحشاء ف «أني» بالإمكان عاديا ﴿أَنِّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَمَمْسَسِنِي بَشَرٌ﴾ لا حلا ولا عودا بك . حراما : ﴿أَنِّي يَكُونُ لِي غُلامٌ وَمَمْسَسِنِي بَشَرٌ وَمَمْأُوكٌ بِعِيَّا﴾ (١٩ : ٢٠) .

﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾ البعيد في حساب الخلق ، العظيم الكريم في تكريم من يشاء ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ بمشيئة طليقة دونها رادع أو مانع ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ ليكون أيا كان ، فليس يحتاج إلى تقدمات هو مقررها ومقدّرها في متعدد التكوين ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ﴾ وهو قول الإرادة الربانية ولا مخاطب له إلا التكوين دون الكائن به فإنه من تكوين الكائن ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ دوغما نظرة لآخر أو أمر آخر .

﴿وَيُعَلَّمُهُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ وَالثَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ﴾ ٤٨ .

على «الكتاب» هنا . وهو جنسه . كل كتابات السماء النازلة قبله ، وذلك من شروطات كل رسالة لاحقة أن يعلم رسولها سابقتها بسابقتها ، حيث الرسالات ككل هي سلسلة موصولة بعضها ببعض ، صادرة عن مصدر واحد ، واردة إلى امة واحدة ، مهما اختلفت شكليات وطبقوس ظاهرية فيها .

و «الحكمة» هنا بعد الكتاب ، هي تحكيم عرى الوحدة بين كتابات السماء في خلد الرسول ، كما هو بأحرى تحكيم الإنجيل عن أي إنفلات في لفظه

او معناه ، استفسارا لبعضه ببعض ، واستيحاء فيما يحتاج الى تفسيره من الله .  
وذلك بعد تحكيم فطرته وعقليته وكل إدراكاته وإحساساته بالعصمة البشرية والإلهية  
تحكيميا عن كل انفراط وانحطاط ليكون حكيميا في حمل رسالة السماء والدعوة الرسالية الى  
الله .

ثم «التوراة والإنجيل» هما أهم مصاديق «الكتاب» قبل القرآن ، وأتمها رباطا بالرسالة  
العيساوية ، حيث التوراة تحمل شريعة الناموس التي لم تبدل في الإنجليل إلا ندرا .  
ومما يلمح له إفراد «التوراة والإنجيل» وحدة كلّ منها ، دون كثرة مختلقة ولا سيما في  
الإنجيل .

**﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُكُمْ بِآيَةً مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهْيَةً  
الظَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْرِيَ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ  
بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ٤٩ .**

أتراه فقط **﴿رَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** دون كافة المكلفين؟ وكما يروى <sup>(١)</sup> ولولاية العزم  
في رسالة يحملها المسيح تقضي طيق الرسالة والدعوة دون اختصاص ! .  
إنه **﴿رَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** كمبده الدعوة ومنطلقها كما كانت لموسى وابراهيم  
ونوح (عليهم السلام) ، وكذلك هذا النبي (صلى الله عليه وآله

(١) نور الثقلين ١ : ٣٤٣ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى محمد بن الفضل عن أبي حزنة الشعالي  
عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام حديث طويل يقول فيه : ثم إن الله عز وجل أرسل عيسى (ع)  
إلى بني إسرائيل خاصة فكانت نبوته ببيت المقدس .

وسلم) الذي بدأت رسالته في العرب ثم الى الناس كافة.

وهذه طبيعة الحال لكل داعية ان يتبع في البداية كتلة خاصة هم اقرب اليه وأحوج الى الدعوة ام وأحرى لحملها الى سائر المدعىين ، وقد بلغت عامة الرسالة العيساوية لحد ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ (٤ : ١٥٩) وهي كالرسالة الموسوية : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بِصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٨ : ٤٣).

ذلك! مع تصاريح عده في آيات ان الرسولين أرسلا إلى بني إسرائيل كأم الدعوة في قراها توحيدا وتوطيدا لعراها : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْفُرْقَى حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَا رَسُولًا﴾ (٢٨ : ٥٩).

ثم وطبيعة الحال في رسالة ناسخة لما قبلها وإن في حكم واحد ، أن تشمل كافة المكلفين ، ذودا عن اي ترجيح بلا مرجع ، وتوحيدا للشريعة الحاكمة على العالمين في كل دور من أدوار الشرياع الخمس ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكُمْ وَمَا وَصَّنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (٤٢ : ١٣) إذا فكيف بالإمكان تفرق شريعة الله في دور واحد وبإذن الله : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (١١٩ : ١١) وحاكمية اكثرا من شريعة واحدة في دور واحد هي حاكمية الاختلاف القاصد وهو خلاف الرحمة.

واما واقع اتباع شرائع عده في طائل الزمن الرسالي ، فليس الا من واقع التخلف عن شريعة الله ما لم يأذن به الله ، حيث أمرنا ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ ! . «رسولا ... أين» وذلك هو القالة الثانية بعد دعوى الرسالة ﴿أَيَ قَدْ

**جُنُكُمْ بِآيَةٍ** ربانية على ما أدعى من رسالة ، آية قاطعة قاسعة أني رسول من الله ،  
فليست . إذا . إلا خارقة ربانية لا يستطيع عليها أحد إلا الله : **أَنِّي أَخْلُقُ كُمْ** كوسيط في  
تحقيق تخليق الآية الرسالية و **هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ** (٣٥ : ٣٥) فسبة الخالقية إلى المسيح  
(عليه السلام) ليست إلا بوساطة فيها والخالق هو الله ، كما الوالد والد أصلالة وقد يعبر عنه  
بالخالق وسيطاً لخلق الله **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** (٤٠ : ٦٢).

**أَنِّي أَخْلُقُ كُمْ مِنَ الطِّينِ كَهْيَةَ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ** فهنا أذنان  
تكوينيان : خلقاً كهيئه الطير وهي الهيئة الجسدانية للطير بالأجزاء الحيوانية عظاماً ولحما  
وعروقاً ودمها وريشاً ، ثم نفخا فيه تكويناً لروح الطير : **وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهْيَةَ الطَّيْرِ**  
**بِإِذْنِ فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ...** (٥ : ١١٠) ف «بِإِذْنِ ... بِإِذْنِ» تخلقان على  
كل الخلقين : خلق جسم الطير ثم خلق روحها .

إذا فلا دور للمسيح هنا في «الخلق» إلا اختلاق صورة طينية من الطير ، قد يفوقه  
فيه عمال التمايل ، وأما تحول الهيئة الطينية هيئة جسدانية للطير ، ثم نفح الروح فيها فتكون  
طيراً ، أما هما فليسا إلا بِإِذْنِ الله .

ودور المسيح هنا ، الممتاز عن سواه ، أنه يحمل آية ربانية دالة على رسالته ، أن الله  
يأذن لما صنعه أن يكون كهيئه الطير ، ويأذن بما نفح فيها أن تكون طيراً ، تدليلاً على  
اختصاصه بالله ، وما هو هنا إلا رسالة الله .

فلا دور للمسيح في خلق كشريك الله ، أو مخول من عند الله ، وعوضاً بالله ! فإنما يحمل  
آية ربانية على اختصاصه بكرامة الرسالة ، دون أن يحيط علماً أو قدرة بآية الله ، وإن لم  
تكن آية خاصة بالله ، ليعرف من خلالها رسالة الله .

وهكذا تكون كافة الآيات الرسالية لكافة رسائل الله بأسرها في حصرها بالله ، دون تدخل لهم فيها مستقلين فمستغلين ، ولا مخولين ، ولا شركاء لله في آيات الله ، فإنما هم رسول الله فيما يأتون به من آية رسولية أو رسالية ، ليس لهم من الأمر شيء تكوينا ولا تشريعا ، فانما هم حملة شرعة الله بعصمة ربانية تعصّمهم عن الخطأ في البلاغ بأبعاده تحملوا للوحي وإبلاغاً وتطبيقاً شخصياً وجماعياً.

ذلك! وكذلك الثلاثة الأخرى بأضرابها من آيات رسولية أو رسالية : ﴿وَأَبْرِئُ  
الْأَكْمَةَ﴾ وهو المولود مطموس العين ، أو أعم منه ومن الضرير بعد كونه بصيرا «والأبرص»  
الأبيض الجلد بعضا ، وهو داء معروف يصيب الجلد ﴿وَأَحْيِ الْمَوْتَى﴾ وكل ذلك كما الطير  
في بعديه ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لا سواه : ﴿وَتُبَرِّئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾  
(٥ : ١١٠) كذلك ﴿وَأَنِّسْتُكُمْ إِمَّا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ بإنبائي ، آيات اربع  
تتجاوיב في كونها آية للرسالة العيساوية ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ .  
هذه خطوة أولى لهذه الرسالة السامية تثبت نفسها ، ومن ثم كتصديق لها وبيان مادتها  
الأصلية :

﴿وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلَا حِلَالَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِنْتُكُمْ بِآيَةِ  
مِنْ رِبَّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ﴾ ٥٠

فتتصديق ما بين يديه من التوراة تصديق لرسالة الإنجيل فإن رسالات السماء تتجاوיב  
في جذورها مهما اختلفت في بعض شواكلها ، إلا أن رسالة الإنجيل هي رسالة التوراة  
اللهم إلا في تحليل بعض المحرمات الابتلاوية أو العقابية : ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمَنَا  
عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أَحِلَّتْ لَهُمْ﴾ (٤ : ١٦٠) ومن هذه الطيبات : . ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا  
حَرَّمَنَا كُلَّ ذِي طُفْرٍ وَمَنْ

**الْبَقَرُ وَالْغَنِمُ حَرَّمَنَا عَلَيْهِمْ شُحْوَمَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلْتُ طُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَایَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظِيمٍ ذَلِكَ جَزِئُنَا هُمْ بِإِغْيِيهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦﴾ (١٤٦).**

ومنها : **﴿وَسَلَّهُمْ عَنِ الْقَرْبَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِينَأُكُمْ يَوْمَ سَبِّتِهِمْ شُرَّعاً وَبَيْوَمَ لَا يَسِّتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوْهُمْ إِمَا كَانُوا يَفْسُّرُونَ ﴿٧﴾ (١٦٣).**

فقد تكفي في ولادة العزم بعض الاختلاف بين أحكام الشريعتين نسخا او تكميلا ، توسيعا او تضييقا ، وشريعة الإنجيل تابعة لشريعة التوراة إلا في تحليل البعض مما حرم في التوراة.

لذلك ترى رسلي الجن يعتبرون شرعة القرآن بعد التوراة دون ذكر للإنجيل : **﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ... ﴾ (٤٦ : ٢٩).**

فإنما الدعوة الرسالية المسيحية تركز على التصالحات الخلقية في الجو اليهودي القاسي ، وتخليص التوراة عمما تدخل فيها من تحريفات وتحريفات ، رفعا لأعلام شريعة الناموس <sup>(١)</sup>. ذلك . وقد يصدقه الإنجيل نقلا عن المسيح (عليه السلام) : « لا تظنوا

(١) نور الثقلين ١ : ٣٤٤ في تفسير العياشي عن محمد الحلي عن أبي عبد الله (ع) قال : كان بين داود وعيسي بن مریم أربعمائة سنة وكان شريعة عیسی (ع) أنه بعث بالتوحيد والإخلاص وبما أوصى به نوح وإبراهيم وموسى وأنزل عليه الإنجيل وأخذ عليه الميثاق الذي أخذ على النبيين وشرع له في الكتاب إقام الصلاة مع الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحريم الحرام وتحليل الحلال وأنزل عليه في الإنجيل مواعظ وأمثال وحدود ليس فيها قصاص ولا أحكام حدود ولا فرض مواريث وأنزل عليه تخفيف ما كان نزل على موسى في التوراة وهو قول الله في الذي قال عیسی ابن مریم لبني إسرائیل **﴿وَلَا حَلَّ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾** وأمر عیسی من معه من اتبه المؤمنين أن يؤمنوا بشريعة التوراة والإنجيل.

أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملوك السماوات. وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما في ملوك السماوات» (متى ٥ : ١٧ - ١٩) <sup>(١)</sup>.

فالإنجيل تكملة وإحياء لروح التوراة ، ولروح الدين المطموسة في قلوب بني إسرائيل. فالتوراة هي قاعدة الإنجليل ، حيث تحمل الشريعة التي يقوم عليها نظام المجتمع ولم يعدل فيها الإنجليل إلا القليل ، فإنما هو نفحة إحياء وتحديد لروح الدين ، وتحذيب وتلين للضمير القاسي الإسرائيلي.

ثم ﴿وَحْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ تعني الآية الرسالية وعدديها ومديدها كوحيدها لأنها تتجه إلى جهة واحدة مهما توحدت أو كثرت.

فلما اكتملت الأدلة الرسولية والرسالية وتبين القصد من هذه الرسالة ، إذا ﴿فَاتَّقُوا  
الله﴾ عن خلافي «وأطعون» فيما أدعوا اليه :

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّيْ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ٥١.

ذلك هو أول الأحكام العقائدية المسيحية وكما في (مرقس ١٢ : ٢٩) : «أول الأحكام أن نعرف أن إلينا واحد» و «ان الحياة الابدية معرفة الله بالوحدانية وان المسيح رسوله» (يوحنا ١٧ : ٣).

ذلك! فاهرطقات الدخيلة الكنسية الانجيلية في انه «ابن الله» (متى ٣ : ١٧) و «أول مواليد» (رعب ١ : ٩) وانه «هو الله والكلمة»

(١). وقد يشير هنا السيد المسيح (ع) بن هدم بناء شريعة الناموس وهو بولص ومعناه الصغير.

(يوحنا ١ : ١) «الأَزْلِي» (وعب ٩ : ١٤) ومثل يهوه : «الله» (متى ٢٣ : ٣٤ ولوقا ١١ : ٤٩) وما أشبه ، هذه الخرافات المتخلفة عن شرعة الله هي من الدخائل الشركية المترسبة المترسبة في الأنجليل ! أم مؤولة ، فقد تعني الكلمة التي هو الله كلمة القدرة الذاتية ، والتي عند الله كلمة القدرة الفعلية ومن مظاهرها السيد المسيح وسائر الخليقة.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفَّارَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ . ٥٢

لقد ﴿أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفَّارَ﴾ بقالاته الرسالية الخمس وأهمها خامستها : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ ولم يكن الكفر فقط من اليهود الناكرين لرسالته ، المتهمين إياه أنه وليد السفاح ، بل ومن صدقه ولكنه غالى فيه أنه ابن الله أو الله ، فقد هلك فيه اثنان محب غال وببعض قال ، معركة مصيرية صاحبة لا بد من علاجها الصارم ، ليس يقوم به وحده فليطلب أنصارا إلى الله ، ف : ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟﴾

﴿أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ لا «أنصاري مع الله» خلاف ما قد يهرب بما لا يعرف من مدلائل الكلام توجيهها لـ ﴿إِلَى الْمَرافقِ﴾ في آية الوضوء لتكون «مع المرافق» تحويلا عليلا لدلاته المزعومة على غاية الغسل في اليدين وهي تعني غاية المغسول «اغسلوا أيديكم» الكائنة ﴿إِلَى الْمَرافقِ﴾ .

أجل ﴿أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ إذ لا معية في نصرة الله أن يستنصر المسيح كتلة مع الله ، شركاء ثلاثة فيما يريد الله ! ولا معنى للمعية هنا فان الله غاية في مسرح التوحيد وليس سبيلا.

فإنما تعني ﴿أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ هنا ما تعنيه في الصف : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَتْ طائفةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

**وَكَفَرُتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ** ﴿١٤﴾ (١٤) أن يتناصروا في

سبيل الله والحفظ على دين الله ، لا أن يشاركون الله في النصرة إلى الله <sup>(١)</sup>.

إن نصرة الله لا تعني إلا نصرة دين الله ، وأما النصرة مع الله فقد تكون إشراكا بالله

**وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴿٢٩ : ٢٢﴾ **وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا** ﴿٤٥ : ٤﴾.

وانما سميت النصارى نصارى لأنهم . في ذلك المسرح الحاسم . أصبحوا أنصار المسيح إلى الله فهم . إذا . أنصار الله بنفس المعنى لا أنهم أنصاره مع الله !.

ف **﴿أَنْصَارُ اللَّهِ﴾** هم أنصار إلى الله وفي الله ، وليسوا أنصار المسيح أمن سواه مع الله ، وتقدير «مع» غير وارد في الإضافة بتاتا ، فانما المقدر فيه بين «من . الى . في» والأوسط هو المعنى هنا كما تطلبه المسيح (عليه السلام) مهما صحت «في».

وكما تعني **﴿أَنْصَارُ اللَّهِ﴾** أنصارا إلى الله ، كذلك تعنيه **﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** فهل انهم بعد أنصار مع الله ، ايانا مع الله بالله؟ فبمن يؤمن الله والمسيح والأنصار؟!

ف **﴿أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾** و **﴿أَنْصَارُ اللَّهِ﴾** و **﴿آمَنَّا بِاللَّهِ﴾** تعبيرات ثلاث عمما تطلبه المسيح (عليه السلام) منهم في هذه المعركة الصاخبة.

فلقد كانت ضرورة رسولية ورسالية ذلك الاستنصران في بزورغ الدعوة

(١). راجع تفسير آية الفرقان (٢٨ : ٣١٩ - ٣٢١).

حيث ابتليت بإحساس الكفر وهو ظهوره ، وهذه هي قضية كل دعوة أنها إذا بزغت عارضته النكران والمعارضة ، فلا بد للداعية أن يستخلص من الجموع كتلة مؤمنة صامدة ليمضي معهم قدمًا في دعوته ، فلا تذهب هملاً وسدى منذ بدايته ، وكما فعله رسول الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيعة العقبة والرضوان ، تركيزاً للطاقات وتحميلاً للقوى لاستقامة أمر الدعوة.

**﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ٥٣ .**

وتلك هي غاية الإيمان بالرسول أن يكونوا معه أنصاراً إلى الله ، إيماناً بالله إسلاماً لله وإيماناً بما أنزل الله وبرسول الله ، وقد يكون ذلك الإيمان الصامد إيماء لهم من الله اضافة إلى إيمانهم سلفاً بالله : **﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحُوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾** (٥ : ١١١) مما يدل على قمة الإيمان والإسلام بالوحى ، فهم . إذا . أصبحوا رسلاً مع المسيح تحت ظله ، ولا تجد تنديداً بهم في الذكر الحكيم إلا تبجيلاً وتحليلاً بمثلث الوحي والإيمان والإسلام.

وترى **﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾** تعني شهادة الأعمال يوم يقوم الأشهاد ، عليه هو مهما عننت معه سواه ، فكما المسيح شاهد من الشهداء يوم يقوم الأشهاد **﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾** هناك ومنهم السيد المسيح إذ نحن معه أنصار إلى الله.

وقد تعني . مع ما عننت . الشهادة على تبليغ الرسالة بعد ما شهدوا على حقيقتها ، فهذه معية مثلث الشهادات ، بفارق أن العبارة عن الآخرين «من الشاهدين» وتحتخص «مع» بالأولى .

وقد تعني رابعة هي الشهادة على التوحيد في الشاهدين **﴿شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْم﴾** طلباً أن يكتبهم مع أولي العلم : النبيين ، في تلك الشهادة الغالية.

وخامسة هي شهود الله ببصيرة القلب وحقيقة اليقين وكما يروى عن رسول المدى (صلى الله عليه وآله وسلم) : اعبد ربك كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك .  
و السادسة هي شهود العارقين ، وتحملها في سبيل الدعوة ، أماهيه من شهادات لابقة لائقة بمن هو من أنصار الله .

**﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ ٥٤**

«ومكروا» هؤلاء الذين كفروا وأحس عيسى منهم الكفر ، دون الحواريين . وعوضا بالله . إذ هم حقاً آمنوا بالله كما وصدقهم الله ، فاغنا الماكرون هم الكافرون من اليهود حيث اشتروه بثمن بخمس دراهم معدودة وسلموه . فيما زعموه . الى الصليب ، وكما يندد بهم في الآية التالية **﴿وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** ويعظم موقف الحواريين **﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ...﴾**.

لقد اغتالته اليهود ليقتلوا ويصلبوه بمكر مكروه **﴿وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾** :  
**﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُيَّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَأْنَ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾** (٤ : ١٥٩).

وتراهم كيف مكروا؟ وليس القتل والصلب مكرا إلا تخفيها واغتيالا!؟.

**﴿وَلَكِنْ شُيَّهَ لَهُمْ﴾** في القدر المعلوم مما تعنيه تبين **﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾** أنه ألقى صورة المسيح على ما كره فصلب بدليلا عنه ورفعه الله ، فليس الرفع الجاهر مكرا ، انا هو بعد إلقاء صورة المسيح على ما كره ورفعه خفية ف «شيه لهم»

ان المصلوب هو المسيح بما مكرروا «ما لهم به من علم الاتباع لظن ..»! واما كيف مكرروا؟  
**﴿ولَكُنْ شَيْءًا لَهُمْ﴾** تلمع انهم دلوا عليه حيلة وغيلة.

والمكر في أصله سعي بالفساد في خفية ومداجاة ، وهو هو في الماكرين الضالين من الخلق ، وهو المقابلة بعملية خافية عدلا وجزاء وفاقا من الله إصلاحا لما أفسد الماكرون . وقد يرى ان المسيح مع تلاميذه كانوا في غرفة منعزلة عن بأس اليهود المتربصين به دائرة السوء فدتهم واحد منهم او من اليهود وهو «يهودا أُسخِر يوطى» <sup>(١)</sup> على مكانه فالقى الله شبهه عليه فصلب بدليلا عنه ، ورواية الصلب المفصلة عائدة الى آية النساء ، وعندها قول فصل حول تلك المحاولة الماكرة وما مكرهم الله ذودا عن ساحة المسيح (عليه السلام). هنا «شبه لهم» دون «عليهم» لثلا يخيل إلينا انه مجرد شبتهم في قتله او

(١) اتفقت النصارى على أن يهودا الأُسخِر يوطى هو الذي دل على يسوع المسيح (ع) وكان رجلا عاميا من بلدة «خربوت» في أرض يهودا ، تبع المسيح وصار من خواص أتباعه وحواريه الاثني عشر ومن الغريب أنه كان يشبه المسيح في خلقه كما نقل (جورج سايل) الإنكليزي في ترجمته للقرآن فيما علقه على سورة آل عمران ، نقل وعزى هذا القول إلى (السيرنثيين والكريوكراتيين) من أقدم فرق النصارى الذين أنكروا صلب المسيح وصرّحوا بأن الذي صلب هو يهودا الذي كان يشبهه شبهها تماما .  
أقول : في كون يهودا من الحواريين وأنه كان يشبه المسيح (ع) نظر ، حيث ان الحواريين مددوون في القرآن وموحي إليهم في الإيمان باليسوع فهم رسول المسيح من قبل الله لا يتطرق إليهم أي فسوق فضلا عن تلك الحيانة الكبرى .

ثم «شبه لهم» صريحة في حدوث تلك الشبهة ، فتناهى كونه شبّهه خلقا .  
فالظاهر أنه كان من اليهود الذين دخلوا بين المؤمنين غير الحواريين ، فمكر مكره ومكر الله والله خير الماكرين .

صلبه ، بل و «شبه» غير المسيح كالمسيح «لهم» هؤلاء الذين أرادوا قتله ، واما الحواريون فقد بشرهم المسيح ان الله رافعه اليه وان «ايدي اليهود لم تمسه» : « فأرسل الفريسيون ورؤسائ الكهنة خداما ليمسكونه . فقال لهم يسوع انا معكم زمانا يسيرا بعد ثم امضى الى الذي ارسلني ستطلبني ولا تجدوني حيث اكون انا لا تقدرون انتم ان تأتوا » (يوحنا ٧ : ٣٢ - ٣٤) .

وفرية المكر على بعض حواري المسيح (عليه السلام) تدفعها صيانة الحواريين حسب القرآن ، وأن ضمير الجمع في «مكروا» راجع الى «الذين كفروا» مهما تقدم واحد منهم لتحقيق مكرهم أن دلهم على مكانه مكرا بما اشتروه منه بشمن بخس دراهم معدودة ليتحققوا مكر القتل والصلب بحقه او وان يهودا كان حسب الظاهر من حواريه منافقا في مظهره فدل على مكانه.

**﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطْهِرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِنِّي مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾** ٥٥ .

**﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾** فالمكران هما متقارنان ، وتوفيه (عليه السلام) ورفعه هما من تتمة مكر الله حيث «شبه لهم» أولا ورفعه أخيرا فنجاه من بأسهم وبؤسهم . وترى **﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾** تعني توفى الموت؟ وهو حسب اللغة ومصطلح القرآن أعم من الموت ! فهو لغويًا الأخذ وافي ، سواء كان توفيا يحلق على الإنسان إماتة : **﴿فُلَنْ يَتَوَفَّ أَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وَكَلَ بِكُمْ﴾** (٣٢ : ١١) حيث يأخذ الأرواح والأجساد في قضية الصيانة فلا تضل عنه مهما ضلت عن سواه ، ام إماتة : **﴿اللَّهُ يَتَوَفَّ الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾** (٤٢ : ٣٩) حيث تضم النوم الى خضم التوفى وهو أخذ الروح الانسانية عن البدن والروح

الحيوانية باقية للحياة ، وهم يشاركان في أخذ الروح الإنسانية عن البدن كاملة.

ذلك ، ومن التوفى أخذ الإنسان بكل جزئيه عن مسرح الحياة الأرضية الى حياة سماوية دون إماتة موتا ام نوما وهذا هو المستفاد من جماع الآيات بحق المسيح (عليه السلام) ،

فليس التوفى هو الإماتة بعينها مهما كانت منها حيث يتوفى الموت : ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ (٤ : ١٥) والموت لا يحيي وإنما يأخذ الإنسان وافيا طليقا كما يأخذه النوم نسبيا غير طليق ، وثالث يأخذه وافيا دون إماتة ولا إنماة.

فهنا ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ تعني مسرح الأمان عن بأس الكفار «ومطهرك» أمن عن لعنة الصليب المختلفة بينهم ، وقد يكفي رفعه الى سماءه تطهيرها له عن بأسه في بعيدي الصليب ، قتلا ولعنا ... صحيح ان الله ليس له مكان حتى تعني ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ مكانا لله ، ولكن قد يعني مكانا علينا كما تعنيه في إدريس (عليه السلام) : ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلَيْا﴾ (١٩ : ٥٧)

وكما تعنيه . ايضا . آيات الرجوع الى الله ، والحياة عند الله ﴿بَلْ أَخْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ والرحمة لدى الله ، إذا ف ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ رفع له الى مكان الأمان ومكانة الرحمة غير الخلطة بأية زحمة وكما وصفت ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِيَ . وَأَنَّكَ لَا تَظْمُؤُ فِيهَا وَلَا تَضْحِي﴾.

ذلك ، وتزيده وضوحا آية النساء : ﴿... وَمَا قَاتَلُوهُ يَقِينًا . بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ... وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (١٥٩).

فلأن أهل الكتاب حتى المسيحيين منهم لم يؤمنوا به حتى الآن فهو . إذا . حي إلى الآن وسوف يؤمنون به زمن القائم المهدى (عليه السلام) لما يرونه

يصلی وراءه (عليه السلام) ، وكما «قال رسول الله (صلى الله عليه وآلله وسلم) لليهود إن عيسى لم يمت وانه راجع إليكم قبل يوم القيمة»<sup>(١)</sup>.

ثم التحول من مسرح الحياة الأرضية لا يخرج عن خمس تحولات : قتلا . صلبا . موتا .

نوما . وانتقالا الى حياة فوق الارضية في جنة من الكواكب<sup>(٢)</sup> قد

(١) الدر المنشور ٢ : ٣٦ قال الحسن قال رسول الله (ص) لليهود ...

وفي نور الثقلين ١ : ٥٧١ شهر بن حوشب يسأله الحجاج يا شهر! آية في كتاب الله قد أعيتنى ، قال: أيها الأمير آية هي؟ فقال قوله : ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا يُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ والله إبني لأمر باليهودي والنصراني فتضرب عنقه ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرك شفتيه حتى يخمد فقلت أصلح الله الأمير ليس على ما تأولت قال : كيف هو؟ قلت : إن عيسى ينزل قبل يوم القيمة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملة يهودي ولا غيره إلا آمن به قبل موته ويصلی خلف المهدى (ع) قال : وب JACK أن لك هذا ومن أين جئت به؟ فقلت : حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، فقال : جئت والله بها من عين صافية.

(٢) البحار ١٤ : ٣٣٥ . لي : بإسناده عن حبيب بن عمر قال : لما توفي أمير المؤمنين (ع) قام الحسن خطيبا فقال : أيها الناس في هذه الليلة رفع عيسى بن مریم عليهم السلام.

وفيه ٣٣٦ عن حمران بن أعين عن أبي جعفر عليهمما السلام قال : إن عيسى وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه فاجتمعوا إليه عند المساء وهم إثنا عشر رجلا فأدخلهم بيته ثم خرج عليهم من عين في زاوية البيت وهو ينفض رأسه من الماء فقال : إن الله أوحى إلي أنه راغبٍ إليه الساعة ومطهري من اليهود ...

وفيه ٣٣٧ بسند عن جعفر عن آبائه عن النبي (ص) قال : لما اجتمعت اليهود على عيسى (ع) ليقتلوه بزعمهم أتاه جبريل (ع) فغشاهم بمناخه وطمح عيسى ببصره فإذا هو بكتاب في جناح جبريل :

«اللهم إني أدعوك باسمك الواحد الأعز وأدعوك اللهم باسمك الصمد وأدعوك اللهم باسمك العظيم الوتر وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعال الذي ثبت أركانك كلها أن تكشف عنّي ما أصبحت وأمسّت فيه» فلما دعا به عيسى (ع) أوحى الله تعالى إلى جبريل : ارفعه عندي ثم قال رسول الله (ص) يا بني عبد المطلب سلوا ربكم بمؤلاء الكلمات فو الذي نفسي بيده ما دعا بمن عبد .

تكون هي جنة آدم وقد رفع إلَيْها المسيح (عليه السلام).

والأولان منفيان بآية النساء : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾ وكلّ من النوم والموت له صيغته الخاصة ، فلا يعني رفعه إليه . كما هنا وفي آية النساء . إلّا رفعه عن ذلك المسرح النكدر البائس ، تطهيراً لساحتته عن مكر الذين كفروا ، وذوداً عن سماحته لعنة الصليب ، المزعومة لدى الكنسيين البولسيين ، فقد توفاه الله أخنا وافياً سليماً عن بأسهم ثم رفعه إليه استمراً لتوفيه .

فليس رفعه إليه تعالى . فقط . رفعاً معنوياً إذ كان رفيعاً في معناه ومغزاه ، كما لا يعني رفعه عن الحياة ، بل هو رفع عن الحياة الأرضية إلى حياة سماوية سامية عاشها أبواناً الأولان سويات ، ويعيشها السيد المسيح (عليه السلام) قروناً طائلة حتى ينزل إلى الأرض زمن المهدى (عليه السلام). تلك هي الميزة العيساوية ، ومن ثم للذين اتبواه :

﴿ وَجَاءُ الَّذِينَ أَتَبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَيْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ الفوقيّة هنا إلى يوم القيمة قد لا تشمل نفس القيمة فهي - إذا . فوقية تناسب الحياة الدنيا تشريعها وتكوينها ، والأول يحلق على كافة الكرامات والاختصاصات في حقل الأحكام الشرعية ، والثاني قد يعني تفوقاً بالحجّة ، ثم تفوقاً زمنياً إن قاموا بشرط النصرة الربانية .

و ﴿ الَّذِينَ أَتَبَعُوكَ ﴾ هم المؤمنون به كما آمن الحواريون ، فهم - إذا .

بإخلاص دينه إلّا اهتزله العرش وإلّا قال الله ملائكته : اشهدوا أني استجبت لهم وأعطيتهم سؤلهم في عاجل دنياه وآجل آخرته ثم قال لأصحابه : سلوا بما ولا تستبطروا الإجابة .

وفيه ٣٣٨ عن أبي عبد الله (ع) قال : رفع عيسى بن مریم عليهما السلام بمدرعة صوف من غزل مریم ومن نسج مریم ومن خياطة مریم عليها السلام فلما انتهى إلى السماء نودي : يا عيسى ألق عنك زينة الدنيا .

المسيحيون الحقيقيون المتبعون للسيد المسيح عقيدياً وخلقياً وعملياً على مختلف درجاتهم ، ما دامت رسالته وشرعته محكمة ، ولما جاء رسول الهدى (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فهم المسلمون منهم ومن سواهم ، حيث اليمان بشرعـة القرآن هو من قضايا اليمان بشرعـة الإنجيل ، وكما يروى عن النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) قوله : إنـما لـن تـربح عـصـابة مـن اـمـتـي يـقـاتـلـون عـلـى الـحـق ظـاهـرـين عـلـى النـاس حـتـى يـأـتـي اـمـرـالـله وـهـم عـلـى ذـلـك ثـم قـرـأـ هـذـه الآية<sup>(١)</sup>.

ذلك وقد تعني هذه الفوقيـة . بما عنـت . فـوقـيـةـ المـسـيـحـيـيـنـ المـلـتـزـمـيـنـ عـلـىـ الكـافـرـيـنـ بـالـمـسـيـحـ ،ـ مـهـمـاـ لـمـ يـسـلـمـواـ ،ـ شـرـطـ إـلـاـ يـعـانـدـواـ مـنـ آـمـنـ بـهـ الـمـسـيـحـ (ـعـلـيـهـ السـلـامـ)ـ وـهـوـ مـحـمـدـ (ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ).

ولقد نـرىـ تـفـوـقـ الـمـسـيـحـيـيـنـ عـلـىـ الـيـهـودـ قـبـلـ الـإـسـلـامـ وـبـعـدـ حـتـىـ الـآنـ ،ـ مـهـمـاـ اـخـتـلـقـتـ دـوـبـيـةـ الـعـصـابـاتـ الصـهـيـونـيـةـ مـنـ زـمـنـ قـرـيبـ ،ـ فـاـنـاـ مـنـ عـمـلـاءـ الـاستـعـمـارـ الـمـسـيـحـيـ .ـ وـالـنـقـطـةـ الرـئـيـسـيـةـ فيـ ذـلـكـ التـفـوـقـ الـمـوـعـودـ تـوـفـيـةـ أـجـورـ الـمـؤـمـنـيـنـ وـالـعـذـابـ الشـدـيدـ لـلـكـافـرـيـنـ مـنـ الدـنـيـاـ إـلـىـ يـوـمـ الـدـيـنـ كـمـاـ تـبـيـنـ الـآـيـاتـ التـالـيـاتـ ،ـ الـمـفـرـعـتـانـ هـذـهـ التـوـفـيـةـ عـلـىـ ذـلـكـ التـفـوـقـ ،ـ بـمـاـ اـنـهـ مـنـ أـهـمـ درـجـاتـهـ وـأـعـظـمـ مـكـرـمـاتـهـ.

فـهـذـهـ فـوـقـيـةـ روـحـيـةـ مـضـمـونـةـ لـلـذـينـ آـمـنـواـ وـخـلـافـهـاـ عـلـىـ الـذـينـ كـفـرـواـ عـلـىـ طـولـ خـطـ الـحـيـاةـ فـيـ الـأـوـلـىـ وـالـأـخـرـىـ ،ـ وـقـدـ تـجـاـوـبـهاـ الـفـوـقـيـةـ الزـمـنـيـةـ إـنـ قـامـواـ بـشـرـائـطـ الـيـمـانـ كـمـلـاـ وـلـمـ يـتـرـكـوهـاـ هـمـلاـ وـكـمـاـ قـالـ اللـهـ ﴿لَنْ يَضْرُوْكُمْ إِلَّا أَذَىٰ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوْكُمُ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُوْنَ﴾ـ .ـ حـيـثـ الـمـخـاطـبـيـوـنـ هـمـ الـمـعـنـيـوـنـ بـآـيـاتـ

(١) الدر المنشور ٢ : ٣٧ . أخرج ابن عساكر عن معاوية بن أبي سفيان قال سمعت رسول الله (ص) يقول: ...

سابقة في خطابات لتحقيق حيويات الإيمان<sup>(١)</sup>.

وأخيراً فـ ﴿الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وهي الدولة العاقبة كل الدول بقيادة المهدى من آل محمد (عليهم السلام) كما تعددنا آيات وروايات متواترات.

ومن ناحية أخرى يقرر ربنا سوم العذاب على كفرة اليهود على طول خط الحياة :

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسْوُفُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٧ : ١٦٧).

ويقرر بالنهاية سحقاً ماحقاً لهم في تلك الدولة الكريمة : ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْوُفُوا وُجُوهَهُمْ وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَيُتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَشْبِيرًا﴾ (١٧ : ٩).

وقد ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَلَةُ أَيْنَ مَا ثَقَفُوا إِلَّا بِجَنْبِلٍ مِّنَ اللَّهِ وَجَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبِأَوْ بَعْضَهِ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٣ : ١٠٩).

ذلك ، ولدرجات الإيمان مدخل عظيم في ذلك التفوق في الأولى والأخرى ، فهو لاءٌ لهم فوق الذين كفروا إلى يوم القيمة في ميزان الله ، كما افهم كذلك في واقع الحياة كلما واجهوا معسكر الكفر . بكل حقوله . بحقيقة الإيمان ، والذين يتبعون محمداً (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) منذ مبعثه هم في الوقت ذاته اتبعوا مواكب الرسل ومنهم المسيح (عليه السلام).

﴿إِنَّمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلُفُونَ﴾ :

(١) وهي ألا يطيعوا الكافرين ويتصمموا بالله ويتقووا الله حق تقاته ويعتصموا بحبل الله جميعاً دون تفرق ويكون فيهم أمة داعية إلى الخير آمرة ناهية . أما هي؟ .

﴿فَإِنَّمَا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدَّنَا لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ﴾ ٥٦  
 وَإِنَّمَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفَّى إِلَيْهِمْ أُجُورُهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ٥٧.

هنا الايمان والكفر طليقان ، ايمانا بال المسيح وسواء وكفرا به وسواء ، وإنما الأصل هو الايمان وعمل الصالحات لتوقيه الأجور في الأخرى ، ثم الكفر لتوقيه العذاب فيها.

﴿ذَلِكَ نَذْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ ٥٨.

«ذلك» العميق المدى الظاهر المدى ﴿نَذْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ يا رسول المدى ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ الباهرة من كتابات السماء ﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ وهو القرآن العظيم.  
 والآيات هنا تعم الآيات الرسولية والرسالية ، تكوينية وتشريعية ، ﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾  
 خصوص بعد عموم يعني القرآن الكريم فانه راية بين الآيات وهو غاية الغايات إذ تحمله خاتمة الرسالات.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٥٩  
 مِنْ رِبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَنَينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْنَ تَعَالَوْا  
 نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلُ

لَعْنَتِ اللَّهِ عَلَى الْكَادِبِينَ (٦١) إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ (٦٢) فَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (٦٣) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةٍ  
سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ  
اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا اشْهِدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تُحَاجِجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا  
أَنْزَلْتِ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنْتُمْ هُؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ  
عِلْمٌ فَلَمْ تُحَاجِجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ  
يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ  
بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ أَتَبْعَوْهُ وَهَذَا النَّيْرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨) وَدَدْتُ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ  
الْكِتَابِ

لَوْ يُضْلِلُنَّكُمْ وَمَا يُضْلِلُنَّ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ  
 وَأَنْتُمْ تَشْهُدُونَ (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَكُنُوا رَاجِعِينَ (٦٩)  
 وَأَنْتُمْ تَشْهُدُونَ (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَلْبِسُونَ الْحُقْقَاءِ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحُقْقَاءِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
 (٧١) وَقَالَ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَأَكْفَرُوا  
 آخِرَةً لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لَمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتِي  
 أَحَدًا مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجِجُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ  
 عَلَيْهِمْ (٧٣) يَكْتُصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٥٩.

مثل عيسى عند المغالين بحقه يختلف حقا عن مثله عند الله ، فهم يزعمونه ابن الله او الله المنتجس في النسوت ، فهو من جوهرة الألوهية ، ومثله عند الله ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ  
 تُرَابٍ ...﴾.

فإذا كان خلق المسيح خارقة أن لم يكن له والد ، فخلق آدم خارقـتان أن لم يكن له والدان ، وإنما ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ في جثمانه هيـكلا ترابـيا مثال الإنسان ﴿لَمْ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ إنسانا في الجسم والروح «فيـكون» ما كـونـه الله آدم وسـواه كما قال الله ، وقد يعني ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ خلق جـسمـه ﴿لَمْ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ قولـا تـكوـينـيا مـوجـهاـ إلى جـسمـه أـنـ كـنـ إـنـسانـا فهو تـكوـينـ رـوحـه من جـسمـه ، وهذه عـبـارـةـ أخرى عن ﴿لَمْ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ في تـحـلـيقـ بنـيهـ.

وقد تكون «فيـكون» بدـيلـا عن «فـكانـ» إـشـارـةـ إلى استـمرـارـيةـ هذهـ الـكـيـنـونـةـ الـخـارـقـةـ للـمـأـلـوفـ ، دونـ اـخـتـصـاصـ بـآـدـمـ ، حيثـ ثـيـ بالـمـسـيـحـ (عـلـيـهـ السـلـامـ) ، ومنـ ثـمـ فيـ كـافـةـ الآـيـاتـ الـمـعـجزـاتـ.

فـانـ كـانـ المـسـيـحـ خـلـقـهـ دونـ أـبـ اـبـنـ اللـهـ فـليـكـنـ آـدـمـ الـمـخـلـوقـ دونـ أـبـوـينـ أـخـاـ اللـهـ ، وـانـ كـانـ المـسـيـحـ لـذـلـكـ هوـ اللـهـ فـليـكـنـ آـدـمـ أـبـ اللـهـ ، سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ عـمـاـ يـشـرـكـونـ ، ثـمـ وـانـ كـانـ المـسـيـحـ يـسـتـحـقـ الـولـادـةـ مـجـازـياـ تـشـرـيفـياـ ، فـلـيـشـرـفـ آـدـمـ بـسـمـةـ الـأـخـوـةـ اللـهـ.

ذـلـكـ! وـلاـ يـصـحـ الـمـجـازـ إـلـاـ فـيمـاـ يـمـكـنـ حـقـيقـتـهـ ، وـإـذـ لـيـسـ بـالـإـمـكـانـ اـبـنـ اوـ أـخـ اللـهـ ، فـلاـ تـشـرـيفـ . إـذـاـ بـمـجـازـ وـسـواـهـ ، حيثـ الـمـجـازـ هوـ الـحـقـيقـةـ الـمـجـازـ إـذـ يـجـوزـ الـلـفـظـ وـيـعـبـرـ مـنـهـ إـلـىـ مـاـ يـشـاـجـهـ.

تنـزـلـ هـذـهـ الـآـيـةـ جـوابـاـ عـمـاـ سـأـلـهـ جـمـاعـةـ مـنـ أـهـلـ نـجـرـانـ «هـلـ رـأـيـتـ مـثـلـ عـيـسـىـ أوـ أـنـبـئـتـ بـهـ؟»<sup>(١)</sup> فـقـدـ تـحـمـلـ اـجـابـةـ وـافـيـةـ قـاطـعـةـ لـأـعـذـارـ مـؤـلـهـيـ الـمـسـيـحـ

(١) الدر المـشـورـ ٢ : ٣٧ . أـخـرجـ ابنـ جـرـيرـ وـابـنـ أـبـيـ حـاتـمـ مـنـ طـرـيقـ الـعـرـفـ عنـ اـبـنـ عـبـاسـ مـنـ أـهـلـ نـجـرـانـ قـدـمـواـ عـلـىـ الـنـبـيـ (صـ) وـكـانـ فـيـهـمـ السـيـدـ وـالـعـاقـبـ فـقـالـواـ : مـاـ شـأـنـكـ تـذـكـرـ صـاحـبـناـ قـالـ : مـنـ هـوـ؟ قـالـواـ : عـيـسـىـ تـزـعمـ أـنـهـ عـبـدـ اللـهـ قـالـ : أـجـلـ إـنـهـ عـبـدـ اللـهـ قـالـواـ فـهـلـ رـأـيـتـ ... فـحـاءـ جـرـئـيلـ فـقـالـ : قـلـ لـهـ إـذـاـ أـتـوـكـ : إـنـ مـثـلـ عـيـسـىـ عـنـ اللـهـ كـمـثـلـ آـدـمـ ...

ومتبّيه ، وختلقـي انتسال آدم من إنسان ام ارتقاء من حيوان! .  
وذلك التساؤل حدث بعد ما كتب النبي (صـلى الله عـلـيهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) الى اهل نجران  
يدعوهم فيه الى الإسلام <sup>(١)</sup>.

وهنا المماطلة بين آدم والمسيح (عليهما السلام) ليست إلا في فقد الأب ، ثم يختص آدم بفقد الأم ايضا وخلقه رأسا من تراب ، وقد نابت النطفة الرجولية في خلق المسيح مناب اللقاح الرجولي ، ان خلقها الله تعالى دون صلب وألقاها نفخا الى رحم البتوة العذراء وكما فصلناه في سورة مريم ، وآدم خلق

. وفيه عن قتادة أئمـا لـقيـا نـبـيـ اللـهـ فـسـأـلـاهـ عـنـ عـيـسـىـ فـقـالـاـ :ـ كـلـ آـدـمـيـ لـهـ أـبـ فـمـاـ شـأـنـ عـيـسـىـ لـاـ أـبـ لـهـ فـأـنـزـلـ اللـهـ فـيـ هـذـهـ الـآـيـةـ.

وفيه أتاـهـ (صـ) مـنـهـمـ أـرـبـعـةـ مـنـ خـيـارـهـ فـسـأـلـهـ مـاـ تـقـولـ فـيـ عـيـسـىـ قـالـ :ـ هـوـ عـبـدـ اللـهـ وـرـوـحـهـ وـكـلـمـتـهـ قـالـواـ هـمـ :ـ وـلـكـنـهـ هـوـ اللـهـ نـزـلـ مـنـ مـلـكـهـ فـدـخـلـ فـيـ جـوـفـ مـرـيمـ ثـمـ خـرـجـ مـنـهـاـ فـأـرـأـنـاـ قـدـرـتـهـ وـأـمـرـهـ فـهـلـ رـأـيـتـ إـنـسـانـاـ خـلـقـ مـنـ غـيرـ أـبـ فـأـنـزـلـ اللـهـ هـذـهـ الـآـيـةـ.

(١) أخرج البيهقي في الدلائل من طريق سلمة بن عبد يسوع عن أبيه عن جده أن رسول الله (صـ) كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان : بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد رسول الله إلى أسقف نجران إن أسلتمـ فـإـنـ أـحـمـدـ اللـهـ إـلـيـكـمـ إـلـهـ إـبـرـاهـيمـ وـإـسـحـاقـ وـيـعـقـوبـ أـمـاـ بـعـدـ فـإـنـ أـدـعـوكـمـ إـلـىـ عـبـادـةـ اللـهـ مـنـ عـبـادـهـ ،ـ أـدـعـوكـمـ إـلـىـ وـلـاـيـةـ الـعـبـادـ فـإـنـ أـبـيـتـ فـقـدـ أـذـنـتـمـ بـحـرـبـ وـالـسـلـامـ ،ـ فـلـمـ قـرـأـهـ الأـسـقـفـ الـكـتـابـ فـظـعـ بـهـ وـذـعـرـ ذـعـراـ شـدـيدـاـ فـبـعـثـ إـلـىـ رـجـلـ مـنـ أـهـلـ نـجـرـانـ يـقـالـ لـهـ شـرـحبـيلـ بـنـ دـوـدـعـ فـدـفـعـ إـلـيـهـ كـتـابـ رـسـولـ اللـهـ (صـ) فـقـرـأـهـ فـقـالـ لـهـ الأـسـقـفـ مـاـ رـأـيـكـ؟ـ فـقـالـ شـرـحبـيلـ :ـ قـدـ عـلـمـتـ مـاـ وـعـدـ اللـهـ تـعـالـىـ إـبـرـاهـيمـ فـيـ ذـرـيـةـ إـسـمـاعـيلـ مـنـ النـبـوـةـ فـمـاـ يـؤـمـنـ أـنـ يـكـونـ هـذـاـ الرـجـلـ نـبـيـاـ وـلـيـسـ لـيـ فـيـ النـبـوـةـ رـأـيـ لـوـ كـانـ أـمـرـ مـنـ أـمـرـ الدـنـيـاـ أـشـرـتـ عـلـيـكـ فـيـهـ وـجـهـتـ لـكـ فـبـعـثـ الأـسـقـفـ إـلـىـ وـاحـدـ بـعـدـ وـاحـدـ مـنـ أـهـلـ نـجـرـانـ فـكـلـمـهـمـ قـالـ مـثـلـ قـوـلـ شـرـحبـيلـ فـاجـتـمـعـ رـأـيـهـمـ عـلـىـ أـنـ يـعـثـواـ شـرـحبـيلـ وـعـبـدـ اللـهـ اـبـنـهـ وـحـيـارـ بـنـ قـنـصـ فـيـأـنـوـهـمـ بـخـبـرـ رـسـولـ اللـهـ (صـ) فـانـطـلـقـ الـوـفـدـ حـتـىـ أـتـواـ رـسـولـ اللـهـ (صـ) فـسـأـلـهـمـ وـسـأـلـهـ فـلـمـ تـرـلـ بـهـ وـكـمـ الـمـسـأـلـةـ حـتـىـ قـالـواـ :ـ مـاـ تـقـولـ فـيـ عـيـسـىـ بـنـ مـرـيمـ؟ـ فـقـالـ رـسـولـ اللـهـ (صـ) مـاـ عـنـديـ فـيـهـ شـيـءـ يـوـمـيـ هـذـاـ .ـ

دوما صلب ورحم او نطفة! .

**الْحُقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ٦٠**

أترى ان رسول الله المدى امترى في الحق من ربه ، ومنه مثل عيسى في خلقه حتى يخاطب ب ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾؟ طبعا لا وألف كلا ، فانما ذلك التعبير هو قضية الموقف حيث المتسائلون لم يكونوا ليستكتوا عن قيالاتهم ، وكأن ذلك المثل لا يحمل حقا من الله .

لذلك يخاطب الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من باب «إياك اعني واسمعي يا جاره» تأكيدا لحق الجواب ، حسما لكل مرية هي بعيدة عن جادة الصواب .

فهو . إذا . ك **﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيْجُبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ . ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** وكيف يجوز الامتراء والشرك على من باشر برد اليقين وتلقى عن الروح الأمين .. او ان الخطاب في «ربك» ليس ليختص بمن لا يمتنى ، بل هو كل من يجوز في حقه الامتراء وهو كل مخاطب سامع للبرهان من المكلفين كائنا من كان ، فهو خطاب الإفراد شاملا كل الأفراد على سبيل الأبدال فيشمل الذين قالوا . فيما غالوا بحق المسيح (عليه السلام) . انه الله او ابن الله ، ف «الحق» كله «من ربك» الذي رباك يا رسول المدى ، وكل من يصح خطابه ، دون الغالين الدجالين **﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾** بحق الحق ، ولا تمار فيه مجادلا عن الباطل ، ومحاجا ضد الحق ، وقد فعلوا فنزلت آية المباهلة .

. فأقيموا حتى أخبركم بما يقال لي في عيسى صبح الغداة فأنزل الله هذه الآية إلى **﴿فَنَجْعَلَ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَادِرِينَ﴾** فأبوا أن يقروا بذلك فلما أصبح رسول الله (ص) الغد بعد ما أخبرهم الخبر أقبل مشتملا على الحسن والحسين في خيلة له وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة ....

ووجه ثالث . علّه يعني مع الأولين . ان ليس الامتراء هو الشك فقط بل وهو المماراة والجادلة بشأن الحق الجلي مع من لا يخضع لبرهان ، فلما ذا . إذا . المماراة مع المعاندين ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ فكل أمرك الى رب العالمين مع من حاجك حول الحق اليقين ، الناصع الأمين :

﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْنَ تَعَالَوْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ تَنْبِهُنَ فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ٦١.

هذه من غر الآيات بشأن الغر الكرام من آل الكساء (عليهم السلام) ، حيث تعبر عن علي (عليه السلام) بـ «أنفسنا» وعن فاطمة (عليها السلام) بـ «نساءنا» وعن الحسين (عليهما السلام) بـ «أبناءنا» مما يدل على أخص الاختصاصات لهؤلاء بالرسالة القدسية الحمدية (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

هنا ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ دون ﴿مَا أُوحِيَنَا إِلَيْكَ﴾ يحمل توسيعاً لدائرة العلم ، فهو علم الوحي بعد العلم العقلي وقد حصلاً معاً بتلك المماثلة في ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى﴾ ..

وذلك مما يؤكد عدم عنابة الشك من امتراءه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لو انه المخاطب بـ ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ﴾ في الحق من ربك ، الذي لا مرية فيه ولا ريبة تعتريه ﴿فَقُلْنَ تَعَالَوْ ...﴾ وهذه دعوة صارحة في هذه الاذاعة القرآنية الى مباهلة الكاذبين المcriين على كذبهم بعد صراح الحق المبين ، فقد تحوّز المباهلة وتفيض حين تتوفر شروطها <sup>(١)</sup> ، إذ ليس الحق ليقف مكتوف الأيدي أمام

(١) نور الثقلين ١ : ٣٥١ عن أصول الكافي علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمر عن محمد بن .

الناكرين المكذبين ، فإنما تقبّله ببرهان أم دخول في لعنة الله على الكاذبين.

ولقد دعى الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الذين كانوا يجاجونه في قصة المسيح (عليه السلام) إلى اجتماع حاشد من أعز الملاصقين من الجانبيين ، ليتباهل الجميع إلى الله في دعاء قاسع قاطع ان ينزل لعنته على الكاذبين فخافوا العاقبة وابو المباهلة<sup>(١)</sup> وتبين الحق واضحاً وضيق الشمس في رابعة النهار.

ولأن الابتهاج هو التأكيد في الدعاء . من البهلو : الدعاء . وليس إلا في مسرح الاضطرار ، ولا أحق من حق الله عند اهله . حين ينكر ويكتُب ولا ينفع الدليل . ان يستجاب في ابتهاج وقد وعد الله المضطرين الاجابة ﴿أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ

**السُّوءَ**.

ـ حكيم عن أبي مشرق (مسروق) عن أبي عبد الله (ع) قال : قلت : إنّا نكلم الناس فنحتاج عليهم بقول الله عز وجل : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مِنْكُمْ﴾ فيقولون نزلت في أمراء السرايا ، فنحتاج عليهم بقوله عز وجل ﴿إِنَّا وَلِيُكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾ فيقولون : نزلت في المؤمنين ونحتاج عليهم بقول الله عز وجل ﴿فَلَمْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا المَوْدَةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فيقولون : نزلت في قرى المسلمين ، قال : فلم ادع شيئاً مما حضرني ذكره من هذا أو شبهه إلا ذكرته فقال لي : إذا كان كذلك فادعهم إلى المباهلة قلت : وكيف أصنع؟ قال : أصلح نفسك ثلاثة . وأظنه قال : صم واغتنسل . وأبرز أنت وهو إلى الجبان فشبّك أصابعك من يدك اليمنى في أصابعه ثم أنصفه وابداً بنفسك وقل : اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع عالم الغيب والشهادة إن كان أبو مسترق جحد حقاً وادعى باطلًا فأنزل عليه حسابنا من السماء وعذاباً أليماً ، ثم رد الدعوة عليه فقل : وإن كان فلان جحد حقاً وادعى باطلًا فأنزل عليه حسابنا من السماء أو عذاباً أليماً ثم قال لي : فإنك لا تلبث أن ترى ذلك فيه فهو الله ما وجدت خلقاً يحيي بي إليه.

(١) الدر المنشور ٢ : ٣٩ . أخرج عبد الرزاق والبخاري والتزمي والنسائي وابن حجر وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال : لو باهل أهل نجران رسول الله (ص) لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً.

وحين تستجاب الدعاء بحقنا فهلا تستجاب بحق الحق ولا سيما من رسول الحق في هذه المعركة الصالحة ومعه أخص أهله الطاهرين! والمدعون في هذه المباهلة ثلاثة ﴿أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ . وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ . وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُم﴾ يدعو كلّ من الطرفين أخصاءه الثلاثة، وقد «دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . حسب متواتر الأثر . علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : اللهم هؤلاء أهلي»<sup>(١)</sup>.

(١) المصدر أخرج مسلم والترمذى وابن المنذر والحاكم والبيهقى في سنته عن سعد بن أبي وقاص قال : لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله (ص) ... وفيه أخرج ابن جرير عن علبة بن أحمر البشكنى قال : لما نزلت هذه الآية أرسل رسول الله (ص) إلى علي وفاطمة وابنها الحسن والحسين ... وأخرجه مثله الحافظ أحمد بن حنبل في مسنده ١٥ : ١٨٥ والطبرى في تفسيره ٣ : ١٩٢ بطرق أربع ، وأبو بكر الجصاص فى أحكام القرآن ٢ : ١٦ قال : إن رواة السير لم يختلفوا في أن النبي (ص) أخذ بيده الحسينين وعلى وفاطمة ودعا النصارى الذين حاجوه إلى المباهلة.

والحاكم في المستدرك ٣ : ١٥٠ وفي معرفة علوم الحديث ٥٠ ، والشعبي في تفسيره كما في العمدة لابن بطريق ٩٥ والحافظ أبو نعيم الأصبهانى في دلائل النبوة ٢٩٧ والواحدى النيسابورى في الباب النزول ٧٤ وابن المغازى الواسطي كما في العمدة لابن بطريق ٩٦ والبغوى في معالم التنزيل ١ : ٣٠٢ وفي مصايح السنة ٢ : ٢٠٤ والزمخشري في الكشاف ١ : ١٩٣ وابن العربي الأندلسى في أحكام القرآن ١ : ١١٥ والإمام الرازى في تفسيره ٨ : ٩٥ وابن الأثير في جامع الأصول ٩ : ٤٧ والذهبي في تلخيصه المطبوع في ذيل مستدرك الحاكم ٣ : ١٥٠ وابن طلحة الشامى في مطالب السؤول ص ٧ وابن الأثير في أسد الغابة ٤ : ٢٥ وسبط ابن الجوزى في التذكرة ص ١٧ والقرطى في الجامع لأحكام القرآن ٣ : ١٠٤ والبيضاوى في تفسيره ٢ : ٢٢ والطبرى في ذخائر العقى ص ٢٥ ومسلم في صحيحه من عدة طرق منها ج ٤ باب فضائل أمير المؤمنين (ع) في تفسير هذه الآية ورواه الحميرى في الجمع بين الصحيحين في مسنند سعد بن أبي وقاص والشعبي في تفسيره هذه الآية عن مقاتل والكلبى وأخرجه في الدر المنشور نقلًا عن الحاكم وابن مردوة وأبو نعيم في الدلائل عن جابر عنه (ص) والبيهقى في الدلائل من طريق سلمة بن عبد يشوع عن أبيه عن جده عنه (ص) وأبو نعيم في الدلائل من طريق الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس وابن أبي .

. شيبة وسعيد بن منصور وعبيد بن حميد وابن جرير وأبو نعيم عن الشعبي والترمذى عن سعد عنه (ص) ومحمد بن جرير عن علبة بن أحمر اليشكري وروى ابن بطريق في العمدة ٩٥ : ٩٦ نزول هذه الآية فيهم بأسانيد من صحيح مسلم وتفسير الثعلبي ومناقب ابن المغازى وابن الأثير في جامع الأصول من صحيح مسلم عن سعد والبيضاوى في تفسيره ٢ : ٢٢ والطبرى في ذخائر العقى ٢٥ وفي الرياض النصرة ١٨٨ والنسفى في تفسيره ١ : ١٣٦ والمهامي في تبصير الرحمن وتيسير المنان ١ : ١١٤ والخطيب التبريزى في مشكاة المصايب ٥٦٨ والخطيب الشربيني في تفسير سراج المنير ١ : ١٨٢ والنيشابورى في تفسيره ٣ : ٢٠٦ والخازن في تفسيره ١ : ٣٠٢ وأبو حيان الأندلسى في البحر الخيط ٢ : ٤٧٩ وعماد الدين أبو الفداء بن كثير في تفسيره ١ : ٣٧ وفي البداية والنهاية ٥ : ٥٢ وابن الملك في مبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار للصناعي ٢ : ٣٥٦ والعسقلانى في الاصابة ٢ : ٥٠٣ وفي الكاف الشافى في تخريج أحاديث الكشاف ص ٢٦ وابن الصباغ فى الفصول المهمة ١٠٨ وملا معين الكاشفى فى معارج النبوة ١ : ٣١٥ والسيوطى فى تاريخ الخلفاء ١١٥ وفي الإكليل ٥٣ وفي الجلالين ١ : ٣٣ وابن حجر الهيثمى فى الصواعق المحرقة ١١٩ وأبو السعود أفندي فى تفسيره ٢ : ١٤٣ والحلبي فى السيرة النبوية ٣ : ٣٥ وأبو السعود محمد أفندي العمادى فى تفسيره ، والشاه عبد الحق فى مدارج النبوة ٥٠٠ والكسفى الترمذى فى مناقب مرتضوى ٤ والشيرواوى فى الاتحاف بحب الاشراف ٥ والشوکانى فى فتح القدير ١ : ٣١٦ والآلوسى فى تفسير روح المعانى ٣ : ١٦٧ والعلوى الحضرمى فى رشفة الصادى ٣٥ وابن المغازى فى مناقبه كما فى كفاية الخصم ٣٨٨ والسيد صديق حسن خان فى كتاب حسن الأسوة ٣٢ السيد أحمد زيني دحلان فى السيرة النبوية المطبوعة بجامش السيرة الخلبية ٣ : ٤ وعياض المغربي فى الشفاء ٢ : ٤١ والبيهقي فى السنن الكبرى ٦٣ وابن تيمية فى منهاج السنة ٣٤ والبرزنجى فى مقاصد الطالب ١١ وأحمد بن حنبل فى المسند ١ : ١٨٥ وسعيد بن محمد بن مسعود الشافعى فى الملتقى فى سيرة المصطفى ١٨٨ والشيخ أبو الحسن الكازرونى فى صفوة الزلال المعين والشيخ عبد الغنى النابلسى الدمشقى فى ذخائر المواريث ١ : ٢٢٦ والقرمانى فى أخبار الدول والشيبانى فى تيسير الوصول ٢ : ١٦٠ والقدوسى الحنفى فى سنن الهدى ٥٦٣ والنقشبندى فى مناقب العترة ١٨٩ والشيخ حسن النجار فى اتحاف ذوى النجابة ١٥٤ والحسينى البصري فى انتهاء الأقسام ١٩٧ والشيبانى فى المختار فى مناقب الأخيار ص ٣ السيد صديق محمد حسنخان ملك بموبال فى فتح .

ولأن المباهلة هي ذات جهتين : الدعاء ، واستدعاء اللعن على الكاذب ، فلا بد .  
إذا . ان يكون الأبناء والنساء والأنفس المدعون فيها من أعزهم وألصقهم بالداعين وأقربهم  
إلى الله استجابة للدعاء .

فليس ضم الأبناء والنساء والأنفس إلا لتأكيد الاستجابة والدلالة على الحق ، ثقة  
بالحال وتصديقاً للمقال واستيفاء على خصومه بصدقه وكذبهم ، حيث يستجره على تعریض  
أعز أعزته وأفالذ كبده .

لقد خص هنا الأبناء والنساء بالدعوة لذلك المسرح الخطير لأنهم أعز الأهل وألصقهم  
بالقلب ولربما فداهم الرجل نفسه وكل نفيسه .

لذلك كانوا في الحرب يسوقون مع أنفسهم الظعاين لتمنعمهم من الهرب ويسمّون  
الزادة عنها حماة الحقائق .

ثم خص أحص خواصه المعبر عنه هنا بـ «أنفسنا» رمزاً إلى أنه لنفسه المقدسة كأنه  
هو ، ففديته مع نفسه في هذه المعركة الصاخبة تضحية لنفسه مرتين ، كما أن فدية النساء  
والأبناء تمثل فدية أخرى ثالثة .

فآية المباهلة هي من ابرز الآيات الدلالات على موقف الامام علي (عليه السلام)  
المنقطع النظير مع البشير النذير ، أن لو كان للرسول (صلي الله

. البيان ٢ : ٥٥ والشيخ عبيد الله الأمر تسي في أرجح المطالب ٣٧ والسيد أحمد بن سودة الإدريسي في رفع  
اللبس والشبهات ٤٠ وخواجة خواند مير في علم الكتاب .

أقول : ذلك وإلى مئات من الرواية والمصنفين والمفسرين (راجع ملحقات أحقاق الحق للمرجع الديني  
السيد شهاب الدين المرعشبي النجفي ج ٣ ص ٧٦ - ٤٦ وج ٩ - ٩١ ، تجد في خمسين صفحة من هذه  
الموسوعة بحراً ملتطماً من الأحاديث حول آية المباهلة التي ذكرت علياً (ع) نفس الرسول (ص) .

عليه وآلها وسلم) انفس او نفس أخرى ل كانت عليا (عليه السلام) دون من سواه ، وقد اجمع المفسرون والمحاذون والحافظون انه لم يصاحب (صلى الله عليه وآلها وسلم) بعد ابنيه الحسينين وبنته فاطمة (عليهم السلام) إلّا على صلوات الله عليه.

فلم يعن من أبناءه إلّا سبطيه ولا من نسائه إلّا فاطمته ولا من نفسه إلّا عليه ، حيث لا يدعو الإنسان . فيما يدعو . نفسه ، اللهم إلّا من هو كنفسه ، ولم يكن معه آنذاك من يمثل نفسه إلّا علي (عليه السلام).

وهنا تجاوب لا حول عنه بين الآية ومتواتر النقل ، كلّ يؤيد الآخر ويتأيد هو الآخر بالآخر ... ف «قل» يا محمد لمن حاجك فيه ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ﴾ نحن ندعو أبناءنا ونساءنا وأنفسنا وأنتم تدعون كما ندعوا.

ولكن «ندع» في جانب الرسول واحد هو الرسول ، وفي جانبهم جمع المحاجين ، وليس «ندع» إلّا اعتبارا بالطرفين وما معا . لا محالة . جمع مهما كان الطرف الأول مفردا.

ف «أبناءنا» تعني أعز الأبناء في الجانبين دون تحليق على كل الأبناء ، ولقد انحصاروا في جانب الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) في الحسينين (عليهما السلام) ، مما يرهن على صحة انتساب أبناء البنات الى الجدود ، وكما نسب المسيح (عليه السلام) إلى ابراهيم ﴿وَتَلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ ... وَمَنْ ذُرَّتِهِ دَاؤَدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ... وَرَجَرِيَا وَيَحْيَى وَعِيسَى ..﴾ (٦ : ٨٥) وهكذا يستدل الذريعة المعصمومة بالذكر الحكيم

أمام الناكرين <sup>(١)</sup>.

(١) في العيون بإسناده إلى موسى بن جعفر عليهما السلام في حديث له مع الرشيد قال الرشيد له : كيف .

فاختصاص سهم السادة بالمتسبين بالأب . فقط . إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرافة لا تملك برهانا من كتاب او سنة ، بل هما يعارضان ذلك الإختصاص.

. قلت : إننا ذرية النبي والنبي لم يعقب وإنما العقب للذكر لا للأئمّة وأنت ولد البنت ولا يكون له عقب؟ فقلت : أسأله بحق القرابة والقبر ومن فيه إلّا ما أعفاني عن هذه المسألة ، فقال : تخبرني بمحاجتكم فيه يا ولد علي وأنت يا موسى يعسو بهم وإمام زمامهم كذا أنهى إلّي ولست أعفيك في كل ما أسألك عنه حتى تأتيني فيه بمحاجة من كتاب الله وأنت تدعون عشر ولد علي أنه لا يسقط عنكم منه شيء لا ألف ولا وao إلّا تأويله عندكم واحتجتم بقوله عز وجل : ما فرطنا في الكتاب من شيء ، وقد استغنىتم عن رأي العلماء وقياسهم.

فقلت : تأذن لي في الجواب؟ فقال : هات ، قلت : أعود بالله من الشيطان الرجيم باسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسَلِيمَانَ ... وَعِيسَى﴾ من أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟ فقال : ليس له أب ، فقلت : إنما الحقه بذراري الأنبياء من طريق مريم وكذلك أحلفنا الله تعالى بذراري النبي من أمّنا فاطمة ، أزيدك يا أمير المؤمنين؟ قال : هات ، قلت : قول الله عز وجل ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا ...﴾ ولم يدع أحد أنه أدخل النبي (ص) تحت الكساء عند المباهلة مع النصارى إلّا علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكان تأويل قوله : أبناءنا . الحسن والحسين ، ونساءنا : فاطمة ، وأنفسنا : علي بن أبي طالب.

وفي نور الثقلين ١ : ٣٤٩ عن الحصول في إحتجاج علي (ع) على أبي بكر قال : فأنشدك بالله أبي برز رسول الله (ص) وبأهل بي وولدي في مباهلة المشركين من النصارى أم بك وبأهل بي وولدي؟ قال : بكم ، وفيه أيضا من مناقب أمير المؤمنين (ع) وتعدادها قال (ع) : وأما الرابعة والثلاثون فإن النصارى ادعوا أمرا فأنزل الله عز وجل فيه ﴿فَمَنْ حَاجَكَ ...﴾ فكانت نفسي نفس رسول الله (ص) والنساء فاطمة والأبناء الحسن والحسين ثم ندم القوم فسألوا رسول الله (ص) الإعفاء عنهم وقال : «والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد لو باهلونا لمسخهم الله قردة وختانزير» وفيه عن عيون أخبار الرضا (ع) عن النبي (ص) حديث طويل يقول فيه : يا علي من قتلك فقد قتلني ومن أغضبك فقد أغضبني ومن سبك فقد سبني لأنك مني كنفسي روحك من روحي وطيبتك من طينتي.

و «نساءنا» حيث تعني كل النساء الآهلاً للانتساب اليه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) دون خصوص الأزواج ، نراهن اختصرن واحتصرن في قرة عينه وفلذة كبده فاطمة الزهراء سلام الله عليها ، مما يبرهن على فضلها ، وانها تجمع في نفسها الخاصة كل الانتسابات الرسالية بين نساءه بالرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فهي . إذا . مفضلة على كل أزواجه وسوانهن من النساء المنتسبات إليه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

ثم «أنفسنا» هي في جانب الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يتمثل في نفس واحدة هي نفسه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ولم يكن معه في ميالته من غير فاطمته وحسنه إِلَّا عليه (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

فلو كان للرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) انفس يمثلونه لكان عليا (عَلَيْهِ السَّلَامُ)  
لا سواه.

ذلك وقد تواتر عن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قوله بحق هذه المماثلة السامية والمباعدة الحانية : «علي مني وأنا منه لا يؤديعني إلا علي» <sup>(١)</sup> . «علي مني مثل رأسي من بدني» <sup>(٢)</sup> . «منزلة علي مني منزلتي من

(١) حديث صحيح رجاله كلهم ثقات أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤ : ١٦٤ و ١٦٥ بأسانيد أربعة والحافظ ابن ماجة القزويني في سننه ١ : ٥٧ والحافظ أبو عيسى الترمذى في جامعه ١٣ : ١٦٩ و ٢ : ٤٦٠ وفي صحيحه ٢ : ٢١٣ والنمساني في خصائصه ٦٢ و ٢٧ وابن المعازلى الشافعى في المناقب بأسانيد وفيرة والبغوى في المصايح ٢ : ٢٧٥ والخطيب العمرى في المشكاة ٥٥٦ والكتنجى في الكفاية ٥٥٧ والنبووى في تحذيب الأسماء واللغات والحب الطبرى في الرياض ٣ : ٧٤ عن الحافظ السلفى وسبط ابن الجوزى في التذكرة ٢٣ والذهبي في تذكرة الحفاظ وابن كثير في تاريخه والسخارى في المقاصد الحسنة والمناوي في كنز الدقائق ٩٢ والحمونى في فرائد السمعطين ب ٧ والسيوطى في الجامع الصغير وجمع الجوامع وابن حجر في الصواعق ٧٣ والمتقى الهندى في كنز العمال عن (١١) حافظا والبدخشانى في نزل الأبرار ٩ والفقير شيخ بن العيدروس .

الله» (١) مما يؤكد هذه النفيسة النفيسة العلوية الحمدية.

فكون علي (عليه السلام) نفس محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلـمـ) لا يدل فقط على أفضليته على سائر الأمة بأسرهـمـ ، بل وعلى أفضليته على كافة السابقين والمقربين وأولي العزم من النبيين صلوات الله عليهم أجمعين ، ولا فارق بين محمد وعلي (عليـهمـ السـلامـ) إلا في الرسـالةـ ، فهو يسامـيهـ فيما سواها من العـصـمةـ الـقـمـةـ وـسـائـرـ المـدـارـجـ الـقـدـسـيـةـ الـرـوـحـيـةـ وـالـزـمـنـيـةـ بـأـسـرـهـاـ.

ومهما يكن من أمر فقد «خرج (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) وـعـلـيـهـ مـرـطـ منـ شـعـرـ أـسـودـ وـكـانـ قدـ اـحـتـضـنـ الـحـسـنـ (عـلـيـهـ السـلـامـ) وـأـخـذـ بـيـدـ الـحـسـنـ (عـلـيـهـ السـلـامـ) وـفـاطـمـةـ تـمـشـيـ خـلـفـهـ وـعـلـيـ (عـلـيـهـ السـلـامـ) خـلـفـهـ وـهـوـ يـقـولـ : إـذـاـ دـعـوتـ فـأـمـنـوـ فـقـالـ أـسـقـفـ نـجـرانـ يـاـ مـعـشـرـ الـنـصـارـىـ إـنـيـ لـأـرـىـ وـجـوـهـاـ لـوـ سـأـلـوـ اللـهـ أـنـ يـزـيلـ جـبـلاـ مـنـ مـكـانـهـ لـأـزـالـهـ بـهـ فـلـاـ تـبـاهـلـوـ فـتـهـلـكـوـ وـلـاـ يـقـىـ عـلـىـ وـجـهـ الـأـرـضـ نـصـرـانـىـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ ...» (٢).

. في العقد النبوـيـ والـشـبـلـنـجـيـ فيـ نـورـ الـأـبـصـارـ ٧٨ـ والـصـبـانـ فيـ الـاسـعـافـ هـامـشـ نـورـ الـأـبـصـارـ ١٥٥ـ كـلـهـمـ أـخـرـجـوهـ وـرـوـوـهـ عـنـ حـبـشـيـ بـنـ جـنـادـةـ وـعـمـرـانـ وـأـبـيـ ذـرـ الغـفارـيـ عـنـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـ).

وروى مثله البخاري في ٤ من صحيحه عن عمر بن الخطاب وفي الجمع بين الصحيح ج ٣ من عدة طرق ومنها ما عن ابن جنادة عن رسول الله (ص) أنه قال : علي مني وأنا منه.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده وابن المغازلي بالإسناد عنه (ص) وابن الأثير في جامع الأصول عن البخاري ومسلم بسنديهما عن البراء بن عازب عنه (ص) (البحار ٣٨ : ٣٢٨).

(١) أمالى الطوسي عن ابن مسعود ، وأخرجه الحافظ ابن المغازلى كما في العمدة لابن بطريق ٥٣ بإسناده عن بكر بن سوادة عن قبيضة بن ذوب وبأبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله عنه (ص) والسيرات الخلبية ٣ : ٣٩١.

(٢) تفسير الفخر الرازي ٨٠ : روى أنه عليه السلام لما أورد الدلائل على نصارى نجران ثم انحـمـ أـصـرـواـ عـلـىـ جـهـلـهـمـ فـقـالـ عـلـيـهـ السـلـامـ : إـنـ اللـهـ أـمـرـنـيـ إـنـ لـمـ تـقـبـلـواـ الـحـجـةـ أـنـ أـبـاهـلـكـمـ فـقـالـواـ : يـاـ أـبـاـ .

وَمَا أَبْلَغَهُ حَجَةً أَن يَبْاهِلُهُمْ بَعْدَ بَرْهَانِهِ الْمُبِينِ ، تَعْرِيضاً عَرِيشاً عَلَى كَذَبِهِمْ دُونَهُ بِجَمْعِ «الْكَاذِبِينَ» تَأكِيداً أَنْهُمْ هُمْ جَمْعُ النَّجَارِيَّنِ دُونَهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إِذْ كَانَ وَاحِداً فِي تَلْكُ الْمَجَابَةِ مَهْمَا حَمَلَ مَعَهُ حَسْنِيَّهُ وَفَاطِمَتَهُ وَعَلِيهِ (عَلِيهِمُ السَّلَامُ) تَأكِيداً لِلْحَجَةِ وَإِيَاضَاهَا لِلْمَحْجَةِ .

ذَلِكُ ! وَكَمَا أَنْ فِي «وَنَجَعَلُ» دُونَ «وَنَسْأَلُ» تَأكِيداً بِنَزْولِ الْعُنَةِ لَا مُحَالَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ إِحْضَارُ هُؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ كَنِمَادِجَ عَنِ الْبَاقِينَ ، وَإِلَّا لِكَانَ الْمُفْرُوضُ إِحْضَارُ اقْلِيلِ الْجَمْعِ مِنْ كُلِّ مِنَ الْثَّلَاثَ ، وَلَكِنَّ الْجَمْعَ الْأَوَّلَ اخْتَصَ فِي مَسْرَحِ الْمَبَاهِلَةِ بِحَسْنِيَّهُ وَالْجَمْعَ الثَّانِي بِفَاطِمَتَهُ وَالْجَمْعَ الْأَثَلَ ثَالِثَ بِعَلِيهِ مَا يَدْلِلُ عَلَى حَصْرِ تَلْكُ الْأَهْلِيَّةِ فِيهِمْ وَحْسِرَهَا عَمَنْ سَوَاهُمْ .

. وَالْقَاسِمُ بِلَنْ يَرْجِعُ فَنَنْظِرُ فِي أَمْرِنَا ثُمَّ نَأْتِيكُ فَلِمَا رَجَعُوا قَالُوا لِلْعَاقِبِ . وَكَانَ ذَا رَأِيْهِمْ . يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ مَا تَرَى ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُمْ يَا مَعْشِرَ النَّصَارَى أَنَّ مُحَمَّداً نَبِيًّا مُرْسَلًا وَلَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْكَلَامِ الْحَقِّ فِي أَمْرِ صَاحِبِكُمْ وَاللَّهُ مَا بَاهَلَ قَوْمَ نَبِيَا قَطْ فَعَاشَ كَبِيرَهُمْ وَلَا نَبَتْ صَغِيرَهُمْ وَلَعِنْ فَعَلْتُمْ لِكَانَ الْاِسْتِصَالَ إِنْ أَبِيتُمْ إِلَّا إِلْصَارَ عَلَى دِينِكُمْ وَالْإِقَامَةَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ فَوَادَعُوا الرَّجُلَ وَانْصَرَفُوا إِلَى بَلَادِكُمْ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَ) خَرَجَ وَعَلَيْهِ مَرْطَ ... ثُمَّ قَالُوا يَا أَبَا الْقَاسِمِ رَأَيْنَا أَنْ لَا نَبَاهَلُكَ وَأَنْ نَقْرَكَ عَلَى دِينِكَ فَقَالَ (صَ) إِنْ أَبِيتُمْ الْمَبَاهِلَةَ فَأَسْلِمُوهَا يَكْنِ لَكُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَأَبْوَا فَقَالَ (صَ) إِنَّا نَاجَرُكُمُ الْقَتَالَ فَقَالُوا مَا لَنَا بِحَرْبِ الْعَرَبِ طَاقَةٌ وَلَكُنْ نَصَالِحُكُ عَلَى أَنْ لَا تَغْزُونَا وَلَا تَرْدَنَا عَنِ دِينِنَا عَلَى أَنْ نَوْدِي إِلَيْكُ فِي كُلِّ عَامٍ أَلْفَ حَلَةٍ : أَنْفَنَا فِي صَفَرٍ وَأَنْفَنَا فِي رَجَبٍ وَثَلَاثِينَ درَعاً عَادِيَةً مِنْ حَدِيدٍ فَصَالَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الْمَلَكَ قَدْ تَدَلَّلَ عَلَى أَهْلِ نَجَرانَ وَلَوْ لَاعْنَوْا لِمَسْخِوْ قَرْدَةً وَخَنَازِيرَ وَلَا ضَطْرَمَ عَلَيْهِمُ الْوَادِي نَاراً وَلَا سَأَصْلِلَ اللَّهُ نَجَرانَ وَأَهْلَهُ حَتَّى الطَّيْرُ عَلَى رُؤُوسِ الشَّجَرِ وَمَا حَالَ الْحَوْلُ عَلَى النَّصَارَى كُلَّهُمْ حَتَّى يَهْلَكُوْ .

قَالَ : وَرَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا خَرَجَ فِي الْمَرْطِ الْأَسْوَدِ فَجَاءَ الْحَسَنُ (عَ) فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ جَاءَ الْحَسَنَ (عَ) فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ فَاطِمَةَ ثُمَّ عَلِيَّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ثُمَّ قَالَ : إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَنْهَا عَنْكُمُ الرِّجَسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَلِيَطَهِّرُكُمْ تَطَهِّرَا ، وَاعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ كَمُلْتَفِقٍ عَلَى صَحَّتِهَا بَيْنَ أَهْلِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ .

ومن الطريق حوار بين الامام الرضا (عليه السلام) والمأمون حيث قال : ما الدليل على خلافة جدك علي بن أبي طالب؟ قال : آية أنفسنا ، قال : لولا نساءنا قال : لولا أبناءنا <sup>(١)</sup>.

فقد عنى المأمون بـ «لولا نساءنا» إنما دليل كون الأنفس هم كل الذكور بقرينة المقابلة فليسوا هم علينا فحسب ، فأجاب «لولا أبناءنا» ان لو عني بـ «أنفسنا» الذكور لشملت الأبناء ، فإفراد الأبناء دليل اختصاص «أنفسنا» بذكور خصوص ، وهو رجل خاص : علي (عليه السلام) ، حيث حمل كل نفسيات الرسول في شخصه الشخص ، فلو كان هناك نفس للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يمثلونه لم تكن إلا عليا (عليه السلام) الذي هو بدوره نفس الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا في رسالته ، فلا دور لما أورده بعض المحاجيل على انتباط أبناءنا على الحسينين لمكان التثنية ونساءنا وأنفسنا على فاطمة

(١) ومثله ما في حقائق التأويل للسيد الشريف الرضا ص ١١٢ قال : ومن شجون هذه المسألة ما حكي عن القاسم بن سهل التوشجاني قال : كنت بين المأمون في ديوان أبي مسلم بمرو وعلى بن موسى الرضا عليهما السلام قاعد عن يمينه فقال لي المأمون يا قاسم أي فضائل صاحبك أفضل؟ فقلت ليس شيء منها أفضل من آية المائدة فإن الله سبحانه جعل نفس رسوله (ص) ونفس علي واحدة فقال لي : إن قال لك خصمك : إن الناس قد عرّفوا الأبناء في هذه الآية والنساء وهم الحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام وأما النفس فهي نفس رسول الله (ص) وحده بأي شيء تحبيبه؟ قال التوшجاني : فأظلم على ما بينه وبيني وأمسكت لا أهتدى بمحجة فقال المأمون للرضا (ع) ما تقول فيها يا أبو الحسن (ع) فقال له : في هذا شيء لا مذهب عنه قال : وما هو ، قال : هو أنه رسول الله (ص) داع ولذلك قال الله سبحانه : ﴿فَقُلْنَّ تَعَالَوْا...﴾ والداعي لا يدع نفسه إنما يدعو غيره ، فلما دعا الأبناء والنساء ولم يصح أن يدع نفسه لم يصح أن يتوجه دعاء الأنفس إلا إلى علي بن أبي طالب (ع) إذ لم يكن بحضورته . بعد من ذكرناه . غيره من يجوز توجيه دعاء الأنفس إليه ولو لم يكن ذلك كذلك لبطل معنى الآية ، قال التوشجاني : فانجل عن بصري وأمسك المأمون قليلا ثم قال له يا أبو الحسن إذا أصيّب الصواب انقطع الجواب .

وعلي (عليهم السلام) لمكان الإفراد ، لأن ذلك من باب الانطباق دون الدلالة اللغوية.  
فقد عني من «نساءنا» أخص النساء وأصيقهن للمباهلين فانحصرن للنبي بفاطمة  
(عليها السلام) ومن أبناءنا أخص الأبناء فانحصروا بالحسنين ، بل ولم يكن له أبناء غيرهما ،  
ثم ومن أنفسنا خير الممثلين للمباهلين ولم يكن للنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الا علي  
(عليه السلام) ، واما نساءكم وأبناؤكم وأنفسكم فهم كثرة حسب عديد المباهلين الكاذبين  
مهما لم يكونوا حضورا إذ طلب منهم إحضارهم ولكنهم تحاشوا عن ذلك المسرح الخطير بقية  
على أنفسهم وأهليهم.

ولقد نرى من ذكر الجمع وارادة مصداق واحد عديدا في الذكر الحكيم ، اك **﴿إِنَّا**  
**وَلِيُكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴿٥٥﴾ :

ولا مصداق له الا علي (عليه السلام) حيث ذكرى في رکوع الصلاة ، فكان **﴿الَّذِينَ**

**آمَنُوا** ﴿٦﴾ عنوانا مشيرا إلى خصوص ذلك المصداق.

وكذلك الجموع التي نزلت بشأن الوحدات تعينا للأحكام التي تضمنها اك **﴿الَّذِينَ**

**يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أَمْهَاتِهِمْ** ﴿٢﴾ **﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ مُمَّ**

**يَعْوِدُونَ لِمَا قَالُوا** <sup>(١)</sup> **﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا**

(١) الشعر الجاهلي هو

أقول هذه آية الأحزاب ﴿... وَمَا جَعَلْ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذُلْكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾.

**إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَّكُنْ أَغْنِيَاءُ** ﴿٣﴾ **وَيَسْأَلُونَكَ مَا ذَا يُفْقِدُونَ قُلِ الْعَفْوُ** ﴿٢١٩﴾ **(١٨١)** **وَيَسْأَلُونَكَ مَا ذَا يُفْقِدُونَ قُلِ الْعَفْوُ** ﴿٢﴾ **(٢١٩ : ٣)**

وما أشبهها من آيات تذكر جموعاً وموارد النزول وحدات ، ام تعني وحدات تجمع في أنفسها  
كيان الجموع كما **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَمَّةً** ﴿٦﴾ **(١٢٠ : ٦)** أمّاهيه؟.

ذلك . وحين نرى الإخوة في الدين . ككل . هم حسب القرآن نفس إخوانهم كما  
**وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ** ﴿٤﴾ **فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ** ﴿٥﴾ اجراء للاخوة بالديانة  
محرى الاخوة في القرابة ، فبآخرى ان يكون علي (عليه السلام) نفس الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بل نفسه لو كانت له نفس او من يمثلونه .  
وإذا وقعت النفس في بلية العبارة على بعيد النسب كانت أجرى ان تقع على  
القريب النسب والسبب .

ومن غريب التهريف في التحريف أن عليا (عليه السلام) أريد هنا من «أبناءنا» دون  
«أنفسنا» فرارا عن الإقرار له بتلك المنزلة الكريمة ، ثم وبماذا يفسر «أنفسنا» والداعي أول  
الحضور فكيف يدعو نفسه؟.

فآية المباهلة . إذا . هي من اظهر الآيات البينات على القدسية القمة لهؤلاء الأربعة ولا  
سيما علي (عليه السلام) حيث احتل في قدسيته القمة الحمدية وكأنه نفسه المقدسة ، فهما  
. إذا . روح واحدة مهما تعددت في البدن ، وتفارقا في ظاهر الرسالة الأخيرة!.

**وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ** ﴿٤﴾ ولا تعني إلا الأدعية ، فهل إن أبناء البنات من الأدعية ، أم ترى أن الحسينين عليهما  
السلام وسائر الأنئمة عليهم السلام هم من أدعية الرسول (ص)؟ إن هي إلا فرية جاهلة وقحة!

وَمَا تَدْلِيْلُ عَلَيْهِ آيَةً لِـالْمُبَاهِلَةِ إِنَّ أَبْنَاءَ الْبَنْتِ هُمْ أَبْنَاءُ أَبِيهَا كَمَا هُمْ آبَاءُهُمْ فَإِنْ «أَبْنَاءُنَا»  
لَا تَعْنِي إِلَّا الْحَسَنَيْنَ.

إِذَا فَكَلَ أَبْنَاءُ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مِنْ فَاطِمَةَ هُنْ ذَرِيْتَهُمْ دُونَ فَرْقٍ بَيْنِ  
الْمُنْتَسِبِينَ بِالْأَبِ وَالْأُمِّ أَوْ الْمُنْتَسِبِينَ بِأَحَدِهَا إِلَيْهَا سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهَا.  
وَلَا دَلِيلٌ لِـمَنْ يَخْتَصُ سَهْمَ السَّادَةِ بِالْمُنْتَسِبِينَ إِلَيْهَا بِآبَاءِهِمْ إِلَّا الشِّعْرُ وَالْحَدِيثُ  
الْجَاهِلِيْنَ فَلِيَضْرِبَا عَرْضَ الْحَائِطِ فَإِنْ «اَدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ» اَنَّمَا هِيَ لِلْأَدْعِيَاءِ ، فَهَلْ إِنَّ الْحَسَنَيْنَ -  
كَذَلِكَ . مِنَ الْأَدْعِيَاءِ؟.

**﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحُقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾** ٦٣

«القصص» ككل هو اتباع الأثر تحسساً عمما فيه أثر لتبني الحياة الحسني ، وهكذا  
يقص القرآن القصص الحق الذي لا مرية فيه ، رفضاً للقصص الباطل الذي ملأ الأجواء  
المضللة.

«ان هذا» الذي قص من قصة الحوار بين الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)  
ونصارى نجران **﴿هُوَ الْقَصَصُ الْحُقُّ﴾** وهو المختصر المختصر **﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** . **﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾** عن ذلك التوحيد الوحد، الى توحيد الثالوث . بزعمهم .  
الوهيد **﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾** عقيديا . ف :  
**﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ  
شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**  
(٦٤).

الشرع الكتابية مهما اختلفت في البعض من طقوسها العبادية ليست

لتختلف في توحيد العبود ، فانه الميزة البارزة القمة للشرعية الكتابية عن الإشراك بالله والإلحاد في الله ، فالالتزام الكتابي بتوحيد الله حق مشترك لا حول عنه إلا للمرتد عن كتب الله الداعية إلى توحيد الله ، وانها كلمة جامعة قامعة وقد أتت في كتابات للرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يدعو فيها الملوك والشيوخ والرعماء إلى الإسلام وكما نقرؤه في كتابه إلى هرقل عظيم الروم <sup>(١)</sup>.

وهذه الدعوة هي القاطعة القاصدة في كل حوار ان يتبنى المحاورون كلمة سواء بينهم ، ولا سواء بين الكتابيين أفضل وأحرى بالبناء من كلمة التوحيد ، وهكذا ندرس من القرآن كيف نحاور معارضينا كحججة أخيرة حين لا تنفع سائر الحجج وكما نراها هنا بين الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والكتابيين .

وكما أن كلمة التوحيد هي كلمة سواء بيننا وبين كافة الموحدين ، كذلك القرآن كلمة سواء بيننا نحن المسلمين ، فنحن المتابعون للقرآن كأصل هو رأس الزاوية في كل الislamيات ، نقول للذين اخذلوا الى دراسات غير قرآنية ، تعالوا إلى كلمة القرآن وهي سواء بيننا وبينكم ، لأن تبنيا في كافة الأصول والفروع .

**أَسْتَمْ تَقُولُونَ إِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الدَّلِيلُ الْأَوَّلُ وَالْمُحْوَرُ الْأَصْبَلُ ، فَلِمَا ذَلِكَ لَا**

(١) الدر المنشور ١ : ٤٠ . أخرج عبد الرزاق والبخاري ومسلم والنسائي وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال حدثني أبو سفيان أن هرقل دعا بكتاب رسول الله (ص) فقرأه فإذا فيه «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْهِ أَنْ هَرْقُلُ عَظِيمُ الْرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدُعَائِيَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلَمْ تَسْلِمْ يُؤْتَكَ اللَّهُ أَجْرُكَ مَرْتَنْ فَإِنْ تُولِّيَتْ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرْسَيْنِ وَ**﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا تَعْبُدُ إِلَهًا لَّا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا إِلَى قَوْلِهِ أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾** وفيه أخرج الطبراني عن ابن عباس أن كتاب رسول الله (ص) إلى الكفار **﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ . . .﴾** وفيه أخرج ابن حجر وابن أبي حاتم عن ابن جريج في الآية قال بلغني أن النبي (ص) دعا يهود أهل المدينة إلى ذلك فأبوا عليه فجاهدهم حتى أتوا بالجزية .

نجده أصيلا في دراساتكم الحوزوية ، وإذا أقبل طلاب مظلومون الى ذلك الكتاب المظلوم تتقولون في نواديكم المنكرة انهم ليسوا من طلاب الحوزة الرسميين؟!.

وترى **﴿أَهْلُ الْكِتَاب﴾** ككل كانوا يعبدون غير الله ، والشرعية الكتبية . ككل . هي شرعة التوحيد وهم كانوا يطعنون في رأي من عبد غير الله تعالى من مشركة الأمم ومؤلهي الصنم؟.

اجل فإن منهم من يعبدون المسيح كما الله حيث اعتقدوا فيه انه الله او ابن الله ، فعبادته . إذا . هي عبادة الله! : **﴿إِنَّمَا قُلْتَ لِلنَّاسِ تَخَذُّلِي وَأَمْيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** (٥) . (١١٦)

ومن ثم فهم عظموا رؤسائهم ورحبوا علماءهم وقلدوهم في التحليل والتحريم والتأخير والتقديم وتقحموا ما قحّموهم من فاسد العقيدة والمذاهب الرديئة ، قلدوهم كأنهم آلة إلا الله ، تقليدا طليقا يخلق على ما ينحر العقلية الكتبية ونصوصها : **﴿تَخَذُّلُوا أَخْبَارَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ..﴾** (٥ : ٣١).

ذلك وكما نراهم يركعون ويسجدون للصلب ولتمثال المسيح ، بل ولعلمائهم ، سجودا وتکفيرا وتضاعلا وخضوعا بالغا . كما الله . لكبارهم وديانיהם واولي التقدم في دينهم ، وكذلك ملائكة أمرهم زمنيا او اقتصاديا او ثقافيا ، يطيعونهم حين لا يطيعون الله ، فالربويات الواقعية تربويا لا بد وان تنتهي الى ربوية الله دونما محادة ومشافة .

ففيما يسئل رسول المدى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ما كنا نعبدهم يا رسول الله ! يقول : أما كانوا يجلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم؟ فقال :

نعم فقال : هو ذاك <sup>(١)</sup>.

فالتوحيد الحق هو جماع التوحيد المخلق على وحدة الذات وهي مع الصفات والصفات مع بعضها البعض ، ووحدة الخالقية والمعبودية والطاعة وما الى ذلك من شؤون الألوهية والربوبية في وحدات ، فمن نقض واحدة منها فقد نقض كامل التوحيد ، داخلا في الإشراك بالله ما لم ينزل به سلطانا.

**﴿فَإِنْ تَوَلُّوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾** الله في كامل توحيده وأنتم غير مسلمين له.

فالمسلمون لله هم المعتقدون الحقيقون كامل درجات التوحيد ، خصيصة تميزهم عن سواهم ، وأهم مراحل التوحيد هي توحيد العبودية والطاعة ، فهو التحرر الطليق عن كل عبودية او طاعة سوى الله ، اللهم إلا بأمر الله كطاعة رسول الله ، وأما العبودية فكلا.

في حقول الانظمة الأرضية تتوفّر عبادة من دون الله واتخاذ بعض بعضاً أرباباً من دون الله ، سواء أكان في أرقى الديمقراطيات ام في أحط الدكتاتوريات ، مهما كانت تلك العبوديات في سجود او رکوع ام في طاعات طليقة لغير الله.

ولكن النّظام الإسلامي السامي يحرر الإنسان عن كل عبودية وطاعة من سوى الله ، حيوية سليمة طليقة في بعد واحد هو الله.

ولقد تركّزت الدعوة التوحيدية الموجهة الى اهل الكتاب إلى مثلثة الجهات ، رفضاً لثالوث العبوديات.

**١ ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ﴾** في آية مرحلة من مراحل العبودية ، في السيرة

(١). نور الثقلين ١ : ٣٥٢ وقد روى أنه لما نزلت هذه الآية قال عدي بن حاتم : ...

والصورة ، في حالة وحالة أمهاته.

**٢ ﴿وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً﴾** فيما يختص بساحة الربوبية ، في آية دركة من دركات الإشراك بالله حالة وفعالة ، عبادة وطاعة وتأثيرا في تكوين او تشريع.

**٣ ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَزْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** في الربوبية الخاصة بالله ، وسائل الربوبيات المناحرة لربوبية الله.

وفي **﴿بَعْضُنَا بَعْضًا﴾** برهانان اثنان أحدهما على بطلان الربوبية في هذا البين لمكان المباضعة ، إذ لا يمتاز بعض عن بعض لمشاركتها في الكيان أيا كان ، وثانيهما على ان الله ليس كمثله شيء فلا مباضعة بين الرب والربوبين فلن ذلك يستحق هو الربوبية لا سواه . فمهما كان لبعض على بعض . في المشاركين . فضل ، وليس ليأهل ربوبية على قسيمه ، فانها غنى مطلقة والربوبية فقر مطلق .

فيما له برهانا ما أوضحه على كلمة التوحيد **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾** في جميع شؤون الألوهية ، كلمة سواه في العقلية الإنسانية والكتابية ، فالمتولى عنها متول عنهم على سواه .

وقد ينضم ثالوث السلب في «لا إله» كما توحيد الإيجاب في «إلا الله» ولا تعني سائر كلمات التوحيد وعباراته إلا الكلمة الإخلاص هذه **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾**.  
خطاب اهل الكتاب . ككل . بكلمة سواه ، تنديد بهم في كافة الانحرافات والانحرافات عن التوحيد الحق ، هودا كانوا او نصارى او مسلمين : **﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾**.

فليست صيغة «الإسلام . و . المسلمين» مما تصوغ كامل التوحيد ، كما وأن صيغة التهود والنصر ليست تصوغ الإشراك بالله ، ف ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيْكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٤ : ١٢٣).

وليست ﴿كَلِمَةٌ سَوَاءٌ﴾ . فقط . لفظة تقال مهما تأولوها بما لا تعنيه كتوحيد التشليث او الثنوية أماهيه ، ام كانت اعمالهم واتجاهاتهم تضادها ام لا تتجاوب معها ، فقد تعني كلمة التوحيد بعد قالها حالها واعمالها في كافة مدارجها ، فهي التي يقول الله عنها «كلمة لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي».

ويال له حوارا ما أجمله وأنصفه ان يدخل الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) نفسه والذين معه في جموع اهل الكتاب ل ﴿كَلِمَةٌ سَوَاءٌ﴾ دون ان يختصهم بمثلث النهي ، لئلا يكون تعريضا عليهم صراحـا ، فاما هو ختام للجدال بالتي هي احسن بـأنـصـفـ النـصـفـةـ وهو الالتزام بما هو لـزـامـ الشـرـعـةـ الـكتـابـيـةـ لأـهـلـهاـ هـوـدـاـ وـنـصـارـىـ وـمـسـلـمـيـنـ.

ثم وأخـيراـ ﴿فَإِنْ تَوَلُوا﴾ عن ﴿كَلِمَةٌ سَوَاءٌ﴾ . ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ دونكم دون «أنـتمـ كـافـرـونـ».

وهـناـ نـدرـسـ منـ اـدـبـ الـحـوارـ الرـسـالـيـ لـكـلـ دـاعـيـ آـنـهـ .ـ كـكـلـ .ـ اـسـتـجـاشـةـ لـلـفـطـرـةـ وـالـعـقـلـيـةـ الـاـنـسـانـيـةـ وـالـوـحـدـوـيـةـ الـكـتـابـيـةـ ماـ يـقـرـبـ إـلـىـ الـحـقـ ،ـ اوـ .ـ لـأـقـلـ تـقـدـيرـ .ـ لـاـ يـغـرـبـ عـنـهـ ،ـ دـوـنـماـ سـبـابـ اوـ اـنـقـامـ فـيـ الـخـاصـ .ـ

فرغم عدم السواء في كلمة التوحيد بيننا وبينهم واقعـياـ يـوجـهـهـمـ اللهـ إـلـيـهـ مـبـدـئـيـاـ كـتـابـياـ ،ـ فـ ﴿سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ بـسـنـدـ الشـرـعـةـ الـكتـابـيـةـ بـعـدـ سـنـادـ الـفـطـرـةـ

والعقلية الإنسانية فالمختلف عنها متخلص عن الكلمة سواء مهما كان مسلما او من هود او نصاري.

**﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تُحَاجُّوْنَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَنْزَلْتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُوْنَ﴾ (٦٥).**

لقد حاج أهل الكتاب رسول الهدى (صلى الله عليه وآلہ وسلم) في إبراهيم كأنه يهودي أو نصاري ، حجة واقعية من الرسالة الإبراهيمية المقبولة لدى الكل ، فتهوده او تنصره قد يقضي على **﴿كَلْمَةٌ سَوَاءٌ﴾** او يتهاون.

ولكنهم محجوجون في هذا المسرح قبل كل شيء بأنه **﴿مَا أَنْزَلْتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾** فكيف يعقل تهوده وتنصره **﴿أَفَلَا تَعْقِلُوْنَ﴾** **﴿أَمْ تَقُولُوْنَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنَّتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ كَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ (٢ : ١٤٠).**

ذلك ولقد جرت العادة للمبطلين ان يضموا أنفسهم الى قادة الحقين لكي يبرروا باطلهم كأنه حق ، حينما كلت كل حججهم عن إثبات الباطل وتنزييف الحق.

**﴿هَا أَنْتُمْ هُؤُلَاءِ حَاجِجُهُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ﴾ (٦٦).**

الم الحاجة الحقة الصادقة هي التي تتبنى العلم ، والتي لا تتبناه هي من الباطل ، فلتكن لأهل الكتاب مجاجitan اثنتان حقة وباطلة ، فما هي الأولى؟ والأخرية ظاهرة من تلك الحوار ، من الحاجة الحقة للنصارى ما احتاجوا به لإثبات رسالة السيد المسيح على اليهود وهم ناكروها ، ومنها لليهود عليهم ما احتاجوا به لإبطال الوهية المسيح والتثليث أما إذا من حجاجات حقة بينهم أنفسهم.

ومن الباطلة احتجاجها على المسلمين بالتهود والتنصر لإبراهيم الخليل تبنتها لاختلاقهم المعارضة للشريعة الكتابية ، والحجاج الحقة ليست لتثبت الحق في الحاج الباطلة ، وإنما يقدر كل بقدره.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ . (٦٧)

لأن التهود والتنصر اختلفا منذ نزول التوراة والإنجيل ، وهما . دون ريب . أنزلتا بعد إبراهيم (عليه السلام) فمن المستحيل كون إبراهيم يهوديا أو نصريانا حتى يتمسك في صحتهما بشيخ المسلمين.

ولكن يبقى سؤال : كيف يشك أي ذي مسكة أو سفيه أن إبراهيم الذي عاش قبل نزول الكتابين يقرؤون هو يهودي او نصري ، حتى يتطلب ذلك النقاش العريض في عديد من آيات الذكر الحكيم؟.

والجواب أن كلاً من المhood والنصارى كانوا . ولا يزالون . يدعون ان الشريعة الإلهية هي شريعة التوراة او الإنجيل ، امتدادا زمنيا خلفيا وأماميا مهما جاء بهما الرسولان ، فليكن إبراهيم ومن قبله ومن بعده إلى يوم القيمة هودا او نصاري : ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ فالنبيون الأولون والآخرون والذين معهم هم هود في الأصل او نصاري حتى يستحقوا دخول الجنة.

ومن الامتداد الخلقي المدعى : ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ..﴾ (٢ : ١٤٠).

فبناء على هذه الضابطة المدعى إبراهيم الخليل (عليه السلام) هو من المhood او النصاري ، وقضية الشريعة التورانية او الإنجيلية هذه التي نعتقدها فنحن . إذا . من أتباع إبراهيم الخليل (عليه السلام).

والقرآن يزيف في آيات عدّة أولاً نزول التوراة والإنجيل إلّا من بعد إبراهيم ، ثم وفي أخرى يصرّ بعديد الشرائع الإلهية : ﴿كُلِّي جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرِيعَةً وَمِنْهَا جَاءَ﴾ (٥ : ٤٨) ﴿كُلِّي أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ﴾ (٦٧ : ٢٢).

وذلك هو الشأن الشائن كل الطائفتين المتصلبين ، كأن شرعهم هي شرعة الكل ، فالمختلف عنها خارج عن شرعة الله ، تنددوا بسائر كتابات الوحي ورسالاته بأسمها.

وترى ﴿خَيْفَا مُسْلِمًا﴾ ليس رجوعا إلى مثل الدعوى وقد أنزل القرآن من بعده؟ . كلا ، حيث الإسلام هو التسليم لله في كافة الأدوار الرسالية ، فالنبيون والذين معهم كلهم كانوا مسلمين لله وكما في آيات عدّة ، وما اختصاص المسلمين الآخرين باسم الإسلام ، إلا مقابلته بالذين يكفرون بشرعية القرآن ، وانما لم تحرف أو تبدل فحفظ إسلامه سليما كما أنزل دون سائر كتابات الوحي حيث حرفت عن جهات اشراعها اصلية وفرعية . ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تأيد أكيد للمعنى من إسلام إبراهيم ، فان قضيته التقسيم إلى مسلم ومشرك ، وكل المسلمين لله في الأدوار الرسالية مسلمون ومن سواهم مشركون او ملحدون.

وهنا تنحل المشكلة في محاجتهم فيما ليس لهم به علم ، إذ كانوا يعلمون نزول التوراة والإنجيل ولكنهم يجهلون ان ليسا هما كتابي الشريعة الإلهية الممدودين خلفيا وأماميا . هذا إبراهيم ، ثم ومن هو أولى به انتسابا روحيا هو الأولى في كل الحقول الروحية :

﴿إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .(٦٨)

ليس الأولى بإبراهيم من يدعون تهوده وتنصره كذبا وزورا ، ولا المتسببون إليه سببا او نسبا ، إنما هم الذين اتبعوه في حفنه وإسلامه ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ .

فلقد اختصت الأولوية هنا بالذين اتبعوه وبهذا النبي الذي هو في الحق متبعه في محدث الإسلام ، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ على طول خط الرسالات دون فارق بين مؤمن ومؤمن إلا بفارق درجات الإيمان ، دون سائر الفوارق المختلفة المختلقة ، عنصرية أو إقليمية أو طائفية أماهية.

ذلك . فكذلك إن أولى الناس بمحمد للذين اتبعوه ، لا الذين انتسبوا إليه بسبب او نسب او عاصروه وصاحبوه ، مهما كان الأولى بالقرابة والطاعة الأولى من وليه بالطاعة لأنه جمع النورين وكما يروى عن علي (عليه السلام) : فتحن مرة أولى بالقرابة وتارة أولى بالطاعة .<sup>(١)</sup>

ويروى عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ) «إن ولی محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ) من أطاع الله ورسوله وإن بعدت لحمته وإن عدو محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ) من عصى الله ورسوله وإن قربت قرابته»<sup>(٢)</sup> و : إن أولى الناس بالنبي المتقوون فكونوا أنتم بسبيل ذلك فانظروا لا يلقاني الناس

(١) المصدر عن نجح البلاغة من كتاب له (ع) إلى معاوية جوابا وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا وهو قوله سبحانه ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوَّلَ بَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ وقوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

(٢) نور التقلين ١ : ٣٥٣ عن المجمع قال أمير المؤمنين علي (ع) ان أولى الناس بالأئباء أعلمهم بما جاءوا به ثم تلى هذه الآية وقال : ...

يحملون الأعمال وتلقون بالدنيا تحملونها فأصدق عنكم بوجهي ثم قرأ هذه الآية<sup>(١)</sup>.

صاحب الطاعة أولى بالنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) من صاحب القرابة ، والجامع بينهما أولى من صاحب الطاعة ، كما وان القريب العاصي أغرب من الغريب العاصي وكما قال الله في نساء النبي : ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِّي أَنْتُنَّ .. يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعِفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعَافِينَ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ، وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا فَإِنَّ اللَّهَ أَعْدَ لِلْمُحْسِنِاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وانها ضابطة ثابتة على مدار الزمن الرسالي ، أن الأصل في الأولوية إيجابية وسلبية هي الطاعة إيجابية وسلبية ، ثم تزيدتها القرابة بدرجاتها درجات أمن دركات.

وهذه الصورة الوضائة المشرقة هي ارق صورة للتجمع الانساني لمجمع واحد ، تمييزا له من القطيع ، صورة تسمح بتلك الوحدة العريقة غير الوهيدة دون قيود إلا ما يختاره الإنسان من صالح العقيدة والعملية.

فبامكان الإنسان أيا كان أن يغير عقيدته وعمله من طالع الى صالح او من صالح إلى طالع فيدخل نفسه في صالحين ام طالحين ، وليس بامكانه ان يغير لونه وميادده ونسبه ،مهما كان يملك ان يغير لغته او شغله او طبقته بصعوبة ، فتبقى الحواجز . إذا . سارية المفعول لو لا عامل الوحدة العقائدية التي يقرب كل غريب ويغرب كل قريب.

(١) الدر المثور ٢ : ٤٣ . أخرج ابن أبي حاتم عن الحكم بن ميناء أن رسول الله (ص) قال : يا معاشر قريش:

...

﴿وَدَّ طِائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضْلُّنَّكُمْ وَمَا يُضْلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

. ﴿٦٩﴾

﴿وَدَّ ... لَوْ﴾ تخيل ذلك الإضلal المرجحى ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ و «لا يضللون» في ودهم هذا ﴿إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ حيث يتضاعف ضلالهم وعداهم بما ودوا ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنهم ﴿مَا يُضْلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾.

ذلك وحتى ﴿لَوْ يُضْلُّنَّكُمْ﴾ إن لم تقوموا بشرائط الایمان بإضلالهم راجع بالنتيجة إلى أنفسهم حيث يزدادون جزاء وفaca : ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَنْقَاهُمْ وَأَنْقَالًا مَعَ أَنْقَاهُمْ﴾ (٢٩ : ١٣) ﴿لَيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضْلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَرِوْنَ﴾ (٢٥ : ١٦).

ففيما لا يضل منكم بإضلالهم فالحصار حقيقي دون ريب ، إذ ظلت محاولة الإضلal فاشلة إلّا في أنفسهم إذ يزدادون ضلالا ، وفيما يضل البعض ، فليس الراجع الى المضلّل إلّا ضلال إلى ضلال ، والمضلّل إنما ضل بسوء اختياره ، فالحصار نسيجي والخاسر الأصيل هو المضلّل ف ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ (٤١ : ٤٦) ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسٍ يَمْهُدُونَ﴾ (٤٤ : ٣٠).

ذلك! ولأن ذلك الود المضلّل ليس عن إيمان بباطلهم وكفر بحقهم وإنما حسدا ولزيكونوا سواء : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّنَّكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾ (٤ : ١٠٩) ﴿وَدُّوا لَوْ تَكُفُّرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (٤ : ٨٩).

ومن إضلالهم إياهم قولتهم : أنتم تؤمنون بموسى والمسيح كما نحن مؤمنون فما هو برهانكم على رسالة محمد ونحن به كافرون؟ والجواب أننا نؤمن بالمسيح الذي بشر بمحمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لا المسيح الله او ابن الله

او خاتم الرسل الناكر لرسالة خاتم النبيين (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).  
ومنه ان النسخ قول بالبداء وان الله يجهل ثم يعلم ، والجواب أنه يبين أمد الحكم  
السابق قضية المصالح الواقية في الأحكام المتبدلة ، ثم لا نسخ في أصول الدين وجذور  
الأحكام ...

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَكُفُّرُوْنَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهُدُوْنَ﴾ (٧٠).

﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ هم كلهم ، و «تكفرون» لا تعني . فيما عنت . صراح الكفر بالله ،  
فاما آيات الله مهما استلزم الكفر بالله .

و ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ تعم آيات الربوبية والآيات الرسولية والرسالية ، ومنها هنا آيات  
البشارات بالرسالة الحمدية (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الموجودة في كتابات العهددين عتيقة  
و جديدة ، كما ومنها الآيات التي كانوا يحرفوها ، وقضية الأهلية الكتابية تصدق سائر آيات  
الوحى ثم ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهُدُوْنَ﴾ ها ، أنها آيات الله ، لأنها في كتاباتكم ، ولأنها في هذه الرسالة  
تشبه سائر الآيات الرسالية وزيادة.

﴿وَأَنْتُمْ تَشْهُدُوْنَ﴾ مشاهد المسلمين بهذه الرسالة ، وإذا خلا بعضكم إلى بعض  
تصدقون ، ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهُدُوْنَ﴾ انطباق آيات البشارات على هذه الرسالة السامية.

﴿وَأَنْتُمْ تَشْهُدُوْنَ﴾ بهذه الآيات أنها حقة في أنفسكم وفيما بينكم.

﴿وَأَنْتُمْ تَشْهُدُوْنَ﴾ عليها في مشهد المسلمين ، فكل هذه الشهادات هنا معنية حيث  
المتعلق المحدود ل «تشهدون» طليق يليق أن يكون كلا من هذه الأربع مهما اختلفت  
معانيها ، حيث تتوحد في التنديد بذلك الكفر الماكر ، وانه من أحسن الكفر وأتعسه.

إنهم يكفرون بآيات الله . مطلعين على البشارات وغير مطلعين . لا لنقص في الدليل ولكن المصلحية والتضليل ، فتقرعهم بینات الآيات بواقع موقفهم المريب المعيب .

**﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَلِسُوْنَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْنُمُوْنَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ﴾ (٧١).**

ولقد كانوا يلبسون الحق ويعمرونه في غamar الباطل ، الأمر الذي درجوا عليه منذ البداية وحتى اللحظات الحاضرة ، يقدمهم اليهود ويتبعهم النصارى ، و «إنا بدء وقوع الفتنة أهواه تتبع وأحكام تتبدع يخالف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجال غالا فلو أن الحق خلص لم يكن للباطل حجة ولو أن الباطل خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معا فهناك استحوذ الشيطان على أولياءه ونجى الذين سبقت لهم من الله الحسنة» <sup>(١)</sup>.

فليس الحق بلباس الباطل وليس الباطل بلباس الحق شيطنة مدروسة على مدار الزمن الرسالي يصطاد بها السدّاج البلة الذين لم يعرفوا الباطل والحق حقهما فهم هج رعاع ، أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ولا يلتجأون الى ركن وثيق .

والمهمة الأولى والأخيرة لهؤلاء المناكيد كتمان الحق حتى لا يتبع ، أن يلبس بالباطل كما يلبس الباطل بالحق ، والحق ضائع في المسرحين .

**﴿لَمْ تَلِسُوْنَ ... وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ﴾** لبسكم ، و «تعلمون» الحق والباطل ، وأنتم اهل

الكتاب الذي يعرفكم الحق والباطل فلم تلبسون؟.

(١) من خطب للإمام علي أمير المؤمنين (ع) برواية الكافي وفي النهج مثلها بتفاوت يسير .

لقد نرى . منذ بزوج الإسلام حتى الآن جموعا من أهل الكتاب . ولا سيما المستشرقين والمسيرين الصليبيين . يدسون في التراث الإسلامي ككل ، اللهم إلا القرآن المصنون عن كل تحرير بما وعد الله ، دسا في الأحاديث والأحداث والتاريخ وعامة التراث وحتى في مختلف التفسير للقرآن لحد تركوه فيها لا يكاد الباحث غير الدقيق يهتدى فيه إلى معلم الحق .  
فهناك شخصيات مدسوسية على الأمة الإسلامية ، مغروسة في أصول حقوقها ليؤدوا لأعداء الإسلام من خدمات هامة لا يملكونها الأعداء الظاهرون .

وفي الحق إنهم هم حملة الفتن الهدامة في أمة الإسلام ، وعلى أعقابهم كتل ساذجة جاهلة أو متاجهة يحسبون هذه الدسائس من صلب الإسلام ، ويتهمنون ناكريها بأنهم خارجون عن الدين : أنتنكر حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أو أنت منكر روايات الأئمة من آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنت أنت وحدك ترد ما اشتهر بين جاهير المسلمين ، وجادت به أقلاط المؤلفين !؟ .

وليتهم في خضم هذه المعارك الصاخبة رجعوا إلى عقليتهم الإسلامية ، إلى القرآن الناطق بالحق ، الفرقان بين كل باطل وحق ، وكما أمرهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما يقول «إذا التبست عليكم الفتنة قطعوا الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه حبل الله المتن وسببه الأمين ...» .

ولو ان القرآن احتل الأوساط العلمية والعقائدية اختل الدس والتجديف في كل حقوقه ، ولكنّما المحاولة المستمرة في الوسط الإسلامي . وحتى الحوزات العلمية . مستمدّة من الوسط الكتائي المستعمر المستحمر ، إنها لا تزال تعمل في إبعاد القرآن وتسفيره عن حوزة الأمة وحيازتها ، اكتفاء بقراءته وتجويده في عبارته ، وتجاهلاً عن حق دراسته وممارسته .

نرى لبسهم الحق بلباس الباطل بمختلف المحاولات المضللة من قالات وفعالات ومنها :

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَأَكْفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٧٢).

وقد تعني الآية وجوها يتحملها الأدب لفظياً ومعنوياً أن :

١ «آمنوا بما انزل على الدين آمنوا» ككل ﴿آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَأَكْفَرُوا آخِرَهُ﴾.

٢ «آمنوا بما انزل وجه النهار» «واكفروا» به «آخره».

٣ «آمنوا بما انزل وجه النهار» «واكفروا» بما انزل عليهم «آخره».

والجمع المعنى منها هو الإيمان النفاق البارز بدليل الكفر عن الإيمان ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وهذه المناقضة اللئيمة مما تؤثر بطبيعة الحال في الذين لم يقع الإيمان موقعه المكين في قلوبهم ، فحين يرون طائفة من أهل الكتاب يؤمنون يزدادون إيماناً ، وحين يرونهم يكفرون بعد إيمانهم يرجعون.

ولقد خاب سعيهم بما أوضح الله من كامن كيدهم وميدهم ، أن سراغ الكفر بعد الإيمان ليس من صادق الإيمان ، وليتتبه المسلمون على طول الخط أنه من مكائد الكتابيين . اللئيمة . فلا يدخلوا في هواهم بعواهم .

وهذا أمكر طريقه وأنكرها في تضليل البسطاء وضعف العقول ، حيث يوقعهم في البلايل ، إذ يظنون أن أهل الكتاب اعرف منهم بالبيئة الكتابية ، فإذا ارتدوا بعد إيمانهم لم يكن ذلك الارتداد إلا بسبب اطلاعهم . بعد تطلعهم الصحيح . على بطلان هذا الدين !.

ولقد تطرقوا في هذا الكيد اللئيم طرقاً شتى تناسب مختلف الحقول وشتى العقول ، فاختلقوا جيشاً جراراً بصورة مثقفين فائقين في مختلف العلوم وهم يحملون اسم الإسلام لا شيء إلا لانحدارهم من سلالة إسلامية ، رغم انحدارهم عن سلالة الإسلام .  
فهؤلئك قد يدقون على تقدمية الإسلام وأخرى على رجعيتها دعاية ضالة للتقليل عنه ، وإبعادها عن مختلف مجالات الحياة وجلواتها إشفاقاً عليها !.

ولا فحسب في ميادين العلوم التجريبية ، بل وفي العلوم الإسلامية نفسها حيث يحورون القيادات الشتات التي هي ويلات على المسلمين ، تاركين كتاب الله وراءهم ظهرياً .  
فهؤلاء وألواء . وهم مسلمون ! . يشاركون . جاهلين او متဂاهلين ام ومعاندين .  
يشاركون رأس الثالوث الماكرون وهم طائفة مستشرقة ومبشرة من أهل الكتاب ، فهم شركاء ثلاثة في سالوسهم بثالوثهم تأدبة لدور التضليل .

**﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتِي أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجِجُوكُمْ عِنْدَ رِبَّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾** (٧٣).

**﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾** من خطاب أهل الكتاب بعضهم بعضاً **﴿إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ﴾** من المسلمين المضللين ومن إخوانكم . ككل . في الدين ، والإيمان له ليس كالإيمان به او إيمانه او معه ، إنما هو الوثوق والاطمئنان إلى إخوتهم في دينهم ، فأسرروا إليهم وجاهروهم كما تحبون .  
**﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾** لا هدى الهوى التي أنتم تتبعونها ، فهذا الله تعالى طليقة عن عنصريات وقوميات وطائفيات أو لغات ، ومن هدى الله طليقة

﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ﴾ سواكم ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ من شرعة الله وسلطانه ، ولا تعني هذه المماطلة إلا في اصل الوحي والشريعة دون درجاتها.

فإذا ﴿يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ فآمنوا به وهم «او» إذا توليتم ﴿يُحَاجُوكُمْ عِنْهُ رَبِّكُمْ﴾ لماذا كفرتم به وأنكرتموه ، لأن فضل الله بأيديكم؟ ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ لا من تشاءون ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ دونكم أنتم اللئام المتضايقون الأضنة.

ان الشراسة الاسرائيلية وتصليبها العنصري كانت ولا تزال تخيل إليهم أنهم هم الشعب المختار ، اختار الله لهم شرعته إلى يوم الدين ، دونما أية حجة وبيبة ، صدا عن سبيل الله وسدا عن فضل الله وهذا إلا لهم أنفسهم ، فمن سواهم أتباعهم على طول الخط الرسالي ، كلا ! ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾ :

﴿يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٤).

اختصاصا في الأدوار الرسالية لكل رسالة برسول ، وختصاصا للرسالة الأخيرة بختام النبيين وأفضل الخلق أجمعين محمد (صلى الله عليه وآلہ وسلم).

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ تَحْنُّ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٤٣ : ٣٢) .

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ مُلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأْمَسَكْتُمْ حَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ (١٧ : ١٠٠).

ذلك ! وليس اهل الكتاب كلهم كفرا ناكرون ما كانوا بل هم كما يقول الله :

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ يُقْنَطِرٌ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِدِينِهِ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمَّيَّنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) بَلِي مَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ وَاتَّقِي فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْنِينَ (٧٦) إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَالقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْمُوْنَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسِبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨) مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُوَقِّيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالثُّبُوْةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُوْنُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُوْنِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُوْنُوا رَبَّانِيْنَ إِمَّا كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَإِمَّا كُنْتُمْ

تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيًّا مَرِكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٨٠) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيشَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَفَقْرِزُمْ وَأَخَذْنُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَنْ تَوَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢) أَفَغَيْرِ دِينِ اللَّهِ يَبْعَدُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ آتَنَا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمُنُهُ يُقْنَطِرٌ لِيُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمَّيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ . ٧٥

مثال ماثل بين أيدينا لغايتي الأمانة والخيانة الكتابية ، فمنهم ﴿مَنْ إِنْ تَأْمُنُهُ يُقْنَطِرٌ لِيُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ كالذين ائتمنوا كتاب الله فأدوه إلى اهل الله بكل البشائر المودعة فيه لأهلهـ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمُنُهُ يُدِينَارٌ لِيُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ بخلاف عن أداء أمانته على قلتها ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ تقوم على أمانة البشرة وسواها بحجـة كتابية لا حول عنها ، و «ـذلك» البعـيد البعـيد «ـ بأنـهم» الخونـة لا كـلـهم ﴿قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمَّيْنِ سَبِيلٌ﴾ وـهم غير الكتابـين أنفسـهم ، سـلـبا لـسبـيل الـقيـادة الروـحـية وـسوـاهـا وـسـائـر الـحقـوق عنـ بـنـي إـسـمـاعـيلـ الـأـمـيـنـ كـأنـها محـصـورة فيـ الكـتابـيـنـ أـنـفـسـهـمـ مـحـسـورـةـ عـمـنـ سـوـاهـمـ! ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ دونـماـ تـقوـيـ فيـ طـعـواـهـمـ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الـحـقـ وـأـنـهـ كـاذـبـونـ فيـ نـكـرـانـهـ : ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَأُتْهُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ (٤ : ٥٣) تعـنيـ . فيـماـ تعـنيـ . الـمـلـكـ الـرـوـحـيـ ، فـكـأنـ لـهـ نـصـيـباـ منـ ذـلـكـ الـمـلـكـ يـمـلـكونـهـ فـيـخـتصـونـ بـهـ أـنـفـسـهـمـ وـلـاـ يـؤـنـونـ سـائـرـ النـاسـ مـنـهـ نقـيرـاـ! .

وقد يعني المثال الأول قسما من النصارى والثاني اليهود ف ﴿لَتَحِدَّنَ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْهُودٍ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسَيْسِينَ وَرُهْمَانًا وَأَكْمَنْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سِمِعُوا مَا أُنْزَلَ إِلَيَ الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٥ : ٨٢).

وقد تعـنيـ «ـلـيـسـ عـلـيـنـاـ فـيـ الـأـمـيـنـ سـبـيلـ» كلـ حـقـ هوـ لـهـ ، فلاـ عـلـيـنـاـ انـ نـؤـديـ حـقـهـمـ مـهـماـ كـانـتـ اـمـانـةـ ، فـلـمـاـ نـزلـتـ قـالـ النـبـيـ (صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ

وسلم) : كذب اعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي هاتين إلا الأمانة فانها مؤداة الى البر والفاجر »<sup>(١)</sup>.

وما كيف خص الله تعالى أهل الكتاب بتلك الخاصة وفي غيرهم . كما هم . الخائن والأمين والثقة والضئن؟ .

لأنه لا يعني . فقط . أمانة المال ، بل والأصل هو المثل له : امانة الوحي المخصوص بأهل الكتاب ، ولكيلا يغتر المسلمون بأنهم اهل الكتاب فيأمنوهم على ما ينقلونه لهم من وحي الكتاب .

ثم ولا ننسبهم على سواء في خيانة الأمانة ، فلا تمنعنا المشاقة لهم من أن نشهد أن فيهم الثقة وان كانت الظنة غالبا عليهم ، وان فيهم الأمين وان كانت الخيانة أشبه بطريقهم .

ولقد سموا المسلمين أميين زعما منهم إلا كتاب لهم حيث يحصرونهم بالعهدين .

ولقد كان بين اليهود وبين أقوام من العرب بیوع وقروض فلما أسلموا قالوا : ليس علينا ان نقضيكم أموالكم لأنكم قد انتقلتم عن دينكم واستبدلتم بمعتقدكم ، حيلة تسلب أموالهم ومطال ديبونهم ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله : كذب اعداء الله ...

ومن قيلة اليهود الغيلة ان غيرنا عبيد لنا يحل لنا أكل أموالهم وهتك اعراضهم و

**﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمَمِينَ سَبِيلٌ﴾** مهما أكلنا من أموالهم وظلمناهم في سائر حقوقهم .

(١) الدر المنشور ٢ : ٤٤ . أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال لما نزلت هذه الآية قال النبي (ص) : ...

إذا ف **﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمَّيْنَ سَبِيلٌ﴾** تعني كل سبيل روحى او زمنى او مالى أم اي حق ، فنحن اصحاب الحق المطلق ، وهم ليس لهم علينا أي حق ، وكما يلوح كل ذلك من طيات الآيات التي تحكى عن مزاعمهم التفوقية على كل الأمم ، لحد يحسبونهم حيوانا خلقهم الله بصورة الإنسان لكي يصلحوا لخدماتهم ! .

هنا **﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِب﴾** تلمح انهم ينسبون هذه الفوقية العنصرية الى الله وهم يعلمون كذبهم فيه .

وذلك من أخطر الخطر على الانسانية ، ان تحصر حقوقها . الفطرية والعلقية والشرعية اماهيه . قبيلا واحدا من عامة الناس هم بنو إسرائيل أمن هم ، لا لحق إلا دعوى مكرورة على السن وأقلام ساقمة تكدر جو الحياة على من سواهم .

فرغم أن الانسانيةأمانة ربانية لهم وعليهم كل ، هم يختصون فضائلها وفواضلها بكل حقوقها بأنفسهم ، احتلالا قاحلا جاهلا لشرف الإنسانية وميراثها .

ولقد برزت هذه الأنانية الحمقاء بين اليهود كأصل على مدار الزمن ، ومن ثم بين سائر الاختصاصيين من المستعمرين المستثمرين المستحررين المستبددين المستكبرين المستضعفين المستخفين ، أصحاب الأبواب السبع الجهنمية على مدار التاريخ الإنساني .

والقرآن يجرف هذه الخرافات الزور الغرور بكلمة واحدة : **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَانُكُمْ﴾** ثم وليس الكرامة عند الله مما يحمل التقى على الطغوى ، فانما هي تقوى امام الله وامام عباد الله وحتى بالنسبة للحيوانات والنباتات .

كلا والف كلا! ليست هذه الأنانية مسموحة في اية فطرة او عقلية انسانية فضلا عن

شرعية الله.

﴿بَلِّيْ مَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ وَاتَّقِيْ فِإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِيْنَ﴾ ٧٦ .

﴿بَلِّيْ مَنْ أَوْفَ﴾ من هود او نصارى او مسلمين ﴿مَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ﴾ عهد الله ، الذي عاهد عليه الله فطريا وشرعيا ، وعهده نفسه ، والذي عاهد الله عليه ام عاهد عباد الله ام عاهدوه عليه وتقبله بحق «واتقى» الله في عهوده كلها ﴿فِإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِيْنَ﴾ سواء حملوا اسم الإسلام او سواه ولقد عهد الله على عباده ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ .  
 وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ .

فليست كرامة الحب الربانية بذلك المبتذر الفوضى حتى ينالها كل مدع زورا وغرورا دوغا تقوى ، بكل قيلة وادعاء وويلة في طغو الحياة ، ان ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمَّيْنَ سَبِيلٌ﴾ ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحَبَّاؤُهُ﴾ . ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ و ﴿لَتَلْكَ أَمَانِيْهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ﴾ .

وهنا نعرف ان الوفاء بالعهد له صلة وثيقة بتقوى الله ، فلا يتغير في التعامل مع عدو او صديق ، إذ ليس الوفاء بالعهد مسألة مصلحة ، انا هو تعامل مع الله.

أجل ليس هو المصلحة ، ولا عرف المجموعة ، ولا قضية ظروف ، بل قضية واقع الخلق الصالحة الإسلامية السليمة ، اللهم إلا في عهود متخلفة فإنها في الأصل باطلة في ميزان الله فضلا عن الوفاء بها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٧٧ .

هنا الرباط بين عهد الله وآيمانهم ، انهم قد يشترون بالعهد وبآيمانهم ليصدقوا ، على ان لكل وزرا.

﴿بَشَّرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ في مربعه ولا سيما الذي عاهدهم الله عليه من وحي الكتاب بشارة وسواها ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصْدِقَنَّ﴾ ولكنهم اشتروا به ثمنا قليلا.

﴿وَأَيَّامَهُمْ﴾ على الوفاء بعهد الله ، يشترون بما ﴿فَمَا قَلِيلًا﴾ وكل ثمن بعهد الله قليل في كل قليل وجليل : ﴿فَلِمَنْ تَنَعَّمُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ (٤ : ٧٧) من حظوة الرئاسة وزخرفات مالية أماهيه ، فان عهد الله لا يساوى او يسامي بأي ثمن.

ولماذا «يشترون» وهم يشرون عهد الله ، لأن المشتري يهمه الشمن المشترى ، فلذلك لا يهمه قليله وجليله ، وهؤلاء الأنكاد وصلوا في هتكهم لحرمات الله الى تقديم كل حظوة فانية في هذه الدانية عليها.

لذلك «أولئك» البعد البعد ﴿لَا خَالِقَ لَهُمْ﴾ ولا نصيب «في الآخرة» «فمن لم يكن له نصيب في الآخرة فبأي شيء يدخل الجنة؟»<sup>(١)</sup> حيث شروا بعهد الله هذا الأركان الأدنى فهم . إذا . إنما تفهم هذه الأدنى دون الأخرى و ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦ : ١٦) و «اللهem إلا من تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى» فأولئك لهم خلاق.

(١) نور الثقلين ١ : ٣٥٦ بسند متصل عن أبي جعفر عليهما السلام حديث طويل يقول فيه : وأنزل في العهد ﴿إِنَّ الَّذِينَ ...﴾ فمن ...

ذلك! وهؤلاء الذين يشترون بعهد الله ثمنا قليلا هم أئخس من أولاء وأنكى إذ باعوا بالدين الدنيا.

ف ﴿لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْتَرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ كلام عطف ونظر لطف ورحمة <sup>(١)</sup> اللهم إلا ﴿أَخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾ و ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ كما ﴿وَلَا يُزَكِّيْهِمْ﴾ بتوبة او شفاعة او تكفير سينات بحسنات إذ حبطت اعمالهم التي كانوا يروناها صالحة ، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرُزْنَا﴾ . ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وهذه السلبيات الأربع من حظوة الآخرة لهؤلاء الأنكاد هي . بطبيعة الحال . ايجابيات للمتقين ، فلهم في الآخرة خلاق كما سعوا لها ويكلمهم الله عطفا وينظر إليهم لطفا ويزكيهم بمختلف التزكيات ، ولم ثواب عظيم.

هنا «عهد الله» معني في كل حقوله ، وكذلك «أيمانهم» لله ام لعباد الله ، وكما العهد الفاجر يخلف العذاب كذلك اليمين الفاجرة ، مهما اختلفت المراحل في كل منهما وفاء ونقضا.

وقد رويت عن رسول المهدى (صلى الله عليه وآلـه وسلـمـ) روايات عده بشأن اليمين الفاجرة الشائنة منها قوله (صلى الله عليه وآلـه وسلـمـ) : «من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم لقى الله وهو عليه غضبان ...» <sup>(٢)</sup> فضلا عن اقطاع حق من الله في زعمه فأغضب واسجني !.

(١) المصدر في كتاب التوحيد حديث طويل عن أمير المؤمنين (ع) يقول فيه . وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات ، وأما قوله ﴿وَلَا يَنْتَرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يخبر أنه لا يصيّبهم بخيار وقد تقول العرب والله ما ينظر إلينا فلان وإنما يعني بذلك أنه لا يصيّبنا منه بخيار فذلك النظر هاهنا من الله تبارك وتعالى إلى خلقه فنظره إليهم رحمة لهم.

(٢) الدر المنشور ٢ : ٤٤ . أخرج جماعة عن ابن مسعود قال قال رسول الله (ص) : ... فقال .

اجل و «ان اليمين الغموس»<sup>(١)</sup> اهتمام لحق الناس واهتمام لكرامة الله.  
 ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُوْنَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسِبُوهُ مِنَ الْكُتُبِ وَمَا هُوَ﴾

. الأشعث بن قيس في والله كان ذلك كان بيبي وبين رجل من اليهود أرض فجحدني فقدمته إلى النبي (ص) فقال لي رسول الله (ص) ألك بينة؟ قلت : لا فقال لليهودي احلف فقلت يا رسول الله إذن يخلف فيذهب مالي فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ ...﴾ ، وفيه أخرج ابن جرير عن ابن جريج أن الأشعث بن قيس اختصم هو ورجل إلى رسول الله (ص) في أرض كانت في يده لذلك الرجل أحذها في الجاهلية فقال رسول الله (ص) أقم بيتك قال الرجل ليس يشهد لي أحد على الأشعث قال فلك يمينه فقال الأشعث تحلف فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ ...﴾ فنكل الأشعث وقال : إني أشهد الله وأشهدكم أن خصمي صادق فرد إليه أرضه وزاده من أرض نفسه زيادة كثيرة ، وفيه أخرج ابن حبان والطبراني والحاكم وصححه عن الحيث بن البرصاء سمعت رسول الله (ص) في الحج بين الحمرتين وهو يقول : من اقطع مال أخيه بيمين فاجرة فليتبوا مقدعة من النار ليبلغ شاهدكم غائبكم مرتين أو ثلاثة ، وفيه أخرج البزار عن عبد الرحمن بن عوف أن النبي (ص) قال : اليمين الفاجرة تذهب المال ، وفيه أخرج البيهقي عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) ليس مما عصى الله به هو أعدل عقايا من البغي وما من شيء أطيع الله فيه أسرع ثوابا من الصلة واليمين الفاجرة تندع الديار بلاع.

وفيه أخرج الحيث ابن أبيأسامة والحاكم وصححه عن كعب بن مالك سمعت رسول الله (ص) يقول : من اقطع مال أمرئ مسلم بيمين كاذبة كانت نكتة سوداء في قلبه لا يغيرها شيء إلى يوم القيمة ، وفيه أخرج الطبراني والحاكم وصححه عن جابر بن عبد الله قال رسول الله (ص) من اقطع مال مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار فقيل يا رسول الله (ص) وإن شيئا يسير؟ قال : وإن كان سواها ، وفيه أخرج عبد الرزاق عن أبي سويد سمعت رسول الله (ص) يقول : إن اليمين الفاجرة تعقم الرحم وتقل العدد وتندع الديار بلاع.

(١) نور الثقلين ١ : ٣٥٥ في عيون الأخبار عن الرضا (ع) حديث طويل في تعداد الكبائر وبيانها من كتاب الله وفيه يقول الصادق (ع) : واليمين الغموس لأن الله تعالى يقول : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرَوْنَ ..﴾ .

**مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴿٧٨﴾.

اللّي هو عطف الشيء ورده عن الاستفامة إلى الإعوجاج ، ولواه به عطفه بما سواه ليحسب بما سواه.

طرف آخر من مكائد البعض من اهل الكتاب هو تحريفه بألستهم إقحاما لما ليس من الكتاب في الكتاب او تحريفا بزيادة او نفيصة في آي الكتاب او إعرابه ،ولي الألسنة بكتاب يشملهما ولا سيما الثاني خلطا بما ليس منه فيه بنفس العبارة الكتابية لغة وجملة ولحسنا وكما في ﴿رَأَيْنَا لَيْلًا بِالسِّنِينِ وَطَعَنَّا فِي الدِّينِ﴾ «لتحسيبوه» أنت المسلمين غير العارفين بلغة الكتاب «من الكتاب» ويقولون ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ﴾ فيها يلوون «من الكتاب» ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ كذبهم ، وذلك ايضا ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمَّيَّنَ سَبِيلٌ﴾ فلكي يصدوا كل سبيل للحججة على أنفسهم يستحلون الفريدة على الله حيث الغاية . بزعمهم . تبرر الوسيلة.

كما وهم لي في كتب الكتاب وثالث في تفسير الكتاب تحريفا عن جهات أشراعه ، ورابع في تخلفهم عمليا عن الكتاب ، قواعد اربع يتبنون عليها عرش السلطة الروحية الكتابية!.

واللّي الأول يعم ما حرفوه من الكتاب كتبها وسواه ، ومثلث الكتاب يعني كتاب الوحي توراة وإنجيلا ، ولأن الملوى باللسان لتحسيبوه من الكتاب قد يكون من عند الله في وحي السنة فقد نفى كونه من عند الله ، تكذيبا ثانيا لما يلوون ، وثالث يؤكدتها ويسهم بسمة الكذب على أية حال ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ . وذلك اللّي والاشتاء والخيانة في أمانة الوحي وسواه من تحديفات . هي

بطبيعة الحال . من رجال الدين ، والعلماء العاملاء لتشويه سمعة الدين.

فآفة رجال الدين وعاهتهم على الدين والدينين حين يفسدون هي ان يصبحوا أدلة

لتشويه الدين باسم الدين ، ليًا بالكتاب ضده وبألسنة ضدها.

هؤلاء الذين يحترون الدين فيهرون فيما يحترفون ضد الدين تلبية لأهوائهم وأهواء

آخرين من يستفيدون من أموالهم وما لهم من رغبات وشهوات ، فيحملون نصوصاً من

الكتاب ويلهثون بها وراء تلك الأهواء الجهنمية ، ليًا لأعناق هذه النصوص لتوافق أهوائهم

السائدة المايدة ، فإنهم . لكي تتحقق أهوائهم من وراء الكتاب . يذلون جهوداً لاهثة باحثة

عن كل تحلل وكل تصيد لأدنى ملابسة لفظية أماهية ، ليجلسوها من أهوائهم ما يبغون.

والله يحذر المسلمين من هذا المزلق الويء الذي انتهى بانتزاع أمانة القيادة الروحية من

بين إسرائيل.

ولقد نرى ليًا وبيعاً في الآيات الانجيلية المؤولة الى ثالوثهم وان المسيح ابن الله ، وهم

فاضحون فيما يفعلون <sup>(١)</sup>.

(١) يصرح الإنجيل في ثمانين موضعًا أن المسيح (ع) عبد الله ورسوله كما يقول : إن الحياة الأبدية معرفة الله بالوحدانية وأن المسيح رسوله (بوحنا ١٧ : ٣) و «أول الأحكام أن نعرف أن إلينا واحد» (مرقس ١٢ : ٢٩) وهو يتحاشي عن أن يخاطب بالرب كما يندد بطرس لما قال له : حاشاك يا رب ، فالتفت إليه وقال اذهب عني يا شيطان أنت معترة لي لأنك لا تفهم بما لله ولكن بما للناس (متى ١٦ : ٢٢ - ٢٣) ويعتبر أيضاً من يظنه إلهًا أو ابنه من الجنين : «.. فلما عرفوه أخذوا يصرخون : مرحباً بك يا إلهنا وأخذوا يسجدون له كما يسجدون لله فتنفس الصعداء وقال : انصرفوا عني أيها الجنين لأنني أخشى أن تفتح الأرض فاما وتبتلوني وإياكم لكلامكم الممقوت ، لذلك ارتاع الشعب وطفقوا ييكون» (برنابا ٩٢ : ١٩ - ٢٠).

وحقاً أنه لا يوجد في الأنجليل ما يدل صراحة على النبوة والألوهية والثالوث المسيحية لهم إلا اختلاقات

ليًا بألسنتهم وطعناً في الدين.

. فمثلاً «أنا والأب واحد» (لوقا ١٠ : ٣٠) من المتشابهات التي تفسرها محكمات كالتي سلفت فالوحدة هنا توحد العبد مع ربِّه في الدعوة إليه ، فلو دعا إلى نفسه لم يكن معه واحداً .  
وكذلك : «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله . هذا كان في البدء عند الله . كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان . فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس . والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه» (يوحنا : ٥) .

فإن لم تكن هذه الحقيقة ليست لتعني الكلمة فيها المسيح بل هي كلمة «كن» التكوينية التي كانت عند الله فإنها القدرة الفعلية ، ثم كان الكلمة الله من حيث القدرة الذاتية وهي من صفات الذات .  
فللقدرة كما العلم واجهتان ذاتيتان هما من صفات الله التي هي عين الذات ، فعليهما عند الله لأنهما من صفات الفعل .

ثم لا نجد في الإنجيل ما يوهم التثليث إلا الكلمة الآب والابن والآب تعني الخالق والابن هو ابن الإنسان  
كما في ثمانين موضعًا .

وأما في الرسالة الأولى ليوحنا ٥ : ٨ - ٦ : ١١ : هذا هو الذي أتى بماء ودم المسيح . لا بماء فقط بل  
بماء والدم . والروح هو الذي يشهد لأن الروح هو الحق . فإن الذين يشهدون (في السماء) هم ثلاثة (الآب  
والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد . والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة) الروح والماء والدم والثلاثة  
هم واحد !

فما بين الملالين منها : الآب ... إلى . هم ثلاثة . مما كتبته أيديهم كذباً وزوراً ولا توجد في أقدم النسخ  
وكما لا تصرح به الترجمة العربية من الأصل اليوناني المطبوعة في المطبعة الأمريكية في بيروت ١٩٠٦ وهي مدار  
النقل عندنا في كتبنا الثلاثة : عقائدهنا . المقارنات . رسول الإسلام في الكتب السماوية . فالتبنيه الموجود في أول  
هذه النسخة : والملالان ( ) يدلان على أن الكلمات التي بينهما ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها هذا  
التبنيه ذليل أن التثليث المذكور فيه مفهوم وكما يقول به كتاب الحققين من علماء الإنجيل مثل كريسباج وشولز  
وهو من المفسر الشهير الإنجيلي ، رغم تعصبه في الحفاظ على الأنجليل حيث يقول : هذه الجملة . يعني ما بين  
القوسرين . الحقيقة يجب حذفها عن الإنجيل ، وتبعه جامعوا تفسير هنري وإسكات وآدم كلارك ، ثم إكستائن وهو  
من أعلم علماء التثليث ومرجعهم لا ينقل هذه العبارة في رسالاته العشر التي كتبها حول هذه الرسالة .

من ذلك لي «الآب» وهو لغة يونانية بمعنى الخالق ، الى «الآب» مع الحفاظ على مده في اصل الكتاب ، يلحوون ألسنتهم بالآب أباً لتحسينه من الكتاب نصا على ابواة الله لل المسيح (عليه السلام) وليس الآب من الكتاب وإنما هو الآب فالابن معه ام سواه هو ابن الإنسان ، فقوله (عليه السلام) لمريم المجدلية : امضي الى اخوتي وقولي لهم : إبني صاعد الى أبي الذي هو آبكم وإلهي الذي هو إلهكم (يوحنا : ٢٠) لا يعني من «الآب» إلّا الخالق مهما اسقطوا مدها ام أثبتوها وكما يؤيّده ثانياً «إلهي وإلهكم».

ذلك ! وكما يلحوون ألسنتهم بـ «بريكليطوس» التي تعني غاية الحمد : أحمد ومحمد .

فيلفظونها «باراكليطوس» : المсли ، ليحرفوها عن محمد النبي الى المсли الروح القدس ، و «بريكليطوس» هي المسجلة في الأنجليل قبل الإسلام

. الإنجيلية ، رغم أنه من أسس التثليث ، فلم تكن . إذا . هذه العبارة في الإنجيل حتى القرن الرابع زمن إكستائين وإلّا وكانت من أوضح أدلةه على التثليث! وقد تكلّف في مناظرته مع فرقـة إيرين المنكرين للتثليث في الآية (٨) فكتب أن المعنى من الماء هو الأب والدم هو الابن والروح هو الروح القدس !.

فلو كانت عبارة التثليث : الآب والكلمة والروح القدس . موجودة في زمنه وأن في نسخة مجهلة ساقطة لكن يثبت بما و لم يسقط في هوة هذا التأويل البارد .

ومن يصرح بذلك الإلحاد الدكتور فندر الألماني مؤلف ميزان الحق في رده . بزعمه . على الإسلام ، ويكتب المفسر الشهير هورن ١٢ صفحة في التفتيش عن هذه الجملة وقد لخصها جامعوا تفسير هنري والإسكات كال التالي : الأدلة المثبتة لكوكما الحقيقة ما يلي :

(١) لا توجد هذه العبارة في النسخ اليونانية قبل القرن ١٦ فهي . إذا . ملحقة في هذا القرن .

(٢) لا توجد في المطبوعات الأولى ثم نراها بعدها .

٣ . لا توجد في شيء من الترجم إلّا اللاتينية قليلاً .

٤ . لم يستدل بها أحد من القدماء والمؤرخين الكثيـرين .

٥ . زعماء بروتستانت الروحيـون بين مـسقطـ لهـذهـ العـبـارـةـ وـمـبـقـ لهاـ بـضـمـيمـةـ عـلـامـةـ الـرـيبـ وـالتـزيـيفـ ضـ.

ثم حرفت الى «باراكليلطوس» بعد الإسلام.

ومن ليّهم في تراجم الكتاب إسقاط «مقرب» في بشارة سفر التشنية بنبي اسماعيلي حيث تقول : «نابيء آقيم لهم مقرب إحييم كموشه ...» : نبّي آقيم لهم من أقرباء أخيهم كموسى ثم نرى سائر التراجم كالمتفقة على إسقاط «مقرب» حيث تقول «من وسطبني إسرائيل من إخوتهم مثلك . من إخوتك مثلّي» ترجمة مرتّفة مريبة رغم وحدة الأصل في «مقرب» تتحية لهذه البشارة عن النبي الإمامعلي الذي بعث من أقرباء أخيهم ، ف«أخيهم» هو بنو عيسى كما في «تث ٢٨ : ٨ ) وأمر القوم وقل لهم إنكم لحد إخوانكم بنـي عيسى» وأقرباء بنـي عيسى هـم بنـوا إسماعيل ، فإنـ عيسى نفسه كانـ صهراً لإسماعيل<sup>(١)</sup>.

ومن ليّهم ترجمة «بائد مئـ شـينـ عـاسـارـ نـسيـئـيمـ يـولـدـ ...» : بـ محمدـ وـاثـنـيـ عـشـرـ اـمـاماـ يـلـدـهـمـ . حيث ترجموها بـ «الـكـثـيرـ جـداـ وـاثـنـيـ عـشـرـ رـئـيـساـ»<sup>(٢)</sup>.

هذه وأشباهها كما تجد قسما منها في كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية».

**﴿ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيهِ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالْأُنْبُوَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيْنَ إِمَّا كُنْتُمْ تُعْلَمُوْنَ الْكِتَابَ وَإِمَّا كُنْتُمْ تَذَرُّسُوْنَ﴾** ٧٩.

لقد نزلت هذه الآية في خضم الحوار مع نصارى نجران حين سُئل : «أتريد يا محمدـ

أنـ نعبدـكـ كما تعبدـ النـصـارـىـ عـيسـىـ بنـ مـرـيمـ ، فـقالـ رـجـلـ منـ

(١) راجع كتابنا (رسول الإسلام في الكتب السماوية) ٣٣ - ٣٩.

(٢) المصدر ٤٠ - ٤٣.

أهل نجران نصراي : أو ذاك تريده هنا يا محمد فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : معاذ الله ان نعبد غير الله او تأمر بعبادة غيره ما بذلك بعثني ولا بذلك امرني »<sup>(١)</sup>.  
وَكَمَا قَالَ لَهُ رَجُلٌ « يَا رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) نَسْلَمُ عَلَيْكَ كَمَا يَسْلِمُ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ أَفَلَا نَسْجُدُ لَكَ؟ قَالَ : لَا وَلَكِنَّ أَكْرَمُنَا نَبِيُّكُمْ وَاعْرَفُوا الْحَقَّ لِأَهْلِهِ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ<sup>(٢)</sup> ، وَقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : لَا تَرْفَعُونِي فَوْقَ حَقِّي فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْخَذَنِي عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَخَذَنِي نَبِيًّا»<sup>(٣)</sup>.  
وهنا «ما كان» تنفي عن اعماق الزمان بمثلثه الدعوة المعاكسة لتوحيد الله لرسل الله وأنبياءه ، أن يرتقوا زوراً وغوراً عن الرسالة الإلهية إلى الإلهية نفسها ، نفياً في استحالة ذات بعدين ، إن يبعث الله من يجاده في ألوهيته ، وأن يتبدل المألوه إليها.  
وليس «لبشر» هنا تختص النفي ببشر ، وإنما لأن المدعى ألوهيته هنا بشر ، وإن البشر . وهو في أحسن تقويم . إذا لم يصلح له أن يكون معيناً من

(١) الدر المنشور ١ : ٤٦ . أخرج ابن إسحاق وابن حمير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال قال أبو رافع القرطبي حين اجتمعت الأخبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله (ص) ودعاهم إلى الإسلام : أتريد ...

(٢) المصدر أخرج عبد بن حميد عن الحسن قال بلغني أن رجلاً قال يا رسول الله (ص) : ..

(٣) نور الثقلين ١ : ٣٥٧ في عيون الأخبار في حديث سلسلة الذهب قال المؤمنون يا أبا الحسن (ع) بلغني أن قوماً يغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحد فقال الرضا (ع) حديثي أبي - إلى . قال قال رسول الله (ص) : ... قال الله تعالى ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ...﴾ وقال علي (ع) يهلك في اثنان ولا ذنب لي مفرط وبغض مفرط وأنا لبراء إلى الله تعالى من يغلو فينا فرفعنا فوق حدنا كبراءة عيسى بن مريم عليهما السلام من النصارى .

دون الله فبأحرى من دونه من سائر الخلق ، ثم الآية التالية لها تبني بوجهه عام الألوهية عما سوى الله.

وهنا ﴿أَنْ يُؤْتِيهِ اللَّهُ ... ثُمَّ يَقُولُ﴾ دون «ان آتاه الله ثم قال» مما يؤكد الاستحاله في بعديها ، ان ليس الله يبعث من يتخلص هكذا عن رسالة ، ﴿وَلَوْ تَقَوَّلْ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخْذُنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (٤٥ : ٦٩) وليس تبدل الرسالة الى المرسل نفسه.

و «الكتاب» هنا هو كتاب الوحي «والحكم» هو الحكم الرسالي بالكتاب ، فقد أوى المرسل إليهم الكتاب ولم يؤتوا الحكم الرسالي بالكتاب ، ومن ثم «النبوة» هي الرفعة بين المسلمين بالكتاب ، فهي المرحلة القمة الرسالية مهما كانت درجات.

ولقد بلغت درجة الدعاية الثالثة لحد يستجوب الله فيها المسيح (عليه السلام) البريء فيجيب : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ الْخَدُودِيَّ وَأُمِّي إِلَهِنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ... مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمْرَتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ (١١٧ : ٥) و ﴿لَنْ يَسْتَنِكُفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقْرَبُونَ وَمَنْ يَسْتَنِكُفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكِبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ...﴾ (٤ : ١٧٢)

ان المعرفة البسيطة بالله تمنع العارف عن دعوى الألوهية ، فضلا عنمن يؤتى الكتاب والحكمة والنبوة ، فإنها تحكم عرى العبودية ، إذ ليست واردة إلا مورد العبودية القمة.

﴿مَا كَانَ ... ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ﴾ ﴿خُوَثُوا رَبَّانِيَّ﴾ : منتبين الى الرب بمعرفة غالبة عبودية عالية كما نحن المسلمين ، نحن ب ﴿الْكِتَابِ وَالْحُكْمِ﴾

وَالْبُرُّ ۝ ثُمَّ أَنْتُمْ ۝ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَإِنْ كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ۝ فعلم الكتاب الرسالي وتعليمه يجعلكم ربانين بعيدين عن الدعاوى الخاوية الشركية.

فالربانيون هم القادة الروحيون ، الحاملون لدعوات الرسل بين المرسل إليهم ، وهم هنا «الناس» المعنيون بيازغ الدعوة ومنطلقها ، حيث يتربون في حجر الوحي الرسالي ، معرفياً وعملياً ثم يربون الناس كما تربوا.

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيْمَارُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

.٨٠

«يأمركم» منصوب عطفا على ﴿أَنْ يُؤْتِيهِ اللَّهُ﴾ : ما كان لبشر ... «ولا ان يأمركم» ذلك البشر ، «يأمركم» النبي ﴿بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ او «يأمركم» الله بالكفر بتلك الرسالة المضادة ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

فكما تبلغ النبوة ذروة عليا يبلغ النبي الى عبودية أسمى ، ولئن استحق المسيح (عليه السلام) ان يدعو لنفسه لكرامته على الله ، فليبلغ إمامه وامام المرسلين : محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الى الامامة على الله !.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيشَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءُكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنَّ بِهِ وَلَنَنْصُرُنَّهُ قَالَ الْفَرْزِنُ وَأَخْذَمُ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفْرَرْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ .٨١

آية غرة ترفع من شأن خاتم النبيين (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الى أعلى القمم التي لا تساوى او تسامى حيث تحمله . وهو آخر النبيين . المحيء إليهم كلهم برسالته القدسية . هنا زوايا أربع لذلك الميثاق ، آخذه وهو الله ، والماخوذ منهم وهم النبيون فلا ذكر لأئمهم حتى يكونوا هم المعنيين ، والماخوذ له : ﴿رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا

**مَعَكُمْ**》 واصل الميثاق : **﴿تَؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾** وفي اخر ميثاق آخر غليظ على النبيين ومعهم خاتمهم : **﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾** (٣٣ : ٨) فالميثاقان إذا مختلفان كل ينصب في مصب غير الآخر.

صحيح ان **«مِيثَاقُ النَّبِيِّينَ»** اديبا كما يتحمل كونه من اضافة المصدر الى المفعول كما ذكرناه كذلك اضافة الى الفاعل ليكون ذلك الميثاق للنبيين على أنفسهم ، ولكنه معنويا هنا لا يناسب إلا الأول مكان **﴿تَؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾** حيث المخاطبون فيما هم النبيون إذ لا خبر هنا عن أنفسهم ، فقد أخذ الله الميثاق من النبيين عليهم لرسول جاءهم بعدهم مصدق لما معهم.

فذلك . إذا . ميثاق رسالي لصالح الرسالة الأخيرة الحمدية إيمانا به سلفا ونصرة له ولها ولد ويirth في ظاهر حاله .

وترى «إذا» تعني زمان واحدا جمع فيه النبيون لمجمع واحد لأخذ ذلك الميثاق منهم عليهم؟ قد يجوز فيما لا يحيط به علما (١) لكن المفهوم لدينا المعلوم عندنا أن زمن ذلك الميثاق موزع على زمن النبيين كل لحده .

ثم وذلك الزمن الموزع لذلك الميثاق هو **﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ ...﴾** ميثاقا عشيرا لإتيانهم كتابا وحكمة .

وقد يتحمل أن «إذا» تعني زمن خلق كل من النبيين أن فطراهم الله على

(١) البحار ١٥ : ٣٦ - ٢٢ السرائر عن أبي الحسن الأول (ع) يقول : خلق الله الأنبياء والأوصياء يوم الجمعة وهو اليوم الذي أخذ الله ميثاقهم ، وقال : خلقنا نحن وشيعتنا من طينة مخزونة لا يشدنا شاذ إلى يوم القيمة .

ذلك الميثاق ، ولكن «النبيين» موضوعاً لأخذ الميثاق يبعد ميثاق الفطرة المأخذ منذ خلقهم لا منذ نبواتهم ، ثم ﴿أَفَرَأُمُّ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ يبعده ثانياً حيث الفطري رسالياً أم خلقياً لا يختلف.

وقد يقال إن مصير الإقرار هنا هو مصير الإقرار بالتوحيد في آية الذر حيث تعني ميثاق الفطرة على التوحيد ، ثم ﴿مِيثَاقُ النَّبِيِّينَ﴾ غير صريحة أن ذلك الميثاق أخذ عليهم منذ النبوة ، فقد يجوز أنه مأخذ عليهم منذ خلقهم.

ولكن تلك الفطرة الخاصة بالنبيين لا يعبر عنها بأخذ الميثاق ، لكنه لا بأس بكونه ضمن المعنى من أخذ الميثاق عليهم حين نبواتهم تأكيداً لما أخذ عليهم حين خلقهم. إذا فكما الله فطر الناس على توحيده منذ خلقهم ، كذلك فطر النبيين على الإيمان بمحمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ونصرته.

أم تعني «إذ» مربع الزمان ، قبل خلقهم في أرواحهم حيث كانوا أنواراً روحية ، وعند خلقهم قبل نبواتهم وعندتها ، ميثاق وثيق عريق مأخذ عليهم في هذه المواطن الأربع! أترى ﴿ثُمَّ جاءُكُمْ رَسُولٌ﴾ تعني كل رسول يتلو نبباً منهم ، فهم . إذـا . كل الرسل ، أخذ الميثاق على كل نبي سبقه أن يؤمن به وينصره؟.

و «رسول» بإفراده أمام جمعية النبيين لا يناسب جماعة الرسل! ثم وكيف يؤخذ ميثاق اليمان من كلنبي لـكلـ رسول والنبوة أعلى محتداً من الرسالة ، إلا ان يكون الرسول مرسلاً إلى النبيين فهم كأمهاته مهما كانوا قبله ، ومن ثم ليس قضية الرسالة أن يأتي كلـ رسول تلو سابقة ، بل وكذلك النبيون للهم إلـأـ أولـ العـزمـ منهمـ.

ثم التعبير الواضح الفاصل عن تنالي الرسل «ثم جاءكم كلام منكم رسول مصدق له» دون **﴿ثُمَّ جاءُكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾** بل «فجاء» دون «ثم» حيث الرسل كانوا ترتى دون فصل ، كل هذه وأشباهها مما تبعد جمعية الأبدال في «رسول» بل وتحيلها.

هنا مادة الميثاق **﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَنَصْرُونَهُ﴾** هي منقطع النظير عن كل بشير ونذير ، إلا من يكون رسولا الى الرسل وإماما في جموع النبيين.

**نَجَدَ ﴿أَمَّنْ مَعَهُ﴾ ﴿فَآمَنَ لَهُ﴾** من نبي لنبي ، ثم ولا نجد **﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾** إلا هنا **﴿ثُمَّ جاءُكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾** وبذلك التأكيد الأكيد.

صحيح ان على كل رسول سابق تصديق اللاحق ، وعلى كل لاحق تصدق السابق ، واما الایمان به فلا يصح إلا من هو إمام النبيين ورسول إلى المرسلين كما هنا.

وهنا «النبيين» جمعا محلى باللام تعنى مستغرق النبوات ، فلا تعنى بعضا دون بعض ، ولا كل الرسل إلا بطريقة أولى ، فانما «النبيين» وهم أولو النبوة والرفة بين المرسلين ومن نبؤهم **﴿لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةً﴾**<sup>(١)</sup> وليس كل رسول يأتيه كتاب مهما أنته حكمة ، فكما أن أولي العزم من الرسل خمسة ، كذلك النبيون منهم وهم اصحاب كتب الوحي ليسوا إلا قسما من المرسلين ، فهم الأخصاء المتميزون بين المرسلين.

وهنا **﴿ثُمَّ جاءُكُمْ رَسُولٌ﴾** لها دور العناية بختام الرسالة الإلهية . العظمى .

(١) اللام في «لما» للتأكيد و «ما» بمعنى الذي وصلته «آتَيْنَاكُمْ ..» والجملة ظرف تحمل الحكمة الحكيمه لـ **«لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ..»** وقد يحتمل أن اللام للقسم توطئة لبيان حكمة مادة الميثاق ، واللام في «لتؤمن» جواب القسم.

وأنها موجهة الى النبيين سلفاً كما وجهت الى أمة الإسلام الأخيرة خلفاً.

وفي «رسول» هنا رغم نبوته العليا ، عناية خاصة الى رسالته الروحية الواسعة إلى كافة النبيين قبله ، والرسول الى النبيين هو . بطبيعة الحال . يفوقهم رسالة ونبوة.

ف « جاءكم نبی » لا تعني رسالته إليهم ، وانما مجيء نبی قد يعني التزاور بينهم ولكن ﴿ جاءکم رسُول﴾ هو مجئه بالرسالة الإلهية إليهم.

ف موقف الرسالة هو حمل الوحي ببلاغ الدعوة الرسالية كما هنا الى النبيين وفي غيرها الى سائر الأمم الرساليين.

وموقف النبوة هو بيان محتد الرسول النبي في نفسه او بين المرسلين.

و ﴿ جاءکم رسُول﴾ تضم الموقفين ، أصلالة في رسالته إليهم ، ولحة متحدة هذه الرسالة السامية انها الى النبيين ، فهو فائق على كافة الرسالات والنبوات.

ونرى القرآن يعبر بـ «الرسول . الرسل» في موقف البلاغ الى المرسل إليهم ، وقد يعبر بـ «النبي . النبيين» في موقفهم الذاتي شخصياً ام بين المرسلين.

والرسالة قد تكون الى مرسل إليهم عاديين فرسالة عادية ، ام الى رسل غير نبيين فأنبي وأعلى ، ام الى نبيين غير اولي العزم وهي الرسالة العليا مختصة باولي العزم من الرسل ، ام الى اولي العزم وهي فوق العليا وهي التي تعنيها ﴿ أَمْ جَاءکم رسُول مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَکُم﴾.

ف « جاءکم نبی » تثبت فقط نبوته مهما كانت فوق رسالة ، ولكنها لا تثبت رسالة إليهم ، وهي تثبت إمامته الرسالية على النبيين أجمعين.

فالروح الرسالية الحمدية ملقة على كل الأرواح الرسالية قبل خلقها في الجسد ، وهي ملقة عليها بعد خلقها في الجسد وبعثها لرسالتها الختامية .  
ومن ميزات هذه الرسالة الى النبيين واجب الاعيان به ونصرته كشرط أصيل لإيتائهم كتبهم ، وكما منها رسالته لبلغ الدين ككل مما اختلفت شرائعهم مع بعض البعض ومع شريعته ، ومنها زرق الروح البلاغي استقامة لهم كما أمر ، وتضحية في الدعوة كما له وعلى أضواءه القدسية .

و **﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾** تعني تصديق رسالاتهم بكتابهم ، فلولا تصدقه لما معهم لما صدق رسالاتهم ، كما ان **﴿مِمَّ جَاءَكُمْ﴾** دليل خاتمية الرسالية العليا ، وأية **﴿خَاتَمُ النَّبِيِّنَ﴾** دليل خاتمية النبوة له ، فهو . إذا . خاتم النبيين والمرسلين على الإطلاق .  
وإن خاتميته هي لزام نبوته الرسالية ، فنكرانها . إذا . نكران لرسالته .  
ترى ومتى **« جاءكم »** هذا الرسول الأخير وهو الجاني بعد ما مضوا وقضوا برسالاتهم .  
**« جاءكم »** هنا تطوي الطول التاريجي الرسالي وعرضه الجغرافي ، تعاضيا عن فوائل الرمان والمكان ، بيانا لختد الرسالة الأخيرة أنها لا تخص الأمة الأخيرة ، بل وتشمل بروحيتها العالية كافة النبيين ، ولأنهم بكتابهم وحكمهم تقدمات لقرآن محمد ومحمد القرآن حيث يهيمنان على النبيين بكتابهم ، «اما علمت ان الله تبارك وتعالى بعث رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وهو روح إلى الأنبياء (عليه السلام) وهم أرواح قبل خلق الخلق ...»<sup>(١)</sup>  
مهما

(١) البخار ١٥ : ١٤ ح ١٧ بسند متصل عن المفضل قال قال لي أبو عبد الله (ع) يا مفضل أما علمت ...  
بأنفي عام؟ قلت : بلى ، قال : أما علمت أنه دعاهم إلى توحيد الله وطاعته واتباع .

. أمره ووعدهم الجنة على ذلك وأ وعد من خالف ما أ جا بوا إلية وأنكره النار؟ فقلت : بلى . الخبر ..  
وفيه ١٩ ح ١٩ بسند متصل عن ابن نباتة قال قال أمير المؤمنين (ع) ألا إني عبد الله وأخو رسوله  
وصديقه الأول قد صدقته وآدم بين الروح والجسد ثم إني صديقه الأول في أمتك حقا فتحن الأولون وتحن  
الآخرون الخبر.

وفيه ح ٢٠ عن ابن سنان قال قال أبو عبد الله (ع) أول من سبق من الرسل إلى «بلى» رسول الله  
(ص) وذلك انه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى.

وفيه ح ٢١ عن أبي عبد الله (ع) قال : إن بعض قريش قال لرسول (ص) بأي شيء سبقت الأنبياء  
وفضلت عليهم وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال : إني كنت أول من أقر بربi جل جلاله وأول من أجاب حيث  
أخذ الله ميثاق النبيين وأشهد لهم على أنفسهم ألسنت بريككم؟ قالوا : بلى فكنت أول نبي قال «بلى» فسبقتهم إلى  
الإقرار بالله عز وجل.

وفيه ص ١٨ . ح ٢٨ عن مرازم عن أبي عبد الله (ع) قال قال الله تبارك وتعالى يا محمد إني خلقتك  
وعليها نورا . يعني روها . بلا بدن قبل أن أخلق سماوي وأرضي وعرشي وبحرى فلم تزل تحملني ومجدني ثم جمعت  
روحيكما فجعلتهم واحدة فكانت مجدهن وقدسي وتحملني ثم قسمتها ثنتين وقسمت الشنتين ثنتين فصارت أربعة  
محمد واحد وعلى واحد والحسين والحسين ثنتان ثم خلق الله فاطمة من نور ابتدأها روها بلا بدن ثم مسحنا بيديه  
فأفضى نوره فيها.

وفيه ٢١ : ٣٤ كتاب فضائل الشيعة بإسناده إلى أبي سعيد الخدري قال : كنا جلوسا مع رسول الله  
(ص) إذ أقبل إليه رجل فقال يا رسول الله (ص) أخبرني عن قول الله عز وجل لإبليس ﴿أَسْتَكْرِيَتْ أَمْ كُنْتَ مِنَ  
الْعَالَيْنَ﴾ فمن هم يا رسول الله (ص) الذين هم أعلى من الملائكة؟ فقال رسول الله (ص) : أنا وعلى وفاصمة  
والحسين والحسين كنا في سرادق العرش نسبح الله وتسبح الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله عز وجل آدم بألفي  
عام فلما خلق الله عز وجل آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود فسجدت الملائكة كلهم إلا إبليس  
فإنه أبي أن يسجد فقال الله تبارك وتعالى : استكريت أم كنت من العالين ، أبي من هؤلاء الخمس المكتوب  
أسماءهم في سرادق العرش.

وفيه ٢٣ . ٣٩ عن أبي حمزة قال سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول : إن الله عز وجل خلق .

· محمدًا (ص) وعليها والأئمة الأحد عشر عليهم السلام من نور عظمته أرواحا في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق يسبحون الله عز وجل ويقدسونه وهم الأئمة الهادية من آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

وفيه ٤٠ . ٤ عن الصادق (ع) إن الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نورا قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام فهي أرواحنا فقيل له : يا ابن رسول الله (ص) ومن الأربعة عشر؟ فقال : محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيابته فيقتل الدجال ويظهر الأرض من كل حور وظلم.

وفيه ٤١ . ٤ عن أبي جعفر عليهما السلام قال : يا جابر كان الله ولا شيء غيره لا معلوم ولا مجهول فأول ما ابتدأ من خلقه أن خلق محمدًا (ص) وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته فأوقفنا أظللة خضراء بين يديه حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر الخبر.

وفيه ح ٤٣ عن جابر بن عبد الله قال قلت لرسول الله (ص) أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال : نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير ، وعن جابر أيضا قال قال رسول الله (ص) أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته.

وفيه ح ٤٥ عن المفضل قال قلت لأبي عبد الله (ع) كيف كنتم حيث كنتم في الأظللة؟ فقال : يا مفضل كنا عند ربنا ليس أحد غيرنا في ظلة خضراء نسبحه ونقدسه ونحمله ونجده وما من ملك مقرب ولا ذي روح غيرنا حتى بدا له في خلق الأشياء فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم ثم أخى علم ذلك إلينا.

وفيه ح ٤٦ عن أبي عبد الله (ع) قال : إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار وهو النور الذي خلق منه محمدًا وعليا فلم يزالا نورين أولين إذ لا شيء كون قبلهما فلم يزالا يجربان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب عليهما السلام .

وفيه ح ٤٧ عن جابر بن زيد قال قال لي أبو جعفر عليهما السلام يا جابر إن الله أول ما خلق خلق محمدًا وعترته الهداء المهتدية فكانوا أشباح نور بين يدي الله ، قلت : وما الأشباح؟ قال : ظل النور ، أبدان نورانية بلا أرواح وكان مؤيدا بروح واحد هي روح القدس كان يعبد الله ....

جاءهم برسالته إليهم بعدهم بعثا ، فهو على حد قوله (صلى الله عليه وآلها وسلم) اول النبيين ميشاقاً وآخرهم بعثا .

ذلك ، ولكن الآية ليست لمعنى الإيمان به والنصرة له قبل خلقهم في الجسد ، إذ لم تكن لهم حينذاك كتب ولا نبوات ولا أنه إذا جاء بعدهم ، فإنه خلق قبلهم .

إنما تعني الإيمان والنصرة ﴿مِّنْ جَاءَكُمْ﴾ طيا لطول الزمان فعليهم أن يؤمنوا كلّ في زمانه بهذا الرسول وينصروه ، كما عليهم ذلك الإصر عند الرجعة .

ففي مربع فرض الإيمان والنصرة كمحتملات ، لا تدخل في نطاق الآية إلّا ما بعد خلقهم في الجسد .

وتلك الهيمنة الكبرى من قضيتها الإيمان السابق والنصر من كافة النبيين لصاحب هذه الرسالة السامية .

ولقد لحت او صرحت آيات عدة بهذه الهيمنة لذلك الرسول كآية الشورى : «شرع لكم من الدين وما وصى به نوحًا والذى أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ...» (١٣) .

حيث اعتبر الوحي إلى الاربعة الآخرين من أولي العزم وصية أمام الوحي إلى إمامهم محمد (صلى الله عليه وآلها وسلم) لأن كتاباتهم تحمل . كأصل . توصيات لهذه الرسالة الأخيرة ، مهما حملت شرائع موقّنة لأمم مضت قبلها .

ذلك وكما نرى «رسولنا» في آياتها الأربع و «رسوله» في الأربع والثمانين ، تعنيان هذا الرسول وكأنه هو الرسول لا سواه ، مهما شملت جمعية الصيغة الرسالية كل الرسل .

وكما نرى . وبأخرى . «النبي» معرفا تختص في عدديها الواحد والأربعين بهذا النبي لا سواه .

وليس ذلك الافراد في الرسول والنبي لهذا الرسول النبي صدفة غير مقصودة ، بل هو مقصود لبيان محتده الفريد بين كافة الرسل والنبين .

ففي مثلث الوحي والرسالة والنبوة محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) هو الأصل والكل فروعه ، وكأن الوحي إليه هو الوحي فقط إذا قورن بسواه كما في آية الشورى ، وان الرسالة والنبوة تخصانه كما في كل الآيات التي أتت بهما بإفراد .

ولقد خصت الرسالة الحمدية بميزات بين كافة الرسل وعلى حد قوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» فكينونات الرسالة الحمدية أربع لا يشترك سائر الرسل إلّا في أولاهما وهي الكينونة الرسالية في علم الله ، دون الثلاثة الأخرى وهي كيان الإيمان به ونصرته بالتبشير به قبل خلقه وبعثه ، وكيان رسالته في الأرواح الرسالية كرأس الزاوية ، وكيان الإيمان به ونصرته في رجعته .

وقد نتحمل أن روحه الرسالية كانت مخلوقة قبل الرسل كلهم ، انبعاثا إليهم فقط دون سائر المكلفين ، وقد يعنيه المروي عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في جواب السؤال : متى نبعت؟ نبعت وآدم بين الماء والطين . وآدم مجندل في التراب و....

فقد كانت الروح الرسالية الحمدية مشرفة في واقعها . كما يعلم الله . على أرواح النبین اجمع ، هيمنة عليهم وسياجا لهم عن آية تبعثرات في رسالاتهم .

وآية الميثاق هذه تذكر من ميزات هذا الرسول النبي انه خاتمهم ومصدقهم والرسول إليهم فعليهم ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ... لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ . ثم

يأخذ منهم الإقرار بما أخذ عليهم ميثاقه : ﴿قَالَ : أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخْذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ إقراراً بهذه الرسالة الختامية والايمان به ونصرته ، وأخذا بكمال القوات ﴿عَلَى ذَلِكُمْ﴾ العظيم العظيم ، الشغيل الثقيل «إصرى» إصرا في مثلث التصديق والايمان والنصرة ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾ إقراراً . بطبيعة الحال . شاملاً لأخذ الإصر ﴿قَالَ فَآشْهَدُوكُمْ﴾ على ما أقرتم ﴿وَأَنَا مَعْكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ .

والإصر . ككل . هو الحمل الثقيل على الأصر وكما ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتُهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ (٢ : ٢٨٦) ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (٧ : ١٥٧) .

وترى لو أن الإصر موضوع عن الأمة المرحومة رحمة عليهم كما في آيته فكيف يحمله النبيون أجمعون وهم أحري بوضع الإصر عنهم ، ثم كيف يصبح واضح الإصر عن أمته إصرا على زملائه النبيين؟! .

الإصر لغويا هو عقد الشيء وحبسه بقهره كمأصر السفينة الذي يحبسها بقهر عن تفلتها ، ولكنه قد يكون عقدا وحبسا بشّر أو ما لا طاقة به كما في آيته ، وأخرى بخير وهو يطاق ، وهكذا يكون إصر الإقرار بالتصديق والايمان بمحمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لهم ونصرته ، فإنه يخلق على كل حياتهم الرسالية أن يكرسواها . فيما يكرس . للتعريف والبشرة بهذه الرسالة السامية ، فذلك . إذا . إصر في حمله على النبيين ، وإصر في حمل أنهم على التصديق به! .

فالإصر والإصار هما الطنب والأوتاد التي يعمد بها البيت ، والرسالة الحمدية هي عماد كل بيوت الرسالات ، لو لاها لما قام لها عمود ، ولو لا زندها لما كان لها وقود . وقد يصعب . بطبيعة الحال . لكل نبي أن يعرف نفسه بين أمته انه . كما

هم . من أمة رسول يأتي بعدهم كلهم ، وكما يصعب على الأمم ان يسمعوا منهم ويصغوا لأن رسلاهم ليسوا أصلاء في رسالاتهم ، بل هم مبشرون بهذه الرسالة .  
ويصعب في الأجياء المتعنة التي لا تقبل الرسائلات التي تعيشها ، ان تبشر بالرسالة  
الأخيرة .

ثم ويصعب الإيمان به ونصرته على طول الخط ، قبل ان يحيئهم بما يبشرون ويوطئون  
لحيئه ، وبعد مجئه ان يحشروا الحاضر الامان به ونصرته .  
تلك صعوبات وصعوبات يعبر عنها هنا بـ «إسرى» الحمل الرباني على كواهل  
النبيين في مثلث تصديقه والإيمان به ونصرته .  
وهنا تنحل مشكلة «ثم جاءكم . لتومنن به . ولتنصرن» كيف جاءهم ثم كيف ينصرونه  
وقد قضوا نحبهم قبله؟ .

فإنه «جاءهم» في الروح الرسالي تماما وطاما ، ما يثير عليهم دروب الرسائلات بما  
عرفهم به في الشبح الروحي والقمة الرسالية ، كما «جاءهم» يوم الرجعة فقد يرجع  
بعدهم كلهم ، رسولا إليهم ، فهم . إذا . من أمته الرسميين .  
و «جاءهم» فيما بشروا به كأنه الحاضر أمامهم وهو إمامهم ، فليبشروا به أنهم وانهم  
من أمته (١) .

و «جاءهم» وقد قضوا نحبهم إلا مسيحهم ، فليؤمنوا به بعد موتهم كما آمنوا به قبله  
ولينصروه .

(١) نور الثقلين ١ : ٣٥٩ عن الجموع وروي عن علي (ع) أن الله تعالى أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا (ص)  
أن يخبروا أنهم بمعته ونعته يبشروهم به ويأمروهم بتصديقه .

و « جاءهم » في الرجعة المهدوية حيث يرجع الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وعترته المعصومون والنبيون كلهم راجعون اعضادا لدولة الحق الأخيرة (١).  
 ومن ثم **﴿ثُمَّ جَاءُكُمْ﴾** لها بعد الجمعية والإفراد : ثم جاء كل واحد منكم حين يتَّبِعُ فردا فردا ، ومن ثم جاءكم ككل بعد انقضاء ال碧وات بأسراها ، وتقيد مجئه إياهم فيما يروي بـ « لَئِنْ بَعْثَ وَهُوَ حَيٌّ » تفسير بمصدق له مختلف فيه وهو زمن الرجعة (٢).  
 فذلك . إذا . إيمان متواصل به ونصرته في هذه المسارح كلها ، لم يسبق له نظير ولن ، لكل بشير ونذير.

ولقد نرى بشارات له تترى في كتابات الوحي على تحرّفها ولا سيما في تلك

(١) المصدر العيashi عن فيض بن أبي شيبة قال سمعت أبا عبد الله (ع) يقول . وتلا هذه الآية . : قال ولتؤمنن برسول الله ولتنصرن أمير المؤمنين ، قلت : ولتنصرن أمير المؤمنين؟ قال : نعم من آدم فهلم جرا ولا يبعث الله نبيا ولا رسولًا إلا رد إلى الدنيا حتى يقاتل بين يدي أمير المؤمنين (ع).

وفيه عن سلام المستبر عن أبي عبد الله (ع) قال : لقد تسموا باسم ما سمى الله به أحدها إلا علي بن أبي طالب (ع) وما جاء تأويله ، قلت جعلت فداك متى يجيء تأويله؟ قال : إذا جاءت جمع الله إمامية النبيين والمؤمنين حتى ينصرونوه وهو قول الله **﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيقَاتَ النَّبِيِّنَ ...﴾** فيومئذ يدفع رأية رسول الله (ص) اللواء إلى علي بن أبي طالب (ع) فيكون أمير الخلاق كلهم أجمعين ، يكون الخلاق كلهم تحت لواءه ويكون هو أميرهم وهذا تأويله.

أقول : وذلك من الحرجي والتأويل كما في نفس الحديث ، فعلي (ع) هو مثل الرسول (ص) في الرجعة كما هو قبلها.

(٢) الدر المنشور ١ : ٤٧ . أخرج ابن حجر عن علي بن أبي طالب (ع) قال : لم يبعث الله نبيا آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأمره فيأخذ العهد على قومه ثم تلا هذه الآية.

البشارات ! نراها بعشرات وعشرات هي عشيرات للوحى الرسالي على طول الخط ، فيها نيرات الإيمان والنصرة من النبي العظيم ، نذكر قسمًا منها بطيئات آيات تناسبها ، وقد جمعناها في كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية».

فلقد أخذ الله تعالى ميثاقا رهيبا عجيبة شهده هو وأشهد عليه أنبياءه ، طيبا لكل الفوائل زمانيا ومكانيا بين النبيين المتتابعين في مختلف الأزمنة والأمكنة ، يجمعهم في ذلك المسرح الصارخ وهو يخاطبهم «أقررتם قالوا أقررنا ...» .

ذلك المشهد الهائل الجليل يرسمه ذلك التعبير العبير ، فيجف له القلب ، وليتذكر السامعون.

وهنالك «إصرى» لمكان العصبية الذاتية ، لشخص الرسول رساليا ولقومه قوميا وعنصريا ، والاتباع ككل نحلة لهم ، أما إذا من عصبيات ، تراها كلها تنحنى وتنمحى أمام **﴿رسُولُ مُصَدِّقٍ لِمَا مَعَكُمْ﴾** تناكرا لكل الآثار :

**﴿قَالَ فَأَشْهَدُوا﴾** لدى ولدي أمكم<sup>(١)</sup> **﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾** لدى الكل.

فذلك الجيء هو غير متعدد الجيء بين المرسلين ، فإنه الجيء في كل ح قوله ، رساليا ورسوليا : إيمانا به في الروح قبل مجئه في الجسم ، وهذا ما يعني الجائي نفسه في قوله : «كنت نبيا وأدم بين الماء والطين» فلا يعني نبوته في علم الله إذ تعم سائر النبيين ، بل نبوته في قسم عظيم من لزاماها وأهمها الإيمان

(١) الدر المنشور ٢ : ٤٨ . أخرج ابن جرير عن علي بن أبي طالب (ع) في قوله تعالى : فاشهدوا يقول : فاشهدوا على أمكم بذلك وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم فمن تولى عنك يا محمد بعد هذا العهد من جميع الأمم فأولئك هم الفاسدون هم العاصون في الكفر .

به ، والميثاق للإيمان والنصرة له وكما يروى عنه «انا أول النبيين ميثاقا وآخرهم بعثا»<sup>(١)</sup>.

**﴿فَمَنْ تَوَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** (٨٢).

**﴿فَمَنْ تَوَلَّ﴾** عن خاتمته في رسالته ونبوته **﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾** الميثاق المؤكّد الجمعي **﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** لو كانوا من هؤلاء النبيين ولن - وليس هنا «منهم» حتى يختصّهم التولي . او كانوا من يدعون نبوة قبله او بعده ، ام كانوا من الأمم المبشرة بتلك الرسالة الختامية .

ذلك ، فحتى ولو كانوا من النبيين ، فكما لا تصدق نبوتهم إلا بختام وتوقيع من خاتم النبيين ، كذلك لا يؤتون كتابا وحكمة إلا شريطة الإيمان به ونصرته .

ذلك ! فضلا عن المرسل إليهم ، فقد انضمّ النبيون كلهم باسمهم إلى موكب هذه الرسالة السامية رسالة واحدة إلى امة واحدة ، كما وان الرسالات واحدة إلى امة واحدة : **﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ كُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَإِنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونَ ، فَتَقْطَعُوا أُمُرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾** (٥٣ : ٢٣).

ولو ان ميثاق الایمان والنصر كان . فقط . بين النبيين أنفسهم ، كل لاحق لسابقة ، لم يكن لذلك التهديد دور ، فاما تحدد هنا الأمم الناكرة لخاتم الرسل (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) .

ولو ان **﴿مِيشَاقَ النَّبِيِّينَ﴾** كان ميثاقا لهم على أنفسهم لكان صحيح التعبير «ميثاقا للنبيين على أنفسهم» أم لو عني من الخطاب في **﴿لَمْ جَاءَكُمْ﴾** الأمم ، لأتى بذكرهم وإن مرة يتيمة ! .

(١) راجع لنفسه هذه الروايات إلى آية «خاتم النبيين» في الأحزاب.

فالرواية الهازفة الخارفة ان اقرءوها : «وإذ أخذ الله ميثاق أمم النبيين»<sup>(١)</sup> هي صادرة من مصدر الجهالة والحمافة ، من لا يعرف معانٍ كلام الله ومعازيه فيتورط في ورطة التحريف والتجديف !.

ذلك الدين الشرعاة الذي يحمله خاتم النبيين هو الدين كله وليس ما سبقته من شرعاة إلا شرعاة من ذلك الدين :

**﴿أَفْغَيْرِ دِينِ اللَّهِ يَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾** (٨٣).

**﴿دِينِ اللَّهِ﴾** هو طاعته ب مختلف شكليات الشرائع الخمس ، وفي كل بأشكال مختلفة الظاهر ، والكل توحد في أنها **﴿دِينِ اللَّهِ﴾** وطاعته ، فالذي يبغى دين الله عليه ان يبغى شرعاة المتشرعاة منه كما يشاء ، دون إخلاص إلى شرعاة الفها ، وتصلب عليها نكرانا لشرعاة تلحقها .

والملطف هو بطبيعة الحال يتبعي دينا وطاعة إما للرحمٰن أو الشيطان أم

(١) نور الثقلين ١ : ٣٥٨ في تفسير العياشي عن حبيب السجستاني قال سألت أبا جعفر عليهما السلام عن قول الله **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ..﴾** فكيف يؤمن موسى عيسى وبنصره ولم يدركه وكيف يؤمن عيسى بمحمد (ص) وبنصره ولم يدركه؟ فقال : يا حبيب إن القرآن قد طرح منه آي كثيرة ولم يزد فيه إلا حروف أخطاء بها الكتبة وتوهمتها الرجال وهذا وهم فاقرأوها «وإذا أخذ الله ميثاق أمم النبيين ..» هكذا أنزلها الله يا حبيب فو الله ما وفت أمة من الأمم التي كانت قبل موسى بما أخذه الله عليها من الميثاق لكلنبي بعثه الله بعد نبيها.

أقول : لقد أخطأ الرواية في فهم **﴿لَمْ جَاءُوكُمْ﴾** زعما منه أن «رسول» هو كل رسول بعد رسول ، ثم أخطأ في الفريدة على باقر العلوم في «قد طرح منه آي كثيرة» وهو خلاف العصمة الربانية للقرآن **﴿إِنَّا لَنَحْنُ نَزَّلْنَا الدِّيْنَ وَإِنَّا لَهُ حَافِظُونَ﴾** ، ثم لم يزد في «لم يزد فيه إلا حروف» إلا أن القرآن الموجود كله حروف أخطاء بها الكتبة وتوهمتها الرجال ، فبعدا للقوم الظالمين المختلفين هذه الروايات الزور والغرور !.

نفاق بينهما عوان ، فالذى يدعى الإيمان ، عليه أن يتبعى دين الله واصبأ لأنه دين الله ، لأنه ألهه هو وآباءه الأولون ، فالمتبغي دين الله هو في سبيل الحق ولما يصل فانه شك مقدس يتحرى فيه الشاك عن دين اليقين ، والراسب على شرعة منسوخة دون تحر عن ناسخها او تحرّ عليه هو على دين غير مقدس ، فاما ابتغاء دين الله هو الصالح بجنب الله لا سواه مهما تكشف وتزهد في شرعة منسوخة مضى دورها.

فَ**﴿دِينُ اللَّهِ﴾** هو طاعته بمعرفته ، خالصة غير خليطة بسائر الطاعة ، إذا **﴿أَفَغَيْرُ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾** من طاعة لما سوى الله ، إلحادا في الله أو اشراكا بالله ، فالكافر بالشريعة الأخيرة تثاقلا على السابقة هو كافر بدين الله ، متبع لهواه ، تارك لأمر مولاه ، لأنه غير مبتغ لدى الله ، فاما يتبعى هواه مهما أظهرها بظاهر شريعة الله! .

**﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾** الله ولدين الله **﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾** هم المؤمنون الحقيقيون ، إسلاما لطاعته في كل قليل وجليل «وكرها» حيث لا يستطيعون الخروج عن سلطان علمه وقدرته مهما كفروا.

فالإسلام هنا يعم تكوينيه إلى تشريعه وتشريعه إلى تكوينيه ، فهما يجتمعان في المؤمنين ويفترقان في الكافرين حيث هم مسلمون كرها مهما تركوه طوعا ، ثم والكل **﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾**.

وقد يعني الإسلام طوعا بالنسبة لل偶像 اياضا حيث أسلمت فطرهم بما فطر الله وعقولهم إن كانوا يعقلون ، مهما كفروا بما طفت أهوائهم ، ثم الطوع بالنسبة للمؤمنين فيه زيادة اتباع أهوائهم لفطرهم وعقولهم ووحى الله.

وبوجه عام قد يعني ذلك الإسلام أن ألقوا اليه السلام . كلهم . بما يظهر من حاجتهم إلى إرفاقه وفقرهم إلى أرزاقه ، ونقائصهم التي لا تتم إلا بحسن

تدبيره لهم ، ونعمه السابعة عليهم ، فقد دانوا له طوعاً وكرهاً وولهوا إليه فقراً وضفوا . فالذين أسلموا له هم الملائكة والنبيون ، ثم المؤمنون ، والذين أسلموا كرها هم إبليس وأشباهه من الجن والإنس وكما قال ﴿رَبُّ فَلَأْنَطِرُنِي إِلَى يَوْمٍ يُبَعَّثُونَ﴾ فقد يدل استناظره على إقراره بأنه مملوك مدبر ومصرف مسخر ، وأنه لا يعتصم من الله بمذهب ولا ينجو بهerb ولا يبقى إلا أن يقيمه ، ولا يؤمن إلا أن يؤمنه ، فهو . إذا . من أسلم في وجه مهما كان في آخر شارداً عن طاعته ، مارداً عن قيادته .

ف ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ هنا طليق يشمل كل مراحل الإسلام تكويناً وتشريعاً ، طوعاً وكرهاً بحيث لا يفلت عنه قالت ، ولا يفوتها فائت .

فكما الإسلام الإيمان هو باكتساب واختيار ، كذلك الإسلام التسليم قبل الإيمان كما ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَّا قُلْنَا مُتُّمِّنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (٤٩ : ١٤) في الإسلام التسليم ظاهراً عن جن يشتمله ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ مع إمكانية المنع والحياض ، مهما كان سببه الخوف والفرق .

وإسلام التسليم طمعاً في الرغائب ومن في الفوائد أيضاً إسلام مهما كان سببه الرجاء ، وإسلام التسليم حباً لله وفي الله إسلام ولا سبب له إلا حب الله ، وهذه ثلاث كلها الإسلام طوعاً .

ثم الإسلام كرهاً كمن يسلم نفسه للموت إذا حان حينه ولم يكن له سبب للفرار عنه وما أشبه .

فابتغاء غير دين الله انزال في زاوية بئيسه تعيسة تحالف الفطرة والعقلية السليمة وشرعة الحق ، وتحلّف عن موكب الكون ككل ، ف ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ . لقد أحصاهم وعددهم عدداً . وكُلُّهم

آتِيهِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴿٩٦﴾

(١٣) لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴿٢٢﴾ (١٨) .

هذا إسلام الله على مدار الزمن ، ومن ثم إسلام في دولة المهدى (عليه السلام) فـ «إذا قام القائم (عليه السلام) لا يبقى أرض إلا نودي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) <sup>(١)</sup> .

وهنا طوعا هو إسلام اليمان وكرها هو إسلام الاستسلام ، فلا يبقى . إذا . ملحد في الله او مشرك بالله ، مهما بقيت بقية ضئيلة من أهل الكتاب ، ولكن ليس لهم دور دائى ، فإنهم في دولة المهدى (عليه السلام) يعيشون تحت ذمة الإسلام ، مراعين شروط الذمة تماما.

ولأن دين الله بعد نزول القرآن منحصر فيه ، منحصر عما سواه ، فابتغاء ما سواه محظور حتى في دراسة كتابات الوحي اللهم إلا مقارنة بينها وبين القرآن ، تزييفا لها بما حرفت وتثبيتا للقرآن.

(١) نور الثقلين ١ : ٣٦٢ العياشي عن رفاعة بن موسى قال سمعت أبا عبد الله (ع) يقول في الآية : إذا قام القائم (ع).

وعنه عن ابن بكر قال : سألت أبا الحسن (ع) عن الآية قال : أنزلت في القائم (ع) إذا خرج باليهود والنصارى والصائبين والزنادقة وأهل الردة والكافر في شرق الأرض وغيرها فعرض عليهم الإسلام فمن أسلم طوعا أمره بالصلاوة والزكاة وما يؤمر به المسلم ويحب الله عليه ومن لم يسلم ضرب عنقه حتى لا يبقى في المشارق والمغارب أحد إلا وحد الله ، قلت له : جعلت فداك إن الخلق أكثر من ذلك فقال : إن الله إذا أراد أمرا قلل الكثير وكثرا القليل.

أقول : الإسلام هنا التوحيد ويشهد له «إلا وحد الله» وكذلك الآياتان في بقاء بقية من اليهود والنصارى إلى يوم القيمة «وألقينا . وأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة ...»

لذلك نرى الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يتغير وجهه بما يكتب لل الخليفة عمر من جوامع التوراة قائلاً : «والذى نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه لضللكم إنكم حظى من الأمم وأنا حظكم من النبيين»<sup>(١)</sup>.

**﴿فَلَمَّا آتَيْنَا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٨٤).**

«قل» كما هو خطاب للرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) شخصياً كذلك هو خطاب لكل مكلف بدلية كـ **﴿فَلَمَّا آتَيْنَا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** وما أشبه ، انه رغم العصبيات الجاهلية والعنصرية والإقليميات القاحلة وتأريخية الشريعة الكتابية وجغرافيتها الماحلة ، يوم رسول الهدى ان يعلن حقيقة الإسلام والإيمان ، وانهما لا يحدان بأية حدود إلا ابتغاء دين الله ، فيعلن . إذا . إيمانه والذين معه بجميع الرسالات ، واحترام جمعى الرسل ، معرفة بطريق دين الله الذي لا يقبل الله من المكلفين سواه ، مهما أمر المسلمين الآخرون باتباع شريعة القرآن اتباعا لأصل الدين كما امر سائر الأمم قبلها باتباع شرائعهم : **﴿فَلَمَّا آتَيْنَا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ كَشْرِيعَةً اصِيلَةً ثَانِيَةً لَمْ يَأْتِيَنَا بِمَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَبَعِنِي﴾**

(١) الدر المنشور ٢ : ٤٨ . أخرج أحمد عن عبد الله بن ثابت قال : جاء عمر إلى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقال يا رسول الله أني مررت بأخ لي من قريطة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ فتغير وجه رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقال عمر : رضينا بالله ربنا وبالإسلام دينا وبنبيه رسولنا فسرى ع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وقال : والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ... وفيه أخرج أبو يعلى عن جابر قال قال رسول الله الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لا تسألو أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا إنكم إما أن تصدقوا بباطل وأما أن تكذبوا بحق وأنه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني.

وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ كَأَتَابَعَ لِلشَّرْعَةِ الْإِبْرَاهِيمِيَّةِ.

وَمِنْ ثُمَّ **مَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى** كَشْرِيعَتِينَ أَصْلِيلَتِينَ بَعْدَ الْأَوْلَيَيْنَ ، كَمَا وَأَنْ بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ **مَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا** . وَمَا أُوتِيَ هَامِشِيَا . «النَّبِيُّونَ» عَلَى مَدَارِ الزَّمْنِ الرَّسَالِي «مِنْ رَبِّهِمْ» وَقَدْ يَعْنِي مَا أُوتِيَ نُوْحَ ضَمِّنَ مَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ ، وَعَلَّ عَدَمِ اخْتِصَاصِهِ بِالذِّكْرِ لِانْقِطَاعِ الْحَبْرِ الصَّادِقِ عَمَّا أُوتِيَ مِنْ صَحْفٍ.

فَذَلِكَ هُوَ الْإِيمَانُ الْمُحْلَقُ عَلَى كُلِّ كِتَابَاتِ الْوَحْيِ وَرِسَالَاتِهِ **لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ** في الْإِيمَانِ بِهِمْ وَأَنْهُمْ رَسُلُ اللَّهِ ، لَا يَتَفَرَّقُونَ فِي حَمْلِ رِسَالَةِ اللَّهِ وَاحِدَةً مُوْحَدَةً فِي دِينِ اللَّهِ ، لِأَنَّهُمْ فِي مُوكَبِهِمُ الرَّسَالِي صَادِرُونَ مِنْ مَصْدَرٍ وَاحِدٍ إِلَى اُمَّةٍ وَاحِدَةٍ ، لَا يَتَفَرَّقُونَ فِي أَصْوَلِ الدِّينِ وَفَرْوَعَهُ ، اللَّهُمَّ إِلَّا طَقوْسًا ظَاهِرِيَّةً مِنْ فَرْوَعَةِ أَحْكَامِيَّةٍ حَسْبَ الْحَكْمَةِ الْعَالِيَّةِ الْرَّبَانِيَّةِ **لِيَبْلُوْكُمْ فِي مَا آتَكُمْ** **وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُوْنَ**.

وَهُنَّا **أُنْزِلَ عَلَيْنَا** قَدْ يَعْنِي أَخْصَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ ، إِنْزَالًا دُونَ وَسِيطٍ كَمَا فِي «أُنْزِلَ مَعَهُ» فَهُمَا يَعْنِيَانِ فِي سَائِرِ الْقُرْآنِ الْإِنْزَالُ الرَّسَالِي مِمَّا جَاءَ يَتِيمًا لِغَيْرِ الرَّسُلِ **آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا** وَأُنْزِلَ إِلَيْهِ هُوَ طَلِيقُهُ الشَّامِلُ لِلَّامَةِ.

وَذَلِكَ لَأَنَّ النَّصَّ هُنَّا يَعْنِي الرَّسُولُ كَأَصْلِ لِمَكَانٍ «قُلْ» مِمَّا شَمِلَ الْأُمَّةَ لِمَكَانٍ «آمِنًا» .

لَذَلِكَ تَرَى فِي أَخْرَى **أُنْزِلَ إِلَيْنَا** حِيثُ تَعْنِي الْأُمَّةَ مِمَّا عَنِتِ الرَّسُولُ فِيمَا يَتَلَوُهَا :

**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُوْنَ** (٢) : (١٣٦).

ثُمَّ «مَا أُوتِيَ» أَعْمَمُ مَا أُنْزِلَ ، حِيثُ الْإِيْتَاءُ يَشْمَلُ الْآيَاتِ الْكُونِيَّةَ لِتَلْكَ

النبوات ، المتوفرة لموسى وعيسى ومن بينهما من النبيين ، والإنزال قد يختص بالأيات الكتابية شرعة وآية رسالية ، وهكذا تكون الآيات النازلة على محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ثم لا تذكر آية كونية لإبراهيم إلى الأسباط مهما كانت لهم آيات.

او يقال ﴿وَالنَّبِيُّونَ﴾ والشاملة لهم كلهم تجمع إلى الآيات النازلة عليهم ، الآيات المؤتاة إليهم ، فرسولنا العظيم هو الوحيد المنقطع النظير بينهم في ان ما انزل عليه فيه الكفاية عما يؤتى أي نبي من آيات عينية ﴿أَوْمَّ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ..﴾ . ذلك هو الإسلام في سنته لكل الرسالات الإسلامية ، وفي الإيمان لكافة الرسل وكتابهم ، إذا ف :

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْحَاسِرِينَ﴾ (٨٥). فالشرع الإلهية كلها إسلام الله بدرجاتها ، ولكن لا إسلام بعد الإسلام الأخير ، فابتغاء ما سواه من شرعة غابرة منسوخة او شرعة معددة بعده ، إنه ابتغاء لغير الإسلام المرتضى .

وكيف لا وقد «أرسله بحججة كافية وموعظة شافية ودعوة متلاقيه ، أظهر به الشرائع المجهولة ، وقمع به البدع المدخلة ، وبين به الأحكام المفصلة ، فمن يتبع غير الإسلام دينا تتحقق شقوته ، وتنقصه عروته ، وتعظم كبوته ويكون مآلها إلى الحزن الطويل والعذاب الويل»<sup>(١)</sup>.

ف «الإسلام» هنا يخص الإسلام الأخير مورداً وإن كان يعم سائر

(١) نجح البلاغة عن الإمام علي أمير المؤمنين (ع).

الإسلام واردا ، فالنص هنا ﴿وَمَنْ يَبْتَغُ﴾ يشمل منذ ذلك الإسلام حتى يوم القيام ، وأما سابق الإسلام فقد لا يشمله صيغة الاستقبال : ﴿وَمَنْ يَبْتَغُ﴾ مهما كانت كافة الشريعة إسلاما ، اللهم إلا أن تعني ضابطة ثابتة من القضايا الحقيقة التي تخلق على مثلث زمن التكليف ، وذلك أشبه بحق الإسلام والإسلام الحق.

ذلك هو الإسلام كما يريد الله ، دون الإسلام الذي تريده الأهواء المتأرجفة المتفاوتة في أجيال نكدة من الناس النسناس الخناس ، ولا كما تصوره أغبية أعداءه المتربيسين به كل دوائر السوء ليجعلوه اسماء بلا معنى أو رسما بلا مغزى او شعارا بلا شعور ام زادا . فقط . لأهل القبور !.

بل هو إسلام الله ، طليقا في كافة المقول الحيوية ، فإن الله أحکاما تخلق على كل متطلبات الحياة ولزاماتها ورجاجاتها ، دونما حاجة إلى أنظمة مختلفة مختلقة للحياة.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَأْبُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رحيم (٨٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّالُونَ (٩٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَا تُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ (٩١) لَنْ تَأْلُوا الْبَرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحْبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢) كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًا لِتَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ثُمَّ فَأَتُوا بِالْتَّوْرَاةِ فَأَتَلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤) ثُمَّ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبَعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩٥)

أترى ان الله «يهدي» **قوماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهَدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجاءُهُمْ**

**الْبِيَّنَاتُ**؟ أن يهدى لهم توفيقاً لهم رفique ليتوبوا :

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهَدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءُهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٦).

لا تعني الهدایة المنفیة هنا التشريعیة لأنها عامة غير مخصوصة بفريق دون آخرين ، ولا التکوینیة المسیرة لأنها منفیة عن القبیلین ، إنما هي هدایة التوفیق للتوبۃ وقولها ، فإنما خاصة بالصالحین ثم الصالحین المتحررین عن الھدی ، فهم ﴿مَ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ . أبعـد الإیمان بالبیان والشهادـة بحق الرسـول يکـفـرون؟ وفي ذلك عـنـاد للحق وـتـضـلـیـلـ للـمـؤـمـنـینـ ، وهذا من أـظـلـمـ الـظـلـمـ فيـ مـثـلـهـ : بـأـنـفـسـهـمـ وـبـالـحـقـ وـبـحـقـ الـآخـرـینـ المـتـزـعـزـینـ بـذـلـكـ الـکـیدـ الـمـکـینـ! .

مهما كانت هذه الشهادة أقوى والکفر بعدها أغوى . كما في کفرة أهل الكتاب بعد إیمانهم . كان الارتداد أظلم وأطغى ، فالارتداد درکات كما الإیمان درجات .

﴿وَلِئَلَّكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٧).

«لـعـنـةـ» تلبـسـهـمـ وـتـغمـسـهـمـ فيـ الدـارـینـ ، من الله أـلـاـ يـهـدـيـهـمـ سـبـيلـ الرـشـادـ ، ومن الـمـلـائـکـةـ وـالـنـاسـ أـجـمـعـینـ﴾ أـلـاـ يـطـلـبـواـ لـهـمـ منـ اللهـ هـدـیـ . بل لـعـناـ وـبـیـلاـ . وـتـرـیـ هـؤـلـاءـ مـلـائـکـةـ اللهـ يـلـعـنـوـهـمـ بـسـنـدـ إـیـمـانـهـمـ وـکـفـرـ هـؤـلـاءـ ، فـکـیـفـ يـلـعـنـهـمـ ﴿الـنـاسـ أـجـمـعـینـ﴾ وـفـیـهـمـ کـفـارـهـمـ سـنـادـ وـعـتـادـ هـؤـلـاءـ الـأـنـکـادـ؟ .

علـ «أـجـمـعـینـ» يعني جـمـعـ النـاسـ إـلـىـ الـمـلـائـکـةـ وـالـمـلـائـکـةـ إـلـىـ النـاسـ ، مـهـمـاـ اـسـتـشـنـيـ عنـ النـاسـ نـسـنـاسـ ، اـمـ وـهـمـ کـلـ النـاسـ ، فـالـمـؤـمـنـونـ مـنـهـمـ يـلـعـنـوـنـ بـسـنـدـ الـإـیـمـانـ ، وـالـکـافـرـونـ مـنـهـمـ الـمـتـأـثـرـونـ بـاـرـتـدـادـهـمـ يـسـتـلـعـنـوـنـ حـیـثـ يـضـاعـفـ الـعـذـابـ

لهؤلاء المضللين بما ارتدوا عارفين : ﴿رَبَّنَا أَقْهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَّهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ (٣٣) ، (٦٨) ، وسائر الكفار ايضا يلعنونهم يوم الدين ويتلعنون : ﴿كُلُّمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُفُّ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَأْلَعُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ (٢٥ : ٢٩) ﴿كُلُّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا ..﴾ بل ويوم الدنيا حيث يلعنون الضالين مهما حسبوهم ائم المؤمنون ، ولكن اللعنة تحد واقع موردها كما يشاء الله.

وحتى إذا عرفوا أنهم أنفسهم الضالون ولكنهم بتأييدهم الكفار يلعنونهم واقعيا حيث يزدادونهم عتوا ونفورا.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُحْكَفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (٨٨).

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ : في ثالوث اللعنة ، في نار الله الموقدة التي تطلع على الأف�다 ﴿لَا يُحْكَفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ وكما لا يستزاد ، وإنما هو جزاء العدل الوفاق قدر الكفر الواقع ، خلودا يضاهي خلود الكفر ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ حين الحكم بالعذاب فلات حين مناص وقد فات يوم خلاص.

ذلك للذين لم يتوبوا عما ارتدوا ولم يصلحوا ما أفسدوا بما ارتدوا :

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٨٩).

«تابوا» إلى الله ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الارتداد المضلّ «وأصلحوا» ما فسد تحت وطأته ، إصلاحا لأنفسهم الماردة ولأنفس الآخرين الشاردة عن الإيمان بما ارتدوا (١).

(١) الدر المنشور ٢ : ٤٩ . أخرج جماعة عن ابن عباس قال : كان رجل من الأنصار فأسلم ثم ارتد ولحق بالمشركين ثم ندم فأرسل إلى قومه أرسلوا إلى رسول الله (ص) هل لي من توبة فنزلت : «كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ». إلى قوله . ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فأرسل إليه قومه فأسلم.

أقول : وأخرج جماعة مثله في أشخاص آخرين ، وليس مورد النزول وهم كلهم من المرتدين مليا ، .

والقدر المعلوم من عدم قبول التوبة هو الموت على الكفر :

**﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**

. (٩٠)

فازدياد الكفر بعد الارتداد عن إيمان دليل العناد في الالإيمان فهم المضللون . إذا .

لكتلة الإيمان و **﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾** لأكيد الكفر المعاند ، المضللل للبساطة .

وليس يعني **﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾** . فيما يعنيه . ازدياد الزمان إلى وقت الموت ، حيث

تتكفله الآية التالية لها .

فكما لا تقبل توبة الكافر حين يموت على كفره ، كذلك حين يزداد كفرا بعد ارتداده

، ثم تقبل توبات الآخرين على شروطها :

**﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَا تُؤْمِنُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَابًا وَلَوْ افْتَدَى**

**بِهِ أُولَئِكَ هُنْ عَذَابُ أَلِيمٍ وَمَا هُنْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾** (٩١).

فاستحالة الملكية ل **﴿مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَابًا﴾** واستحالة الافتداء به لو ملك ضئنة بتلك

الشرة الهائلة . وقد سئلوا ما هو أيسر من ذلك فضنوا <sup>(١)</sup> . ثم وعدم قبولها منهم لو افتدوا ،

ذلك المثلث من الاستحالة يفسر قدر الإحالة في «لن» ف **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ هُنْ مَا**

**فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلُهُ مَعَهُ لِيُقْتَدُوا بِهِ مِنْ**

. بالذى يخصص الآية بنفسه فإنما العبرة بعموم الآية دون خصوص المورد ، ولو كان الحكم مختصا بالمرتد مليا لاختص به نصا أو ظاهرا .

(١) المصدر . أخرج عبد بن حميد والبخاري ومسلم والنسائي وأبي جرير وأبي المنذر وأبي حاتم وأبو الشيخ وأبي مرودية والبيهقي في الأسماء والصفات عن أنس عن النبي (ص) : قال يجاء بالكافر يوم القيمة فيقال له : أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهاباً أكنت مفتديا به؟ فيقول : نعم فيقال : لقد سئلت ما هو أيسر من ذلك وذلك قوله تعالى **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَا تُؤْمِنُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ...﴾**.

عَذَابٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ . (٣٦).

و «أولئك» الأنكاد البعد **﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** في الآخرة **﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ﴾**

شفعاء وسواهم . ينفعهم نصرهم لو نصروهم.

وترى توبية المرتد الفطري كما الملي تقبل . ان تاب وأصلاح . ظاهرا كما تقبل باطنا؟

طليق النص **﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** يقتضي طليق القبول في بعديه ، فتقبل توبية الفطري

ظاهرا كما الباطن كقبول توبية الملي .

فاما الموت على الكفر هو الذي يقطع التوبة عن قبولها وتحقق مفعولها : **﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ**

**مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حِبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ**

**النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** (٢١٧: ٢).

فهناك **﴿كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾** لا تختص بال ملي حيث الفطري قد يكفر بعد ايمانه كما

الملي ، و «إيمانهم» هو واقعه قبل الكفر فطريا و مليا.

وكذلك هنا «عن دينه» الكائن أيا كان ، مليا او فطريا.

اجل قد لا تقبل توبية المرتد وان تاب بعد ارتداده مليا او فطريا ، وهو المكرر لارتداده

المستزيد في كفره : **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا لَمْ يَكُنْ اللَّهُ**

**يِغْفِرُ لَهُمْ وَلَا لِيَهُدِّيْهُمْ سَبِيلًا﴾** (٤: ١٣٧).

وذلك لضخامة كفره ووحنته ، حيث لا يجبرها شيء ، و «لم يكن» نفي مؤكداً مؤبداً

لا يقبل اي استثناء ابداً<sup>(١)</sup>.

(١) السيد الشيريف الرضي في حقائق التأويل لتشابه التنزيل ص ١٦١ وقد روی أن هذه الآيات نزلت في قوم ارتدوا مع الحارث بن سوید ابن الصامت الانصاری ولحقوا بمكة ثم راجع الحارث الإسلام ووفد إلى المدينة فتقبل النبي (ص) توبته فقال من بقي من أصحابه على الردة : نقيم بمكة ما أردنا فإذا صرنا (عدهنا) إلى أهلنا رجعنا إلى المدينة وأظهرنا التوبة فقبلت منا كما قبلت من الحارث قبلنا.

فكم لا تقبل توبة المرتد الذي يموت وهو كافر ، كذلك الذي يزداد كفرا بارتداده مرتين ، وهم يعمان الفطري والملبي ، ثم من سواهما تقبل توبته فطريا او مليا شريطة الإصلاح لما أفسد بارتداده.

ولا ينافي عدم قبول التوبة في الدنيا أو الآخرة وعده تعالى . طليقا . أنه يقبلها : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنِ الْعِبَادِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٤٢ : ٢٥).

إذ تعني خاصة التوبة بشروطها دون عامتها الفوضى ، فهي غير مقبولة بعد الموت إطلاقا ، ولا قبل الموت إلا إذا كانت نصوها مصلحا دون ازيداد الكفر بعد كرور الارتداد ، كما تدل عليها آياتها الأخرى فإن القرآن يفسر بعضه ببعض وينطق بعضه على بعض.

تلحique بقول فصل حول الواو في ﴿وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ﴾ :

لقد أشبعنا الكلام بطيات الفرقان حول ان القول بالزائد في القرآن زائد من القول ، رغم ما تورط فيه ضعفاء العقول.

فمن قيلهم ان الواو هنا زائدة لا تعني اي عنایة ، وآخر أنها ممحومة كما في ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُهَا وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ حيث تعني ﴿فُتِّحْتُ أَبْوَابُهَا﴾.

والجواب . ككل . تخليقا على كل ما يزعم زياسته في القرآن . أنه لا شيء من كلمات وحروف جاءت في القرآن إلا لمعنى مفيد ، مهما كان تحويلا لظاهر البيان كما الباء في خبر «ليس» أما أشبه.

فالزيادات والنفائص في الكلام إنما يضطر إليها للمضطرين فيها لضرورة قافية شعرية أماهية ، مدا للمقصور وقصر الممدود ، او زيادة زائدة ونقيصة بائدة ، فحين تحجم القافية ويغدو الزمام عن يد الشاعر يضطر إلى زيادة او نقيصة.

فأما إذا كان الكلام محلول العقال ، مخلوع العذار ، ممكنا من جري المضمار ، غير محجور بيته وبين غياته ، فان شاء صاحبه أرسل عنانه فخرج جامحا ، أو شاء قدع لجامه فوقف جانحا ، لا يحصره أحد دون أحد ، ولا يقف به حد دون حد ، فلا تكون الزيادة فيه إلا عيّا واستراحة ولغوبا وإلاحة.

ولكن كلام الله مرقع عن كل إلاحة ولغوب ، فانه المتعدن المعوز ، والممتنع المعجز.

ذلك ، بل قد يرتفع عن ذلك كلام الفصحاء فضلا عما هو أعلى وهو في القمة العليا! ... إننا نجد كلام الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو بعد النبي العظيم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء ، نجده على علو طبقته وحلو طريقته وانفرد طريقته ، إذا حَوَّلَ ليلحق غاية من أداني غaiات القرآن وجدناه ناكضا متقاعسا ، ومقهرا راجعا ، وواقفا بليدا ، وواعقا بعيدا ، على أنه كلام يسبق كل المجارين ، عاليا على المسامين.

ذلك! فضلا عن كلام من دونه فإذا قيس إليه وقرن به شال في ميزانه ، وقصر عن رهانه ، وصار بالإضافة إليه قالصا بعد سبوغه ، وقارضا بعد بلوغه ، وليصدق قول أصدق الصادقين : ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَرِيزٌ لَا يُأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٤١ : ٤٢) <sup>(١)</sup>.

ثم الواو في ﴿وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ تعني . فيما تعنيه . عدم حصر «لن تقبل» على اللافتداء ، كأنه إن لم يفتدى بملء الأرض ذهبا . لو ملكه هناك . «لن تقبل توبته» فيقول هنا ﴿وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ فالمفتدي وسواه سواء في ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ .

(١) بين الهمالين ملقطات من كلام السيد الشريف الرضي في كتابه حقائق التأويل في متشابه التنزيل ، مع زيادات أو نقاصات منا.

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ (٩٢).

«لن» تحيل نيل البر أيا كان ﴿حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وأما غير الحبوب مبغوضاً كان أو عواناً بينهما فلا ينيل إنفاقه خيراً ، وعلّ العوان . ايضاً . داخل في نطاق «ما تحبون» مهما كان أدناه فان قضية الملك حبه مهما لم يكن مرغوباً والإنفاق هنا هو في سبيل الله إذ لا خير في غير سبيله تعالى .

و «ما تحبون» يعم النفس والنفيس من النوميس الخامس : نفساً وعقلاً وديننا وما لا وعرضنا أن ينفق كلّ في سبيل الله ، إما عن بكرته كالتضحيّة بالنفس والمال ، ام مع الحفاظ على أصله كالقوّات النفسيّة والفوائد الماليّة التي تنفق في سبيل الله ، وكذلك الإرشادات العقلية والعلمية ، وتعریض العرض . فيما يجوز . للحفاظ على عرض أعرض كعرض الدين والدينيّن ، وكل ذلك تشمله ﴿حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

ذلك وكما «ما تحبون» الشّرعة التي تعود توها ان تنفقوها في سبيل الله ومرضاته وتبدلوها بشرعه محكمة بعدها .

ولأن للمحبوب درجات كذلك لنيل الخير في إنفاق الدرجات درجات ، كما والإنفاق في كمه وكيفه ومورده درجات .

ولقد أشار الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الذي ينفق ما يحب ان يجعله في قرباته القراء ، فإنه أحب من غيرهم <sup>(١)</sup> وهذا «ما تحبون» مورداً .

(١) الدر المنشور ٢ : ٥٠ أخرج جماعة عن أنس قال كان أبو طلحة أكثر أنصارٍ بالمدينة نخلا وكان أحب أمواله إليه بيرباء وكانت مستقبلة المسجد وكان النبي (ص) يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب فلما نزلت ﴿لَنْ تَنَالُوا ..﴾ قال أبو طلحة يا رسول الله (ص) إن الله يقول : لن تナالوا البر .

ومن الإنفاق الأحسن كيفية ما كان دون سؤال ولا سيما بالنسبة للوالدين ، فـ «الإحسان أن تحسن صحبتها وأن لا تكلفها أن يسألوك شيئاً مما يحتاجان إليه وإن كانوا مستغيلين ...»<sup>(١)</sup>.

وما تتفقون مادة طيبات المكاسب فان «تحبون» هو الحب على ضوء الإيمان : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَبِيعَتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمَمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَبْمَمُوا الْحَتِّيَّتْ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِدِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِّيٌّ حَمِيدٌ﴾ (٣ : ٢٦٧).

هنا «ما تحبون» دون «ما تحبون» بعض الإنفاق كيلاً تضلوا حاسرين بما تحبون كل ، والرواية القائلة «ما تحبون»<sup>(٢)</sup> تخالف النص هنا ، وتخالف هنالك الآيات في الإنفاق العوان بين الإفراط والتفرط ، ولم يكن إطعام الطعام من أهل بيته القدسيه مسكيناً ويتيناً وأسيراً ، إطعاماً لكل المحبوب إذ

حتى تتفقوا ما تحبون وان أحب أموالي إلي بيرحاء وانها صدقة الله أرجو بربها وذرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال رسول الله (ص) بخ ذاك مال رابع ذلك مال رابع وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله (ص) فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عممه ، وفيه نقل آخر قال (ص) : اجعله في فقراء أهلك.

وفيه أخرج جماعة عن محمد بن المنكدر قال لما نزلت هذه الآية ﴿لَنْ تَنَالُوا ..﴾ جاء زيد بن حارثة بفرس له يقال لها شبلة لم يكن له مال أحب إليه منها فقال : هي صدقة قبلها رسول الله (ص) وحمل عليه ابنه أسامة فرأى رسول الله (ص) ذلك في وجه زيد فقال إن الله قد قبلها منك ، وفي نقل آخر فكان زيد أوجد في نفسه فلما رأى ذلك منه النبي (ص) قال : أما إن الله قد قبلها .

(١) نور الثقلين ١ : ٣٦٣ في أصول الكافي يسند متصل عن أبي ولاد الحناط قال : سألت أبي عبد الله (ع) عن قول الله عز وجل ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ما هذا الإحسان؟ قال : الإحسان ... أليس الله عز وجل يقول : ﴿لَنْ تَنَالُوا ..﴾ .

(٢) المصدر في روضة الكافي يسند عن يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله (ع) ﴿لَنْ تَسْأَلُوا الْأَبْرَارَ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ هكذا فاقرأها.

كان عندهم ما يبدلوه عنه وان على صعوبة فأبدلهم الله بأحسن منه .  
وترى ما هي رباط الآية بما قبلها ، المنددة بالمتصلين على القومية الكتافية ، والمتلونين  
في الإيمان والكفر ؟

علّها لأن التجاهل والتنازل عما هم عليه من شرعة انتقالا إلى شرعة أخرى ولا سيما  
إلى نبي غير إسرائيلي ، هو معدود في عداد الإنفاق مما تحبون ، فإيشار حب الله على ما  
تحبون يقتضي الاتصال عن كل شرعة سابقة . مهما كانت طولها وطولها . إلى الشرعة الأخيرة .  
وذلك مما يوسع نطاق الإنفاق المحبوب في الآية ، دون حصر في إنفاق المال حسرا  
عن سائر الإنفاق .

إن إنفاق المحبوب في حب الله يختص بما يمكن إنفاقه مشكورا محبورا ، وأما غير  
الممكن أو المنكر والمحظور فلا ، فانفاق النفس في سبيل الله فيما يتوجب أو يرجح ، وإنفاق  
المال كذلك عوانا بين الإفراط والتغريط ، وإنفاق العقلية الصالحة والعلم النافع والعظة الحسنة  
أماهيه من إنفاقات صالحة ، إنما كلها مشمولة لطريق الآية دونما تحدد بحد إلا ما حدده الله .  
فالإنفاق مما تحب . ولا سيما إذا كان من أحب ما تحب . ذلك رمز إلى أنك تؤثر  
حب الله على كل حب ، مهما كان ما تحب شيئاً قليلاً ضئيلاً ، كما ان الإنفاق مما لا تحب  
رمز إلى عدم الإيشار وانك لا تفضل حب الله على حبك مهما كان ما لا تحب شيئاً كثيراً  
محبوباً من تنفق ، اللهم إلا ألا تجد إلا ما تنفقه ، وأنك في طويتك تفضل محبوب ربك على  
محبوبك .

إذا فاطعام علي وفاطمة والحسنين كسير خبزهم هو من أفضل الإنفاق : ﴿وَيُطْعَمُونَ  
الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَتَبِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٧٦ : ٨) وفي نفس الوقت إطعامك طعاماً أفضل  
منه وأنت لا تحبه ليس من أفضله ولا فضيله ،

اللهم إِلَّا أَن يُحِبَّهُ الْمُنْفِقُ عَلَيْهِ وَلَذِكْ يَنْفَقُهُ عَلَيْهِ الْمُنْفِقُ.

فَإِنَّ إِنْفَاقَ الصَّالِحِ يَرْتَكِنُ أَوْلًا عَلَى الْحُبُّ الْأَفْضَلِ ، ثُمَّ إِنْفَاقَ مِنَ الْأَفْضَلِ أَوِ الْفَضْلِيِّ  
دُونَ الرَّذِيلِ ثُمَّ الْكِيفِيَّةِ الْفَضْلِيِّ.

ذلك ، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ في حبه وكيفه وكمه ومورده ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ لا  
عليكم أن تبدوه إلا إذا لزم الأمر بعيدا عن الرثاء والسمعة.

ذلك ، فهل ترى الذي ينفق مما لا يحبه ولا يبغضه لا ينال خيرا وقد أنفق؟ انه ينال  
خيرا إذا تمت اركان السماحة والرجاحة في الإنفاق ، ولكنه لن ينال البر ككل حتى ينفق مما  
يحب ، والبر هو واسع الخير من البر لا اصل الخير ، وهنا بر بدليل بر ، حيث الإنفاق مما  
تحب بر تناول به البر ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَى﴾.

فالمتفق في سبيل الله إذا لم يأت بمحظور في إنفاقه مأجور قدر إنفاقه ، ولكنه لن ينال  
البر حتى ينفق مما يحب.

وفي الإنفاق في سبيل الله مما تحبون تحرر من شح النفس على النفس والنفيس ،  
فالمتفقون مما يحبون يصعدون في ذلك المرتقى الراقي السامي الوضيء أحرازا خفافا طلقاء ، لا  
يرتبطون بشيء إِلَّا الله والحب في سبيل الله ، وهم ينالون البر والخير الواسع حسب السعة في  
إنفاقهم مما يحبون فطوي لهم وحسن مآب.

وترى حين تحب شيئا يكرهه الله ، او تكره شيئا يحبه الله ، فهل تناول البر في إنفاق ما  
تكرهه في حب الله او ما تحبه في كره الله؟.

للمحوب هنا بعдан اثنان ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبَرَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ويحبه الله ، وكون  
الإنفاق في سبيل الله هو قضية الإيمان بالله يجعل محبوب الله محبوبا لنفسه ، ومحبوبه ليس إِلَّا  
محبوبا لله ، وهنا زاوية ثالثة للمحوب ان يحبه المتفق

عليه حتى يتم مثلث الحب فيتم نيل البر من الله.

فمن ينفق في الله ما يكرهه ويكرهه الله يكرهه الله : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصْنُفُ الْأَسْنَاتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرطُونَ﴾ (٦٢ : ٦٢).

فالمحور الأصيل في نيل البر «ما تحبون» كمؤمنين ، وقد تشمل الزاوية الثالثة للمنافق عليه كما المنافق في سبيله ، فحين تحب شيئاً يحبه الله ولا يحبه المنافق عليه فعليك ألا تحب إنجاقه ، فليست مادة الحب ما تحبه . فقط . لنفسك ، بل ولمن تنفق عليه.

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ قد تعني مثلثة الجهات ، «على حبه لهم . على حبه للمطعم . وعلى حبه لله وحب الله» وذلك أحسن الإنفاق.

ويتلوه ان تنفق ما لا تحبه ويحبه الله إنجاقاً ويحبه المنافق عليه سؤلاً.

والمحور الأصيل في «على حبه» هو حب الله وله درجات أعلىها مثلث الحب كما في

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ﴾.

فما لم يكن الإنفاق على حب الله ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ فيه وليس المؤمن ليحب ما لا يحبه الله.

إذا ف «ما تحبون» تعني ما تحبون في محبة الله وتحبونه . كذلك . لأهل الله ، وكلما كان الإنفاق أحب إليكم كمؤمنين بالله كان البر أبل لكم من الله.

﴿كُلُّ الطَّعَامٍ كَانَ حِلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ فُلِّ فَأَتُوا بِالْتَّوْرَاةِ فَاتَّلُوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٩٣).

أترى ما هي الرباط بين هذه الآية وما قبلها ، ولا دور للطعام هنا سلباً وإيجاباً على الإطلاق؟.

علّها . بمناسبة الحوار الاسلامي الكتافي حول الشريعة الجديدة . وجه الى الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) اعتراض على حلية لحوم الإبل والبقر والغنم بكل أجزاءها ، ناقمين عليه ذلك التحليل الطليق والتوراة يحرمنا ، فأجاب ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ...﴾ .  
وهنا «كل الطعام» وليس «كل الطعام» لتعني الطعام المعروف حلّه في شريعة الإسلام . وطليق الحل هو مصب اعتراضهم على الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) . او والطعام الحل في الشريعة الابراهيمية فان بنى إسرائيل كسائر المكلفين . هم وأنبياءهم . كانوا اتباع الشريعة الابراهيمية ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾ و «كل الطعام» الحل في شريعة ابراهيم هو الحل في شرعتنا ، إذ لا تنساخ شرعاً في حل الطعام إلا عقوبياً كما حرم قسم منه في شريعة التوراة .

وهنا يتهدّم صرح زعمهم أن النسخ مستحيل ، حيث خيّل إلى اهل التوراة انّها هي الشريعة الإلهية منذ البداية إلى النهاية ، فلا شريعة . إذا . بعدها كما لم تكن قبلها ، إلا إعدادات لها ، وتخيل ثان ان ما حرم عليهم من الطيبات لم تكن عقوبة .

وقد يرى ان إسرائيل حرم على نفسه لحم الإبل . أماذا . ما فيه عروق إذ كان يهيج عليه وجع الخاصرة او نذر إن عفاه الله من وجعه ألا يأكل ما فيه عرق حيث تأذى به<sup>(١)</sup> .

(١) الدر المنشور ٢ : ٥١ عن ابن عباس ﴿كُلُّ الطَّعَامِ ...﴾ قال : العرق أخذه عرق النساء فكان بيّت له زقاء . يعني صباح . فجعل الله عليه إن شفاه أن لا يأكل لحما فيه عرق فحرمته اليهود ، وفيه عن ابن عباس قال : جاء اليهود فقالوا يا أبا القاسم أخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه؟ قال : كان يسكن البدو فاشتكي عرق النساء فلم يجد شيئاً يداويه إلا لحوم الإبل ولبانها فلذلك حرمتها ، قالوا : صدقت .

وأيا كان التحرير ودوره لم يكن تشييعاً يخص الله تعالى ، ولا حكماً ناسخاً لشرعية ابراهيم إذ لم يكن إسرائيل من اولى العزم ، فاما كان تحريراً شخصياً لمصلحة ملزمة كما حرم الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ما احله الله في شرعته على نفسه من زوجة قضية الفضيحة الدعائية من بعض نساءه حتى كفل الله أمره فرجع الى الحل.

وقد حرم التوراة عقوبها على أهلها . طيبات أحلت لهم : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقْرِ وَالْغَنِمِ حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلْتُ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحُوَارِيَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزِئُهُمْ بِعَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٦ : ١٤٦) . ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أَحْلَتْ لَهُمْ...﴾ (٤ : ١٦٠) ثم نراها ان المسيح (عليه السلام) أحلها : ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ... وَلِأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِمَ عَلَيْكُمْ...﴾ (٣ : ٥٠).

فالطعم الذي حرمه إسرائيل على نفسه مصلحة شخصية وقائية ليس ليحرم على أحد فضلاً عن أن تحرمه التوراة اتباعاً لما حرم ﴿قُلْ فَأَتُوا بِالْتَّوْرَاةِ فَأَتُواهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ألا نسخ ولا جديد في حكم التوراة تحريراً وسواه ، كما وترون ليس فيه تحرير ما حرم إسرائيل على نفسه اتبعها لما حرم بل فيها حل

. وعنه قال : حرم على نفسه العروق واللحوم الإبل كان به عرق النساء فأكل من لحومها فبات ليلة يزقوا فحلف أن لا يأكله أبداً ، وفيه عن ابن عباس قال قالت اليهود للنبي (ص) نزلت التوراة بتحرير الذي حرم إسرائيل فقال الله لحمد (ص) «قُلْ فَأَتُوا بِالْتَّوْرَاةِ فَأَتُواهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» ذلك إلا تغليضاً لمعصية بني إسرائيل بعد نزول التوراة قُلْ فَأَتُوا بِالْتَّوْرَاةِ فَأَتُواهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وقالت اليهود لحمد (ص) كان موسى يهودياً على ديننا وجاءنا في التوراة تحرير الشحوم وذي الظفر والسبت فقال محمد (ص) : لم يكن موسى يهودياً وليس في التوراة إلا الإسلام يقول الله : قُلْ فَأَتُوا بِالْتَّوْرَاةِ فَأَتُواهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَفِيهِ ذَلِكَ وَمَا جاءَهُمْ بِهَا أَنْبِياءُهُمْ بَعْدَ مُوسَى فَنَزَّلْتُ فِي الْأَلْوَاحِ جَلَّهُ .

كل الطعام الحل على المسلمين ، إلا ما حرمت على بني إسرائيل عقوبة لبغיהם.  
وهنا ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾ تلمع بقيلتهم الكذب ان إسرائيل حرم في التوراة ما حرمه عليه نفسه ، كقيلتهم ان ابراهيم كان يهوديا ، والقرآن يذب هذا التحرير الخاص عن التوراة ، لأنه كان ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾ ، وذلك القبل يعم «حلا .. وحرم» فكلا الحل العام والتحرير الخاص كان من قبل أن تنزل التورات.

ثم ﴿فَأُثْوَرُوا بِالْتَّوْرَاةِ فَأَتْلُوْهَا﴾ فيه قضاء حاسم على استحالة النسخ ، حيث تنسخ التوراة حلية بعض الطيبات ، وعلى مزعمه عدم التحرير عقوبة لأنهم شعب الله الخصوص . فقد تصرح التوراة ان للإبل منافع كثيرة ووهب إسرائيل ثلاثة إبل ذات لبن أخاه عيسى (التكوين ٣٢ : ١٥) ولكنها محمرة في شرعة التوراة (اللاويين ١١ : ٤ والثنية ١٤ : ٧).

ثم في اللاويين ١١ : هذه هي الحيوانات التي تأكلونها من جميع البهائم التي على الأرض ٣ كل ما شق ظلفا وقسمه ظلفين ويختار من البهائم فإياه تأكلون ٤ إلا هذه فلا تأكلوها مما يختار وما يشق الظلف : الجمل لأنه يختار لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم والدب والأرنب والخنزير ... وجميع البهائم التي لها ظلف ولكن لا تشقه شقا أو لا تختار فهي نجسة لكم وكل ما يمشي على كفوفه من جميع الحيوانات الماشية على أربع فهو نجس لكم . ذلك وكما حرمت عليهم الشحوم (اللاويين ٣ : ١٦ و ١٧ و ٧ و ٢٤ - ٢٧).

فقد اعترضوا على الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فيما اعترضوا

كيف يأكل لحم الإبل وقد حرمه إسرائيل ، فيجيب القرآن انه من إسرائيل كان تحريما خاصا على نفسه وقائيا ، من قبل أن تنزل التوراة ، ثم التوراة حرمه عقوبيا ومن ثم أحله فيما أحله المسيح (عليه السلام) واستمر الحال في الإسلام.

وفي نظرة ثانية إلى الآية نقول ﴿إِلَّا مَا حَرَمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ استثناء منقطع لأن إسرائيل ليس داخلا في بنية ، ولا ما حرمه على نفسه داخلا في عموم التحرير ، فقد يلمح انقطاع الاستثناء باستغراق الحال في «كل الطعام».

ثم ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾ يصح تعلقها بكل من «كان حلا» و ﴿إِلَّا مَا حَرَمَ﴾ والجمع أجمع والأول أوقع إذ «كان» هو أصل الكلام والاستثناء . ولا سيما المنقطع كما هنا . فرع لا يأخذ زمام المتعلقات إلا ضمنيا إذا صح المعنى .

إذا ف ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا ... مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾ فليست المحرمات التوراتية أبدية ، ومنها عقوبية يدل عليه حّلها قبل نزول التوراة وبعد نزول الإنجيل وكما في متى : ٣ : ٤ انه يحل لحم الجمل ولبس وبره وجلدته .

كما و ﴿كُلُّ الطَّعَامِ ... إِلَّا مَا حَرَمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾ حسما لزعم أن التوراة حرمت ما حرمه إسرائيل .

﴿فُلِّيَّوْا بِالْتَّوْرَاةِ فَأَتْلُوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في زعم استحاله النسخ وأبدية التوراة ، وأن محرمات فيها عقوبية لبعيهم ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ وهم كاذبون في رغم الحرمة الأبدية لما حرر فيها منها لحم الإبل حيث كانوا ينددون بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف يأكل ما حررته التوراة كشريعة أبدية دائمة .

و «إسرائيل» هي في أصلها العبراني «يهودا» : عبد الله ، ولكن

التوراة فسرتها في قصة فنوئيل : صارع الله فصرعه فأخذ منه بركة النبوة! .

**﴿فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٩٤).**

افتراء الكذب على الله قبل ذلك البيان ظلم ولكنه **﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾** كأنه الظلم لا سواه **﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** لأنهم على بينة من القرآن بمحاجته بعد التوراة ، وعلى بينة من صدق هذه الرسالة القرآنية.

**﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٥).**

**﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾** في كل قال وأنتم كاذبون ، فان كنتم صادقين انكم على ملة ابراهيم **﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾** فلا تشركون بالله فانه **﴿مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** بالله في أي شأن من شؤون الربوبية.

**﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِيَنَّكَةً مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٩٧)**

إعلان صارخ في هذه الإذاعة القرآنية . العالمية . بأولية مطلقة لبيت الله الحرام ، ردا

على شطحات يهودية أن القدس أقدس منه <sup>(١)</sup> فليكن هو المطاف

(١) الدر المنشور ٢ : ٥٣ . أخرج ابن المنذر والأزرقي عن ابن جريج قال بلغنا أن اليهود قالت بيت .

والقبلة وكما كان في فترة ، والأصل على مدار الزمن الرسالي هو الكعبة المباركة قبلة ومطافا للعالمين ! : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِتَنْعَلِمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِنْ مَنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبِيهِ..﴾ (١٤٢ : ٢).

يدرك البيت الحرام في سائر القرآن عشرًا مجرداً كما هنا ، وثلاثًا منسوباً فيها إلى الله ، وثلاثًا أخرى إلى الناس ، مما يدل على أنه ليس لله بيتاً كما للناس ، فهو للناس بيت قبلة ومطافٌ ومعتكفٌ ، والله بيت يعبد فيه ، فهو بيت الله وبيت الناس <sup>(١)</sup>.

وهنالك مواصفات لهذا البيت العتيق في عدة آيات ، منها هنا سبع ، عدد السموات السبع والأرضين السبع والأسبوع السبع والطواف بالبيت وبالصفاء والمروءة السبع ، والجمرات السبع ، كما وان عدد أبواب الجحيم سبع تسکر بسبعين الطواف وبسبعين الجمرات.

### ١ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ...﴾

على الصلة القريبة لهاتين الآيتين بما قبلهما . ولا سيما واتبعوا ملة إبراهيم حنيفا . أن من أهل الكتاب معترضين على الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إذا تأمر باتباع ملة إبراهيم فكيف تستقبل الكعبة وتتطوف حولها ونحن نقدس

. المقدس أعظم من الكعبة لأنَّه مهاجر الأنبياء وأنَّه في الأرض المقدسة فقال المسلمين بل الكعبة أعظم فبلغ ذلك

النبي (ص) فنزلت ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ . إلى قوله . : ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ وليس ذلك في بيت المقدس ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ وليس ذلك في بيت المقدس ﴿وَلَلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّ الْبَيْتِ﴾ وليس ذلك في بيت المقدس .

(١) الثلاث الأولى هي ﴿وَطَهَرَ بَيْتِي﴾ (٢٦ : ٢٢) ﴿أَنْ طَهَرَا بَيْتِي﴾ (٢ : ١٢٥) «عَنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّم» (١٤ :

٣٧) والثانية هنا ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ و ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾ (٥ : ٩٧) ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ (٢ : ١٢٥).

القدس وهو كعبتها وشرعتها من شرعة ابراهيم؟ فجاء الجواب : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ ..﴾ وكذلك الآيات التي تقول إن ابراهيم هو الذي رفع القواعد من البيت.

الأول هو السابق الذي لا يسبقه أو يقارنه مثيل له في الممكناط ، أم ولا يتأخر هو عنه كما الله تعالى ، حيث هو الأول لا ثاني له والآخر لا أول قبله : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٥٧ : ٣) والأول هنا هو من الأول إذ له أمثال بعده مهما كانت درجات ، كما هو في الدرجة القمة العليا ، لا يساوى او يسامي .

و «بيت» كمطلقه هو مكان البيوتة والرياحنة ، بدنيا او روحيا او هما معا ، فسواء اكانت أرضا ملساء ، ام عليها بناء ، فليشمل أرض الكعبة وهي مكان البيت كما يشملها بعد عماراتها .

**وال الأولية هنا مطلقة نطم الزمنية والمكانية<sup>(١)</sup> وفي المكانة ، مهما كان القصد**

(١) هنا روایات متواترة بشأن هاتين الأوليين ففي الدر المنشور ٢ : ٥٢ . أخرج البیهقی في الشعب عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): أول بقعة وضعت في الأرض موضع البيت ثم مهدت منها الأرض .. وعن أبي جعفر (ع) عن آبائه عليهم السلام قال : إن الله بعث ملائكته فقال : ابنيوا لي في الأرض بيتك على مثال البيت المعمور وأمر الله تعالى من في الأرض أن يطوفوا كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور(رواه بلفظه الرازي في تفسيره ٨ : ١٥٢ والتباين بتفاوت يسیر ١ : ١٥٧ وبوجه أبسط الحازن ١ : ٢٥٢ عن علي بن الحسين عليهما السلام والأزرقي في أخبار مكة عن أبي جعفر (ع) عن أبيه عن علي بن الحسين عليهم السلام ١ : ٣٥ وحسين بن عبد الله بإسلامه في تاريخ الكعبة ٤٠ .

وروى الكليني في الصحيح عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله (ع) قال : لما أراد الله عز وجل أن يخلق الأرض أمر الرياح فضرب متن الماء حتى صار موجا ثم أزيد فصار زبدا واحدا فجمعه في موضع البيت ثم جعله جبلا من زيد ثم دحى الأرض من تحته وهو قول الله عز وجل : إن أول .

. بيت وضع للناس .. و قال تعالى والأرض بعد ذلك دحها ورواه سيف بن عميرة عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله (ع) (انظر الكافي : ١٦) والفقيره ٢ : ١٥٤ والأخبار الدالة على دحو الأرض من موضع الكعبة كثيرة انظر العياشي ١ : ١٨٦ والبرهان ١ : ٢٩٧ ونور الثقلين ١ : ٣٠٣ والوسائل الباب ١٨ من أبواب مقدمات الطواف ٢٩٧ و ٢٩٨ والدر المنشور ١ : ١٤٧ - ١٤٥ والطبرى ٤ : ٨ وأخبار مكة الأزرقى ١ : ٣١ .

والبيت في هذه الأحاديث هو مكان البيت ، فله الأولية المطلقة على كل بيت كما روى العياشي عن عبد الصمد بن سعد قال أراد أبو جعفر أن يشتري من أهل مكة بيتهم أن يزيد في المسجد فأبوا عليه فارغبهم فامتنعوا فضاق بذلك فأتى أبا عبد الله (ع) فقال له : إني سألت هؤلاء شيئاً من منازلهم وافتنهم لنزيد في المسجد وقد منعوا ذلك قد غمني بما شديداً فقال أبو عبد الله (ع) لم يعمك ذلك وحاجتك عليهم فيه ظاهرة ، قال : وما احتاج عليهم؟ فقال : بكتاب الله ، فقال : في أي موضع؟ فقال : قول الله ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَيَّنَكَ﴾ قد أخبرك الله أن أول بيت وضع هو الذي يكمل فإن كانوا هم نزلوا قبل البيت فلهم افتيتهم وإن كان البيت قد يليا قبلهم فله فناءه فدعاهم أبو جعفر (ع) فاحتاج عليهم بهذا فقالوا له : اصنع ما أحبت.

وفيه عن الحسن بن علي النعمان قال : لما بني المهدي في المسجد الحرام بقيت دار في تربيع المسجد فطلبها من أربابها فامتنعوا فسأل عن ذلك الفقهاء فكل قال له : أنه لا ينبغي أن تدخل شيئاً في المسجد الحرام غصباً فقال له علي بن يقطين يا أمير المؤمنين إن أكتب إلى موسى بن جعفر عليهما السلام لأخبرك بوحي الأمر في ذلك فكتب إلى والي المدينة أن يسأل موسى بن جعفر عليهما السلام عن دار أردنا أن ندخلها في المسجد الحرام فامتنع عليها صاحبها فكيف المخرج من ذلك؟ فقال ذلك لأبي الحسن (ع) فقال أبو الحسن (ع) فلا بد من الجواب في هذا؟ فقال له : الأمر لا بد منه فقال له أكتب : باسم الله الرحمن الرحيم إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس أولى بفنائها وإن كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها ، فلما أتى الكتاب إلى المهدي أخذ الكتاب قبله ثم أمر بحمد الدار فأتى أهل الدار أبا الحسن (ع) فسألوه أن يكتب إلى المهدي كتاباً في ثمن دارهم فكتب إليه أن أرضخ لهم شيئاً فارضاهم.

وأما ما يروى عن علي (ع) أن رجلاً قال له : أهو أول بيت؟ قال : لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركاً فيه المهدي والرحمة والبركة وأقول من بناء إبراهيم (ع) ثم بناء قوم من .

من **﴿بَيْتٌ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾** بيوت العبادة<sup>(١)</sup> فالواضع هو الله ، والموضع لهم هم كل الناس ، فلا بيت يضعه الناس ، بالإمكان ان يوضع لكل الناس دونما اختصاص . إلا انه يشمل بيوت الناس بجنب بيوت الله ، فهو الأول زماناً إذ وضعه الله للناس قبل كل وضع وموضع له ، حين دحى الأرض من تحتها . إن مكان البيت هو الأم لسائر الأمكنة الأرضية ، كما مكة هي أم القرى من الناحية الرسالية ، فلليبيت بمكانه أموتان اثنان ، فهو «أم القرى» في كافة الجهات ، حيث دحيت كل شرعة إلهية . كأصل . منها ، كما دحيت الأرض كلها من تحتها . والوضع هنا تكويوني وتشريعي ، و «للناس» تعم جميع الناس طول الزمن الرسالي ، مطافاً للطائفين وقبلة للمصلين ، وكما نرى قبور النبيين وسائر الصالحين قبل الإسلام تجاه الكعبة المباركة دونما استثناء ، في القدس نفسه وفي الخليل ودمشق ولبنان وايران أم أي كان من بلاد تضم قبور هؤلاء الكرام ، وكما حجه النبيون اجمع<sup>(٢)</sup> فهذا أقدس بيت على الإطلاق ، فإن واضعها هو الله

. العرب من جرهم ثم هدم فبنيه قريش فقد يعني من المتأخر عن بيوت عمارة البيت لإمكانه (رواه في البرهان ١ : ٣٠١ عن ابن شهر آشوب عنه (ع) وأخرجه السيوطي عن ابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق الشعبي عنه (ع) والرازي في تفسيره ٨ : ١٥٤ والأزرقي في أخبارمكة ١ : ٦١ و ٦٢ عنه (ع) بوجه أبسط .

(١) الدر المنشور ٢ : ٥٣ . أخرج ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وابن جرير والبيهقي في الشعب عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله (ص) أي مسجد وضع أول؟ قال : المسجد الحرام ، قلت : ثم أي؟ قال : المسجد الأقصى ..

(٢) في روضة المتقيين ٤ : ٩٧ قال أبو جعفر (ع) أتى آدم (ع) هذا البيت ألف أتية على قدميه منها سبعمائة حجة وثلاثمائة عمرة وكان يأتيه من ناحية الشام والمكان الذي يبيت فيه الحظيم ...

الجليل ، والمهندس هو جبرئيل ، والباني هو الخليل والتلميذ إسماعيل ، لذلك فـ «المقام بمكة سعادة والخروج منها شقة»<sup>(١)</sup> وهي «دعامة الإسلام ...»<sup>(٢)</sup> والصلاحة فيه تسوى الف الف صلاة<sup>(٣)</sup> والطواف به صلوة ، والمقام عنده فيه الفضيلة الكبرى ، كما الصوم في رمضانه مائة الف<sup>(٤)</sup>.

لقد رسم الخط حول مكان البيت وبناء آدم الصفي<sup>(٥)</sup> ورفع القواعد منه

. وفيه ١١٤ في الموثق كالصحيح عن أبي بصير قال : سمعت أبا جعفر (ع) يقول : مر موسى بن عمران (ع) في سبعين نبيا على فجاج الروحاء عليهم العباء القطوانية يقول : ليك عبدك وابن عبديك .. وفيه في الحسن كالصحيح عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله (ع) قال : مر موسى النبي (ص) بصفاح الروحاء على جمل أحمر خطأمه من ليف عليه عباتان قطوانيتان وهو يقول : ليك يا كريم ليك . قال : مر يونس بن متى بصفاح الروحاء وهو يقول : ليك كشاف الكرب العظام . قال : ومر عيسى بن مريم بصفاح الروحاء وهو يقول : ليك عبدك ابن أمتك ومر محمد (ص) بصفاح الروحاء يقول ليك ذا المعراج ليك . وفيه ١١٦ روى زرارة في الصحيح عن أبي جعفر (ع) أن سليمان (ع) قد حج البيت في الجن والإنس والطير والرياح وكسى البيت القباطي .

(١) الدر المنشور ٢ : ٥٣ . أخرج الأزرقي عن عطاء بن كثير رفعه إلى النبي (ص) : المقام ...

(٢) المصدر . أخرج الأزرقي والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله أن رسول الله (ص) قال : هذا البيت دعامة الإسلام من خرج يوم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله إن قبضه أن يدخله الجنة وإن رده أن يرده بأجر أو غنيمة .

(٣) كما في الواقي عن الفقيه ٨ : ١٠ قال (ص) الصلاة في مسجدي كألف صلاة إلا في المسجد الحرام فإنه كألف صلاة في مسجدي .

(٤) الدر المنشور ٢ : ٥٣ . أخرج الأزرقي والجندى والبيهقي في الشعب عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) من أدرك شهر رمضان بمكة فصامه كله وقام منه ما تيسر كتب الله له مائة ألف رمضان بغير مكة وكتب له كل يوم حسنة وكل ليلة حسنة وكل يوم عتق رقبة وكل ليلة عتق رقبة وكل يوم حملان فرس في سبيل الله وكل ليلة حملان فرس في سبيل الله وله بكل يوم دعوة مستجابة .

(٥) روضة المتدين ٤ : ١١٦ روى أبو بصير في الموثق عن أبي عبد الله (ع) قال : إن آدم هو الذي بني .

الخليل الوفي ، ووضع الحجر الأسود في مكانه الآن بعد خرابه هذا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويظهر عنده متكتها ظهره على جداره القائم المهدى (عليه السلام) فأم القرى هي العاصمة الإسلامية الكبرى كما كانت رسول الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي على طول خط الرسالات أم القرى لا تساوى ام تسامي .

ولماذا ﴿وُضَعَ لِلنَّاسِ﴾ وهو ﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ أجمعين ، من الجنة والناس ومن سواهما من المكلفين أجمعين؟.

عله لأنهم هو المحور الأساس في التكوين والتشريع ، والجنة هم على هامش الناس ثم لا خبر لنا عن سائر العالمين .

﴿لِلَّذِي بِنَكَةٍ ...﴾

ولماذا ﴿لِلَّذِي بِنَكَةٍ﴾ دون «الكعبة» وهي أخضر ، او «مكة» وعلها أظهر؟ عله إذ قد تسمى غيره «كعبة» مهما أصبحت بعد علما له! وأن «الكعبة» تختص بالمبني عليه تلك البناء ، و ﴿لِلَّذِي بِنَكَةٍ﴾ تشملها قبل البناء وبعدها ، والأولية الزمنية بالنسبة لبيوت العبادة المبنية ليست للكببة المشرفة ،

. البيت ووضع أساسه وأول من كساه الشعر وأول من حج إليه ثم كساه تبع بعد آدم الأنطاع ثم كساه إبراهيم الخصف وأول من كساه الثياب سليمان بن داود (ع) ، أقول : فالبيت الحرام هو قبل القدس بقرون فإن أول من خط بيته المقدس واتخذه مسجدا داود (ع) وبناء سليمان من بعده فشاد بنيانه وفسح أعطانه وجاء في الخبر أنه أصاب بني إسرائيل على عهد داود طاعون أسرع فيهم وذهب بعامتهم فخرج داود بالناس إلى موضع بيت المقدس فدعى الله سبحانه أن يرفع عنهم ذلك الموتان فاستجيب له فاتخذ ذلك الموضع مسجدا تبركا به وتعظيمها له وبدأ ببنائه فنودي قبل أن يستتممه بأوصى إلى سليمان (ع) باستتمامه فعامتها من بناء سليمان (حقائق التأويل للسيد الشيرف الرضي).

وأنا ل مكان البيت وبالنسبة لكافة البيوت عبادة وسواها ، مبنية وسواها.

ثم «بكة» من البك وهو الدفع حيث يدفع عنها من يقصد تهديها هتكا من الطغاة  
اللئام لم يقصدها جبار بسوء الا اندقت عنقه <sup>(١)</sup>.

وهو الزحام لأنه مزدحم الحجاج والمعتمرين ، والأول يخص البيت والثاني محطة البيت  
مهما عم الزحام كل البلد الحرام ، ف «أنا سميت مكة بكة لأن الناس يتباكون فيها» <sup>(٢)</sup> و  
«لأنها بيتك بها الرجال والنساء والمرأة تصلي بين يديك وعن يمينك وعن شمالك ومعك ولا  
بأس بذلك إنما يكره فيسائر البلدان» <sup>(٣)</sup> و «لأن الناس يبك بعضهم بعضا فيها باليدي»  
<sup>(٤)</sup> لا «لبكاء الناس حولها وفيها» <sup>(٥)</sup> لاختلاف «بلك» عن «بكى» في اصل اللغة والمعنى.

واما «مكة» فهي من الملك : الدّحو والتحريك ، حيث ملك الله الأرض من تحتها ،  
وعلى اختصاص «بكة» بالذكر هنا دون «مكة» وهذا تعنيان البلد الحرام ، للتأشير الى أن  
مظهر البركة والهدى فيها للعلمين بادى من أذان الحج من بانيها الخليل ، مهما كانت قبلة  
ومطافا قبله.

وقد تعني «مكة» البلد الحرام كله ، او الحرم كله ، و «بكة» هي موضع البيت ، او  
موضع الحجر الذي يبك الناس بعضهم بعضا.

(١) في الموثق عن أبي جعفر (ع) كانت تسمى بكة لأنها تبك أعناق الباغين إذا بغوا فيها.

(٢) نور الثقلين ١ : ٣٦٧ في كتاب العلل بإسناده إلى العزمي عن أبي عبد الله (ع) ...

(٣) المصدر ٣٦٧ عن العلل بسند متصل عن الفضيل عن أبي جعفر (ع) قال : ..

(٤) المصدر ٣٦٧ عن العلل بإسناده إلى عبيد الله بن علي الحلي قال : سألت أبا عبد الله (ع) لم سميت مكة  
بكة؟ قال : ..

(٥) المصدر ٣٦٦ عن العلل ويؤسناده إلى عبد الله بن سنان قال : سأله أبا عبد الله (ع) لم سميت الكعبة بكة؟  
فقال : لبكاء الناس حولها وفيها أقول : وهذا من المختلقات.

### ٣٠ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ

علهمَا حَالَانِ لِمَرْبَعِ الْمَتَعَلِّقَاتِ : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ : مباركاً وهدى . وضع : مباركاً وهدى . للناس : مباركاً وهدى . للذى بيكة : مباركاً وهدى ، برکات بعضها فوق بعض وهدايات منذ وضعه الله الى يوم الدين .

ثم «مباركا» اسم مفعول من بارك ، والبرك هو في الأصل ثبات الشيء ويستعمل في كل فضل وفيض مادياً أو معنوياً أو هما معاً فـ«ان للحق دولة وللباطل جولة» فهذا البيت مبارك ثابت النفع دون زوال ، ومنه استقرار العبادة فيه واليه والطواف حوله دونما نسخ وتحوير .

وفي الأصل العبراني ٦ : ٦ : بارك رکع . سجد . أحني الركبة ، و : ٦ : ٦ : ٦ : ٦ :  
برك بارك . مجّد . رحّب . حّنّا . هنّا ، و : ٦ : ٦ : ٦ : براكاه مباركة . تهنئة . تحية . تسبيح .  
والبيت الذي بيكة فيه كافة البركات مادية ومعنوية : ﴿حَمَّاً آمَنَا يُجْنِي إِلَيْهِ مَرَاثُ كُلِّ  
شَيْءٍ﴾ (٥٧ : ٢٨) ﴿وَأَرْزُقُ أَهْلَهُ مِنَ الشَّمَراتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ  
كَفَرَ ..﴾ (١٢٦ : ٢).

ومن أهمها البركات الجماعية ثقافية وعقيدية وسياسية واقتصادية أماهيه ، فانه : «قِياماً لِلنَّاسِ . وَمُثَابَةً وَأَمْنَا ..» و ﴿لَيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ..﴾ (٢٢ : ٢٨).  
وتراه كيف يكون ﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ وحتى المسلمين لم يتبركوا به ويهتدوا كما يحق فضلاً عن سائر العالمين؟.

إن بركته وهداه للعالمين فرض وواقع ، فرض لمن استطاع اليه سبيلاً ، و الواقع لغير المستطيعين من المسلمين ، لو ان الأولين حجّوه كما يجب شاهدين فيه

منافع لهم وللكلمة المؤمنة ، ثم وقع بصورة أوسع حيث تؤسس الدولة الإسلامية العالمية على كاهل الكون ايام المهدى القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ذلك! ولأن «للناس» هنا طليقة غير محدودة بناس دون ناس ، نتأكد أنه ﴿وَضَعَ لِلنَّاسِ﴾ كلهم دون طائفية او اقليمية او عنصرية لناس البيت كما في سائر البيوت.

ثم «وضع» دون «بني» للتدليل على كل وضع فيه تكوينيا وتشريعيا وبركة قبلة ومطافا وعبادات أخرى ، وسائر البيوت لا أولية لها في هذه الأوضاع ولا تسامي او تساوي الكعبة المباركة على الإطلاق.

كما وان صيغة المجهول مع «الناس» نائبا للفاعل دليل ان الفاعل الواضع ليس من الناس ، إذا فذلك وضع تكويني وتشريعي من الله تعالى في أولية طليقة حقيقة بالأولوية الطليقة تشريعا وتكونينا.

#### ٤ ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ...﴾

وترها فقط «آيات» تخرق العادات ، دالة على الله بوحدانيته ، فما هي؟ ولم يذكر هنا إلا ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهي آية واحدة!.

أم هي علامات مؤشرات الى الأفضلية القمة المرموقة لهذا البيت بالنسبة لأي بيت؟ وقد لا تسمى العلامات . فقط . آيات ، ولم تأت بمعنى العالمة إلا التي في الشعراء ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعَبَّثُونَ﴾ (١٢٨).

أم هي آيات تشريعية تخصه ، وتكوينية خارقة ، وسوها علماء لا اختصاصه بين سائر البيوت بكل هذه الآيات؟ كأنها هي جمعا بين الاحتمالات.

ونجد في مثلث الآيات المذكورات : ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ . وَمَنْ دَخَلَهُ ... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ تأشيرا عشيرا إلى كلها ، ف ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ تكوينية ،

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ تعمها التشريعية ﴿وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ﴾ تشريعية ، والتكمينية منها تعم  
الخارق للعادة ومطلق العلامة.

فآية تشريعية منقطعة النظير تدل على أوليته التشريفية ﴿وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ﴾ ولم يضع  
الله بيته على مدار الزمن الرسالي ، يفرض حجمه لمن استطاع اليه سبيلاً إلا الكعبة المشرفة .  
وأخرى هي فرض الأمان لمن دخلها زائداً على ما سواها من بيوت الله وسواها .  
وثالثة تحريم الصيد وقطع الشجر في حرمها دون سواها ، وما إلى ذلك من محرمات  
وواجبات فيها وفي إحرام حجها وعمرتها .

وآية تكمينية خارقة العادة هي الرابعة من آياته البينات بلّ من قصده بسوء كما  
حصل في أصحاب الفيل : ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَايِلَ تَرْمِيمِهِمْ  
بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾؟! وما هدم حينما هدم توهيناً أصحاب  
الفيل (١) .

(١) فما زالت الكعبة على بناء إبراهيم (ع) حتى جددها بنو جرهم ثم العملاقة ثم قريش ، ثم هدمت الكعبة  
بالسيل رابعة قيل البعثة بخمس .

وكان البناء على هذه الحال حتى تسلط عبد الله بن الزبير على الحجاز في عهد يزيد بن معاوية فحاربه  
الحسين قائد يزيد بمكة وأصحاب الكعبة بالمنجنيق فانهارت وأحرقت كسوتها وبعض أخشابها ثم انكشف عنها لموت  
يزيد فرأى ابن الزبير أن يهدم الكعبة ويعيد بناءها فأنتهى لها بالجص النقى من اليمن وبناؤها به وكان فراغه من بناءها  
١٧ رجب ٦٤ هجرية .

وهذه الإصابة لم تكن قاصدة إلى هدم البيت وهتك حرمه ، وإنما هي من مخلفات هذه الحرب الظالمه ،  
ولو كانت قاصدة ما قصده أصحاب الفيل لأصابهم ما أصابهم .  
ثم هنا روایات صحيحة أنّ البيت لم يغرق في طوفان نوح (ع) كما في الصحيح عن سعيد الأعرج .

وخامسة هي موضع قدم إبراهيم من الحجر الموجود في المقام حيث هو الآن ، إذ أثرت قدمه المباركة حين بني البيت وحين أذن في الناس بالحج <sup>(١)</sup>.  
 وسادسة ان الطيور المحلقة على فضاء المسجد الحرام ، تكسر عند وصولها الى فضاء الكعبة ، اللهم إلا شاردة ماردة ، فقد تراها . ككل . ممتنعة من العلو على البيت الحرام ، فلا يطير طائر إلا حوله من غير ان يعلو فوقه وقد تناصر الخبر وتواتر الأثر بذلك.  
 ولقد شاهدت أنا عند مقامي بمكة المكرمة في سنتين من سني هجري من شرط الطاغوت الشاه عليه لعنة الله ، شاهدت متقصدًا تلك الآية البينة ، فرأيت امتناع الطير من التحليق فوق البيت ، حتى لقد كنت أرى الطائر يدنو من مكان

عن أبي عبد الله (ع) قال : إنما سمي البيت العتيق لأنه اعتق من الغرق وأعتق الحرم معه كف عنه الماء(روضة المتدينين ٤ : ٤).

ثم لما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة بعث الحجاج بن يوسف قائده فحارب ابن الزبير حتى قُتلَه ودخل البيت فأخبر عبد الملك بما أحدثه ابن الزبير في الكعبة فأمره بإرجاعها إلى شكلها الأول فهدم الحجاج من جانيها الشمالي ستة أذرع وشبرا وبنى ذلك الجدار على أساس قريش ، وهذه خامسة.

وما تولى السلطان سليمان العثماني سنة (٩٠٦) غير سقفها ، وما تولى السلطان أحمد العثماني سنة (١٠٢١) أحدث فيها ترميمًا ، وما حدث السيل العظيم سنة (١٠٣٩) هدم بعض حوائطها الشمالية والشرقية والغربية فأمر السلطان مراد الرابع من ملوك آل عثمان بترميمها ، ولم يزل على ذلك حتى اليوم (١٤٠٥) هجرية ، ولم تعمر إلا داخلياً سنة (١٤٠٠) زمن الملك خالد.

فلا نجد في تاريخ الكعبة تهديماً قاصداً هتكا لحرمتها إلا من أصحاب الفيل ، وقد جعل كيدهم في تضليل!.  
 (١) في حسنة ابن سنان أو صحيحه على الأصح قال سألت أبا عبد الله (ع) **﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾** ما هذه الآيات البينات؟ قال : مقام إبراهيم حيث قام على الحجر فأثرت فيه قدماه ، والحجر الأسود ومنزل إسماعيل.

سحيق ومنزع عميق في أحد طير أنه وأمد خفقات جناحه حتى أظن انه قد قطع البيت عاليها عليه وجائزها به ، فما هو إلا ان يقرب منه حتى ينكسر منحرفا ويرجع متىاماً أو متىاسراً فيمر عن يمين البيت او شماله ، كأن لافتا يلفته او عاكساً يعكسه ، وذلك من أطراف ما شاهدته هناك وجريته ، اللهم عدي الى بيتك واجعلني فيه من أنصار مهديك القائم عجل الله تعالى فرجه ، وكما رجوتة حين أقمت فيه ولكن الله قضى امراً كان مفعولاً.

وسابعة هي بئر زمز حيث نبع فواراً أرترياً منذ مس إسماعيل عقبه على أرضه ، ولا يزال نابعاً يزيد ولا ينقص ، ثم مواء لا يتسعه على طول المكوث مكسوفاً على أية حال.

وثامنة هي قصة الخليل (عليه السلام) لما أمر في المنحر بذبح ابنه إسماعيل ، فأخذ يضغط على المدينة ولكنها لا تقطع حيث «الخليل يأمرني والخليل ينهاني».

وتسعة هي ترك الذباب والبراغيث في مني يوم الأضحى ويومين بعدها ، وأرضها مليئة بالأشلاء العفنة والتناثة ، فلا تجد أية مؤذية فيها!.

وعاشرة هي حصى الجمار التي تؤخذ من المشعر الحرام بالملائين سنوياً ، وليس سبيل ماء ولا مهرب رياح شديدة! ثم ترى ذهب تلك الحصى وخلوها موضعه منه على كثرة الرامين به واجتماعه في موضعه.

وحاد يعشّرها انها تجبي إليها ثمرات كل شيء ، والبلد الحرام نفسه كان قاحلاً لا ماء فيه ولا كلاه ، وحتى الآن وهو فيه قدر الحاجة لا ثمرات فيه من نفسه إلا من كل أكنااف العالم.

وثانية عشرها الأمان النسيبي فيه . مهما شذ فيه للأمن . حيث الحروب وإراقة الدماء بعيدة عنه أكثر من غيره بكثير ، ولحد لا تجد فيه افتراس السباع

فضلا عن غيرها ، كما وهو من احكامه تشرعيا.

فترى الوحش والسباع إذا دخلته وصارت في حدوده لا تقتل بعضها بعضا ، ولا يؤذى بعضها بعضا ، ولا تصطاد فيه الكلاب والسباع سوانح الوحوش التي جرت عادتها بالاصطياد لها ، ولا تعود عليها في أرض الحرم كما تعود عليهما إذا صادفتها خارج الحرم . فهذه آية عظيمة من آيات الله البينات في هذا البيت المبارك تدل دلالة عظيمة على أن الله تعالى هو الذي أبان هذا البيت بذلك من سائر بقاع الأرض ، حيث حال بين السباع فيها وبين مجاري عادتها وحواجز طباعها وعمل النفوس السليطة التي ركبت فيها حتى تمنع من مواجهة الفرائس وقد أكدت لها وصارت أخذ أيديها ، بل وتأنس بأضدادها وتأنس الأضداد بها !.

وقد تعني ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ كل هذه الآيات لأنها في مقامه الكعبة حيث رفع قواعدها ، ومقامه الواضع قدمه عليه حيث موضع قدمه ، ومقامه الزمزم حيث مقام اسماعيله بأمه ، ومقامه المنحر ومني ، فكل هذه يصدق عليها مقام إبراهيم ، زمان قيامه ومكانه وأصل قيامه بما قام ، وإنما خص بالذكر أمن المقام وفرض حج البيت ، كنموجين من الآيات التكوينية والتشريعية .

كما وان مقام ابراهيم أيا كان لهذا البيت المبارك هو من الآيات البينات لفضلة على القدس وما سواه من البيوت المقدسة طول الرسالات ، حيث ترى موضع قدم الخليل في الصخرة حيث ألان الله سبحانه له أصلادها بعد الصلابة وخلخل أجزاءها بعد الكثافة حتى أثرت قدمه فيها راسخة وتغلغلت سانحة كما يتغلغل في الأشياء الرخوة والأرض الخوارة . فلذلك البيت فضله المنقطع النظير ، لا يخلو قريبا من طائف او مصل ، ولا بعيدا من مستقبل له في صلاة وسواها ، آناء الليل وأطراف النهار ، فان

قضية كروية الأرض دوران الآفاق فتداوم أوقات الصلوات الخمس في كل الأوقات دونما استثناء.

و **﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾** اديبا قد يكون مبتدئ خبره المذوف «منها» او بدلا من «آيات» مع «من دخله . والله ...» او عطف بيان.

**٥ ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ...﴾**

أتراه أمنا شرعا؟ ولا يخص البيت! فكل داخل في بيت وسواه وخارج عنه آمن في شرعة الله إذا لم يستحق خلاف الأمن كالجاني!.

ام امنا واقعيا؟ ولم يؤمن فيه سيد الشهداء الحسين بن علي (عليهما السلام) وكثير مثله تقتيلا او نفيا وتشریدا! فكيف يكون الأمن من ميزاته بين البيوت وسواه من مدخل او مخرج؟!.

وقد سأله ابراهيم أمنه : **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي جَعَلْتَ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ...﴾** (٢) :

(١٢٦) فاستجيب له : **﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَآمِنًا﴾** !.

قد يعني «آمنا» أمنا زائدا على سواه شرعا وواقعيا كما هو الواقع طول تاريخه المجيد ، ولم يختص به أصل الأمن بنوعيه ، وإنما أصبح أمنه الخاص فيهمما من ميزاته. فالكعبة آمنة كما هنا ، والحرم الحاوي لها ولكرة كلها آمن : **﴿أَوْمَ نُكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾** (٢٨) ولكن اين أمن من أمن.

فالداخل في الكعبة أو المسجد الحرام آمن مهما كان مجرما ، ولكن يضيق عليه في المأكل والمشرب حتى يخرج فيقام عليه الحد ، إلا إذا جنى في نفس المسجد الحرام أو الكعبة المباركة فيقام عليه الحد فيما جنى <sup>(١)</sup> والكعبة المباركة

الدر المنشور ٢ : ٥٥ . أخرج البيهقي عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) من دخل البيت .

هي منقطعة النظير في ذلك الأمان كما في سواه .  
 ثم «آمنا» يعم بأس الآخرة إلى الدنيا وبآخرى ، إلّا إذا دخل غير تائب عما اقترف ،  
 غير خارج عن معصية الله وهو في حرم الله ، فإنه ناقض أمنه ، لأنّه ناقص في دخوله <sup>(١)</sup> .

. دخل في حسنة وخرج من سيئة مغفورا له وفيه أخرج البيهقي في الشعب عن جابر قال قال رسول الله (ص) من مات في أحد الحرمين بعث آمنا . وفيه عن سلمان قال قال رسول الله (ص): من مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي وجاء يوم القيمة من الآمنين .

وفي نور الثقلين ١ : ٣٦٨ عن علي بن عبد العزيز قال : قلت لأبي عبد الله (ع) جعلت فداك قول الله ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ فقد يدخله المرجي والمحوري والقدري والزنديق الذي لا يؤمن بالله؟ قال : لا ولا كرامة! قلت : فمه جعلت فداك؟ قال : من دخله وهو عارف بمحنتنا كما هو عارف به خرج من ذنبه وكفى هم الدنيا والآخرة .

وفيه عن أمالي الصدوق بإسناده إلى النبي (ص) عن جبرئيل عن ميكائيل عن إسرافيل عن الله جلى جلاله حديث طويل وفيه يقول في حق علي (ع): وجعلته العلم الهادي من الضلالة وبأبي الذي أوتي به منه وبيتي الذي من دخله كان آمنا من ناري .

وفيه في الكافي بسند متصل عن عبد الخالق الصيقل قال سألت أبي عبد الله (ع) عن هذه الآية فقال : لقد سألي عن شيء ما سألكني أحد إلّا من شاء الله ، قال : من ألم هذا البيت وهو يعلم أنه البيت الذي أمره الله عز وجل به وعرفنا أهل البيت حق معرفتنا كان آمنا في الدنيا والآخرة .

وفيه عن القمي بسند متصل عن معاوية بن عمارة عن أبي عبد الله (ع) قال : إذا أردت دخول الكعبة فاغسل قبل أن تدخلها ولا تدخلها بحذاء وتقول إذا دخلت : اللهم إنك قلت : ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ فامني من عذاب النار ... وبإسناده إلى سعيد الأعرج عن أبي عبد الله (ع) قال : لا بد للضرورة أن يدخل البيت قبل أن يرجع ، فإذا دخلته فادخله بسكنينة ووارث ثم أنت كل زاوية من زواياه ثم قل : اللهم إنك قلت : ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ فامني من عذاب يوم القيمة .

(١) روى الحلباني في الحسن عن أبي عبد الله (ع) قال سأله عن قول الله عز وجل ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ قال : إذا أحدث العبد جنابة في غير الحرم ثم فر إلى الحرم لم يسع لأحد أن يأخذه في الحرم .

وأمن الداَخِلُ فِي الْكَعْبَةِ أَوِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَمْنٌ مِّنَ الدَاَخِلِ فِي مَكَّةَ أَوِ الْحَرَمِ ، وَلَمْ يَأْتِ «آمِنًا» لَدَاَخِلٍ إِلَّا هُنَّا ، ثُمَّ «بَلْدًا» . أَوْ . حَرَمًا آمِنًا».

وقد يقال ان ضمير الغائب في «دخله» راجع . فقط . الى البيت ، فلا أمن إذا إلَّا للداَخِلُ فِي نَفْسِ الْبَيْتِ ، دَوْنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَضْلًا عَنِ الْحَرَمِ كُلِّهِ؟.

لَكِنَّ الْمَرْجَعَ الْأَقْرَبَ الصَّالِحَ لِرَجُوعِهِ إِلَيْهِ هُوَ **﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾** وَيَسِّعُ الْحَرَمَ كُلِّهِ ، اَضَافَةً إِلَى آيَاتِ أَمْنِ مَكَّةَ ، وَالْحَرَمِ كُلِّهِ وَتَظَافَرُ الرَّوَايَاتِ اَنَّ الْمَأْمُنَ هُوَ الْحَرَمُ كُلِّهِ<sup>(١)</sup>.

وَالْقَوْلُ اَنَّ «فِيهِ» راجعٌ إِلَى الْبَيْتِ ، فَمَقَامُ ابْرَاهِيمَ لَا بَدْ وَانْ يَكُونُ . فَقَطْ . فِي نَفْسِ الْبَيْتِ فَ«مِنْ دَخْلِهِ» يَعْنِي مَقَامُ ابْرَاهِيمَ وَهُوَ نَفْسُهُ فِي الْبَيْتِ فَلَا يَعْنِي الْحَرَمَ كُلِّهِ؟.

قَدْ يَجَابُ عَنْهُ إِضَافَةً إِلَى مَا قَدْ مَنَاهُ أَنَّ «فِيهِ» تَعْنِي فِي الْبَيْتِ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ وَهُوَ الْحَرَمُ كُلِّهِ ، كَمَا **﴿لَمْ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾** لَا يَعْنِي اَنَّ نَفْسَهُ مَحِلُّ الذَّبْحِ.

ثُمَّ وَلَيْسَ مِنَ الْمَتَعَوِّدِ دُخُولُ نَفْسِ الْبَيْتِ إِلَّا لِلخُصُوصِ مِنَ الزَّائِرِينَ ، دَوْنَ الْعَامَةِ فَضْلًا عَنِ الْمُجْرِمِينَ.

. وَلَكِنَّ يَمْنَعُ مِنَ السُّوقِ فَلَا يَبَايِعُ وَلَا يَطْعُمُ وَلَا يَكْلُمُ فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ يُوشِكُ أَنْ يَخْرُجَ فِيؤْخَذَ وَإِذَا جَنَى فِي الْحَرَمِ جَنَابَةً أَقْيَمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ فِي الْحَرَمِ لَأَنَّهُ لَمْ يَرِعْ لِلْحَرَمِ حَرَمَتَهُ ، أَقْوَلُ وَعِضْمُونَهُ أَخْبَارَ مِنْتَاظَافَةٍ قَدْ يَصْحُ دُعَوَى التَّوَاتِرِ فِيهَا مَعْنَوِيَّا.

١) كَمَا فِي حَسْنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَنَانٍ قَالَ سَأَلْتُهُ عَنِ الْآيَةِ الْبَيْتِ عَنِ الْحَرَمِ كُلِّهِ؟ قَالَ : مِنْ دَخْلِ الْحَرَمِ مُسْتَجِرًا مِنَ النَّاسِ فَهُوَ آمِنٌ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ وَمِنْ دُخُلِهِ مِنَ الْوَحْشِ وَالْطَّيْرِ كَانَ آمِنًا أَنْ يَهَاجِ أَوْ يُؤْذَى حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْحَرَمِ (الْتَّهْذِيبُ ٥ : ٤٤٩ وَالْفَقِيهُ ٢ : ٢٢٨ وَالْكَافِيٌّ ١ : ١٦٣ وَالْوَاعِيٌّ ٨ : ١٧ وَالْوَسَائِلُ الْبَابُ ١٤ مِنْ أَبْوَابِ مَقْدِمَاتِ الطَّوَافِ ح ١٢).

وَكَذَلِكَ ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ لِيس داخِلُ الْبَيْتِ نَفْسَهُ ، حَتَّى الْقَدْرِ الْمُتَيقِنُ مِنْهُ وَهُوَ الْحَجَرُ  
الْمَقَامُ فَضْلًا عَنْ سَوَاهِ مَقَامِهِ الْوَاسِعِ.

ثُمَّ ﴿كَانَ آمِنًا﴾ دُونَ «آمِن» وَهِيَ أَخْصَرُ ، قَدْ تَلْمُحُ لعمقَ الْأَمْنِ وَثِباتِهِ إِلَى يَوْمِ  
الدِّينِ ، فِي «كَانَ» تَضَرُّبُ إِلَى عُمْقِ الْمَاضِيِّ ، وَ «آمِنًا» الشَّامِلُ لِمُلْكِ الرَّمَانِ يَسْتَجِرُّ  
الْأَمْنَ إِلَى عُمْقِ الْمُسْتَقْبِلِ ، فَقَدْ يَأْمُنُ دَاخِلَهُ عَمَّا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ وَمَا يَأْتِي إِلَّا إِنْ يَحْدُثُ  
حَدَّثًا يَبْطِلُ دُخُولَهُ فِي الْبَيْتِ .

وَتَرَى «مِنْ دَخْلِهِ» يَخْصُ النَّاسَ دُونَ الْحَيْوَانِ؟ وَآمِنُ الْإِنْسَانُ . بِطَبِيعَةِ الْحَالِ وَبِأَحْرَىِ .

آمِنُ لِلْحَيْوَانِ ، فِي «مِنْ» هُنَا يَشْمَلُ كُلُّ ذِي رُوحٍ إِنْسَانًا وَحَيْوَانًا <sup>(١)</sup> ثُمَّ وَسَائِرُ آيَاتُ آمِنِ  
الْحَرَمِ لَا تَخْصُ الْإِنْسَانَ : ﴿حَرَمًا آمِنًا ...﴾ .

أَوْ يَصْحُ أَنْ يَكُونَ حَرَمُ اللَّهِ آمِنًا لِلْإِنْسَانِ وَلَيْسَ آمِنًا لِلْحَيْوَانِ وَهِيَ أَحْوَجُ إِلَى الْآمِنِ؟

ثُمَّ الْآمِنُ مُطْلَقُ بِعِمَّ النَّفْسِ وَالْعَرْضِ وَالْمَالِ ، فَلَا يَطْالِبُ الْمَدِيُونُ فِي الْحَرَمِ وَلَا يَرْقَعُ <sup>(٢)</sup> .

٦ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ...﴾

اللَّامُ فِي «اللَّهِ» لِيُسْتَ لِلانتِفاعِ إِذَا لَمْ يَتَفَعَّلَ اللَّهُ مِنْ حِجَّ الْعَبَادِ وَسَوَاهِ مِنْ فَعَالِهِمْ ، وَإِنَّمَا  
لَا خِصَاصُ الْعِهْدَةِ عَلَى النَّاسِ اللَّهُ ، فِي «عَلَى النَّاسِ» لِيُسْتَ

(١) نور الثقلين ١ : ٣٧٠ عن العلل بسنده متصل عن أبي عبد الله (ع) أنه سُئل عن طير أهلي أقبل فدخل  
الحرم؟ قال : لا يمس لأن الله عز وجل يقول : ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ .

وفيه عن الفقيه وسائل محمد بن مسلم أحدهما عليهما السلام عن الظبي يدخل الحرام؟ فقال : لا يؤخذ  
ولا يمس لأن الله يقول : ومن دخله كان آمنا.

(٢) المصدر في الكافي بسنده متصل عن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله (ع) قال : سأله عن رجل لي عليه مال  
فغاب عني زمانا فرأيته يطوف حول الكعبة فأفتقضاه مالي؟ قال : لا . لا تسلم عليه ولا تروعه حتى يخرج من  
الحرم .

لتثبت . فقط . فرض الحج على الناس ، بل هو مع العهدة الثابتة عليهم ، فلا تسقط بتركه ولا بالموت إذا استطاع إليه سبيلا لوقت ما وتركه دون عذر.

و «الناس» هنا كل الناس من مختلف الملل والنحل دوغا تمييز ، وكما أمر ابراهيم الخليل بأذنه العام : ﴿وَأَذْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ صَامِرٍ يَأْتَينَ مِنْ كُلِّ فَجَّ عَمِيقٍ ..﴾ (٢٢ : ٢٧) آية ثلاثة مدنية ﴿وَأَتُكُمُ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ ...﴾ ولكنها لا تخاطب إلا من يحج ، أم هو شاغل بأداء مناسكه ، حيث الإمام لا يصح إلا فيما اشتغلت به . ولقد أذن النبي كما أمر في أخرىات العهد المدني قبيل الفتح ، مرة للمسلمين حيث أمر المؤذنين ان يؤذنوا ..<sup>(١)</sup> واخرى للملل الستة.

فلما نزلت آية الحج هذه جمع الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلـمـ) أهل الأديان الستة المسلمين والنصارى واليهود والصابرين والمجوس والمشركين فخطبهم وقال : «ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمن به المسلمون وكفروا به الملل الخمس وقالوا لا نؤمن به ولا نصلى إليه ولا نحجه فأنزل الله تعالى قوله : ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) فروع الكافي ١ : ٢٣٣ صحيح معاوية بن عمارة عن أبي عبد الله (ع) قال : إن رسول الله (ص) أقام بالمدينة عشر سنين لم يحج ثم أنزل الله سبحانه : ﴿وَأَذْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ ...﴾ فأمر المؤذنين أن يؤذنوا بأعلى أصواتهم بأن رسول الله (ص) يحج في عامه هذا فعلم من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب . أقول : آية الأذان والاستطاعة مدينتان ، فلم يكن تأخير للحج عن فرضه ، وحتى لو كان فلجهات أمنية أماهية ، والرسول أعرف بتتكليفه من كل عارف !.

(٢) الدر المثور ٢ : ٥٧ . أخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن الضحاك قال : .

وترى كيف تفرض فريضة على الناس كلهم من استطاع .. واصل الشروط في صحتها الإيمان بالله واليوم الآخر والإسلام ، فكيف تفرض على المشركين وسواهم من غير المؤمنين؟ إنما فريضة جماهيرية يستطيعها كل من استطاع إليه سبيلا ، ومن السبيل إليها تحصيل شرطها الأصيل وهو الإسلام ، وليس الحج فقط فرضا على كافة المستطيعين من المكلفين بل هو في كل فرائض الدين كما الصلاة والزكاة : «قالوا ﴿مَا سَلَكُوكُمْ فِي سَقْرٍ. قَالُوا لَمْ نَأْتُ مِنْ الْمُصَلَّيْنَ. وَلَمْ نَأْتُ نُطْعِمُ الْمِسْكِيْنَ. وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِصِيْنَ. وَكُنَّا نَكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّيْنِ﴾ (٧٤) . (٤٥).

وهنا الأساس في فرض الحج هم كافة الناس وعلى هامشهم الجن وسائر المكلفين : ﴿مِنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ وأما الكفار القصر المستضعفون الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا إلى الإيمان غير مقصرين فلا ، كما المسلمين غير البالغين أو المجنونين أو المرضى والفقراة أو المحجوزين عن الحج ، أم أي كانوا من لا يستطيع إليه سبيلا لا يشملهم فرضه كما في سائر الفرائض.

إلا ان الحج فيها تأكيدات أكثر من غيرها إلّا الصلاة ، ف «الله» تأكيد لفرضه أنه من حقوق الألوهية ، و «على الناس» تأكيد ثان ، وثالث إذ قدم عامة الناس كأنه فرض عليهم دونما شروط ، ثم استثنى ب ﴿مِنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ ظروف الحرج والعسر عن أداءه ، وفي الإبدال ثنائية للمراد فتأكيد له حيث يلمح المبدل عنه كأنه فرض مطلق ، ثم البدل بيان لحده ، وذلك تأكيد

وفي الدر المنشور ٢ : ٥٧ أخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في سننه عن عكرمة قال : لما نزلت ﴿وَمَنْ يَتَّبِعُ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيْنًا ..﴾ قالت اليهود فنحن مسلمون فقال لهم النبي (ص) إن الله فرض على المسلمين حج البيت فقالوا : لم يكتب علينا وأبوا أن يحجوا قال الله : ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِيْنَ﴾ .

أكيد لفرض الحج على المستطعين ، ثم ﴿وَمَنْ كَفَرَ ...﴾ تحديد شديد بالكافر بفرضه ، ثم التارك له على فرضه وهو مؤمن به وهو الكفر عملياً فربنا بکفر عقائدي! .

### ﴿... حِجُّ الْبَيْتِ﴾

لقد ذكرت هذه الفريضة مرات عشر في القرآن كلها ، تسعًا «الحج» فتحا ، ومرة يتيمة كما هنا ﴿حِجُّ الْبَيْتِ﴾ كسرا ، وليس بين التسع آية تحمل فرض الحج كهذه إلّا آية الأذان ، فما هو الحج هنا والحج في غيرها؟.

«الحج» في الأصل هو القصد ، ثم اصطلاحاً في شرعة الله هي القصد الأصل من الزيارات ، فهو القصد إلى زيارة بيت الله ، وهو كثرة القصد إلى من يراد تعظيمه ، وهو الكف ، والغلبة بالحجارة ، والقدوم ، وكثرة التردد ، وقد يضمها كلها حج البيت ، فإنه القصد إلى من تعظم زيارته لبيته الحرام بدليلاً عن زيارته نفسه المستحلية ، ومن شروطه الأصيلة الكف عن غير الله ، والكف في هذه السبيل عن محارم الله ، وقد يتمثل الكف في تلبيات الإحرام ، وهو الغلبة بدليل على هواك والغلبة بمئمره على النسناس ، او ان الناس حضروه كما يجب ، وشهدوا منافع لهم كما يجب ، وقاموا قومتهم الجماهيرية على النسناس المعارضين شرعة الناس ، إذا فالحج حجة وغلبة بالحجارة! ، وهو القدوم إلى بيت الله ، وكثرة التردد إليه ، ويجمعها كلها القصد القاطع لزيارة بيت الله.

واما «الحج» فهو اسم لذلك المصدر ، فهو حاصل الحج ، زيارة مقصودة ، فليس الله على الناس . فقط . حج البيت وهو قصده . دون واقعه ، بل حج البيت ، وهو الزيارة المقصودة بكل مناسكها ، والمقصودة بكل مناسكها السياسية العبادية الجماهيرية.

و ﴿حجُّ الْبَيْتِ﴾ تعم الحج والعمرة<sup>(١)</sup> فهما كالظرف والمحور إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا ، ف ﴿وَأَتُّمُوا الْحُجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ تفصل بينهما ، والحج بمفردها تشملهما ، فالعمرة واجبة كما الحج ، سواء أكانت مع الحج ، أم مفردة ملن يستطيع الحج معها أو لا يستطيعه.

ف ﴿حجُّ الْبَيْتِ﴾ هو زيارة البيت ، عمرة مفردة ، أم تمتا مع حجها ، ومن آياتها ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحُجَّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ يَرِيهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (٩) : (٣) فيقابله الحج الأصغر وهو العمرة مفردة ومتعدا ، إذا فهي حج كما هو حج . وما يفرض العمرة كما الحج ﴿وَأَتُّمُوا الْحُجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أَخْصَرْتُمْ فَمَا

(١) جامع الأحاديث ١٠ : ٢٢١ حسنة عمر بن أذينة قال كتبت إلى أبي عبد الله (ع) بمسائل بعضها مع ابن بكير وبعضها مع أبي العباس فجاء الجواب بإملائه : سألت عن قول الله عز وجل : والله على الناس حج البيت من استطاع سبيلا ، يعني به الحج والعمرة جميعا لأنهما مفروضان وسألته عن قول الله تعالى : ﴿وَأَتُّمُوا الْحُجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾ قال يعني بتمامهما أداءهما واتقاء ما يتلقى المحرم فيهما ، وسألته عن الحج الأكبر قال : الحج الأكبر الوقوف بعرفة ورمي الحجار والحج الأصغر العمرة.

وفيه ٢٢٢ عن دعائيم الإسلام عن جعفر بن محمد عليهما السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل : والله على الناس حج البيت .. يعني به الحج دون العمرة؟ قال : لا ولكن يعني به الحج والعمرة جميعا لأنهما مفروضان وتلا قول الله عز وجل : وأتموا الحج والعمرة لله وقال : تمامهما أدائهما . أقول وفيه أحاديث جمة كلها تفرض العمرة كالحج بسند آية الاستطاعة وآية العمرة دون فصل بين أقسام العمرة.

وفيه ص ٢٢٣ صحيحه معاوية بن عمارة عن أبي عبد الله (ع) قال : العمرة واجبة على الخلق بمنزلة الحج على من استطاع لأن الله تعالى يقول ﴿وَأَتُّمُوا الْحُجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾ وإنما نزلت العمرة بالمدينة ، قال قلت له : فمن تمنع بالعمرة إلى الحج أيجزي ذلك عنه؟ قال : نعم . أقول أجزاء عمرة التمنع عن العمرة لا يصلح إلا أن تكون الجزء منه العمرة المفردة ، ومثله موثقة يعقوب بن شعيب عنه (ع).

استيئسَ مِنَ الْهُدْيِ ... ﴿١٩٦﴾ (٢ : ٢).

﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾

«من» هنا بدل عن «الناس» إذا فالناس المستطعون إليه سبيلا هم المعنيون بفرض الحج ، وهل إنه أمر بفوريه فور استطاعته لوقته فلا يجوز تسويقه دون عذر؟ طبعاً نعم! فإنه قضية أصل الأمر ، ولا سيما الحدّد بالاستطاعة الحاصلة ، فليؤدّ فورها موسمه.

وهل تكفي حجة الإسلام مرة واحدة طول عمر التكليف؟ طبعاً نعم! فلو كانت فرضاً أكثر منها أم كل سنة ما دامت الاستطاعة لصرحت بها الآية ، والآتي بها مرة مستطاعة لم يكفر بها عملياً إذ حققها ، فلا تندد به ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ و ﴿حَجُّ الْبَيْتِ﴾ ليست لتدل على أكثر من مرة واحدة ، إلا إذا صرحت الآية أو صرحت به السنة ، والرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يقول جواباً عن سؤال : «أفي كل عام يا رسول الله؟ لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم ت عملوا بها ولم تستطعوا أن ت عملوا بها ، الحج مرة فمن زاد فتطوع»<sup>(١)</sup>.

(١) الدر المنشور ٢ : ٥٥ . أخرج عبد بن حميد والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن ابن عباس قال : خطبنا رسول الله (ص) ، فقال يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فقام الأقرع بن حابس فقال : أفي كل عام ... وأخرج مثله باختلاف يسير أحمد والترمذمي وحسنه وابن ماجة وابن أبي حاتم والحاكم عن علي (ع) قال : لما نزلت ﴿وَلَلَّهِ عَلَى النَّاسِ﴾ قالوا يا رسول الله (ص) .... بزيادة . فأنزل الله : لا تسألو عن أشياء إن تبدلكم تسؤالكم.

وفيه أخرج عبد بن حميد عن الحسن قال لما نزلت «ولله ...» قال رجل يا رسول الله أفي كل عام؟ قال : والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما قمت بما ولو تركتموها لكترم فذروني ما وذرتم إلئنا هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم أنبياءهم واختلافهم عليهم فإذا أمرتكم بأمر فأنمروه ما استطعتم وإذا خيتك عن أمر فاجتنبوه.

والاستطاعة هي طلب الطوع عقلياً وعقلائياً وماليًا وأمنياً من صحة وحفظ عرض ونفس وسواهما من النواميس الخمس ، وأمن طريق ، أمّا ذا من طوع دون عسر ولا حرج ، لا في طريق الحج قبله ولا في مناسكه ولا في رجوعه ، بحيث لا يتعرّض أو يتعرّج بسبب الحج .

فمادة الوجوب هنا هي استطاعة سبيل إلى حجّ البيت ، وطبعاً دون عسر ولا حرج ، وليس تفسيرها بالزاد والراحلة في المستفيضة المروية عن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأئمّة أهل بيته (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ، إلا تفسيراً بالأكثريّة الساحقة من مصاديق الاستطاعة حيث القلة القليلة هم المستطاعون دون زاد حاضر وراحلة ، بل المشاة هم السابقون في آية الحج على الرّكب : ﴿وَأَدْنِ فِي النَّاسِ بِالْحُجَّ يَأْتُوكِ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجِ عَمِيقٍ ...﴾ (٢٢ : ٢٧) <sup>(١)</sup>.

إذا فـ «حجّ الإسلام» واجبة على من أطاق المشي من المسلمين ولقد كان أكثر من حج مع النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مشاة» <sup>(١)</sup> وليس من عنده زاد وراحلة إلا من يستطع الحج ، لا أنه المستطاع لا سواه <sup>(٢)</sup>.

(١) الدر المنشور ٢ : ٥٦ أخرج تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة عن الرسول (ص) الدارقطني والحاكم وصححه عن أنس عنه (ص) ومثله عن الحسن وعائشة وابن مسعود عنه وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عنه (ص) وجابر بن عبد الله عنه (ص) وعن علي (ع) عنه (ص) في الآية قال : تحدّ ظهر بغير .

وقد روى أصحابنا بطرق عدّة عن أئمّة أهل البيت تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذلك تخلية السرب وصحة البدن ، ودور الراحلة هو الأكثريّة الساحقة من استطاعة السبيل إلى الحج فلا تستغرق كل المستطاعين .

(٢) جامع أحاديث الشيعة ١٠ : ٢٥١ صحيحه معاوية بن عمّار قال سألت أبا عبد الله (ع) عن رجل عليه دين أعلىه أن يحج؟ قال : نعم إن حجّ الإسلام واجبة ... ولقد مر رسول الله (ص) .

ثم المحتاج الى زاد حاضر وراحلة ، ان استطاع الحصول عليها دون عسر ولا حرج ، فهو من استطاع اليه سبيلا ، وليس تحصيلهما تحصيلا للاستطاعة ، إلّا إذا كانوا هما . فقط . الاستطاعة ، كيف لا وقد أمر الفقير ان يخدم القوم وينخرج معهم <sup>(١)</sup> .

بكراع الغميم فشكوا إليه الجهد فقال : شدوا أزركم واستبطئوا ففعلوا ذلك فذهب عنهم . وفيه صححه عبد الرحمن بن الحجاج قال قلت لأبي عبد الله (ع) الحج على الغني والفقير؟ فقال : الحج على الناس جميعا كبارهم وصغرتهم فمن كان له عذر عذر الله . وصححة حفص عن أبي عبد الله (ع) عن آية الاستطاعة ما يعني بذلك؟ قال : من كان صحيحا في بدنه مخلصا سريه له زاد وراحلة فهو من يستطيع الحج . وفي الدر المنشور ٢ : ٥٦ . أخرج سعيد بن منصور وأحمد في كتاب الإيمان وأبو علي والبيهقي عن أبي أمامة قال قال رسول الله (ص) من مات ولم يحج حجة الإسلام لم يمنعه مرض حابس أو سلطان جائز أو حاجة ظاهرة فليমت على أي حال شاء يهوديا أو نصريا . وفي جامع الأحاديث ١٠ : ٢٢٩ صححه الحلي عن أبي عبد الله (ع) في آية الاستطاعة ما السبيل؟ قال : أن يكون له ما يحج به ، قال : قلت من عرض عليه ما يحج به فاستحب من ذلك أهو من يستطيع إليه سبيلا؟ قال : نعم ما شأنه يستحب ولو يحج على حمار أبتر فإن كان يطيق أن يمشي بعضا ويركب بعضا فليحج . أقول وروى مثله العياشي في تفسيره عنه (ع) ودعائم الإسلام عنه (ع) والتهديب في الصحيح عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) وال الصحيح عن معاوية بن عمارة عن أبي عبد الله (ع) والتوحيد في الصحيح عنه (ع) فالروايات في ذلك قد تبلغ حد التواتر والأصل هنا هو نص آية الأذان والإطلاق كالنص في آية الاستطاعة ، فلا مجال للقول أن فاقد الزاد والراحلة ، المستطيع للحج دون عسر ولا حرج ليس مستطينا للحج .

(١) جامع أحاديث الشيعة ١٠ : ٢٥١ صححة أبي بصير قال قلت لأبي عبد الله (ع) قول الله عز وجل ﴿وَلِلّٰهِ عَلٰى النّاسِ...﴾ قال : يمشي إن لم يكن عنده ، قلت : لا يقدر على المشي؟ قال : يمشي ويركب ، قلت : لا يقدر على ذلك؟ قال : يخدم القوم وينخرج معهم ، ورواه مثله العياشي في تفسيره عن أبي بصير عنه (ع) .

كيف لا ! آية الأذان تقدم المشاة على الركب : ﴿وَأَذْنُ فِي النَّاسِ بِالْحِجَّةِ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجِّ عَمِيقٍ ...﴾ (٢٢ : ٢٧).

هنا «يأتوك» دون «يأتونك» جواب لأمر الأذان ، والأمر بالأمر يختلف واجب الأمر ، ثم «رجالاً» جمع راجل ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ : هزيل «يأتين» : كل ضامر يركبها ، و ﴿مِنْ كُلِّ فَجِّ عَمِيقٍ﴾ يعم ﴿رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ : يأتوك . يأتين : ﴿مِنْ كُلِّ فَجِّ عَمِيقٍ﴾ .  
ولأن «سبيلاً» هي الطريق المنحدرة ، فإذا كانت السبيل اليه حاصلة فقد استطاع اليه سبيلاً ، وإذا استطاع الحصول على هذه السبيل ، إزالة لعسرها أو حرجها ، دونما عسر او حرج فيها فقد استطاع اليه سبيلاً ، حيث السبيل المستطاعة هي الميسورة وإن بوسائل قريبة ام غريبة.

إذا فالمتحد له اليه سبيل بالإيمان بالله فانه ميسور ببراهينه ، والمشترك له إليه سبيل بتوحيد الله ، والكتابي له إليه سبيل بالإسلام ، والمسلم الفقير المريض الذي ليس له أمن الطريق أمّا من السبل غير الحاصلة بالفعل ، انه له اليه سبيل ما استطاع الحصول على المال والصحة وأمن الطريق اما هي من السبل دون حرج ولا عسر ، فالمستطعون الى الحج سبيلاً .  
إذا . هم الأكثرية المطلقة من الناس ، فلذلك ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ .

وما اشتراط الزاد والراحلة إلا اشتراطا لكونهما ميسورين حاضرا وسواء ، فرب زاد وراحلة غير ميسورين وهما حاضران ، ام هما ميسوران وليسوا بحاضرين ، فالالأصل هو استطاعة السبيل الى الحج بقدرات قريبة ام بعيدة ما دامت غير حرجه ولا معسورة .  
 والاستطاعة المشروط بها فرض الحج تعم العقلية والعقلانية والشرعية

والبدنية والأمنية والمالية والعرضية أمهاته مما تجعل الحج بطوع الحاج دونما عسر ولا حرج .  
 مما أمكن منها الحصول عليها بمحاولات مستطاعة كتحصيل الزاد والراحلة والصحة  
 البدنية والحالة الأمنية أمهاته ، وجب الحصول عليها ، فان هذه الإمكانية هي من استطاعة  
 السبيل الى الحج ، حيث السبل إليه مختلفة ، وما لم يمكن أو كان في عسر أو حرج فلا يجب  
 ، فالمدار هو استطاعة السبيل إليه أيًا كان وأيًّا ، دونما حصر بزاد وراحلة ام وصحة وامنية  
 فعلية ما أمكن الحصول عليه واستطاع السبيل إليه .  
 ثم الاستطاعة قد تكون فردية كما بينها ، واخرى اجتماعية ، فلئن حج عامه  
 المكلفين بقي وجوب الحج على جمع من الجماهير المؤمنة ثابتة إذ يحرم تعطيل هذا المؤتمر  
 السنوي الإسلامي العالمي ، كما تلمح له الآية ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ وتصرح مستفيضة  
 الروايات<sup>(١)</sup> .

## ٧ ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

والكفر هنا راجع الى نكران فرض الحج فانه المحور الأصيل في الآية<sup>(٢)</sup>

(١) جامع أحاديث الشيعة ١٠ : ٢١٧ - ٢٢١ باب حرمة تعطيل البيت عن الحج في كل عام وأن الناس لو  
 عطلوه لوجب على الوالي أن يجرهم عليه وإن لم يكن لهم مال ينفق عليهم من بيت المال فإن الدين قائم ما قامت  
 الكعبة ..

ومن هذه الأحاديث (٦٣٧) عن الكافي والفقیہ عن حفص بن البختري وهشام بن سالم ومعاوية بن  
 عمارة وغيرهم عن أبي عبد الله (ع) قال : لو أن الناس تركوا الحج لكان على الوالي أن يجرهم على ذلك وعلى  
 المقام عنده ولو تركوا زيارة النبي (ص) لكان على الوالي أن يجرهم على ذلك وعلى المقام عنده فإن لم يكن لهم  
 أموال أنفق عليهم من بيت مال المسلمين .

(٢) جامع الأحاديث ١٠ : ٢٢٩ القطب الرواندي في لب الألباب عن رسول الله (ص) وقال رجل يا .

ومن ثم عمل الحج (١) بفارق أن الأول كفر عقidi والثاني عملي ، ثم الكفر بثواب الحج إن أتى به وعدم العقاب على تركه سواء أتى به في هذه الحالة ام ترك ، وهذه الأربع كلها معنية ب ﴿وَمَنْ كَفَرَ ..﴾ حيث الآية تشمل هذه الروايا : فرضه . تطبيقه . ثوابه ، وعقاب تركه . ثم وتركه ، كما والأحاديث تدلنا على هذا الإطلاق.

**﴿فَلَنْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَكُفُّرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (٩٨)﴾**  
**﴿أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبَغُّونَهَا﴾**

. رسول الله (ص) من ترك الحج فقد كفر؟ قال : لا ولكن من جحد الحق فقد كفر.

وفيه ٢٣٠ علي بن جعفر عن أخيه موسى (ع) في حديث حول الآية قلت فمن لم يحج فقد كفر؟

قال : لا ولكن من قال : هذا ليس هكذا فقد كفر.

وفي الدر المنشور ٢ : ٥٧ لما نزلت آية الحج جمع رسول الله (ص) أهل الملل فقال إن الله فرض عليكم الحج فحجوا البيت فلم يقبله إلا المسلمين وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي إليه ولا نستقبله فأنزل الله ﴿وَمَنْ كَفَرَ ..﴾ وفيه أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن أبي داود نفيع قال قال رسول الله (ص) ﴿وَلَلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ... وَمَنْ كَفَرَ ..﴾ فقام رجل من هزيل فقال يا رسول الله (ص) : من تركه كفر؟ قال : من تركه لا يخاف عقوبته ومن حج لا يرجو ثوابه فهو ذاك.

(١) وفيه ٢٣٠ عن الإحتجاج في إحتجاج أمير المؤمنين (ع) على الخوارج : ولقد قال الله جل ذكره ﴿وَلَلَّهِ عَلَى النَّاسِ ...﴾ فلو ترك الناس الحج لم يكن البيت ليكفر بتركهم إياه ولكن كانوا يكفرون بتركهم إياه لأن الله قد نصبه لهم علمًا وكذلك نصبني علمًا حيث قال رسول الله (ص) : يا علي أنت مني بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي ، وفيه عن فقه الرضا (ع) وسمى تارك الحج كافرا وتوعد على تاركه من النار فنعود بالله.

عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَايِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرْدُو كُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُشْلِي عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيهِمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقًّا تُقَاتَهُ وَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَإِذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَآلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَانْقَدَّمُكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَنْذُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاحْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)

يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَلَدُوقُوا  
الْعَذَابَ إِمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَقَيْ رَحْمَتُ اللَّهِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتَلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ (١٠٨) وَلَلَّهِ  
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (١٠٩) كُنْتُمْ خَيْرَ أَمَّةٍ أَخْرِجْتُ لِلنَّاسِ  
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ  
مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) لَنْ يَصْرُوْكُمْ إِلَّا أَذَى وَإِنْ يَقَاوِلُوكُمْ يُولُوكُمُ الْأَذْبَارَ  
لَمْ لَا يُنْصَرُونَ (١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّلْلَةُ أَيْنَ مَا ثَقَفُوا إِلَّا يَحْبَلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِّنَ النَّاسِ وَبِأُو  
بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمُسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكُفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ  
بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ إِمَّا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴿ (١١٢) ﴾

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَكُفُّرُوْنَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُوْنَ﴾ (٩٨).

استفهام إنكارى بتعريف عريض أن كيف يكفر الكتابي بآيات الله وهو عشيرها لكونه من أهل الكتاب ، وذلك النكران هو أضل سبيلا لهم أولاء الأنكاد وللذين آمنوا ببساطة ولما يقع إيمانهم موقعه الصامد ، حاسبين أن لو كان القرآن رسوله حقا من الله لآمن به أهل الكتاب قبلنا ، إلا من هداه الله ونجاه بما جاهد في سبيل الله وكرس حياته لله ف  
﴿الَّذِيْنَ اهْتَدَوْا زَادُهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوًا هُمْ﴾ (٤٧ : ١٧).

﴿لَمْ تَكُفُّرُوْنَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ رسالية ورسولية ، النازلة بعد ما أنزل إليكم من كتاب ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُوْنَ﴾ في كفركم وب مختلف أساليب التضليل ، لا تخفي عليه منكم خافية ، وقد كانوا يظنون ان الله لا يعلم كثيرا مما يعملون ﴿أَنَّحَدُّثُوكُمْ إِمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُوكُمْ بِهِ عِنْدَ رِتْكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُوْنَ أَوْ لَا يَعْلَمُوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِمُوْنَ﴾ (٢ : ٧٦).

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَصْدُوْنَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُوْنَهَا عِوْجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ﴾ (٩٩).

ليس فحسب أنكم ﴿تَكُفُّرُوْنَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ في أنفسكم ، بل و ﴿تَصْدُوْنَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ﴾ صدا بکفرکم ، وآخر بإيمانکم ثم کفرکم : ﴿أَمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِيْنَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَأَكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَ﴾ وثالث بدعایاتکم الباطلة الخواء ، عائشين ثلاثو الصد عن سبیل الله من آمن ، حال أنکم ﴿تَبْغُوْنَهَا عِوْجًا﴾ تطلبنا للسبیل العوجاء ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ سبیل الله لمکان الكتاب ، و «شهداء» الحق بما شهد لكم الكتاب ورسول الكتاب ، «وأنتم» يجب عليکم ان تكونوا «شهداء» الحق لمن لم يشهده ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ على ماذا

تعملون بکفرهم وصدکم عن سبیل الله من آمن تبغونکا عوجا! .  
 فشهادة الحق والشهادة بالحق والشهادة على الحق وشهادة نکران الحق هي زوايا اربع  
 من ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاء﴾ ما يضخم مسؤولية الكافرین الصادین عن سبیل الله .  
 ذلك کید لعین لعیم من اهل الكتاب الكافرین ، فحذار حذار للذین آمنوا أن یتخذلوا  
 فريقا منهم أولیاء لأنھم اهل الكتاب :  
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أَوْثَوا الْكِتَابَ يَرْدُوکُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كافرین﴾ (١٠٠).

وإنما حذروا عن طاعة فريق منهم وطاعة غير المؤمن محظوظ أیا كان؟  
 لأن اهل الكتاب فرق ثلاثة ، منهم الصادون عن سبیل الله وهم الذین حذر عن  
 طاعتهم ، ومنهم المؤمنون بهذا الرسول وكتابه وهم آهلوں للطاعة في سبیل الله وهم قادة  
 الایمان بسند الكتاب ، ومنهم عوان لأنھم ﴿أُمِيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ لا یدعون  
 إلى شيء حتى یطاعوا وهم حائرون في أمرهم أنفسهم ، مهما افترقوا إلى متھر عن الحق  
 ليتبعه ، ومهمل یعيش حائرا مائرا ، والجامع بينهما ألا دور لهم في دعوة حتى یأتي دور  
 الطاعة سلبا وإيجابا ، ثم ولما ذا یطاع أهل الكتاب؟ ألكي یهدوکم سبیل الرشاد؟ وأنتم  
 راشدون بكتاب الله ورسوله ! :

ذلك وكما قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حينما دس یہودی بین الأوس  
 والخزرج فأخذنا يتقاتلان : «يا معاشر المسلمين الله الله أبدعوی الجاهلية وأنا بین أظهرکم بعد  
 إذ هداکم الله الى الإسلام وأکرمکم به وقطع عنکم أمر الجاهلية واستنقذکم به من الكفر  
 وألف به بینکم ترجعون الى ما کنتم عليه کفارا فعرف القوم أنها نزعة من الشیطان وکید من  
 عدوهم فألقوا السلاح

وبكوا وعائق الرجال بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) سامعين مطاعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله ...»<sup>(١)</sup>.

**﴿وَكَيْفَ تُكَفِّرُونَ وَأَنْتُمْ تُنْلِي عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيهِمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٠١).**

**﴿كَيْفَ تُكَفِّرُونَ﴾** بعد ايمانكم . بطاعتهم ثم كفركم . مهما دخلت فيكم الدعايات الكتابية الكافرة وأنتم أقوى منهم حجة ، **﴿وَأَنْتُمْ تُنْلِي عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾** خالصة عن كل دس وتجديف ، آيات هي دلالات ذات بعدين على الحق ، إذ تدل بنفسها على أنها من الله ، ثم تدل على حظائر القدس ، وهي اتقن الآيات الرسالية على مدار الزمن الرسالي .

ثم **﴿وَفِيهِمْ رَسُولُهُ﴾** وليس فيهم رسولهم ، فأنتم مزودون بالحجتين

(١) الدر المنشور ٢ : ٥٧ . اخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابو الشيخ عن زيد ابن اسلم قال : مر شاس بن قيس وكان شيخا قد عسا في الجاهلية عظيم الكفر شديد الضعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من أفتئهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال : قد اجتمع ملا يبني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بما من قرار فأمر فتي شبابه من يهود فقال : اعمد إليهم فاجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار وكان يوم بعاث اقتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتناخروا حتى تواب رجلان من الحسين على الركب أوس بن قيظى احد بني حارثة من الأوس وجبار بن صخر احد بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه إن شئتم والله ردناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالوا قد فعلنا السلاح موعدكم الظاهرة والظاهرة الحرة فخرجوا إليها وانضمت الأوس بعضها إلى بعض والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية بلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال : ...

البالغتين الإلهتين؟؟؟ وهم خواء عنهما ، لا يعيشون إلا خليطا من وحي السماء بوحى الأرض ف ﴿كَيْفَ تَكُفُّرُونَ﴾؟!

ثم ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ﴾ بالله كأصل في كافة الحالات ولا سيما في أجواء التضليل والتجديل ، وبكتاب الله ورسوله دلالة صادقة معصومة على الله لأنه اعتصام بالله ، حيث يذكر بعد ﴿آيَاتُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بل هو الأصل والسبيل الوحيد في الاعتصام بالله ، ثم زيادة المدحى من الله تتباين : ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادُهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾.

فمن يزعم انه معتصم بالله ، تاركا لكتاب الله ورسوله ، فقد ضل ضلالا مبينا ، فـ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ ...﴾.

اجل هناك اعتصام بالله دون وسيط وهو ان تدعوا الله ان يهديك ويففر لك ذنبك ، ولكنه لا يفيد ما لم تعتصم بالله بوسيط كتابه ورسوله وهم العاصمان بالله عن ورطات الجهل والطغوی الى درجات العلم والتقوى <sup>(١)</sup> ف «من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله ما أهمه من امر الدنيا والآخرة ومن تشاربت به الهموم لم يبال الله في أي أودية هلك» <sup>(٢)</sup>.  
و «أيما عبد أقبل قبل ما يحب الله عز وجل أقبل الله قبل ما يحب ومن اعتصم بالله عصمه الله ومن أقبل الله قبله وعصمه لم يبال لو سقطت السماء على

(١) الدر المنشور ٢ : ٥٩ . اخرج تمام في فوائدہ عن كعب بن مالک قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم): أوحى الله الى داود يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكثيده السماوات بمن فيها إلا جعلت له من بين ذلك مخرجا وما من عبد يعتصم بمخلوق دوني أعرف منه نيته إلا قطعت أسباب السماء من بين يديه وأساخت الهواء من تحت قدميه.

(٢) المصدر اخرج الحاكم وصححه عن ابن عمر قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) : ...

الأرض ...»<sup>(١)</sup> و «المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله»<sup>(٢)</sup>. فمثلث الاعتصام بالله ينجي أهل الله عن ثالوث الصد عن سبيل الله **﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾** **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٌّ إِلَّا إِذَا تَمَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمُّبَيْتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحَكِّمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِيَجْعَلَ مَا يُلْفِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ. وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحُقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَشُحِبَّتْ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُدَى الَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْهِ صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾** (٥٤ : ٢٢) .... فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا احْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحُقْقِ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢ : ٢١٣).

وهنا **﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾** مما يثبت ان الكتاب والسنة يكفيان في التدليل على الحق المطلقا في أجواء التضليلات فضلا عما سواها ، فما دام الرسول فيما فهو الذي يهدينا الى ما خفي عنا من دلالات الكتاب وتأويلاته وإذا ارتحل عنا فستته الثابتة المعروفة بمwoffقة الكتاب هي الحجة بعد الكتاب ، ثم لا حجة بعدهما لأي سلب او إيجاب ، في أي قليل او جليل.

ولأن العترة الطاهرة المعصومة هم حملة السنة الصالحة نسمع الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) يقول فيما تواتر عنه : «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» فمهما صدقنا ما يروى عنه : «وسنتي» بدلا عن عترتي ما كنا نصدق حاملا للسنة إلا الأمانة المعصومين وهم عترته.

ف «سنّي» لأنّها سنّي ، ثم «عترتي» لأنّهم المؤمنون على سنّي ، كما

(١) نور الثقلين ١ : ٢٧٦ عن اصول الكافي بسند متصل عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ...

(٢) المصدر عن معانى الأخبار باسناده الى حسين الأشقر قال قلت لهاشم بن الحكم ما معنى قولكم ان الإمام لا يكون الا معصوما؟ فقال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن ذلك فقال : ...

وهم الذين يفسرون الكتاب حقه كما أنا الرسول.

ولو أن هناك غير الكتاب والسنة هاديا إلى الصراط المستقيم . من إجماعات وشهرات ونظرات واجتهادات بقياسات واستحسانات واستصلاحات وأشباهها من غير الكتاب والسنة . لجاء ذكره . وإن مرة يتيمة أو اشارة . في الذكر الحكيم .

فاما هو الاعتصام بالله في خضم الضلالات والتضليلات مهما قويت فان الله أقوى والمضلون هم أضعف وأغوى .

وماذا بعد الهدي الى صراط مستقيم ، فالمؤمن كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف ... وهنا اعتصام فردي للحفاظ على الإيمان الفردي ، دفعاً لمكائد الصادين عن سبيل الله ، ثم اعتصام جمعي جاهيري للمؤمنين بالله يعصّمهم عن المكائد الجماهيرية الكافرة ، ويحافظ على دولة الإيمان عالية خفاقة ، تبين الآيات التالية شروطاً متصلة بذلك الاعتصام .

هذه الآيات تبين لنا الشروط الإيجابية الأربع والسلبية الثلاث والنتائج المتوجة على

ضوء تطبيقها ومنها ﴿لَنْ يُضُرُوكُمْ إِلَّا أَذَى﴾ :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوْثِنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢).

ركيزة أولى بعد الإيمان تقوم عليها الجماعة المسلمة تحقيقاً لكيانها وتأدية لدورها ، صموداً في وجه أعداءها الألداء ، هي تقوى الله حق تقاته والموت مسلماً ، فبدون هذه الركيزة تكون الأمة فالتة في تجمع جاهل قاحل مهما ملكت من ادعاءات وحملت من أسماء براقة مشرقة ك : «المؤمنون» .

﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ولكن كيف وكم وإلى أين ؟ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ كما وكيفاً ﴿وَلَا مُتُوْثِنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ مدى وغاية ، أن تصبح حياة الإيمان تقوى حقة

حقيقة بحذافيرها في كل صغيرة وكبيرة.

وليس لـ ﴿حَقَّ تُقَاتِه﴾ حدّ يتصور ، فكلما أوغل القلب في هذه السبيل تكشفت له آماد وآفاق وجدت له أشواق ، في تيقظ من شوقيه إلى درجات فوق ما ارتقى.

وقد يروى عن أحق الأتقياء في ﴿حَقَّ تُقَاتِه﴾ . «ان يطاع فلا يعصي ويذكر فلا ينسى»<sup>(١)</sup> و «لا يتقى الله عبد حق تقاته حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه»<sup>(٢)</sup>.

إذا فبادروا العمل وخفوا بعثة الأجل فانه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق ما فات اليوم من الرزق رجى غدا زيادته وما فات أمس من العمر لم ترج اليوم رجعته الرجاء مع الجائي واليأس مع الماضي ف ﴿أَتَقُوا اللَّهُ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) نور الثقلين ١ : ٢٧٦ عن معاني الأخبار باسناده إلى أبي بصير قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الآية قال : «يطاع ولا يعصي ويذكر فلا ينسى ويشرك فلا يكفر».

وفي تفسير البرهان عن ابن شهر آشوب عن تفسير وكيع عن عبد خير قال سألت علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن قوله «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حتى تقاته ...» قال : والله ما عمل بما غير بيت رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) نحن ذكرناه فلا ننساه ونحن شكرناه فلا نكفره ونحن أطعناه فلم نعصه فلما نزلت هذه الآية قال الصحابة لا نطيق ذلك فأنزل الله : فاتقوا الله ما استطعتم.

أقول : لا نطيق . ان صح . يعني تلك الدرجة المقصومة من التقوى ، فالآية الثانية بيان لـ ﴿حَقَّ تُقَاتِه﴾ انه على قدر الاستطاعة فلا يكلف غير المعصوم بتقوى المعصوم.

(٢) المصدر اخرج الخطيب عن أنس قال قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ...

(٣) نور الثقلين ١ : ٢٧٦ عن نهج البلاغة قال (عليه السلام) : ...

والنقي الحقة هي المخلقة على ظاهر التقى وباطنه علما واعتقادا وعملا صالحًا اسراها وإعلانا ف : «الدنيا كلها جهل إلا مواضع العلم والعلم كلها حجة إلا ما عمل به والعمل كله رباء إلا ما كان مخلصا والإخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يختتم له» <sup>(١)</sup>.

وترى كيف يؤمن المؤمنون أن يقروا الله حق تقاته وهو غير مستطاع لأحد أو مستحيل على كل أحد حتى أول العبادين محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فضلاً عن دونه من المؤمنين؟.

فهل إنما منسوخة بآية الاستطاعة ﴿فَأَتَّقُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطْعُتُمْ﴾ (٦٤ : ١٦)؟ و ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (٣ : ٢٨٦) و ﴿إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ (٦٥ : ٧)! فكيف يكلفهم بغير ما يستطيعون ، وما لم يؤتكم من الطاقة حتى يتقوون ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾؟.

فرواية السخن <sup>(٢)</sup> منسوخة . لأن فيها نسخاً للمحال بالمكان . أو مأولة بمعنى التخصيص ، إنما خصت بآية الاستطاعة بقدر المستطاع فحق تقاته من الرعيل الأعلى ، غير المستطاع من دونهم ، انه لا يكلف به من لا يستطيعه ، فل ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ درجات ، لا يكلف منها أحد إلا قدر استطاعته ، فقد تحقق ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ على كل مدارج «تقاته» حسب المستطاع ، و ﴿مَا أَسْتَطْعُتُمْ﴾ بيان

(١) المصدر في عيون الأخبار بسانده إلى داود بن سليمان القاري عن أبي الحسن الرضا عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليهم السلام) انه قال : ...

(٢) الدر المنشور ٢ : ٥٩ . اخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم فقاموا حتى وردت عرقيبهم وتقرحت جماهم فأنزل الله تخفيقا على المسلمين ﴿فَأَتَّقُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطْعُتُمْ﴾ وفيه عن ابن عباس قال : لم تنسخ ولكن حق تقاته ان يجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم ويقوموا الله بالقسط ولو على أنفسهم وآباءهم وأمهاتهم.

لـ **حق تقاته** انه ليس الحق الاول للسابقين في «تقاته» فأين النسخ او التخصيص اللهم إلا التفسير والتوضيح.

ذلك ، فلـ **حق تقاته** درجة مستحيلة على الكل وهي كما يحق لساحتة تعالى ، واخرى مستطاعة للرعيل الأعلى غير مستطاعة لمن دونهم ، وثالثة مستطاعة لمن دونهم ، ولا تعني **حق تقاته** إلا الآخرين كلاً في درجته حسب المستطاع.

فلا يعني **حق تقاته** إلا الحق المطلوب منهم ، المستطاع لهم ، كل على قدره وقدره ، فكما اليمان درجات كذلك تقوى اليمان درجات من أعلىها كما لأول العابدين الى أدناها كما لآخر العابدين وبينهما عوan من المتقين.

وعلى الخطاب هنا في أعلى موجة الى المعصومين (عليهم السلام) كما في «وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ... ملة أبيكم ابراهيم» (٢٢ : ٧٨).

ثم المستحيل على العباد هو معرفة الله حق معرفته وعبادته حق عبادته ، واما تقواه حق تقاته فكما قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) «ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى» وهذا يطمئن في خضم كل مراتب التقوى الحقة حسب مختلف القابلities والفاعليات ، شاملة لحق العدالة والعصمة ، ثم العاصي المقصر خارج عن نطاق الآية ، والمعصومون هم في قمتها العالية.

ولا يعني «يدرك فلا ينسى» أن المؤمن مأخوذ بذكرة تعالى أبداً فانه غير مستطاع إلا للمعصومين حيث الغفلات المتاهة تخليه ، والشهوات المباحة تتوسطه ، والنوم والإغماء والتقية والمرض تحول دونه.

فانما أمروا أن يتقووا الله حق تقاته كما يستطيعون ، وليهاروا بلوغ أدنى حدود المعصية ، ويقفوا عن اولى مراتب السبيئة ، فلا يقتربوها كيلاً يقتربوها ،

فالمعاصي حمى الله ومن حام حوم الحمى أوشك ان يوقع فيها ، فاجعل بينك وبين الحرام حاجزا من الحلال ، فانك متى استوفيت جميع الحلال تاقت نفسك الى فعل الحرام ، وكلما كثرت الزواجر كانت على المعاصي ارdue ، والى فعل الطاعات أحوش واجذب.

ذلك . فمن جانب جميع ما نهاه الله عنه دون مقارفة ولا مقاربة ، وأتى بجميع ما أمره الله به ، وكل ذلك قدر المستطاع دون إهمال ولا تقصير ، فقد اتقى الله حق تقائه.

وترى بعد كيف ﴿وَلَا تُؤْتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ والموت مسير لا محير؟ وكما ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تُؤْتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٢ : ١٣٢).

هنا النهي موجه الى الموت دون إسلام ، ناظرا الى عاقبة الأمر لمن اتقى الله حق تقائه ، فلا تكفي هذه التقوى الحقة لفترة من حياة التكليف ، بل والاستمرار فيها تكليف فوق تكليف ، ومهما كان الموت مسيرا ، فالموت حالة الإسلام مخير ، أن يستمر التقى في تقواه ، او تكون كل لاحقة منه خيرا من أولاها ، تقدما على طول خط الحياة في تقوى الله ، دون تنازل عن حدتها المستطاعة ولا وقفه عليه.

وفي صيغة أخرى إن الإنسان مكتوم عنه أجله أيا كان لما في كتمانه من مصلحة تربوية ، فلا يعرف متى تكون منيته ، وعلى أي جنب صرعته ، فحين ينهاه الله أن يموت إلا مسلما فقد ألزمـه في كل حال على ذلك الإسلام ، إذ لا يؤمن على أية حال أن يموت عبطة او هرما.

ذلك ومن جملة كمال إسلام المؤمن التوبة واستدراك الذنوب الفارطة ، فقد ألزمـه سبحانه بما أمره ونهاه . مع التمسك بفرياض الأوقات وطاعاتها

واجتناب محارمه ومقبحاته . ان يستدرك ماضيه بتوبته لكيلا يموت إلا وهو مقطوع بإسلامه السليم.

ثم هنا خطاب المؤمنين ان يتقووا الله حق تقاته مما يشي بان التقوى أخص من اليمان ، ومن ثم ﴿إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ غاية لتقوى المؤمنين مما يوضع أنه الإسلام بعد الإيمان بوسط التقوى ، فليس هو الإسلام قبل الإيمان ولا مع الإيمان وتقواه ، بل هو الإسلام لله خالصا ملخصا نتيجة لتقوى الإيمان ، إذا فالإسلام الأول وهو الإقرار ذريعة الإيمان والإيمان ذريعة التقوى والتقوى ذريعة للإسلام الثاني فهو ذرورة الإيمان والتقوى ونتيجة لهما .

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنْعَرُقُوا وَإِذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَّتِمُوهُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُمْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَكْتُذُونَ﴾ (١٠٣).

إن ذلك الإيمان والتقوى والإسلام لا تصح إلا أن تتبع اعتصاما بحبل الله جميرا ، فبدونه ليست هي عاصمة لحامليها ولا معصومة عن الأخطاء الموجهة إليها الهاجمة عليها . والحبل حبلان مادي ومعنوي ، سمي به لأن المتعلق به ينجو مما يحافه كالمتشبث بالحبل إذا وقع في غمرة أو ارتكس في هوة ، وكذلك الحبل العهد وثيقا حيث يستأنس بها من المخاوف ، والحال ينتقد بها من المخالف وهذا هو التشابه بينهما . فكلما كان صاحب الحبل أعلم وأقوى فحبله أعصم وأنجى ، فحبل الله ينجي المتمسك به من كل عطب وهوة ويعصمه عن كل خوفة .

لقد امر الله المؤمنين - ككل . ان يتقووا الله حق تقاته ولا يموتون إلا وهم مسلمون ، فلا بد . إذا . من حبل رباني يعتضدون به في حق تقاته ، فالتقوى

دون حبل هي قد تكون طغوى فان الله يحب ان يعبد كما يحب.

والاعتصام هو طلب العصمة وهي درجات ثلاث ، عصمة بشرية دون حبل الله ،

عصمة غير المعصومين بحبل الله ، وعصمة المعصومين بحبل الله.

فلان العصمة البشرية بالفطرة والعقلية وال فكرة لا تكفي لها هديا الى صراط مستقيم ،

ثم العصمة المطلقة خاصة بالمعصومين ، لذلك يؤمر المؤمنون ان يعتصموا بحبل الله جمیعا حتى

يحصلوا على عصمة دون الطليقة ، فکما المعصومون يعتصمون علميا بحبل الله ، كذلك من

دونهم ، كل على قدره.

الاعتصام بحبل الله جمیعا يعصم المعتصمين فطريا وعقليا وفكريا ، علميا وعقيديا

وخلقيا ، سياسيا وحربيا واقتصاديا وسلطويها ، فهذه العشرة الكاملة من العصمة فردية

وجماعية مضبوطة للمعتصمين بحبل الله على أقدارهم ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِإِنْسَانٍ إِلَّا مَا سَعَى﴾ .

وذلك الاعتصام يعتمد على أركان : المعتصم . المعتصم به . المعتصم عنه . المعتصم

لأجله.

فالمعتصم هم المؤمنون على درجاتهم من أعلى الإيمان كما الحمديون (عليهم السلام) ،

إلى أدناه وبينهما متوسطون في الإيمان ، حيث الكل مأمورون بتقوى الله حق تقاته ، ومن

حقها التقوى الجماعية بعد الفردية.

والمعتصم به هو حبل الله ، وهو وحي الله الأصيل غير الدخيل.

والمعتصم عنه هو كافة المزالق في الحياة الفردية والجماعية.

والمعتصم لأجله الحصول على كامل مرضات الله في معرفته وطاعته وعبادته.

وعلى هذه الأركان الأربع يتبنى عرش الإيمان الصالح الصامد.

ولالاعتصام بحبل الله شروط ثلاثة هي الاعتصام جمیعا . للمعتصمين

جميعا . بحبل الله جميعا ، فان «جميعا» تتعلق بهذه الثلاثة جميعا.

و **الْحِبْلُ اللَّهُ** على وحدته تعم الحبل الرسولي الى الحبل الرسالي ، وحدة ثنوية وثنوية ووحدوية ، فان مهما هو القرآن والقرآن هو محمد ، طالما كان القرآن بنفسه أطول وأدوم وأكمل وأعظم من محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فهما وحدة متماسكة متباوحة في كافة المقول دونما اي افول إلا شخص الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ولكن سنته باقية كما القرآن ، مهما لم تتبيّن إلا بالقرآن كما القرآن يتبيّن بها تفسيرا باطنيا وتأويلا.

وكما المعصوم بالروح القدسية والعصمة الربانية يعتصم علميا بالقرآن ، كذلك سائر المعتصمين بالقرآن يعتصمون به على درجاتهم في العصمة البشرية وفرقان من الله ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهُ يَعْلَمُ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾.

فلان القرآن هو طليق النور من نور السموات والأرض ، فالاستنارة به للمعتصمين به تعصّمهم على أقدار أنوارهم البهية المرضية.

ليس القرآن كتاب العلوم الرسمية التي تفتح أبوابها لكل شارد ومارد ، إنما ﴿أَنْزَلَ عِلْمًا اللَّهُ فَلَا تَفْتَحْ أَبْوَابَهُ الْمَعْنَى فِي عَنْيَةِ اللَّهِ إِلَّا لِأَهْلِ اللَّهِ﴾.

وخير المخارج عن المضائق هي مخارج الآيات و «من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب .. قد جعل الله لكل شيء قدرًا» (٦٥ : ٢).

فإنقاص اللغة والأدب وإنقاص التدبر والتفكير في استفسار الآيات بعضها بعض ، إن ذلك كله راحلة لسفر القرآن والزاد هو التقوى التي بها توصل إلى مرادات الله جل وعلا. ثم وجميعا في جمعية الاعتصام نفسه تعني جميع الطاقات والامكانيات التي تصلح لذلك الاعتصام حيث تصلحه.

فعلى كل مؤمن بالرسالة الإسلامية تجميع كل طاقاته في مهام أوقاته

وأحسنها وانظرها وانظرها ، تكريسا لها كلها للاعتصام بجبل الله ، تقديمها له علىسائر الحال وكما قال : ﴿وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّلُطَانَ فَتَفَرَّقَ إِكْمَ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ .

ذلك والى تدبر واسع حول آية الاعتصام بجبل الله الملك العلام.

ولنعرف «جبل الله» جيدا جادا لكي نتمكن من الاعتصام به جيئا ولا نتفرق عنه او فيه؟ «جبل الله» لا تحمله إلا هذه الآية اليتيمة ، اللهم إلا ﴿بِجَبَلٍ مِّنَ اللَّهِ وَبَحْلَلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ (٣ : ١١٢) وقد تعني ﴿بِجَبَلٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ جبل الله هنا مهما اختلفا محتدا في شريعتي القرآن والتوراة.

فقد يخيل الى البسطاء انه غير مفسّر في القرآن ، والقرآن هو ككل جبل الله ، إذ لا وسيط . منذ بزوغ الإسلام حتى القيامة الكبرى . بين الله وبين المرسل إليهم إلا القرآن كأصل ثابت لا عوج له ولا حول عنه ولا أقول لشمسه ، ومن ثمّ الرسول وذووه المعصومون (عليهم السلام) تفسيرا له وتأويلا ، وجبل القرآن أتم وأدوم وأكمل وأعظم ، والجبل الظاهر الدائم هو المحور الأصيل لواجب الاعتصام على مدار زمن التكليف ، كما انه الجبل للرسول والائمة من آل الرسول (عليهم السلام).

فهو الصراط المستقيم والنور المبين وحجة الله على الخلق أجمعين والشهيد لرب العالمين ، فمواصفات القرآن في نفسه بأسمائه وفي آيات منه تؤكد لنا انه جبل الله المتين وسببه الأمين لا يعوج فيقام ولا يزيف فيستعبد ، وكما يروى عن ثاني الحبلين رسول القرآن (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قوله : «كتاب الله هو جبل الله الممدود من السماء الى الأرض» (١) و «ان هذا القرآن سبب طرفه بيده

(١) الدر المثوض ٢ : ٦٠ . اخرج ابن أبي شيبة وابن حجر عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ...

الله وطرفه بآيديكم فتمسکوا به فانکم لن تضلوا ولن تضلوا بعده أبدا»<sup>(١)</sup> و «إني تارك فيکم كتاب الله هو جبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلاله»<sup>(٢)</sup>.

ذلك جبل الله الأصيل ، ومن ثم الرسول البديل الدليل على الله الجليل ، ثم الذين يحملون ذلك الروح الرسالي المعصوم ، الذين يقال عنهم : «أولنا محمد . أو سطنا محمد . آخرنا محمد وكلنا محمد (صلی الله عليه وآلہ وسلم)» فإنهم هم الصادرون عن محمد كما محمد صادر عن الله في كتاب الله وستته الشارحة لكتاب الله.

صحيح أن ﴿جَبَلُ اللَّهِ﴾ بإفراده يعني حبلا واحدا لا ثاني له ، وإنما لقال حبلي الله أو حباله ، ولكن محمدا (صلی الله عليه وآلہ وسلم) هو القرآن كما القرآن هو محمد (صلی الله عليه وآلہ وسلم) فرقدان لا يفترقان<sup>(٣)</sup> وقد أشير إليها قبل بعد ﴿وَأَنْتُمْ تُتَلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيهِمْ رَسُولُهُ﴾ مما يبرهن ثنية الحبل

(١) المصدر اخرج ابن أبي شيبة عن أبي شريح الخزاعي قال قال رسول الله (صلی الله عليه وآلہ وسلم) : ... وفي معاني الأخبار عن السجاد (عليه السلام) في حديث : وجبل الله هو القرآن.

(٢) المصدر اخرج ابن أبي شيبة والطبراني عن زيد بن أرقم قال خطبنا رسول الله (صلی الله عليه وآلہ وسلم) فقال : اني ...

(٣) نور الثقلين ١ : ٢٧٧ في كتاب معاني الأخبار بسانده إلى موسى بن جعفر (عليهما السلام) عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين (عليهم السلام) قال : الإمام منا لا يكون إلا معصوماً وليس العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها ولذلك لا يكون إلا منصوصاً ، فقيل له يا بن رسول الله (صلی الله عليه وآلہ وسلم) فما معنى المعصوم؟ فقال : هو معتصم بجبل الله وجبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيمة والإمام يهدي إلى القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام وذلك قول الله ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ .

حال وحدويته ، وكذلك الآيات الآمرة باتباع الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) مصريحة بهذه الثنوية الموحدة الموحدة.

لذلك لا يصدق أي حديث يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) أو حملة علم الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) إلا إذا وافق كتاب الله . أم لأقل تقدير . لم يخالفه ، شريطة اطمئنان بصدوره عنهم بوجه صالح دونما تقية.

فلذلك نجد في الحديث المتوارد عن الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) أن حبل الله هما الثقلان ، أحدهما أطول . أكبر . أفضل . أول . أعظم . وهو كتاب الله والآخر الأصغر هم عترة رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) رواه بخمسة الأفضلية لكتاب الفريقان في قمة التواتر من أحاديث الإسلام عن زهاء ثلاثة من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآلها وسلم) ونفر من الصحابيات عنه (صلى الله عليه وآلها وسلم) <sup>(١)</sup> .

(١) ففي الدر المنشور ٢ : ٦٠ . أخرج أحمد عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) : إني تارك فيكم خليقتين كتاب الله عز وجل حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وآنحنا لن يتفرقوا حتى يردا علي الحوض ، وفيه أخرج الطبراني عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) إني فرط لكم وانكم واردون علي الحوض فانتظروا كيف تخلفوني في الثقلين قيل وما الثقلان يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) قال : الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه ييد الله وطرفه بأيديكم وفتمسكوا به ولا تضلوا والأصغر عترتي وآنحنا لن يتفرقوا حتى يردا علي الحوض وسألت لهم ذاك ربي فلا تقدموها لتهلكوا ولا تعلموها فإنهم أعلم منكم ، وفيه مثله أخرجه ابن سعد وأحمد والطبراني عن أبي سعيد الخدري عنه (صلى الله عليه وآلها وسلم) . وفي جامع أحاديث الشيعة لاستاذنا الأقدم الاسم المغفور له آية الله العظمى السيد البروجردي نقلا عن العقبات انه روى حديث الثقلين نفر كبير من الصحابة ثم ذكر اسماء كل واحد منهم من .

. المائة الأولى إلى الثالثة عشر ، في كل مائة نحوا من عشرين إلى ثلاثين رجلاً من كبار أخبار الحديث وإليكم نماذج من اسمائهم : منهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) أخرجه عنه خمسة من الأعاظم مثل الطبرى والسيوطى ، ومنهم الحسن بن علي (عليهما السلام) وسلمان وأبو ذر رواه عنهم ثانية ، ومنهم ابن عباس وأبو سعيد الخدري رواه عنهم تسعه وأربعون رجلاً ، ومنهم جابر بن عبد الله الأنصارى رواه عنه ثلاثون رجلاً ، ومنهم ابو الحيث بن التيهان رواه عنه خمسة وأبو رافع مولى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وحذيفة بن اليمان وحذيفة بن السيد أخرجه عنه إحدى وعشرون رجلاً وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين روى عنه خمسة وزيد بن ثابت روى عنه ستة وعشرون رجلاً ، وأبو هريرة روى عنه ستة وعبد الله بن حنطسب ثلاثة ، وجبير بن مطعم ثلاثة ، وبراء بن عازب وانس بن مالك وطلحة بن عبد الله التميمي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص وسهل بن سعد الأنصارى خمسة ، وعدى بن حاتم وعقبة بن عامر وأبو أيوب الأنصارى وأبو شريح الخزاعي وأبو قدامة الانصارى وضمية الاسلامي ، روى حديثهم الاجله والأكابر من أخبار الحديث من إخواننا السنة وعامر بن ليلى بن حمزة تسعه ، ومن هؤلاء الرواة صحابيات مثل الصديقة الطاهرة سلام الله عليها وام سلمة رواه عنهم ستة وام هاني اخت الامام علي (عليه السلام) رواه عنها اربعة .

أقول : وقد ذكر المرجع الدينى السيد شهاب الدين المرعشى النجفى فى سفره العظيم «ملحقات احراق الحق ، أسماء من اخرج عن هؤلاء في ج ٩ ص ٢٧٦ - ٣٠٩ وختصرهم كالتالى :

١ حديث ابو سعيد الخدري : روى عنه جماعة منهم ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢ : ١٩٤) واحد بن حببل في المناقب والطبراني في المعجم الصغير (٧٢) والمعجم الكبير (١٢٧) وابن المغازلى في المناقب والنيسابوري في الرسالة القوامية فيمناقب الصحابة (مخطوط) وموفق بن احمد في مقتل الحسين (١٠٤) ومحب الدين الطبرى في ذخائر العقبى (١٥) والحمويى في فرائد السبطين (المخطوط) والبرندى في نظم درر السبطين (٢٢٢) والهيثمى في مجمع الزوائد (٩ : ١٦٢) والسيوطى في احياء الميت المطبوع بهامش الاتحاف (١١١) وفي الدر المشور . كما نقلناه . والمتقى الهندى في كنز العمال (١ : ٣٤٢) والعسقلانى في المواهب اللدنية (٧ : ٧) والبدخشى في مفتاح النجا (المخطوط) و محمد الصبان في اسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأ بصار (١٢٢) والقندوزى في بثائع المؤودة (٢١) و زيني دحلان في السيرة البوية المطبوع بهامش السيرة الخلبية

. (٣) : ٢٢٠ ) والنقشبendi في راموز الأحاديث (٤٤) والأمر تسرى في أرجح المطالب (٢٢٦) والنبهاني في الأنوار الحمدية (٤٢٥).

٢ حديث زيد بن أرقم رواه عنه جماعة منهم الدارمي في سنته (٢ : ٤٣١) ومسلم في صحيحه (٧ : ١٤٨) والبيهقي في الاعتقاد (١٦٤) والترمذني في صحيحه (١٣ : ٢٠٠) والنيشاوري في مستدركه (٣ : ١٢٢) وأحمد بن حنبل في مناقبها (مخضوط) والطبراني في المعجم الكبير (١٢٧) والبيهقي في السنن الكبرى (١١٢ : ١٠) وابن المغارلي في مناقبها (مخضوط) والأندلسي في الجمع بين الصحيحين (المخطوط) والبغوي في مصایب السنة (٢٠٥) والصغراني في مشارق الأنوار والجزري في جامع الأصول (١ : ١٨٧) وابن الأثير في اسد الغابة (٢ : ١٢) ومحب الدين الطبراني في ذخائر العقبي (١٥) وابن حبان في المقبس في احوال الأندرس (١٦٧) والحمويي في فرائد السقطين (المخطوط) وابن مسعود الشافعي في المتنقى في سيرة المصطفى (١٩٨) والخازن في تفسيره (١ : ٤) وابن تيمية في منهاج السنة (٤ : ١٠٤) والسيد خواجة الهندي : درر في علم الكتاب (٢٥٤) والزرزى في نظم درر السقطين (٢٣١) والذهبي في تلخيص المستدرك (٣ : ١٤٨) وعبد القادر في منتخب تاريخ ابن عساكر (٥ : ٤٢٦) والأزدي في تفسير التبيان (١٧٧) وابن كثير في تفسيره المطبوع بجامش فتح البيان (٩ : ١١٤) والخطيب التبريزى في مشكاة المصايب (٥٦٨) والميدى في شرح ديوان امير المؤمنين (١٨٨) المخطوط والسيوطى في احياء الميت المطبوع بجامش الاتحاف (١١٠) وفي الخصائص الكبرى (٢ : ٢٦٦) والدر المنشور (٢ : ٦٠) والجامع الصغير (١١٢) والأكليل (١٩٠) ومحمد بن طولون في الشذورات الذهبية (٦٦) والكركي في نفحات اللاهوت (٥٥) وابن حجر في الصواعق الحرقية (٢٢٦) والشيباني في تيسير الوصول (١ : ١٦) والمتقى الهندي في كنز العمال (١ : ١٥٢) وفي منتخب كنز العمال المطبوع بجامش المسند (٥ : ٥٩) والشيخ سعدي الآبي الشافعى في أرجوزته (٢٠٧) والمفسر البغوى في معالم التنزيل (٥ : ١٠١) والكسفى في المناقب المترضوية (٩٧) والشيخ منصور بن علي المصري في الناج الجامع للأصول (٢ : ٣٠٨) وابن حمزة الحنفى في البيان والتعريف (١ : ١٦٤) والبدخشى في مفتاح النجا (٨) والنابلسى فى ذخائر المواريث (١ : ٢١٥) والشبراوى المصرى فى الاتحاف بحب الأشرف (٦) وشاه ولی الله الحنفى فى ازالة الخفاء (٢ : ٤٤٥) والصبان فى اسعاف الراغبين المطبوع بجامش نور الأبصار (١٢١) والسهودى المصرى فى جواهر العقدين على ما فى ينابيع المودة .

. (٢٦) والبلخي في بناية المودة (٣٠ و ٢٥ و ١٩١) والقدوسي الحنفي في سنن المدى (٥٦٥) والدهلوبي في تجهيز الجيش (المخطوط ١٤١ و ٣٠٤) وزيني دحلان الشافعى في السيرة النبوية المطبوع بهامش السيرة الخليلية (٣ : ٢٢٠) والبهوبالى في حسن الأسوة (٢٩٢) والإدريسي في رفع اللبس والشبهات (٥٢) والنهاين فى الفتح الكبير (١ : ٢٥٢) وفي الأنوار الحمدية (٤٢٥) وفي الشرف المؤبد (١٧) وفي جواهر البحار في فضائل النبي المختار (١) والحضرمي في رشفة الصادى (٧٠) والحداد في القول الفصل (٤٦٢) والأمر تسري في أرجح الطالب (٢٢٥) والقلندر في الروض الأزهر (٢٥٨) والفقير القاسى في رياض الجنة (١ : ٢) والتونسى في السيف اليماني (١٠)

٣ حديث حذيفة . ذكر ثمانية من المؤلفين أخرج عنه ٤ حديث زيد بن ثابت . عن عشرة منهم ٥ حديث جابر عن عشرين منهم ٦ حديث علي (عليه السلام) عن سبعة منهم ٧ حديث فاطمة (عليها السلام) ومن أخرجه عنها القندوزي في بناية المودة (٤٠).

٨ حديث ابن عباس ومن أخرجه عنه ابن المغازى في المناقب (١٥) والقندوزي في بناية المودة ٩ حديث الحسن بن علي (عليهما السلام) ومن أخرجه عنه القندوزي في بناية المودة (٢٠).

١٠ حديث انس ، أخرجه عنه في البناية (١٩١).

١١ حديث ابو رافع ومن أخرجه عنه الأمر تسري في أرجح المطالب (٢٢٧) ١٢ حديث ابن أبي الدنيا ، ومن أخرجه عنه ابن المغازى في مناقب امير المؤمنين (عليه السلام) ١٣ حديث جبير بن مطعم ومن أخرجه عنه القندوزي في البناية (٣١ و ٢٤٦).

١٤ حديث عبد الله بن حنطسب ومن أخرجه عنه ابن الأثير في اسد الغابة (٣ : ١٤٧) والسيوطى في احياء الميت وابن أبي بكر في مجمع الزوائد (٥ : ١٩٥).

١٥ حديث حمزة الاسلامي ومن أخرجه عنه القندوزي في بنايه (٢٨) والأمر تسري في أرجح المطالب (٥٦٢).

١٦ حديث عبد بن حميد ومن أخرجه عنه القندوزي (٢٨).

١٧ حديث أبي ذر ومن أخرجه عنه الأمر تسري في أرجح المطالب (٢٢٧).

وقد يروى ان الخليفة عمر سأله الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بعد ما يقول  
كتاب الله وعترتي . اما كتاب الله فقد عرفناه فمن عترتك يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فقال : عترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»<sup>(١)</sup> .  
ولا ريب ان اهل بيته هم المعنيون معه في آية التطهير والماهلة واولي الأمر وأشباهها ،  
فهم الائمة الاثني عشر الموصومون والصادقة الطاهرة سلام الله عليهم أجمعين.

١٨ . حديث أبي هريرة ومن أخرجه عنه علي بن أبي بكر في مجمع الزوائد (٩ : ٦٢) والسيوطى في  
احياء الميت المطبوع بهامش الاختاف (١٢٢) والقندوزي في ببابع المودة (٢٩) والأمر تسرى في أرجح المطالب  
(٢٢٧) .

١٩ حديث ام هانى ومن أخرجه عنها القندوزي في الببابع (٤٠) والأمر تسرى في الأرجح (٢٢٧) .

٢٠ حديث ام سلمة ومن أخرجه عنه الأمر تسرى في الأرجح (٢٢٨) .

٢١ حديث محمد بن فلاد ... (٢٤١) .

والى عشرات من أخرجوه عن اصحاب الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بمختلف الألفاظ والمذكور في  
الجميع الثقلين كتاب الله وعترتي ، وفي أكثرها أحدهما أكبر أو أطول أو أعظم أو أتم وهو كتاب الله .  
ومما أخرجوه في تفسير جبل الله بالعترة ما ذكره الشعبي كما في العمدة لأبن بطيق (١٥٠) بسنده متصل  
عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال : نحن جبل الله الذي قال الله تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِجَبَلِ اللَّهِ﴾ .  
واخرج مثله الهيثمي في الصواعق المحرقة (١٤٩) والحضرمي في رشفة الصادي (١٥) والشعابي وقال الإمام  
الشافعى :

ولما رأيت الناس قد ذهب بهم	ما ذاهبهم في أبخر الغي والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا	وهم اهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأنسكت جبل الله وهو ولاءهم	كما قدم أمرنا بالتمسك بالجبل

(١) رواه عنه ابن بابويه في كتاب النصوص على الائمة الاثني عشر .

وعدم افتراقهم عن كتاب الله يعني انهم ليسوا حجة مضادة مفترقة عن كتاب الله فإنهم صادرون عنه ، مما يروى عنهم من خلاف لكتاب نصا او ظاهرا مستقرا ليس ليصدق عليهم.

وعدم افتراق كتاب الله عنهم عام في تأويله ، خاص في تفسيره ، فإنهم معلموا الكتاب بعد الله ورسوله.

والنفل الأصغر حسب ما يروى عن والدهم الأكبر علي امير المؤمنين (عليه السلام) «هم الدعاة وهم النجاة ، وهم أركان الأرض ، وهم النجوم بكم يستضاء ، من شجرة طاب فرعها وزيتونة طاب أصلها ، نبتت من حرم وسقيت من كرم ، من خير مستقر إلى خير مستودع ، من مبارك إلى مبارك ، صفت من الأقدار والأدناس ، ومن قبيح ما يأتيه شرار الناس ، لها فروع لا تنال ، حضرت عن صفاتها الألسن ، وقصرت عن بلوغها الأعناق ، وهم الدعاة وهم النجاة ، وبالناس إليهم الحاجة ، فأخلقوه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهم بأحسن الخلافة فقد أخبركم أيها الثقلان أنهم لن يفترقا هم والقرآن حتى يردا على الحوض فألزموه هم تهدوا وترشدوا ولا تنفرقوا عنهم ولا تتركوه فتفرقوا أو تمرقوا» (١).

(١) شرف النبي لأبي اليقظان أبي الحسن الكازروني ص ٢٨٨ قال : بلغنا عن امير المؤمنين (عليه السلام) في وصية للمسلمين الذين حضروا حين ثقل من الضربة ومن جملة ما قال : وفيكم من تختلف من بينكم (صلى الله عليه وآله وسلم) ما تمسكتم به لن تضلوا ، هم الدعاة ...

ومن ملحقات احقاق الحق (١٤ : ٥٢١ - ٥٢٢) عن الحاكم الحسکاني في شواهد التنزيل (١ : ١٢٠) بسند متصل عن علي (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : من أحب أن يركب سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقى ويعتصم بحبل الله المتنين فليوال عليه ولها ثم بالهدأة من ولده . وفي لفظ آخر روى عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال : نحن حبل الله قال الله : .

وإذا كان الثقل الأصغر هكذا فالأخير . إذا . أثقل وأعلى ، والرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هو رأس الراوية في الثقل الأصغر وهم خليفته في تعليم الثقل الأكبر وتطبيقه .  
ولأن الاعتصام لا بد وان يكون بمعتصم حاضر على مدار الزمن فهو القرآن أولا وأخيرا وليس الثقل الأصغر له دور إلا دور البيان المعصوم والتطبيق المعصوم ، ولا سبيل للوصول إليهم بعد ما قضاوا نحبهم إلا أحاديثهم المروية عنهم ، ولا سبيل للتأكد من صدورها عنهم إلا موافقتها للثقل الأكبر .

ثم الاعتصام . وهو طلب العصمة . بحبل الله طليق في كافة الحقول الحيوية اليمانية والتقوى والإسلامية فردية وجماعية ، فطرية . عقلية . فكرية . ثقافية . عقائدية . خلقية . عملية . سياسية . حرية واقتصادية .

فلا تكفي العقلية الانسانية ان تعصم الإنسان حتى في نفسها فضلا عنسائر الحقول العشرة العشيرة للإنسان في حياته الفردية والجماعية .

والعصمة الطليقة لا تحصل إلا بعصمة المعصوم بالحبل المعصوم ، ثم دونها بعصمة معصومة بالشوري مع تفكير صالح وتطبيق صالح لمرادات الله تعالى .

فلا عصمة في مثلث الإيمان التقوى الإسلام إلا بالاعتصام بحبل الله ، وليس فحسب اعتصاما شخصيا ، ان يتقيع كل في زاويته الخاصة في اعتصامه

«واعتصموا بحبل الله جيئا ...» فالمستمسك بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) المستمسك بالبر فمن تمسك به كان مؤمنا ومن تركه كان خارجا عن الإيمان .  
وروى عن ابن عمر قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال لي جبرئيل : قال الله تعالى : ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي .

بالقرآن ، بل «جميما» في كل حقوله فإن ﴿أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ﴾.

صحيح ان حبل الله . في بعديه . معصوم ، والاعتصام بالمعصوم عاصم ، ولكن الأخطاء العارضة في ذلك الاعتصام لا تجبر في الاكثر إلا بشورى الاعتصام ، فهناك العصمة الكاملة الكافلة لحياة اسلامية سامية ، اللهم إلا اخطاء قليلة لا محيى عنها للمعتصمين غير المعصومين ، مهما جبرت الشورى الصالحة فيه قسما عظيما من تلکم الأخطاء.

وذلك دواء لأواء الفتنة المقبلة علينا وكما في خطبة للرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) «فَإِذَا أَقْبَلَتْ عَلَيْكُمُ الْفَتْنَةُ كَقْطَعِ اللَّيلِ الظَّلِيمِ فَعُلِّيَّكُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ حِلْلَةُ الْمُتَّمِّنِ وَسَبِيلُ الْأَمِينِ لَا يَعُوجُ فِي قَامٍ وَلَا يَزِيغُ فِي سَعْيٍ بَعْدَهُمْ وَلَا تَفَرُّقُوا .. وَلَا تَفَرُّقُوا» في ثالوثه المنحوس : تفرقوا عن حبل الله ، تفرقوا فيه ، وتفرقوا فيما بينكم في ذلك الاعتصام عن حبل الله أو فيه.

فالمتفرقون عن كتاب الله إلى روايات او نظرات او إجماعات وشهرات ، او قياسات واستحسانات او استصلاحات أبدا من مصادر ، هم متفرقون عن شرعة الله المتمثلة ككل في حبل الله.

كما المتفرقون عن الحبل الثاني زعما منهم انه حسبنا كتاب الله . والسنة المباركة لزامه تبيينا وتفسيرا وتأويلا . هم . كذلك . متفرقون عن شرعة الله .

فالاعتصام الوحدوي بالحبلين هو العاصم ، فترك احد الحبلين الى الآخر تفرق عنهم جميعا فإنهما لا يفترقان و «حسبنا كتاب الله» هي كلمة حق أريد بها الباطل ، حق كما قال الله «او لم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم» وباطل حين يراد بها تنحية السنة الرسالية عن الكتاب ، حيث الكتاب الذي هو حسبنا يأمرنا باتباع الرسول ، فالتارك لسنة الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الآخذ بكتاب الله ، كما التارك له الآخذ بسنة الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وآله وسلم) هما من المقتسمين ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِصِيمًا﴾ ، بفارق ان الآخذ بالسنة أضل سبيلا فانها لا تعرف إلا بكتاب الله ، مهمما لم يعرف تأويل الكتاب إلا بالسنة. فالذى يصدق بالملن ، هو . بطبيعة الحال . يصدق بالهامش الذى كتبه الماتن نفسه ، وليس السنة الاسلامية إلا هاماها بيانا من الماتن نفسه.

وان اختلاف الهوامش عن المتون في الكتابات غير الإلهية ، هو قضية اختلاف الماتن والمحضي في النظارات العلمية ، وأما متن الوحي وهامشه فلا فرق بينهما إلا جملة وتفصيلا. لذلك ليست السنة لتناقض الكتاب او تنسخه ، كما التبصرة القانونية لا تنسخ القانون ، وإنما تشرحه وتوضّحه ، مهمما كان من غير المقنن ، فضلا عن السنة الاسلامية التي هي عبارة ثانية شارحة للمقنن!.

ذلك وكما المتفرقون عن حبل الله اعتقادا لطائفة وتركا له لأخرى ، والمتفرقون في حبل الله بشطحات الآراء في تفاسير شاردة ماردة ، والمتفرقون فيما بينهم في مادة الاعتصام وكيفه ، كل أولئك شرع سواء في تركهم الاعتصام بحبل الله جميعا دون طلاق التفرق عنه وفيه وبين ، مهمما اختلفت درجاته.

فكما الله واحد في كافة شئون الربوبية وكل تفرق بشأنه مارد عن توحيده ، كذلك كتابه الكريم واحد في كافة الشئون التربوية ، فكل إلحاد فيه أو إشراك به أو تفرق فيه أو عنه ، كل ذلك مارد شارد.

فالذلة هي لزام المتفرقين في حقل ذلك الحبل ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحْبَلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ فربانية الاعتصام هي التمسك الصالح بكتاب الله ، ثم ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ هو ذو بعدين: الثقل الأصغر<sup>(١)</sup> وهم الناس المعلمون لكتاب

(١) تفسير البرهان ١ : ٢٠٥ محمد بن ابراهيم النعmani المعروف بابن زينب بسنده متصل عن جابر بن -

الله ، والكتلة المؤمنة ككل وهم الناس المتعلمون من الحبلين بجمعية المحاولات والشوراءات في ذلك الاعتصام .

فالعصمة الاسلامية عن كل بأس وبؤس فردي وجماهيري مكفولة على ضوء الاعتصام بحبل الله جميعا دون تفرق ، حيث الحبل في بعديه معصوم ، وجمعية الاعتصام بحبل الله عاصمة ، مهما لم تبلغ هذه العصمة مبلغ العصمة المطلقة للمعصومين ولكنها تبلغ إلى أشرافها حيث تقل الأخطاء في ذلك الاعتصام المشرف .

ذلك «وادكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا» و **﴿يَعْمَلَتِ اللَّهُ﴾** هنا الوحيدة غير الوهيدة هي الوحدة الإيمانية بألفة القلوب ، فقد تألف العقول والعلوم ، والقلوب شتى ، والنصل القرآني هنا يعمد إلى مكمن المشاعر . الأصيل . وهو القلب ، تصويرا للقلوب كحرمة مؤلفة متألفة .

فقد كانوا اعداء متناحرین لا يؤمنون لحياة فألف الله بين قلوبهم بنعمة

. عبد الله الأنصاري قال وفد على رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) اهل اليمن فقال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) جاءكم اهل اليمن بيسون بينما دخلوا على رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال قوم رقيقة لهم راسخ ايمانهم منهم المنصور يخرج في سبعين ألفا ينصر خلفي وخلف وصبي حمائل سيفهم المسك فقالوا يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ومن وصيتك؟ فقال : هو الذي أمركم الله بالاعتصام به فقال عز وجل **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنْقُضُوا﴾** فقالوا يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بين لنا ما هذا الحبل؟ فقال هو قوله **﴿إِلَّا يَجْنِلِ مِنَ اللَّهِ وَجَنِلِ مِنَ النَّاسِ﴾** فالحبل من الله كتابه والحبيل من الناس وصبي فقالوا يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ومن وصيتك؟ فقال : هو الذي انزل الله فيه : **﴿أَنْ تَنْثُولَ نَفْسَنَّ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾** فقالوا يا رسول الله وما جنب الله هذا؟ فقال : هو الذي يقول الله فيه **﴿وَبِيَوْمٍ يَعْصُمُ الظَّالِمُونَ﴾** على يديه **يَقُولُ يَا لَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾** هو وصبي والسبيل إلى من بعدي ...

الوحدة اليمانية المترابطة ف : ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ. وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَنْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَيِّعاً مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٨) . (٦٣)

وعامل التأليف بين قلوبهم بالله هو جبل الله : قرآن محمد و محمد القرآن ، فإنهما يؤلفان بالله بين القلوب الداعية لذكر الله ، الداعية إلى الله ، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ في الله ، تاركين كافة المفارق والمنازعات (١).

فكل وحدة وهيدة زهيدة إلا ما كانت بين القلوب في اعتصام جماهيري بجبل الله ، فلا تنقصم بأي فاصل ، ولا تنقصم او تنقصم بأي قاصم او قاسم.

«واذكروا ... إذ كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ...» وشفا حفرة هو أشرافها ، فان شفى الشيء حرفة وطرفه المائل اليه وقد كانوا على شفا حفر النيران ، في جهالات وشهوات وكل رذالت الحياة ، فليست هذه النار . إذا . نار الدنيا ، بل هي الأخرى (٢) ، فشفاها هي الحياة الدنيا الكافرة ، و ﴿حُفْرَةٌ مِّنَ النَّارِ﴾ هي النار البرزخية ومن وراءها الأخرى ، وليس بين شفاها

(١) المصدر في كتاب كمال الدين وقام النعمة بسند متصل عن علي (عليه السلام) قال لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمنا المداة أم غيرنا؟ قال : بل منا المداة الى الله إلى يوم القيمة ، بنا استنقذهم الله عز وجل من ضلاله الشرك ، وبنا استنقذهم الله من ضلاله الفتنة ، وبنا يصبحون إخوانا بعد ضلاله الفتنة كما بنا أصبحوا إخوانا بعد ضلاله الشرك وبنا يفتح الله كما بنا يفتح الله.

(٢) نور الثقلين ١ : ٢٧٩ في كتاب ثواب الأعمال عن رجل عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قال امير المؤمنين (عليه السلام): أصبح عدونا على شفا حفرة من النار قد انحررت به نار جهنم فتعسا لأهل النار مثواهم.

وحرقها إلا فاصل الموت ، وقد شبه هنا المشفي . بسوء عمله . على دخول النار ، بالمشفي . لزلة قدمه . على الوقوع في النار ، استعارة لطيفة ما ألطفها : «أَفَمَنْ أَسْسَ بِنَانِهِ عَلَى شَفَاءِ جُرْفٍ هَارٍ فَاهْكَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمْ» (٩ : ١٠٩) وضمير التأنيث في «منها» راجع إلى ثالوث : شفاء . حفرة . من النار . إذ نجاهم الله منها كلها ، أو ان **﴿حُفْرَةٌ مِّنَ النَّارِ﴾** تعم النارين ، فال الأولى هي العقبات السوء إلى الأسوء فالأسوء ، حيث المجتمع المبني على شتات القلوب والأهواء ليس . على أية حال . إلا في نار هي شفاء حفرة من نار هي أحمر وأشجع ، حتى يسقطوا في هوات النار الأخرى .

فالحياة اللامانية ، بل واللامانية غير المعتصمة جمِيعاً بجبل الله ، إنما حياة رذيلة على أشراف سقطات في حفر النيران ، اللهم إلا انتصاماً بجبل الله جميعاً **﴿بِجَبَلٍ مِّنَ اللَّهِ وَبَحْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾** و **﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾**.

فيما لها نعمة ما أعظمها إن يخرجوا منها إلى غيرها وما لها مصيبة إن لم يؤمنوا بها فيرغبو عنها <sup>(١)</sup> ، ولقد أنقذنا الله تعالى من نار الدنيا والآخرة بجبله المتين القرآن المبين والرسول الأمين ، ولعمر محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لم تنزل «محمد» في لفظ التنزيل <sup>(٢)</sup> مهما كان وارداً في واقع التأويل .

**فحياة التكليف غير المعتصمة بجبل الله جميعاً هي **﴿شَفَا حُفْرَةٌ مِّنَ النَّارِ﴾****

(١) المصدر عن كشف المهجة لأبن طاوس عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه : وأما الآية التي عم بها العرب فهو قوله : **﴿وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ...﴾** فيا لها ... .

(٢) المصدر في روضة الكافي بسند متصل عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية ... . فأنقذكم منها محمد هكذا والله نزل بها جرئيل (عليه السلام) على محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) !.

و ﴿شَفَا جُرُفٍ هارِ فَأَهْارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ في شطري البرزخ والقيامة.

### قول فصل حول حديث الثقلين :

اولية الثقل الأكبير وكونه أفضل وأكبر وأعظم من الثقل الأصغر هي في الكيان ، وأطoliniته في الزمان ، والأخيرة باهرة حيث لا افول للقرآن والثقل الأصغر ميتون ف ﴿إِنَّكَ مَيَّتُ وَإِلَّا هُمْ مَيِّتُونَ﴾.

واما التفاضل في الكيان فقد يعني منه معنيان :

١ محمد صلى الله عليه وآلها وسلم وهو رأس الزاوية في الثقل الأصغر ، هو قبل هذه العصمة الإلهية عصم بعصمة بشرية ، مزودة بهدي رباني من روح القدس ، ثم عصم بعصمة ربانية قمة متصلة بقلبه ومنفصلة بحامل الوحي ، ومن ثم بعصمة وحي القرآن والسنة ، ووحي القرآن دون ريب هو أثقل من كل العصم التي تزود بها فانهما كمقدمات وتهيئات والعصمة القرآنية هي الغاية القصوى .

إذا فالقرآن هو الثقل الأكبير ومحمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الأصغر ، طالما الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بما حوى قلبه القرآن بكل حلقاته وحقوله ، هو أكبر من احد الثقلين ، إلا ان حديث الثقلين يعني المقارنة بين الكيانين .

٢ ان العصمة الإلهية هي أثقل من العصمة البشرية في كل دور من ادورها ، فضلا عن مثلها ، فهي - إذا . أكبر منها على أية حال ، ومهما كان مجمع الثقلين أفضل من كلّ منهما ولكن الثقل الأكبير لا ريب انه أطول وأدوم .  
فلا ملجاً زمن غيبة الثقل الأصغر إلا الثقل الأكبير ، ثم الأصغر يعرف موافقة الأكبر ، «وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

فالأصغر لن يفترق عن الأكبر فان عصمته العلمية ليست إلا بالأكبر ، وبلاه الرسالي ليس - في الأصل - إلا عن الأكبر ، وسناده في كل قليل وجليل ليس إلا إلى الأكبر ، وهو يعيش الثقل الأكبر في النشأت الثلاث.

والأكبر لن يفترق عن الأصغر حيث يأمر بالرجوع إلى الأصغر ﴿أطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْكُمْ﴾ وانه لا يعرف تأويلاً وماخذ أحکامه إلا الأصغر ، ولا يحكم به عاصماً معصوماً إلا الأصغر ، ولا ينذر به ويدرك كأكمل ما يرام إلا الأصغر .  
فليس يعني عدم افتراق الأكبر عن الأصغر انه - ككل - لا يفهم إلا بتفسير الأصغر ، لأنه بيان للناس ، فإنما الألائق لتبينه وتطبيقه والحكم به ، واللائق لتأويله هو الأصغر ، وحين لا يكون الثقل الأصغر ثقلاً لو افترق عن الأكبر فما ذا تكون أحوال سائر الأمة المفترقة عن الثقل الأكبر .

إن افتراق الحوزات الإسلامية عن الثقل الأكبر ملموس محسوس ككل ، ثم المدعون اتصالهم بالثقل الأصغر خاون فانه لا يعرف إلا بالعرض على الأكبر ، إذا فهم تاركوا الحبلين ، حبل من الله : القرآن ، وحبل من الناس هم أهل بيت القرآن .  
و «ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابدا» تحكم بضلالنا إذ تركنا التمسك بهما إلى مستمسكات أخرى هي ويلات على الأمة الإسلامية السامة .  
و «لن يفترقا» ليست لتعني افتراقا في السلطة الروحية الزمنية حيث ينتقص بزمن الغيبة ، إنما هو افتراق وحي الكتاب عن وحي السنة ، فالسنة لا تفترق عن الكتاب فانها الوحي الفرع الهامش المفسر والمأول للوحي الأصل ، وهي مستفادة من القرآن ، فلا تنسخه او تخالفه .

والكتاب لا يفترق عن السنة لأنه الذي يأمر باتباع السنة وان الرسول

(صلى الله عليه وآلہ وسلم) هو المذکور بالقرآن ﴿فَدَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدٍ﴾.

لقد كان الرسول (صلى الله عليه وآلہ وسلم) صاحب الحبلين ، فخلف عن الأصغر .

وهو نفسه . عترته ، وخلف عن الأكبر . وهو القرآن . نفسه ، إذ لا بديل عنه ، وإنما البديل في غير الأصيل الذي يعرضه الموت دون القرآن الذي يجري كجري الشمس .

وإن الذلة مضروبة على كل أمة رسالية ﴿إِلَّا بِجَبَلٍ مِّنَ اللَّهِ وَجَبَلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ فالحبل الأول هو الحبل الرسالي الذي يحمله وحي الله ، والثاني هو الرسولي الذي يحمله رسول الله (صلى الله عليه وآلہ وسلم) ومن ثم عترته ، ثم المؤمنون بالرسالة حيث كان ﴿أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾.

فلا حياة صالحة إيمانية إلا بالاعتصام بالحبلين الربانيين ، ونحن تركناهما إلى حبال متفرقة متشتتة! .

فالاعتصام بغير المعصوم مأثور ، والاعتصام بالمعصوم بقسمة العضين مأثور ، والاعتصام بأحد الثقلين دون الآخر مأثور ، والاعتصام بالثقلين دون جمعية فيه وفي الجماعة المسلمة كما في جمعية حبل الله ، مأثور ، فاما الاعتصام العاصم المعصوم هو الاعتصام بحبل الله جميعا دون اي تفرق عنه او فيه او بين المعتصمين ، فإن حبل الله يجمع المعتصمين به ولا يفرق ، إذا اعتصموا به كما يحق ، تحرريا عن مرادات الله ، دون تحميل ولا تدجيل.

لقد روى حديث الثقلين عن الرسول (صلى الله عليه وآلہ وسلم) في ستة مواضع : يوم عرفة على ناقته القصوى وفي مسجد خيف وفي خطبة يوم الغدير في حجة الوداع ويوم قبض في خطبته على المنبر وفي بيته عند وفاته ، وعند

رجوعه عن سفر له ، ويا لها من مواضع هامة عامة تضم الغفير من المسلمين !<sup>(١)</sup>.  
 ومن ألفاظه «عن أبي سعيد الخدري عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) انه قال :  
 اني أوشك ان ادعى فأجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب الله حبل ممدود  
 من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإن

(١) كما في المناقب في كتاب سليم بن قيس قال علي (عليه السلام) ان الذي قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يوم عرفة على ناقته القصوى وفي مسجد خيف ويوم الغدير ويوم قبض في خطبته على المنبر ايها الناس اني تركت فيكم الثقلين ان تضلوا ما تمسكتم بهما الأكبر منها كتاب الله والأصغر عترتي اهل بيتي وان اللطيف الخبير عهد الي انكم لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كهاتين وأشار بالسبعين ... وفي ملحقات الاحراق ٢٥٤ ومن ألفاظ الثقلين ، رواه زيد بن أرقم قال : اقبل رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يوم حجة الوداع فقال : إني فرطكم على الحوض وانكم تبعي وانكم توشكون ان تردوا علي الحوض فأسألكم عن ثقلي كيف خلفتموني فيها فقام رجل من المهاجرين فقال : ما الثقلان؟ قال : الأكبر منها كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسکوا به ، والأصغر عترتي فمن استقبل قبلي وأجاب دعوي فليس متوص لهم خيرا او كما قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) «فلا تقتلوهم ولا تقهروهם ولا تقصرعوا عنهم واني سألت لهم اللطيف الخبير فأعطاني ان يردوا علي الحوض كهاتين وأشار بالسبعين ، ناصرهما الي ناصر وخاذلهما الي خاذل ووليهما الي ولية عدوهما الي عدو». (ملحقات ٩ : ٣٢٧).

واخرج الطبراني عن زيد بن أرقم قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) اني لكم فرط وانكم واردون علي الحوض فانظروا كيف تختلفون في الثقلين قيل : وما الثقلان يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال : الأكبر كتاب الله عز وجل طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسکوا به لن تزالوا ولا تضلوا والأصغر عترتي وانكم لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وسائلت لهم ذلك ربي فلا تقدموهما لتهلكوا ولا تعلموهما فإنكم اعلم منكم.

وفي حديث جابر قال أخذ النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بيد علي والفضل بن عباس في مرض وفاته فاعتمد عليها حتى جلس على المنبر فقال : ايها الناس قد تركت فيكم ما ان تمسکتم به لن تضلوا كتاب الله.

اللطيف الخبير أخربني أنهم لـن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تختلفون فيهمـا .  
ومنها ما رواه عنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قـال : خـرج عـلـيـنـا رـسـولـا اللـهـ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فـي مـرـضـهـ الـذـي تـوـفـيـ فـيـ وـحـنـ فـيـ صـلـاـةـ الـغـدـاـ فـقـالـ : إـنـيـ تـرـكـتـ فـيـكـمـ كـتـابـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ وـسـنـتـيـ فـاسـتـطـقـوـ الـقـرـآنـ بـسـنـتـيـ فـانـهـ لـنـ تـعـمـىـ اـبـصـارـكـمـ وـلـنـ تـنـزـلـ أـقـدـامـكـ وـلـنـ تـقـصـرـ أـيـدـيـكـمـ مـاـ أـخـذـتـ بـهـمـاـ ثـمـ قـالـ : أـوـصـيـكـمـ بـهـذـينـ خـيـراـ .

ولقد بلـغـتـ الأـهـمـيـةـ الـكـبـرـيـ الرـسـالـيـةـ فـيـ حـدـيـثـ التـقـلـيـنـ لـهـ يـكـرـرـهـ الرـسـوـلـ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فـيـ تـلـكـمـ الـمـجـامـعـ السـتـةـ أـخـيرـتـهـ فـيـ خـطـبـتـهـ يـوـمـ وـفـاتـهـ ثـمـ فـيـ بـيـتـهـ ، وـنـحـنـ نـعـلـمـ أـنـهـ لـمـ يـكـتـبـ فـيـ شـيـءـ مـنـ مـهـاـمـ الدـيـنـ إـلـاـ بـعـضـ كـتـابـاتـهـ إـلـىـ الـأـمـرـاءـ وـالـمـلـوـكـ دـعـوـةـ إـلـىـ إـلـيـسـلـامـ ، ثـمـ نـرـاهـ يـطـلـبـ أـنـ يـكـتـبـ عـنـدـ وـفـاتـهـ كـمـ تـوـاتـرـ عـنـهـ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : «ـلـمـ حـضـرـ رـسـوـلـ اللـهـ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الـوـفـاـةـ وـفـيـ الـبـيـتـ رـجـالـ فـيـهـمـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ قـالـ الـنـبـيـ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : هـلـمـ اـكـتـبـ لـكـمـ كـتـابـاـ لـاـ تـضـلـوـ بـعـدـهـ فـقـالـ عـمـرـ : إـنـ النـبـيـ قدـ غـلـبـ عـلـيـهـ الـوـجـعـ وـعـنـدـكـمـ الـقـرـآنـ حـسـبـنـاـ كـتـابـ اللـهـ ، فـاـخـتـلـفـ أـهـلـ الـبـيـتـ فـاـخـتـصـمـوـاـ مـنـهـمـ مـنـ يـقـولـ : قـرـبـواـ يـكـتـبـ لـكـمـ النـبـيـ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كـتـابـاـ لـاـ تـضـلـوـ بـعـدـهـ وـمـنـهـمـ مـنـ يـقـولـ : مـاـ قـالـ عـمـرـ فـلـمـ أـكـثـرـوـ الـلـغـوـ وـالـخـلـافـ عـنـدـ النـبـيـ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قـالـ هـلـمـ رـسـوـلـ اللـهـ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : «ـقـوـمـوـاـ»ـ (١)ـ .

(١) أـخـرـجـهـ الـبـخـارـيـ فـيـ بـابـ قـوـلـ الـمـرـيضـ : قـوـمـوـاـ عـنـيـ ، كـتـابـ الـمـرـضـ (٤ : ٥) وـفـيـ كـتـابـ الـعـلـمـ (١ : ٢٢) وـبـعـضـ الـأـجـزـاءـ الـأـخـرـ مـنـ صـحـيـحـهـ وـأـخـرـجـهـ مـسـلـمـ فـيـ آـخـرـ الـوـصـاـيـاـ مـنـ صـحـيـحـهـ وـرـوـاهـ اـحـمـدـ مـنـ حـدـيـثـ اـبـنـ عـبـاسـ فـيـ مـسـنـدـهـ وـكـذـلـكـ سـائـرـ اـصـحـابـ الـسـنـنـ وـسـنـدـ الـبـخـارـيـ هـكـذـاـ : إـلـىـ عـبـيدـ اللـهـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ عـتـبـةـ بـنـ مـسـعـودـ عـنـ اـبـنـ عـبـاسـ ، وـرـوـىـ الـبـخـارـيـ فـيـ بـابـ جـوـائزـ الـوـفـدـ مـنـ .

ومن حديث امير المؤمنين علي (عليه السلام) قال : لما ثقل رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وـسـلمـ) في مرضه والبيت غاصـ بنـ فيهـ قالـ : ادعـ لـيـ الحـسـنـ وـالـحـسـيـنـ فـجـاؤـاـ فـجـعـلـ يـلـشـمـهـماـ حـتـىـ أـغـمـيـ عـلـيـهـ فـجـعـلـ عـلـيـهـ (عليـهـ السـلـامـ) يـرـفـعـهـمـاـ عـنـ وـجـهـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) فـفـتـحـ عـيـنـيـهـ وـقـالـ : دـعـهـمـاـ يـتـمـتـعـ مـنـيـ وـأـقـتـعـ مـنـهـمـاـ فـسـتـصـبـيـهـمـاـ بـعـدـيـ أـثـرـةـ ثـمـ قـالـ : إـيـهـاـ النـاسـ قـدـ خـلـفـتـ فـيـكـمـ كـتـابـ اللهـ وـسـنـتـيـ وـعـتـرـيـ اـهـلـ بـيـتـيـ فـالـمـضـيـعـ لـكـتـابـ اللهـ تـعـالـىـ كـالـمـضـيـعـ لـسـنـتـيـ وـالـمـضـيـعـ لـعـتـرـيـ أـمـاـ إـنـ ذـلـكـ لـنـ يـفـتـرـقـ حـتـىـ الـلـقـاءـ عـلـىـ المـحـوـضـ (١ـ).

ومن حديث فاطمة الزهراء (عليها السلام) قالت سمعت أبي (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) في مرضه الذي قبض فيه يقول : . وقد امتلأت الحجرة من أصحابه . أيها الناس يوشك أن أقبض قبضا سريعا وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم ألا إني مختلف فيكم كتاب ربِّي عز وجل وعترتي أهل بيتي ثم أخذ ييد علي فقال : هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي المحوض فأسألكم ما تختلفون فيهما» (٢ـ).

كتاب الجهاد والسير من صحيحه (٢ : ٧) قال حدثنا قبيضة ابن عيينة عن سلمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال : «يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى خضب دمه الخصباء فقال : اشتد برسول الله (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) وجعه يوم الخميس فقال : اثنويني بكتاب اكتب لكم كتابا لن تتضلووا به ابدا فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا : هجر رسول الله (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) قال (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) دعوني فالذى انا فيه خير مما تدعوني اليه.

(١ـ) المصدر ٣٥٢ـ.

(٢ـ) المصدر ٣٥٤ـ.

ومن حديث ابن عباس ان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) رجع من سفر له وهو متغير اللون فخطب خطبة بلغة وهو يبكي ثم قال : ايها الناس قد خلفت فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي وارومتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض ألا وإنني أنظرهما ألا وإنني أسألكم يوم القيمة في ذلك عند الحوض ألا وإنه سترد علي يوم القيمة ثلث رايات من هذه الامة راية سوداء فأقول : من أنتم فليسون ذكري فيقولون نحن أهل التوحيد من العرب فأقول : أنا محمد نبي العرب والعجم فيقولون : نحن من أمتك فأقول : كيفخلفتموني في عترتي وكتاب ربى فيقولون : أما الكتاب فضيعنا وأما عترتك فحرصنا على أن نبيدهم فأولى عنهم فيصدرون عطاشا قد اسودت وجوهم ، ثم ترد راية أخرى أشد سودا من الأولى فأقول لهم : من أنتم؟ فيقولون كالقول الأول نحن من اهل التوحيد فإذا ذكرت اسمي قالوا : نحن من أمتك فأقول : كيف خلفتموني في الثقلين كتاب الله وعترتي؟ فيقولون : أما الكتاب فالخالفة ، وأما العترة فخذلنا ومزقناهم كل ممزق فأقول لهم : إليكم عني فيصدرون عطاشا مسودة وجوههم ، ثم ترد راية أخرى تلمع نورا فأقول : من أنتم؟ فيقولون : نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى نحن أمة محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ونحن بقية أهل الحق حملنا كتاب ربنا وأحللنا حلاله وحرمنا حرمه وأحببنا ذريته محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فنصرناهم من كل ما نصرنا به أنفسنا وقاتلنا معهم وقتلنا من نواههم فأقول لهم : ابشروا فانا نبيكم محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ولو كنتم كما وصفتم ثم اسقفهم من حوض فيصدرون رواء ألا وان جبرئيل اخبرني بان امي تقتل ولدي الحسين بأرض كرب وبلاء الا ولعنة الله على ما قاتله وخاذله ابد الدهر.

ومن حديث الحسن بن علي (عليهما السلام) في خطبة له قال خطب جدي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يوما فقال بعد ما حمد الله واثنى عليه ،

معاشر الناس إني ادعى فأجيب ، واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ان تمسكتم بهما لن تضلوا وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فتعلّموا منهم ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم ولا تخليوا الأرض منهم ولو خلت لانساخت بأهلها ثم قال : اللهم إنك لا تخلي الأرض من حجة على خلقك لعنة تبطل حجتك ولا تضل أولياءك بعد إذ هديتهم أولئك الأقلون عددا والأعظمون قدرًا عند الله عز وجل ولقد دعوت الله تبارك وتعالى أن يجعل العلم والحكمة في عقبي وعقب عقي وفي زرع زرعني إلى يوم القيمة فاستجيب لي»<sup>(١)</sup>.

ولأن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والائمة من آل الرسول هم مجمع الثقلين فهم إذا . أفضل من أحدهما وكما يروى عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) أفضل لكم من كتاب الله لأنه مترجم لكم عن كتاب الله»<sup>(٢)</sup>.

ذلك ولكن الرسول وعترته دون القرآن هم دون القرآن كما القرآن دونهم هو فوقهم .  
هذا الثقلان هما المثقلان المعتصمين بهما جمیعا عن كل خفة واستخفاف فكما «المؤمن كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف» كذلك . وبأحرى . الامة المعتصمة بحبل الله جمیعا ، وهو الثقلان ، لا يستخفها مستخف.

(١) المصدر . ٣٥٧

(٢) تفسير البرهان ١ : ٢٨

وَكُلَّمَا كَانَ الاعتصامُ أَقْوَمَ كَانَ ثَقْلُ الْأُمَّةِ أَعْصَمُ ، وَإِلَى الْقَمَةِ الْعُلِيَا فِي زَمْنِ الْقَائِمِ  
الْمَهْدِي عَجَلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرْجَهُ الشَّرِيفِ .

فَإِنَّهُ مِنَ الثَّقْلَيْنِ ، يَحْكُمُ الثَّقْلَ الْأَكْبَرِ وَهُوَ مِنَ الْأَصْغَرِ ، فَلَا تَبْقَىْ . إِذَا . أَرْضَ إِلَّا  
نُودِيَ فِيهَا بِالْتَّوْحِيدِ وَالرِّسَالَةِ الإِسْلَامِيَّةِ .

إِنَّ آيَةَ الاعتصامِ هِيَ الْقَمَةُ فِي مَحَاوِرِ الْأَمْرِ الْمُؤْكَدِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي تَتَبَعَّنِي قَوْةً  
الْمُؤْمِنِينَ ، فَتَنَقْوِيُّ اللَّهِ حَقَّ تَقَاتِهِ غَيْرُ مَيْسُورَةٍ إِلَّا بِذَلِكِ الاعتصامِ ، وَحِينَ تَتَنَفَّلُتِ أَفْرَادُ مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ أَوْ جَمَاعَاتٍ عَنْ ذَلِكِ الاعتصامِ فَهُنَّ أَمْرٌ وَقَائِيٌّ لِلْحَفَاظِ عَلَى ذَلِكِ الاعتصامِ الَّذِي  
يَحْتَضِنُ حَقَّ تَقَاتِهِ اللَّهُ ، وَقَدْ تَكَفَّلَتِهِ هُنَّا آيَاتٌ فَرِضَ لِمُلْكَتِ الدُّعَوَةِ إِلَى الْخَيْرِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ  
وَالنَّهِيِّ عَنِ الْمُنْكَرِ بِفَصْلِ آيَاتٍ خَمْسٍ فِيهَا تَنْدِيَدَاتٌ شَدِيدَةٌ بِالْمَسْوَدَةِ وَجُوهَهُمُ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ  
جَبَلِ اللَّهِ .

**﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ  
هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** (١٠٤).

**﴿مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾** فِي تَكَوِينِ هَذِهِ الْأُمَّةِ دَلِيلُ الْكَفَائِيَّةِ فِي ذَلِكَ الْفَرْضِ الْجَمَاهِيرِيِّ وَقَائِيَّةُ  
لِلَّامَةِ كُلَّهُ عَنْ كُلِّ تَشَرُّدٍ وَتَخْلُفٍ ، وَحِمَايَةُ لِتَحْقِيقِ الْوَاجِبَاتِ الْفَرْدِيَّةِ وَالْجَمَاعِيَّةِ ، حِيثُ  
التَّخْلُفُ هُوَ طَبِيعَةُ الْحَالِ فِي أَيَّةِ امَّةٍ مِنَ الْأُمَّمِ ، فَوَاجِبُ الْوَقَايَةِ لَهُمْ يَفْرَضُ عَلَيْهِمْ تَكَوِينُ أُمَّةٍ  
دَاعِيَّةٍ إِلَى الْخَيْرِ آمِرَةٌ بِالْمَعْرُوفِ نَاهِيَّةٌ عَنِ الْمُنْكَرِ «وَأُولَئِكَ» الْأَرْكَامُ دَاعِيَّةٌ وَمَدْعَوَيَّةٌ **﴿هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ﴾**.

وَخُطَابُ «وَلْتَكُنْ» هُوَ مَوْجَهٌ إِلَى كَافِةِ الْمُؤْمِنِينَ ، دُونَ خَصُوصِ الدَّاعِيِّينَ لِمَكَانٍ  
«مِنْكُمْ» فَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ كُلِّهِمْ تَكَوِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ أَنفُسِهِمْ ، اِنتِخَابًا لِنَخْبَةٍ صَالِحةٍ إِنْ كَانَتْ  
كَائِنَةً ، اِمْ تَكَوِينَا لَهَا . اِنْ لَمْ تَكُنْ . قَدْرُ الْكَفَائِيَّةِ لِوَاجِبِ الدُّعَوَةِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهِيِّ .  
وَقَدْ تَعْنِي «مِنْ» هَنَا التَّبَيِّنُ إِلَى جَانِبِ التَّبَيِّنِ ، تَبَيِّنُ بِالنِّسْبَةِ

للمسلمين أنفسهم ، وتبيننا بالنسبة لكافة المكلفين ، ان يكون المؤمنون أنفسهم ككل دعاء الناس إلى الخير ثم أمرا بالمعروف ونها عن المنكر .

فواجب الدعوة والأمر والنهي في الوسط الإسلامي كفائى ، وفي الوسط العالمي عيني إذ لا كفاية في دعوة البعض ، ولا أقل من أن يكونوا دعاة الناس بغير ألسنتهم ، وأمثلolas الحق بأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم .

وواجب التكوين ذو بعدين اثنين ان يصنع كل نفسه لصالح الدعوة ويصنع آخرين لها أو يدعوهم لذلك الصالح الجماهيري ، تواصيا بينهم بذلك الحق الحقيق بالتواصي كرأس الراوية في التواصي الإيماني السامي .

و «الخير» المدعو إليه هنا هو خير الإيمان والتقوى والإسلام المتبنية خير الاعتصام بجبل الله جيئا دون تفرق ، والجامع لها على حد قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) «إتباع القرآن وسنّتي»<sup>(١)</sup> الذي يتوحد في الاعتصام بجبل الله جيئا دون تفرق ، فكما حبل الله واحد في أصله ، كذلك الخير ، فأصل الخير هو حبل الله كما ان حبل الله هو الخير .

ثم الخير هنا مبتدء بالسلب وهو ترك ما ينحر الاعتصام بجبل الله ، ومحظتم بالإيجاب وهو نفس الاعتصام ، وهكذا يكون كل خير كما ومبتدء كل خير هو المركب من السلب والإيجاب : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ .

إذا ف «الخير» تعم خيرا ثقافيا . عقيديا . خلقيا وعمليا ، إيجابا للواجبات وسلبا للمحرمات ، وهذا هو رأس الزاوية في «الحافظين لحدود الله» ثم يأتي

(١) الدر المنشور ٢ : ٦٢ . اخرج ابن مردويه عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال : قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿وَلَنْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ..﴾ ثم قال : الخير اتباع القرآن وسنّتي .

دور الأمر والنهي بشروطهما المسوقة في الكتاب والسنّة ، فلا أمر ولا نهي قبل الدعوة الصالحة إلى الخير ، ف ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُوعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ﴾ (٢٥ : ١٦).

وأيم الله إن هذه لآل محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ومن تابعهم يدعون إلى الخير ويأمرون وينهون عن المنكر <sup>(١)</sup> دون هؤلاء الذين يجب ان يدعوا الى الخير ويؤمروا وينهوا.

ولقد أمضينا القول الفصل حول هذين العmadين الإسلاميين على ضوء قوله تعالى

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ و ﴿لَا تَقْرُبُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ واضرابهما فلا نعيد <sup>(٢)</sup>.

والجدير بالذكر هنا ضرورة الطاقة القوية الصامدة في هذه الأمة الداعية الامرة الناهية ،

ولا سيما الآخريان ، حيث إن القضية الطبيعية للأمر والنهي هي السلطة الصالحة لتنفيذها قدر المقدور .

لا أقول إنها هي السلطة الزمنية ، فقليل هؤلاء المرسلون والذين معهم لهم تلك السلطة ، وواجب الدعوة والأمر والنهي كان عليهم لزاماً أولياً.

إنما أقول ، هي الطاقة النفسية والثقافية أماهية من طاقات تسمح لتلك الدعوة الصارمة والأمر والنهي من وراءها.

فهذه الزوايا الثلاث الحمّلة على تلك الأمة ليست باليسيرة الهينة ، حيث

(١) نور الثقلين في تفسير علي بن ابراهيم في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليهما السلام) في الآية : فهذه ..

(٢). الفرقان ١ : ٣٧٣ - ٣٨٥ و ٢٨ : ٢٩٨ - ٣٠١ .

تصطدم بطبيعة الحال بشهوات الناس وزواهم ومصلحياتهم ، بغرورهم وكبرياتهم ونحوهم ، وفيهم جبارون غاشمون ، والهابطون الكارهون لكل صعود روحي او عملي ، وفيهم المسترخي المهمل الكاره لكل جد وشتداد ، فلتزود تلك الأمة بكل قوة وسداد ، وهزم واجتهد واستعداد لمواجهة المكاره المضنية والمعارك الدموية ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾.

وعقيبة الآية هذه الواصفة لهذه الأمة الداعية بالإفلاح ، هي من عساكر الدلائل على اشتراط المعرفة بالخير و فعل المعروف وترك المنكر للداعي الأمر الناهي ، فان فقدها أم فقد أحدها ليس من المفلحين ، بل هو من الفالجين المفلجين! .

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاحْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٥).

﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ عن جبل الله ، وعن الاعتصام في الاعتصام به «واختلفوا» فيما بينهم عن جمعية الاعتصام ، اعتصاما بجبل وتركا لا آخر ، ام تبعيضا في كل جبل كتابا وسنة ، وذلك السقوط الجارف الخارف ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الداعية إلى الوحدة الإيمانية الجماهيرية ، وأية بيّنة أبين من بيّنة الوحي الصارم وهو جبل الله المعتصم به ممن أراد الاعتصام.

«وأولئك» الحماقى البعاد ﴿لَمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الأولى والأخرى ، إذ يعيشون شفا حفرة من النار ... أجل وإن الاختلاف في المذاهب هو نتيجة طبيعية للتفرق عن جبل الله ، أن يتخذ كل لنفسه وذويه مذهبا يعتبره كأنه الإسلام كله وما سواه كفر ، وكما ابتليت الأمة الإسلامية كالذين من قبلهم بذلك فاختلفوا بعد ما تفرقوا أيادي سبا ، وفصلت بينهم شتى المذاهب واستعبدتهم السلطات الاستعمارية ، فأصبحت الأمة الإسلامية على سعتها وسيادتها شذر مذر أيادي

سبا! وقد تواتر عن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إنباءه عن افتراق الأمة الإسلامية إلى ثلات وسبعين فرقة واحدة منها ناجية وهي الجماعة<sup>(١)</sup> تعني المعتصمين بحبل الله جيما ، دون أية جماعة فان كل فرقة جماعة لا محالة ، فالفرقة المعتصمة بحبل الله في ثقليه هي الفرقة الناجية ، وغيرها من الفرق غير ناجية! مهما كانت سنة او شيعة ، ف ﴿نَّيْسَ إِلَّا مَا يَنْتَكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٤) .

(١٢٣).

وفي أخرى ان الواحدة ما انا عليه اليوم واصحابي<sup>(٢)</sup> وهم الذين معه في حمل هذه الرسالة السامية بخدايرها.

(١) الدر المنشور ٢ : ٦٢ . أخرج أحمد وأبو داود والحاكم عن معاوية قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إن أهل الكتاب تفرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة وتفترق هذه الأمة على ثلات وسبعين ملة كلها في النار لا واحدة وهي الجماعة ويخرج في امتى أقوام تتجارى تلك الأهواء بهم كما يتتجارى الطلب بصاحبها فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله ، وفيه عن انس عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في لفظ آخر قال : الجماعة

الجماعات.

(٢) المصدر اخرج الحاكم عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يأني على امتى ما أتى على نبي إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين ملة وتفترق امتى على ثلات وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة فقييل له ما الواحدة؟ قال : ما انا عليه اليوم واصحابي.

في ملحقات احقاق الحق (٧ : ١٨٤) الشيخ حسين الصيمرى في الإلزام قال روى الحافظ أحمد بن موسى الشيرازي . الى ان قال . : رروا عن انس بن مالك قالوا كما جلوسا عند رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ... فقال : يا أبا الحسن إن امة موسى افترقت على إحدى وسبعين فرقة فرق ناجية والباقيون في النار وان امة عيسى افترقت على ثنتين وسبعين فرقة فرق ناجية والباقيون في النار وستفترق امتى على ثلات وسبعين فرقة فرق ناجية والباقيون في النار فقلت يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فما الناجية؟ قال : المستمسك بما أنت وشيعتك وأصحابك ...

ومن أخرجه علي بن عبد العال الكركي في نفحات اللاهوت (٨٦) والتونسي الشهير بالكاف في السيف اليماني المسنون (١٦٩).

وفيه (١٤ : ٥٩٦) الحاكم الحسكنى في شواهد التنزيل (١ : ٦٨) أخبرنا محمد بن علي بن محمد .

وترى التفرق والاختلاف في الفروع الأحكامية لاختلف في تفهم البيانات ، ولأن المجتهدين ليسوا بمعصومين ، هل هو داخل في تحديد العذاب الأليم؟.

كلاً ، وإنما هو التفرق عن حبل الله والاختلاف فيه أو عنه بعد البيينة علما وعثوا وقصيراً ، وأما القصور بعد صالح الجهد والاجتهاد . جمعا بين جمعية الاعتصام التي تضمن شورى بينهم . فلا ، بل هو مشكور محبور مهما كان للمخطئ غير المقصري أجر واحد وللمصيب أجران.

**﴿يَوْمَ تَبْيَضُ وُجُوهٌ وَتَسُودُ وُجُوهٌ فَمَا الَّذِينَ اسْوَدُتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَدُوقُوا الْعَذَابَ إِمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١٠٦)**

هنا اسوداد خاص للوجوه الخصوص ، هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم اهل كتاب او مسلمين حيث تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيانات ، وهي ضمن سائر الوجوه الكافرة ، ومن العجب أن كل مذهب يذهب الى ان غيره من المسودة وجوههم باختلاف روايات وتكلف تأويلات <sup>(١)</sup> تفرقوا في ذلك

. المقرى ان أبي قال : ... عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال قال لي سلمان الفارسي ما طلعت على رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يا أبا الحسن وانا معه إلا ضرب بين كتفي وقال : يا سلمان هذا وحربي هم المفلحون.

وفي لفظ آخر عن سلمان الخبر فقال يا أبا الحسن قلما أقبلت أنت وانا عند رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلا قال : يا سلمان هذا وحربي هم المفلحون يوم القيمة.

ورواه عن الحسن حسين بن الحكم الجري وأبو القاسم سهل بن محمد بن عبد الله مثله.

(١) الدر المنشور ٢ : ٦٢ . اخرج الخطيب في رواة مالك والديلمي عن ابن عمر عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في الآية قال : تبيض وجوه اهل السنة وتسود وجوه اهل البعد ، وفيه اخرج ابو نصر السنجري في الامانة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فرأى هذه الآية قال : تبيض وجوه اهل الجماعات والسنة وتسود وجود اهل البعد والأهواء.

أقول : ان كان هذا قول الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فهو لا يقول الا عن الله ، فالجماعه .

واختلافاً بعد ما جاءكم البينات ، وإن المسودة وجوههم هم المتخلفون عن الاعتصام بحبل الله جمِيعاً ، ومن الجمُع عليه ضرورياً بين كافة المسلمين أن علياً (عليه السلام) من المبضة وجوههم ، فالذين معه هم من هؤلاء الوجوه النيرة ، فسوادهم سواهم ، وعلى الجملة فهذه الوجوه المسودة هي من ضمن سائر الوجوه الكالحة : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسَوَّدَةٌ﴾ (٤٠ : ٨٠) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهُقُهَا قَتَرَةٌ﴾ (٦٠ : ٣٩) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ تَطْئُنُ أَنْ يُفْعَلَ إِلَيْهَا فَاقِرَةٌ﴾ (٧٥ : ٢٤).

ثم هنا ﴿فَذُوقُوا العَذَابَ﴾ يعم خالده وسواء ، فإن الضالين من المسلمين ليسوا على سواء ، فمنهم من يذوق العذاب ثم ينجو ، وفي ذوق العذاب دون دخوله تلميح مليح أنهم لا يستحقون دخول النار ولا خلوده ، إلا من يستحقه بارتداد وسواء من شاكلة الكفر بعد الإيمان.

**﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضُّتْ وُجُوهُهُمْ فَقِي رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٠٧).**

فالخلود في رحمة الله هو الأبدية اللامائية فإنهما عطاء غير مجذوذ قضية الفضل في واسعة الرحمة ، وذوق عذاب الله مقدر بقدر الاستحقاق فإنه جزاء وفاق قضية العدل فإنه مضيق ، واللامائية في العذاب ظلم فانهما جزاء غير وفاق. هكذا ينبض المشهد بحوار مع المعتصمين بحبل الله والكافر في دار

والجماعات هم المعتصمون بحبل الله جمِيعاً ، واهل السنة هم المعتصمون بسنة الرسول على هامش كتاب الله ، ونرى قسمًا من يسمون باهل السنة تاركين للكتاب والسنَّة وكما نرى قسمًا من يسمون بالشيعة أمثلهم ، فالمعتصمون جميعاً بالكتاب والسنَّة جميعاً هم من الذين ابْيَضُّتْ وجوههم.

أتري القائل هذا كتاب الله حسبنا رفضاً لوصية رسول الله وهي أُسْنَى السنَّة وأُسْنَّها ، هو من الذين ابْيَضُّتْ وجوههم ، والمعتصمين بتلك الوصية وسائر السنَّة التي حملها العترة الطاهرة هم من الذين اسودت وجوههم؟!

القرار ، معروضة عليهم في دار الفرار ، نبهة لهم عن غفوتهم ، وأدركا بعد سهوهم و :

**﴿نَّلَكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوْهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٨).**

«تلک» البعيدة المدى ، القرية الهدى **﴿آيَاتُ اللَّهِ﴾** رسولية ورسالية **﴿نَتْلُوْهَا عَلَيْكَ**

**﴿بِالْحَقِّ﴾** . آيات بالحق . نتلوها بالحق . عليك حalkونك بالحق ، بسبب الحق ومصدره ،

مصاحبة للحق ، لغاية الحق ، بيانا للحق ، **﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَبَادِ﴾** بل هم أنفسهم

يظلمون ، وكما في حديث قدسي «خلقتهم ليربووا علي لا لأربع عليهم» <sup>(١)</sup>.

ف «تلک» المسائر والمصائر ، تلك الحقائق البينة الصادرة من رب العزة غير السادرة

، «تلک» هي **﴿آيَاتُ اللَّهِ﴾** دون من سواه ، دالة بأنفسها أنها ربانية المصدر والصدر ،

**﴿نَتْلُوْهَا عَلَيْكَ﴾** يا حامل الرسالة الأخيرة «بالحق» الثابت الحقيق بالبقاء دون نسخ ولا

تجديف أو تحريف **﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾** وهو القوي العزيز ، فإنما يحتاج إلى الظلم

الضعيف!..

**﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (١٠٩).**

وترى ماذا يعني رجوع الأمور إلى الله ، وهي في علمه وسلطانه ، غير خارجة عنهما

ما وجدت؟ إنه تعالى ملکنا في دار التكليف والامتحان أمورا نحن فيها مستخلفون ليبلوونا

أينا أحسن عملا ، ثم عند تقضي هذه الدار وانتقال هذه الحال ترجع أمورنا المختبرة لنا إلى

الله مسيرة علينا ، وكما كنا أجنة في بطون أمهاتنا دون حول ولا قوة إلا بالله.

إن الأمور المسيرة هي راجعة إلى الله على أية حال حيث لا فاعل لها إلا الله ، فاما

الأمور المختبرة هي الراجعة إلى الله في يوم الله ، حيث الله يحاسبها

(١) تفسير الفخر الرازي ٨ : ١٧٢ قال عليه الصلاة والسلام حاكيا عن رب العزة سبحانه : ...

ويجازي عليها ، وقد كان قبل يعلم مصادرها ومسايرها ومصائرها ، والى ما ترجم أوائلها وأواخرها ، فقد رجعت الآن إلى ما كان يعلم الله فاتقوه ان توافقوه بمعاصيكم وماسيكم. كما وان ناسا في هذه الأدئ رعا يخيل إليهم زورا وغرورا أنهم يملكون لأنفسهم أم ولسواهم نفعا أو ضرا دون تخويف من الله أو تمويل ، إضافة للمخصوص بالله إلى أنفسهم ، خلعا لبعض صفاته عنه الى خلقه ، فإذا اخسر قناع الشك ، وانكشف غطاء الرأس ، واضطر الناس الى معارف وانقطاع التكليف وتقويض الدنيا بمحاذيرها ، علم الجميع ألا مؤثر في الكون إلا الله ﴿وَإِلَّا اللَّهُ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ على أية حال في الأولى والأخرى مهما اختلفتا تخيرا وتسيرا.

فهنا الرجوع ليس إلا بالنسبة لمعرفة الغافلين ، وليس حقيقة الرجوع لأنها كائنة على أية حال.

ذلك ! وأصل الرجوع هو الانعطاف والانقلاب بشيء ، لا أنه كان عندك ففارقك تماما او بعضا ، وإنما الانعطاف بعد الانحراف ، والانقلاب بعد الانقلاب ، فالسابقون هم راجعون بأمرهم إلى الله إذ ما يشاءون إلا أن يشاء الله وكما يروى عن علي (عليه السلام): لو كشف العطاء ما ازدت يقينا.

**﴿كُنْتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثُرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١١٠).**

أتري من هم المعنيون هنا بـ «كنتم»؟ أهم أمة الإسلام كلهم ومنهم . وهم أكثرهم . فسقة يدعون إلى الخير ويؤمرون وينهون وقد لا يأترون او ينتهون! ثم ولا تختص الفريضتان بهذه الأمة ، بل تحلقان على كل الأمم الرسالية حفاظا عليها : **﴿وَمَنْ قَوْمٌ مُوسَى أُمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحُقْقِ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾** ام هم

الأمة الآمرة الناهية ، وهم عدول الأمة الإسلامية وربانوها ، المتوفرة فيهم شروطات الأمر والنهي ، حيث الخطاب يخص السابق ذكرهم في ﴿وَلْتُكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةً﴾؟ فكذلك الأمر في ثاني الأمرين وهو أهمية ذلك الفرض الرسالي دون اختصاص بالدعوة المسلمين! .

فهي الأمة الوسط بين الرسول والأمة ، التي وجبت لها دعوة إبراهيم (عليه السلام) <sup>(١)</sup>

: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ (٢ : ١٢٨).

ذلك! مهما شملت هذه الأمة في ذيلها ربانيّ الأمة الإسلامية ، فهما . بين كل الأمم الداعية في التاريخ الرسالي . خير أمة أخرجت للناس وهم كل المرسل إليهم ، أم هم المسلمون الأولون إذ كانوا خير أمة ناهية مؤمنة؟ ومني كانوا هم كلهم كذلك ثم تحولوا عن ذلك! أي العهد المكي؟ ولم يكن هناك أي مجال لأمر أو نهي الله إلا من الحفاظ على أنفسهم وعقائدهم! أم في العهد المدني؟ والآية نازلة فيه! أم في بدايته؟ والنهاية كانت أحسن من البداية وقد تمركزت دولة الإسلام! .

ثم وهم بداية ونهاية في ذلك العهد لم يكن الآمرؤن منهم والناهيون إلا الأقلين ، وكما الحال نفس الحال في كل الأدوار الإسلامية! .

هنا «أمة» هي الأمة الآمرة الناهية ، فالآمرؤن الناهيون من المسلمين هم خير الدعاة في تاريخ الدعوات <sup>(٢)</sup> على مدار الزمن الرسالي ، لا سيما من

(١) نور الثقلين ١ : ٣٨٢ في تفسير العياشي عن أبي عمرو الزييري عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ﴾ قال : يعني الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم (عليه السلام) فهم الأمة التي بعث الله فيها ومنها وإليها وهم الأمة الوسطى ، وفي تفسير البرهان (١ : ٢٠٧) القمي في

(٢) الدر المنشور اخرج جماعة عن معاوية بن حيدة انه سمع النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في هذه الآية قال : انكم تتمون سبعين امة انتم خيرها وأكرمها على الله.

فيهم من السيدة العليا لرسولية والرسالية محمد وعترته المعصومون (عليهم السلام)<sup>(١)</sup> صحيح أن الأمة الإسلامية هي خير الأمم رسوليها رسالياً لإسلامها السليم ، ولكنهم ليسوا . ككل . خير الأمم ، وإنما هو مبدئياً بارز في دعاتهم إلى الله ، وخيرهم . كما هم خير الدعاة . هم الدعاة المعصومون (عليهم السلام).

فالخطاب هنا يشمل مثلث الدعوة إلى الله في هذه الأمة ، والمعصومون منهم هم رأس الزاوية ، ثم الربانيون ، ومن ثم سائر الأمراء . من الأمة . والناهين.

إذا فهو خطاب يحلق على كل الأدوار الرسالية الإسلامية منذ الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلى يوم الدين ، فهم أولاء الثلاثة هم **﴿خَيْرُ أُمَّةٍ﴾** آمرة ناهية على مدار الزمن الرسالي بكل خيوطه وخطوطه.

«أخرجت» اصطفاء بين الكل «للناس» كل الناس ، فهم كل من سواهم من سائر المكلفين مسلمين وكتابيين وسواهم.

وقد تلمح «كنتم» الماضية ، دون «أنتم»<sup>(٢)</sup> الطليقة عن أي زمان خاص ، أن الميزة البارزة في دعوة هذه الأمة ماضية في بشارات من كتابات

(١) نور الثقلين رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليهما السلام) في الآية : فهذه الآية لحمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وآله ومن تابعهم يدعون ...

وفي الدر المنشور أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جعفر (عليهما السلام): كنتم خير امة ... قال : اهل بيت النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

(٢) نور الثقلين ١ : ٣٨٢ في كتاب المناقب لأبن شهر آشوب وقرأ الباقر «أنتم خير امة» بالألف نزل بما وهم الأوصياء من ولده.

أقول : «أنتم» مرفوضة لخالفتها نص الكتاب «كنتم».

الوحي ، وكما نراها فيها <sup>(١)</sup> كما هي ماضية في علم الله ، فلا تختلفوا ، وحقّقوه بأعمالكم ليكون أكذ لحجتكم على أعدائكم تحقيقاً حقيقة لتلكم البشارات ، وإنّ فقد يجد الطاعن منهم فيكم مطعناً والغامز مغمزاً.

إذا فلا تعني «كنتم» هنا إلا العلية من هذه الأمة دون الدنية أو الوسيطة البسيطة ،  
أنهم كانوا قبلئذ «خير أمة» ثم غيروا منذ الخطاب !

إذا فهـي ماضـية في الرسـول (صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) وـعـتـرـتـهـ الطـاهـرـةـ وـالـذـينـ معـهـمـ طـوـلـ الزـمـنـ دـعـاـةـ إـلـىـ اللـهـ حـتـىـ الـقـيـامـةـ الـكـبـرـىـ .

وـمـاـ يـبـرهـنـ بـقـاءـ هـذـهـ الـكـيـونـةـ الـمـشـرـفـةـ الـمـاضـيـةـ وـاقـعـ الدـاعـيـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ مـنـ رـبـانـيـ الـأـمـةـ مـهـمـاـ قـلـواـ ،ـ كـمـاـ وـ «ـتـأـمـرـوـنـ وـتـنـهـوـنـ»ـ فـيـ مـضـارـعـتـهـمـ دـلـيلـ اـسـتـمـرـارـيـةـ هـذـهـ الـخـيـرـيـةـ بـالـخـيـرـيـنـ ،ـ فـ﴿كـُـنـتـُمـ ... تـأـمـرـوـنـ ...﴾ـ مـاـضـ بـعـيدـ مـسـتـمـرـ مـعـ الـزـمـنـ الرـسـالـيـ الـإـسـلـامـيـ دـوـنـمـاـ انـقـطـاعـ مـهـمـاـ لـمـ تـكـنـ فـيـهـمـ الـكـفـائـةـ بـتـصـصـيرـ مـنـ قـصـرـ .

(١) فـيـ سـفـرـ التـثـنـيـةـ ١٧ : ٢٠ يـقـولـ ماـ تـرـجـمـتـهـ الـحـرـفـيـةـ كـالـتـالـيـةـ :ـ وـإـسـمـاعـيلـ سـمعـتـهـ (ـإـبـراهـيمـ)ـ هـاـ إـنـاـ أـبـارـكـهـ كـثـيـرـاـ وـاغـيـهـ وـأـمـرـهـ كـثـيـرـاـ وـارـفـعـ مـقـامـهـ كـثـيـرـاـ بـمـحـمـدـ وـاثـيـرـ عـشـرـ اـمـاـمـاـ يـلـدـهـمـ (ـإـسـمـاعـيلـ)ـ وـاجـعـلـهـ اـمـةـ كـبـيـرـةـ .ـ وـبـعـدـ دـاـوـدـ (ـعـلـيـهـ السـلـامـ)ـ عـنـ دـعـاـةـ هـذـهـ الـأـمـةـ بـالـأـصـفـيـاءـ ،ـ كـمـاـ فـيـ مـزـمـورـ ١٤٩ـ (ـ١ـ وـ٩ـ)ـ مـنـ الـزـيـوـرـ هـلـلـوـيـاـ .ـ رـمـواـ لـلـرـبـ تـرـنـيـمـاـ جـدـيـداـ ،ـ أـقـيـمـواـ تـسـبـيـحـهـ فـيـ مـجـمـعـ الـأـصـفـيـاءـ ،ـ بـيـتـهـجـ الـأـصـفـيـاءـ فـيـ الـمـحـدـ يـرـتـمـونـ عـلـىـ أـسـرـتـهـمـ .ـ تـعـظـيمـ اللـهـ فـيـ أـفـوـاهـهـ وـبـأـيـدـيـهـمـ سـيفـ ذـوـ حـدـيـنـ .ـ إـجـرـاءـ الـأـنـتـقـامـ عـلـىـ الـأـمـمـ وـالـتـأـدـيـبـ عـلـىـ الـشـعـوبـ .ـ لـاـ يـثـاقـ الـمـلـوـكـ بـالـقـيـودـ وـشـرـفـائـهـمـ بـكـبـيـلـ مـنـ حـدـيـدـ لـيـمـضـوـاـ عـلـيـهـمـ الـقـضـاءـ الـمـكـتـوبـ .ـ هـذـاـ فـخـرـ يـكـوـنـ جـمـيعـ الـأـصـفـيـاءـ هـلـلـوـيـاـ .

وـفـيـ ٤٥ : ١٨ يـكـوـنـ بـنـوـكـ عـوـضاـ مـنـ آـبـاءـكـ تـقـيـمـهـمـ رـؤـسـاءـ عـلـىـ جـمـيعـ اـهـلـ الـأـرـضـ ،ـ سـأـذـكـرـ اـسـمـكـ فـيـ كـلـ جـيلـ فـجـيلـ .ـ لـذـلـكـ يـعـتـرـفـ لـكـ الشـعـوبـ .

وـفـيـ «ـنـبـؤـتـ هـيـلـدـ»ـ :ـ وـحـيـ الـطـفـلـ :ـ سـتـأـنـيـ اـمـةـ تـرـعـزـ عـالـمـ وـتـحـدـثـ خـرـابـاتـ وـإـطـفـاءـاتـ بـيـدـ اـبـنـ الـأـمـةـ (ـرـاجـعـ رـسـوـلـ إـلـاسـلـامـ فـيـ الـكـتـبـ السـمـاـوـيـةـ)ـ .

وصحيح ان الدعاة المعصومين (عليهم السلام) هم خير أئمة<sup>(١)</sup> ولكن لقط الآية **«خَيْرُ أُمَّةٍ»** تعني خير الأمم الداعية الامرة الناهية ، فهم في التنزيل **«خَيْرُ أُمَّةٍ»** وفي التأويل «خَيْرُ أئمَّةٍ» كقادة لهؤلاء الأكارم.

ولقد تكفي آية الفتح بيانا لهم وتعريفا بهم : **«... وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رَجَعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضُوا نَا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَرْزِعٌ أَخْرَجَ شَطَّاهُ فَأَسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الرُّزَّاعَ لِيَعْجِيظَهُمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا»**<sup>(٢)</sup> ف اختلاق «أنتم خير امة» دلالة على ثبوت هذه الموصفة لهم دون تقضي قضية المضي في «كنتم» ليس إلا لسوء الفهم وقلة الحزم.  
وما أجهله في تفهم معاني القرآن من يبتدر باختلاق أمثال هذه المختلقات

(١) من مثلهم في التوراة ما أخرجناه من البشارات ، ومن مثلهم في الإنجيل : «في أبناء الملكوت حبات الخطة التي تعطي مائة ضعف وفيهم أولاد إبليس» (متى ١٣ : ٢٤ . ٣٠ و ٣ : ٤٧ و ٥ . ٤٧) «أبناء الملكوت هم ملح الأرض وبقدر ما يحتاج الطعام الى الملح فكذلك كل العالم وجميع أقوام كرة الأرض يفتقرن الى أبناء ملكوت الله» (متى ٥ : ١٤ . ١٢٦ - ١٢٧) رسول الإسلام).

(٢) المصدر في تفسير القمي بسند متصل عن ابن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قرأت على أبي عبد الله (عليه السلام) **«كُنْتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ»** فقال ابو عبد الله (عليه السلام) خير امة تقتلون امير المؤمنين والحسن والحسين ابني علي (عليهم السلام)؟ فقال القارئ جعلت فداك كيف نزلت؟ فقال : كنتم خير ائمة أخرجت للناس ، الا ترى مدح الله لهم **«تَأْمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ»**؟ .  
وفيه عن تفسير العياشي ابو بصير عنه (عليه السلام) قال : انا أنزلت هذه الآية على محمد (صلى .

الرور ، تزييفاً ل موقف القرآن ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَهُمْ يَحْسِبُونَ صُنْعًا﴾ !

ف ﴿أَخْرِجْتُ لِلنَّاسِ﴾ هو الإخراج التصفيوي من كل الناس المرسل إليهم على مدار الزمن الرسالي ، أخرجهم الله إلى الوجود في آخر الزمن بين من من الدعاة على ضوء هذه الرسالة السامية الأخيرة ، فعليهم . إذا . دعوة الناس جمِيعاً إلى الخير ، سواء ناس الإسلام ومن سواهم من الناس ، حملوا لحمل الرسالة الإسلامية بكل أعباءها الثقيلة إلى مشارق الأرض وغارتها كأفضل ما يرام ، حيث الدعوة في مادتها ومدتها ، في عدتها وعدتها شاملة كاملة.

وخير أدوارها المحلقة على كافة المكلفين هو دور القائم المهدى من آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين الذي به يملاً الله الأرض قسطاً وعدلًا بعد ما ملئت ظلماً وجوراً ، وعلى الأمة الإسلامية على مدار الزمن وقبل آخر الزمن تحقيق هذه الفضيلة الكبرى قدر المستطاع والإمكانية ، تخليصاً لأنفسهم عن حكم الطواغيت وتعبيداً لطريق المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف .

والمواصفات الثلاث لهم : ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ . وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ . وَتُؤْمِنُونَ بِالله﴾ في كونهم خير أمة ، تقتضي أنهم في القمة المرموقة من هذه الثلاث ، فإن أصولها مشتركة بين الأمم كلها ، وكما ان «كنتم تأمرون» تضرب إلى اعمق الماضي الرسالي بشارة ، كذلك استمرارية استقبالية واقعاً مهما تختلف عن واجبهم متخلفو ، فإنه لا يعنون من «كنتم» ولا «تأمرون» .

. الله عليه وآله وسلم) فيه وفي الأوصياء خاصة فقال : كنتم خير أئمة أخرجت للناس ... هكذا والله نزل بها جرئيل وما عنى بها إلا محمداً وأوصيائه صلوات الله عليهما .

وكما ان الدعاء المعصومين من هذه الأمة هم خير أمة أخرجت للناس ، فليكن كذلك من يخالفهم من الربانيين المسلمين ، ثم المسلمين ككل.

و «أخرجت» مجهولة لتشمل الإخراج الرباني أمرا منه في «ولتكن» وانتصارا للقمة العليا وهم المعصومون في الرسل والرسالات ، وانتخابا من الأمة هذه الأمة الصالحة للدعوة والأمر والنهي .

فما لا بد منه في كافة الأمم الرسالية إخراج امة منهم لهذه المسؤولية الكبرى التي هي استمرارية للرسالات حيث تعنيهم . فيما تعني . ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ .

فكمال الرسل والائمة المعصومون هم الأمة العليا في حمل مسئوليات الرسائلات كأصول فيها ، والله هو المكون لهم والمنتسب إليهم ، كذلك سائر الدعوة الى الله ، الامرين الناهين ، يجب تكوينهم في كل امة ، وذلك على عاتق الأمم كلهم ، أن يكونوا هؤلاء الدعاة الذين هم خلفاء الرسل وربانيو الأمم.

ف ﴿كُنْتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ﴾ تعني دعوة الإسلام الامرین الناهین ، انهم ﴿خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجُتْ لِلنَّاسِ﴾ توحيدا للأمة الداعية الآمرة الناهية على مدار الرسائلات كما الرسل واحدة وأئمهم امة واحدة في أصل الدعوة مصدرها ومسيرها ومصيرها مهما اختلفت شكليات من فروع لهم شرعية.

فكمـا ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ على وحدتهم ، كذلك «أمة» الدعوة بعد الرسل ، وكما أن خاتم الرسل هو خير الرسل ، كذلك الدعوة . معه وبعده . إلى الله هو ﴿خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ في ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ حيث الدعوة درجات بمادتها وشكليتها وحملتها.

فقد أراد الله تعالى قمة القيادة هذه الأمة البارعة ، لتقود الناس ككل الى

كل مصالح الدين والدنيا على ضوء الاعتصام بجبل الله جميما وتقوى الله حق تقاته . فلا مجاملة هنا ولا محاباة او مصادفة ، إنما هو امر قاصد هادف ان تكون الإمامة العليا لهذه الأمة ، فكما أن رسولها هو رسول الرسل ووليهم ، كذلك أئمتها وسائر الأمة . ليس توزيع الاختصاصات والكرامات هنا كما كان ولا يزال يزعمه اهل الكتاب **﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾** فاما هو العمل الإيجابي الجاد لحفظ الحياة الإيمانية الجماهيرية على رعاية الله ، بكل ما يتطلبه هذه التكاليف من متابعة ، قضية الأمر والنهي الصارم اللذين يتباينهما الإيمان الصارم مهما كلف الأمر في هذه السبيل الشائكة الملتوية الملائمة بالاشواك والعقبات ، فإن زادهم في هذه السبيل هو الإيمان بالله ، اعتصاما بجبل الله جميما دون تفرق ، بتقوى الله حق تقاته ، لكي يمضوا في طريقهم الشاقة الطويلة قدما ، احتمالا لكل تكاليفها وهم يواجهون الطغاة البغات بكل عرامتها وشقوتها وشدتها .

ذلك ! **﴿وَلَوْ آتَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ كُلَّ لِكَانَ خَيْرًا لَهُمْ، إِذَا يَصْبِحُونَ﴾** . إذا . من خير امة أخرجت للناس ، ولكن **﴿مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** فالإيمان خير لهم في أولاهم وأخراهم ، فهنا يستعصمون به من الفرقة والهلللة الحلقة على كل حياتهم وحيواتهم ، ويكسبون السود . الذي يخافون على زواله . وزيادة ، وهناك في الأخرى رحمة الله ورضوانه . وهنا «المؤمنون والفاشيون» معرّفين تأشيرا الى المعلوم من أحوالهم لدى المفسرين من المؤمنين ، وليس يختص «المؤمنون» هنا بمن آمن منهم بالفعل إذ لا يشملهم **﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾** بل هم من لا يفسق عن الإيمان مقصرا ، وأما القصور

عن الإيمان بالرسالة الأخيرة مع الحفاظ على أصل الإيمان ، فهو يدخل القاصرين في المؤمنين.

وترى بإمكان الفاسقين منهم ان يضروا خير أمة أخرجت للناس ، المتسوفة فيها المواصفات السابقة؟ كلا!

﴿لَنْ يَضُرُوكُمْ إِلَّا أَذَىٰ وَإِنْ يَقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُكُمُ الْأَدْبَارَ ۖ لَا يُنْصَرُونَ﴾ ١١١ .

الأذى هي دون الضرر او الضرر الأدون وإلا لتناقض المستثنى منه إلا بانقطاعه منه ، وعلـ القصد منها ما يقولونه بـالـستـهم تـعـرـيـضاـ بـكـمـ وـتـعـيـرـاـ لـكـمـ ، دون واقع الاصطدام بإيقاع الغليظ المكرـه الشـدـيدـ.

ام وأذى الجراح والقرابـ والقتل بـدنـياـ إنـ يـقاتـلـوكـمـ ، دون ضـرـرـ الغـلـبةـ بـحـجـةـ أـمـ سـلـطةـ عـسـكـرـيةـ أـمـاهـيـهـ ، فـحـسـنـ استـثـنـاءـ «ـأـذـىـ»ـ منـ ﴿لـنـ يـضـرـوكـمـ﴾ـ حيثـ إنـ تـلـكـ الأـذـىـ هيـ بـالـنـسـبـةـ لـتـلـكـ الإـضـرـارـ كـأـنـهـاـ لـاـ تـضـرـ إـذـ لـاـ تـؤـثـرـ عـمـيقـاـ وـلـاـ تـجـفـفـ ، فـحـاـصـلـ المعـنىـ «ـلـنـ يـضـرـوكـمـ إـلـاـ ضـرـاـ قـلـيلـاـ»ـ.

ولم تذكر الأذى في سائر القرآن إلا في قليل الضرر لهم إلا إذا أفردت بذكر ، فعامتـهـ كـ ﴿إـنـ الـذـيـنـ يـؤـذـونـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ لـعـنـهـمـ اللـهـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ﴾ـ.

ذلك ومتى بلـغـ الـأـمـرـ إـلـىـ المـدـافـعـةـ وـالمـقـاتـلـةـ وـانتـهـيـ الـوعـيـ إـلـىـ الـمـوـاقـعـةـ كـانـ الـمـؤـمـنـونـ أـقـوىـ ظـهـورـاـ وـأـشـدـاـ اـسـتـظـهـارـاـ ، وـالـكـفـارـ أـنـقـضـ ظـهـورـاـ وـأـضـعـفـ عـمـادـاـ وـأـكـثـرـ اـسـتـدـبـارـاـ ، وـذـلـكـ منـ مـلاـحـمـ الـغـيـبـ وـدـلـائـلـ صـحـةـ هـذـهـ النـبـوـةـ السـامـيـةـ وـكـمـ رـأـيـناـ فـيـ مـاضـيـ تـارـيـخـنـاـ الـمـجـيدـ أـنـ الـيـهـودـ لـمـ يـقاتـلـوـ الـمـسـلـمـينـ إـلـاـ مـنـحـوـمـ أـكـتـافـهـمـ وـأـجـزـرـوـهـمـ لـحـومـهـمـ كـبـنـيـ قـرـيـظـةـ وـبـنـيـ قـيـنـقـاعـ ، وـيـهـودـ خـيـرـ وـبـنـيـ النـصـيرـ وـكـمـ لـهـمـ مـنـ نـظـيرـ!ـ.

ف «لن» لها دور الإحالة لمدخولها وهو هنا «يضروكم» وهم فسقة أهل الكتاب وافقهم اليهود و «لن يضروكم» هؤلاء بمحاذيرهم أي ضرّ بأنفسكم وعقائدكم وكل كيانكم الإسلامي السامي «إلا أذى» وهو دون ضرّ ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوْكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ عليهم.

أتري بعد أن تلك الإحالة تعم كافة المسلمين وهو خلاف الواقع الملموس طول القرون الإسلامية حتى الآن؟.

كلاً ، فإنها خاصة من خطبوا من ذي قبل بتحقيق شروط السيادة : اعتصاما بالله . حيث تتلى عليهم آيات الله وفيهم رسوله . ويتقوى الله حق تقاته ، وأن يعيشوا على طول الخط مسلمين لله ، وأن يعتصموا بحبل الله جيعا ولا يتفرقوا ، وتكن منهم أمة داعية آمرة ناهية ، وأخيرا يصبحوا من خير أمة أخرجت للناس ، إذا ف «لن يضروكم» أنتم المخاطبون بهذه الأوامر ، الححقون لها كما أمرتم ﴿لَنْ يَضُرُوكُمْ إِلَّا أَذَىٰ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوْكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ !.

ف لأن الأذى هي دون الضرر فالاستثناء . إذا . منقطع ، أو هو الضرر القليل الضئيل فمتصل ، وعلى أية حال فالنص يبشر باستحالة الضرر من فسقة أهل الكتاب على هؤلاء المؤمنين القائمين بشرط الإيمان ، المسرودة من ذي قبل .

فالانحرافات العقائدية والثقافية والعسكرية أما هي من يسمون المسلمين ليست إلا من خلفيات الانحرافات الإمامية ﴿وَإِنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ .

إنه ليست صيغة الإسلام والإيمان هي العاصمة لحامليها عن الشر والضر ، الكافلة للخير ، ولا أن صيغة التهود والنصر هي القاضية على حامليها ، إنما الكافل هو الإيمان الصامد أيا كان ف : ﴿لَيْسَ بِإِيمَانِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ .

﴿صُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْذِلَّةُ أَيْنَ مَا ثَقَفُوا إِلَّا بِجَبَلٍ مِنَ اللَّهِ وَجَبَلٍ مِنَ النَّاسِ وَبِأُوْبِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَصُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ إِمَّا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ١١٢ .

هذه تضرب عليهم الذلة إلا بجبل من الله وجبيل من الناس ، ثم تضرب عليهم المسكنة دون استثناء ، وأخرى تضررها عليهم دون ذكر للجبيلين : ﴿وَصُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْذِلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبِأُوْبِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ إِمَّا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٦١ : ٢) .

وهذه مقيدة بتلك قضية تقييدها وطبيعة الحال في زوال تلك الحال.

ومن الذلة الدائبة على اليهود سوم العذاب عليهم من المجاهدين مسلمين وسواهم في دويالاتهم النحسة الوبيلات كما قال الله ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبِّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمَا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمُ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحُسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٧) . (١٦٨)

وترى الذلة المضروبة «عليهم» : فسقة أهل الكتاب ، هي التشريعية لمكان ﴿أَيْنَ مَا ثَقَفُوا﴾ أي وجدوا في تحري المؤمنين الملحقين إياهم ، حيث الثقف هو الحدق في إدراك الشيء ومنه الثقافة فأنها حدق في ادراك العلوم.

فيتحقق المؤمنين تكميلاً لشروط الإيمان ، وحدقهم في ملاحقة المؤذين من فسقة أهل الكتاب ، ﴿صُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْذِلَّةُ﴾ ﴿فَإِمَّا تَشْفَقَنَّهُمْ فِي الْحُرْبِ فَشَرَدُّهُمْ مِنْ خَلْفَهُمْ﴾ (٨) : ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقُفُوا أَخِذُوا وَقْتَلُوا تَقْبِيلًا﴾ (٣٣ : ٦١) ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حِينَ تَقْفَتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حِينَ تَأْخُرُجُوكُمْ﴾ (٣ : ١٩١) فحذار حذار ألا يتحققواكم بفالش إيمانكم فـ ﴿إِنْ يَنْقَفِقُوكُمْ يَكُونُوا

**لَكُمْ أَعْدَاءٌ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكُفُّرُونَ ﴿٦٠﴾ (٢).**

أم وهي الذلة التكوينية حيث الفسق ذل في نفسه وذل في المجتمع الصالح ، وذل عند الفاسق نفسه إذ لا يفلح الفاسقون مهما أبرقوا وأرعدوا ردوا من الزمن ، و «ذلك» الضرب في ذلة وسكتة **﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكُفُّرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ إِمَّا عَصُومٌ وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾**.

**﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ ..﴾** ولكن لا على أية حال ومهما تحولت الأحوال ، بل هي دون الحبلين ف **﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾** يصد عنهم الذلة تشريعاً وتكوينياً ، فما هما الحبلان؟.

**﴿بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ﴾** معروف انه «حبل الله» اعتقاداً بالله وبكتاب الله وتنكير «حبل» تلميح بأن كل قدر من حبل الله له عصمتة عن الذلة ، فإذا اكتمل يصبح عاصماً طليقاً عن كل ضرّ.

فبروز الإيمان من فسقه أهل الكتاب هو «حبل من الله» ولما يكمل ، ثم تكامل إيمانهم بشروطه تكامل لاعتصامهم بحبل الله ، فليس الاعتصام إلا بقدر قتل الحبل ، ولا الذلة إلا على قدر فل الحبل ، فإذا ف «حبل من الله» طليقة بالنسبة لكل درجات الحبل : رسوليها ورساليها ، فحين يؤمن الكتابي الفاسق بكتابه كما يحق فلا ذلة له ، مهما لم يؤمن بر رسالة الإسلام قصوراً كما في آية الlassوae التالية ، وحين يؤمن بهذه الرسالة ولما يكمل إيمانه تكامل عزه ، حتى يصل إلى القمة المعنية بالآيات السالفة اعتقاداً كاماً بحبل الله.

وهكذا الأمر **﴿حَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾** حيث تقصد بعد الله بكتابه ، رسول الله ، ثم الدعاة الرسالين ثم سائر المؤمنين ، او ومن ثم سائر الناس أجمعين حيث الجمعية المعاضة لها أثرها عضداً مهما كانت باطلة فضلاً عن الجمعية

الحقيقة الحقيقة وبين «جبل من الله» و «جبل من الناس» عموم من وجهه ، ف «جبل من الله» فقط هو الاعتصام بالله وبكتاب الله ف «جبل من الناس» فقط هو الاعتصام بالناس غير الرساليين ، وجمع بينهما هو الناس الرساليون معصومين وسواهم من المؤمنين حيث يجتمع هنا الحبلان مع بعضهما البعض.

ولقد بين الحبلان في آية الاعتصام ﴿وَاعْتَصِمُوا بِجَبَلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ ف ﴿جَبَلِ اللَّهِ﴾ هو الأصل ل ﴿جَبَلِ مِنَ اللَّهِ﴾ و «جميعاً» هو الأصل ل ﴿جَبَلِ مِنَ النَّاسِ﴾ ولا سيما الثقل الأصغر رسولا وعترته <sup>(١)</sup>.

فالحبلان العاصمان يعصمان المعتصمين بهما عن كل ذل ومسكنة في كافة الحقوق الحيوية ضمانا من الله وهو حسينا ونعم الوكيل : ﴿وَلِلَّهِ الْعَزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ .  
 ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ وكما نلمسها في اليهود مهما كانوا أثرياء فإنهم مساكين فقراء في ذات نفوسهم.

وترى ان هذه المسكنة تزول عنهم كما الذلة بجبل من الله وجبل من الناس؟ طليق المسكنة بعد الاستثناء يقول : لا ، ثم ﴿لَوْ أَكْثُرُمُ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رِّئِيمٍ لَا كَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أَمَّةٌ﴾

(١) نور الثقلين ٢ : ٣٨٣ في تفسير العياشي عن يونس بن عبد الرحمن عن عدة من أصحابنا رفعوه الى أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : الحبل من الله كتاب الله والجبل من الناس هو علي بن أبي طالب (عليه السلام). أقول وهذا من التفسير بالمصداق الوسيط بين الرسول والأمة ، تلحيقا له بالرسول امام ناكريه ، وقد مضى الحديث عن تفسير البرهان عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في جواب السائل بين لنا ما هذا الجبل؟ فقال هو قول الله : الا بجبل من الله وبحبل من الناس فالجبل من الله كتابه والجبل من الناس وصبي ...

**مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ** ﴿٥ : ٦٦﴾ ، هذه واضر ابها من الوعادة زوال الذلة والمسكنة تقول : نعم ، فقد تلمح تأخر المسكنة بطليقها تأخر زوالها عن هؤلاء الفسقة ، أم وبآخرى أن زوال الذلة يكفيه حبل من الله وحبل من الناس ، وليس زوال المسكنة ليكفيه حبل ما المافق لبقاءهم على دينهم قاصرين ، وكما نرى اليهود القاصرين في مسكنة بيته ، وهذا هو الفارق بين الذلة والمسكنة هنا ، حيث الثانية هي لزام التأخر عن كامل الحبلين كما هو ملموس في اليهود! .

وذيل الآية المعلل للذلة والمسكنة يقرر أئمهم هم فسقة اليهود ، إذ لم يعهد من النصارى أن يقتلوا النبيين ، فمصب الآية منذ **«لَنْ يَضْرُوْكُمْ»** . حتى . «المسكنة» هم اليهود ، مهما شمل استحالة الضر كل فسقة اهل الكتاب لمكان رجوع ضمير الجمع إلى **«وَأَكْثُرُهُمُ الْفَاسِقُونَ»** حيث لا يختص بفسقة اليهود.

إذا فثالوث : الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله . يشمل كل فسقة أهل الكتاب على قدر فسقهم ومرفقهم ، ولا سيما اليهود المغضوب عليهم وهم أشد عداوة للذين آمنوا وأضر ضراوة عليهم كما قال الله : **«لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْهِوْدَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوْا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَئمَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُوْنَ . وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَي الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مَمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُوْنَ رَبَّنَا آمَنَّا فَأَكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِيْنَ** ﴿٥ : ٨٣﴾ .

وترى إذا السابقون كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق بما على اللاحقين الذين لم يقتلوا؟ ذلك لأنهم سلسلة موصولة طوال تاريخهم الممحوس المدسوس ، فأولئك قتلوا الأنبياء وهؤلاء قتلوا النبوات ، فلو وصلت أيديهم إليهم لقتلتهم ، فهم نمط واحد على طول الخط ، فتشملهم الذلة والمسكنة كذلك **«إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ»**.

وقتل الأنبياء وسواهم هو في مثلث مهما اختلفت زواياه :

١ سفك دمائهم بأيديهم عناداً وعتوا على رسالات الله.

٢ التسبب لتقليلهم أن يذيعوا عنهم أموراً يسبب قتلهم <sup>(١)</sup>.

٣ الرضا بما فعل القتلة حيث الراضي بفعل قوم هو منهم.

﴿لِنَسُوا سَواءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَلَوَّنَ آيَاتِ اللَّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾

(١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي

الْحُكْمَرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكَفَّرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنْتَقِيَنَ

(١١٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ

النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٦) مَثَلٌ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صَرْ

(١) نور الثقلين ١ : ٢٨٣ في اصول الكافي يونس عن ابن سنان عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) وتلا هذه الآية قال : والله ما قتلواهم بأيديهم ولا ضربواهم بأسيافهم ولكن سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأخذوا عليها فقتلوا فصار قتلاً واعتداءً ومعصية.

أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمُهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ حَبَالًا وَدُوَا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَأْتِ الْبَغْضَاءَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَاهُ لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنْتُمْ أُولَئِكَ بَحْبُوكُمْ وَلَا يُحِبُونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْعَيْظِ قُلْ مُؤْمِنُوا بِعِيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِنْ تَمْسِكُمْ حَسَنَةً تَسْوُهُمْ وَإِنْ تُصِبِّكُمْ سَيِّئَةً يَفْرُخُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠) وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوَّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلِّقَاتِلِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) إِذْ هَمْتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢) وَلَقَدْ نَصَرْكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذْلَلُهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَّا يَكْفِيْكُمْ أَنْ يُمْدِدُكُمْ رَبُّكُمْ بِشَاهَةٍ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِيْنَ (١٢٤) بَلِّي إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَقَوَّلُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِيْنَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا يُشْرِى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦) لِيُقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيُنَقْلِبُوا خَائِيْنَ (١٢٧) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨) وَلَلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَعْذِبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٩﴾  
 ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَشْتُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ١١٣ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاونَ عَنِ

**الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ١١٤ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ حَيْرٍ فَلَنْ يُكَفِّرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ١١٥ .**

إن اللاإسواء بين أهل الكتاب هو قضية عدل الله كما اللاإسواء حاكم بين المسلمين وسائر الموحدين على شتات مذاهبهم ، فـ «ليسوا» أهل الكتاب الماضي ذكرهم بسوء «سواء» أم ﴿لَيُسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ آخرين منهم فـ ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ إذا هي ذات تعلقين اثنين.

فبمجرد أن فلانا يهودي أو نصراني لا يقضى عليه بذلة ومسكنة أماهيه من أحكام الكفرة العصاة المعتدلين ، حيث العبرة الأصلية في ميزان الله هي الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات ، كما وأن مجرد اسم الإسلام والإيمان ليس لزامه الأمان من ذلك الحكم العدل الحكيم.

وهذه الآيات الثلاث تحمل عشرة كاملة من ميزات بين موجبات ومتوجبات لزمرة .  
مهما كانت قليلة . من أهل الكتاب ، تعدّهم أخيرا من المتقيين .

وهذه ضابطة ثابتة في منطق القرآن أن الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات ليست لتهدر على أية حال ، مهما كان حاملها كتابيا أو مسلما ، فـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرٌهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَرْجُونَ﴾ (٢ : ٦٢) (١) .

وترى هنا ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ تعني الكتابيين الذين آمنوا بشرعية الإسلام؟ وصالح التعبير عنهم «المؤمنين» او ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لسابق كونهم كتابيين ثم

(١) راجع الفرقان ١ : ٤٣٤ . ٤٤ . تجد قوله فصلا حول موضوع الآية فلا نعيد .

آمنوا! ، إنهم هم المؤمنون من أهل الكتاب سواء الذين آمنوا منهم بالفعل فندد بهم زملاؤهم الكتاييون <sup>(١)</sup> أم لما يؤمنوا وهم يتحررون عنه ، أم القاصرون عن معرفة الإسلام مهما كانوا تالين الكتاب ، وقد شملهم ﴿لَيْسُوا سَوَاء﴾ مهما كان الأول هامشيا لأن حساب السواء لم يكن من الأخبار المنددين بن أسلم منهم.

هذا ، والى تلك العشرة الكاملة العشيرة لأهل التقى من أهل الكتاب :

١ ﴿أَمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ في تحقيق الحق وإبطال الباطل ، دون فشل ولا كسل ، حيث الفاشلون الكسالي من أية امة كتابية او مسلمة لا تحسب بمحاسب المتقين.

إذا ف «قائمة» تعم كل قيمة وقوامة بالعدل والقسط وما يحق القيام به وفيه قوله عليه وإليه في شرعة الله وكما يذكر من مهامها :

٢ ﴿يَنْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ فالليل الرياححة حين تتلى فيه آيات الله ، تكون المتلوة فيه أخلص وأنجي : ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْنًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾.

و ﴿آيَاتِ اللَّهِ﴾ دون المسماة بتوراة او إنجيل ، تلمح ان القصد منها آيات الوحي غير الخليطة بسواها ، فهي القرآن وما قبله من آيات وحي التوراة والإنجيل.

وترى إذا كان التوراة والإنجيل محظيين كما يصرح به القرآن فكيف بإمكان

(١) الدر المنشور ٢ : ٦٤ . اخرج جماعة عن ابن عباس قال : لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد وأسید بن سعید واسد بن عبيد ومن أسلم من يهود معهم آمنوا وصدقوا ورغبا في الإسلام قالت أخبار يهود واهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد وتبعه إلا شرارنا ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آباءهم وذهبوا إلى غيره فأنزل الله في ذلك ﴿لَيْسُوا سَوَاء﴾ ...

أقول : ليسوا سوا قد لا يناسب خصوص هذا الشأن لنزول الآية إذ لم يحب الأخبار لهم حساب السواء بل كان حسابهم اللاسواء.

مؤمني أهل الكتاب ولا سيما القاصرين منهم ان يتلوا آيات الوحي منهم؟.

قد يعني من آيات الله ما يعرفونها من أصل الوحي مهما اخطأوا قاصرين ، دون الآيات التي يعرفونها دخيلة في وحي الكتاب.

فتلاوتم للتوراة والإنجيل تعني تلاوة آيات الله ما لم تتبين لهم منها أنها دخيلات متسربات.

او يقال «يتلون» حسب المستطاع حيث يحاولون . فقط . تلاوة آيات الله دون المخالفات الزور والغور.

ولأن هؤلاء هم الذين يعلمون الكتاب اجتهادا او تقليدا فهم أولاء الذين يميزون الأصيل من الآيات عن الدخيل ، فهم بامكانهم تلاوة آيات الله ، ثم آيات الله تعم مع سائر كتب السماء القرآن العظيم ، والمحاول إيمانيا أن يتلوا آيات الله مهما غلط فيها او عنها الى الدخيلة فيها قاصرا صادقا عليه انه يتلوا آيات الله.

٣ ﴿وَهُمْ يَسْجُدُون﴾ الله دون سواه من مسيح وسواه عند من حسبوه ابن الله او الله ، وأما الساجدون لمن سوى الله مسيحا وسواه فهم الضالون مهما كانوا قاصرين ، حيث الفطرة الإنسانية السليمة تشجب السجود لغير الله مع السجود لله.

وهنا ﴿هُمْ يَسْجُدُون﴾ تعم السجود لآيات الله وهو غاية الخضوع الطليق لها في كل مراحلها ، الى السجود في الصلاة لله ، والى غاية الخضوع لله ، فلا تختص سجودا خاصا حيث الكل هو شريطة صالح الإيمان دون تبعيض.

٤ ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إيمانا صالحا غير دخيل ، حيث التشليث وما أشبهه من انحرافات عن الإيمان بالله ليس إيمانا بالله ، وكذلك اليوم الآخر كما هو مسرود في آيات الله.

٦ . ٥ ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَا يَنْهَا عَنِ الْمُنْكَر﴾ وَهُمَا بَعْدَ الثَّانِي مِنَ الْإِيمَانِ لِفَاعِلِ الْمَعْرُوفِ وَتَارِكِ الْمُنْكَرِ ، وَلَا إِنَّ الْأَمْرَ وَالنَّهِيَّ بِحَاجَةٍ إِلَى مَعْرِفَةِ الْمَعْرُوفِ وَالْمُنْكَرِ وَعَمَلِ الْمَعْرُوفِ وَتَرْكِ الْمُنْكَرِ ، فَهُمْ أُولَئِكَ الْعَدُولُ مِنْهُمْ كَمَا وَهُمْ عُلَمَاءُ مَكَانٍ ﴿يَتَلَوُنَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ دُونَ اخْتِصَاصٍ بِعِلْمِهِمْ فَإِنْ شَرْطُ الْمَعْرِفَةِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْمُنْكَرِ وَالْإِتِّمَارِ وَالْإِنْتِهَاءِ يَحْصُلُ بِتَقْليِدِ كَمَا يَحْصُلُ بِاجْتِهَادٍ ، مَهْمَا كَانَ عَلَى الْمُقْلِدِ الْإِجْتِهَادُ السَّلِيمُ فِي تَقْليِدِهِ.

٧ ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ فِي كُلِّ مَيَادِينِ سَبَاقَاتِ الْخَيْرَاتِ ، دُونَ رُكُودٍ وَلَا جَمُودٍ ، فَحِيَاكُمْ كُلُّهَا حِرَكَاتٍ فِي مَسَارِعِ الْخَيْرَاتِ.

٨ ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وَهُمُ الرَّابِعُ مِنْ مَرْبِعِ الْصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهِداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحْسَنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (٤ : ٦٩).

٩ ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكَفَّرُوهُ﴾ كُفَّارُنَا لِكُونِهِمْ كَتَابِيِّينَ أَمْ لِسَابِقِ حَالِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَكُونُوا مُسْلِمِينَ.

١٠ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ يَشِيبُهُمْ كَمَا يَتَقَوَّنُ مُسْلِمِينَ أَمْ كَتَابِيِّينَ. وَهَذَا الْعَشْرَةُ لَا تَجْتَمِعُ إِلَّا فِي نَبْلَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَلِيلُهُمْ قَاصِرُونَ ، وَكَثِيرٌ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا أَمْ هُمْ يَتَحْرُونَ عَنْ صَالِحِ الإِيمَانِ فَهُمْ مُسْلِمُونَ فَلَا كُفَّارَنَا لِمُسَاعِيِّ الْمُتَّقِينَ أَيَا كَانُوا ، دُونَ أَنْ تَنْقُصَ مِنْهَا سَابِقَةُ سُوءِهِمْ عَنْهَا الْآنَ خَارِجُونَ ، وَطَالِمَا الْكَتَابِيُّ الَّذِي يُؤْمِنُ أَمْ هُوَ فِي سَبِيلِ الْإِيمَانِ مُكَفَّرٌ عِنْدَ مَنْ يَجْهَلُ الْمَقَايِيسَ وَلَكِنَّهُ غَيْرُ مُكَفَّرٍ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ هُوَ مُشَكُورٌ ، بَلْ إِنَّ الْمُؤْمِنَ مُكَفَّرٌ وَذَلِكَ أَنَّ مَعْرُوفَهُ يَصْعُدُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يَنْتَشِرُ فِي النَّاسِ وَالْكَافِرُ مُشَهُورٌ وَذَلِكَ أَنَّ مَعْرُوفَهُ لِلنَّاسِ يَنْتَشِرُ فِي النَّاسِ وَلَا يَصْعُدُ إِلَى اللَّهِ (١).

(١) نُورُ الثَّقَلَيْنِ ١ : ٢٢٢ فِي كِتَابِ عَلَلِ الشَّرَائِعِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَالَ : ...

وقد يروى عن أول العابدين : «يد الله فوق رؤوس المُكَفِّرين ترفرف بالرجمة»<sup>(١)</sup> ، و«كان رسول الله مُكَفِّرا لا يشكُّر معرفه ولقد كان معرفه على القرشي والعريي والعجمي ومن كان أعظم معرفا من رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) على هذا الخلق وكذلك نحن أهل البيت مُكَفِّرون لا يشكُّر معرفنا وخيار المؤمنين مُكَفِّرون لا يشكُّر معرفتهم»<sup>(٢)</sup>.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أُولَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** ١١٦.

هنا «كَفَرُوا» اللامحة إلى حدث الكفر بعد إيمان تعم الكفر بعد الإيمان واقعيا ، أم إيمان هو قضية الفطرة السليمة والعقلية غير الدخيلة ، والكفران هما بدركهما مشمولان لـ **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** و نتيجته **﴿لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أُولَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾** في الدنيا والآخرة «وأُولَئِكَ» البعد هم **﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾** على مدار الحياة في الأولى والأخرى **﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** قدر كفرهم دون خلود لا نحائى مزعوم!.

**﴿مَئَلٌ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمُهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾** ١١٧.

رغم انه لا بد في الإنفاق أن يتم نتاجا قدره ، ولكنهم **﴿مَئَلٌ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** إنفاقا فيها وفي سبيلها . مهما كان في زعمهم في سبيل الله

(١) المصدر عن العلل باسناده الى السكوني عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) قال قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : ...

(٢) المصدر عن العلل بسنده متصل عن علي بن أبي طالب قال : كان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مُكَفِّرا ...

وهم خالفوها الى سواها حيث يبغونها عوجا والإفكل إنفاق هو في هذه الحياة ، سواء أكانت لها أم للأخرى ، ولقد كانت اليهود تنفق أموالا طائلة لإيذاء رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وإلا تاحة به ، كأنهم ينفقونها في سبيل الله ، وهو في الحياة الدنيا ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا مُتَّكِئِينَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ (٨ : ٣٦).

ذلك مثله ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌ﴾ والصرّ هو الشدة والسرعة التي تصحبها هيب النار أم برودة ثلجية لا تبقي للحرث باقية ، وكلامها من شؤون النار حريقا او زمهريرا<sup>(١)</sup> فكلما كان صرّ إنفاقهم وشدته عدة وعدة أكثر ، كان هلاكهم في عدتهم وعدتهم أوفر ، فإنفاق الكافر أيا كان لا يخلو عن ثالوثه المنحوس للكفر المحيط لأعماله :

إنفاقا في سبيل الله ، او الذي يزعمه انه في سبيل الله ، او يعلمه انه في الصد عن سبيل الله مهما اختلفت دركاتها.

وذلك المثل يلمح . ضمن ما يمثل انفاق الكفار . ان الصر إنما يصيب حرث قوم ظلموا أنفسهم ، مهما شمل حرث من سواهم مخنة دون من أصابهم مهنة.

﴿وَمَا ظَلَمُهُمُ اللَّهُ﴾ مثلا ومثلا بhem ﴿وَلَكِنَّ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ وذلك الملائكة لما ينفقون ليس إلا من خلفيات ظلمهم أنفسهم.

(١) وشاهدنا على صر البرد :

لا يبردون إذا ما الأرض جللها صر الشتاء من الأحوال كالادم ومن ذلك ﴿بِرِيحٍ صَرْصِرٍ عَاتِيَةٍ. سَحَرَهَا عَلَيْهِمْ سَعْيَ لَيَالٍ وَمَارِيَةٍ أَيَامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازٌ تَخْلٍ خَاوِيَةً﴾.

ثم ﴿ ظَلَمُوا أَنفُسَهُم ﴾ تشمل ثالوث الظلم . نفسها وسواها وبالحق . حيث المرجع فيها أنفسهم ، مهما انصر به غيرهم ﴿ وَمَا ظَلَمْتُهُمُ اللَّهُ بِإِهْلَكِ حَرَثَهُمْ عَنْ بَكْرَتِهِ ﴾ ولكن ﴿ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ حيث كفروا فأحبط الله اعمالهم فانه عليهم أضر وأنكى . ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ (٤٠ : ٣١) لا ظلما بهم بما أمرهم ونهاهم وجازاهم ، ولا ظلما منهم بأنفسهم وسواهم ، فلا ظلم في ساحة الربوبية على أية حال ، فإنما الظالم هم العباد بسوء اختيارهم .

ذلك ! فهم أولاء الانكاد البعد الذين تنكبوا المنهج الجامع لمفردات الخيرات ، الحافلة للمبرات الكافية للمكرمات ، فاختاروا لأنفسهم الشرود والضلال والانفلات من عصمة حبل الله جيعا ، فعملهم . إذا . وكل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا ، هباء ، إذ لا قيمة لخير إلا ان يتبنى منهج صالح الإيمان .

ذلك ، وإلى تحذير من هؤلاء الملاعين ، المبايعين للدين بهذا الأركس الأدنى من زخرفات الحياة الدنيا ، كيلا ينفر المؤمنون بما يعرفون فينضرون بما يضرون إسراها وإعلانا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَشَدُّدُوا بِطَائِنَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤُلًا مَا عَنِتُُمْ قَدْ بَدَأْتِ الْبَغْضَاءَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَاهُ لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ . ١١٨

البطانة خلاف الظاهرة ، و تستعار لمن تختصه بالاطلاع على خفيات أمورك المستسرة ، فقد تكون بطانة خير فمحبورة مشكورة ، او بطانة شرة فمحظورة محذورة (١) .

---

(١) في غريب القرآن للراغب وروي عنه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) انه قال : ما بعث اللَّهُ مِنْ بَنِي .

و ﴿بِطَانَةً مِنْ دُونَكُم﴾ تعم من سوى المؤمنين ، ملحدين او مشركين او مسلمين : منافقين او الذين أسلموا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم ، ولكن ﴿لَا يأْلُونَكُم﴾ ... وَدُوا ... فَدَّ بَدَّ ... ﴿تَسْتَشِنِي الْآخِرِينَ﴾ ، كما وقد تستشني غير المعاندين من الكفار ، ولكن غير المؤمن أيا كان لا يصلح أن يكون بطانة للمؤمن ، مهما اختصت هذه العلل لسلبية البطانة بالأعداء الألداء منهم.

و «بطانة» هنا قد تكون ذات تعلقين اثنين ﴿لَا تَتَخَذُوا بِطَانَةً﴾ هي «من دونكم» و «لا تتخذوا من دونكم بطانة» فدون المؤمنين لا يصلح لكوئهم بطانة للمؤمنين ولا سيما في جمعية المصالح الإسلامية التي هي بحاجة إلى شوري العابد من أمة الإسلام كما فصلناها على ضوء آية الشوري .

وهنا مربع الحكم الحكيم تعلل «لا تتخذوا» لنكون على بصيرة في أمرنا معهم :

١ ﴿لَا يأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾ والخبال لغويًا هو الفساد الذي يلحق الحيوان فيورثه اضطرابا ، كما بالنسبة للمنافقين في أخرى : ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيْكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيْكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْمُ بِالظَّالِمِينَ لَقَدِ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَبَّلُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحُقُوقُ وَظَاهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (٤٨ : ٩).

و «خبالا» في آيتها ، نكرة في سوق النفي ، تشمل كل خبال ثقافي . عقيدي . خلقي . اقتصادي . سياسي ، أمّا ذا من فساد واضطراب .

ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطنتان بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحثه عليه .  
أقول : ولكن بطانة الشر ما كانت تقدر على إضلاله وما كان النبي ولا خليفة النبي يتخد لنفسه بطانة شر مهما لصقوا به .

و «يألونكم» : يقصرونكم من الألو : التقصير ، فهم أولاء لا يقصرونكم خبala وفسادا في أي من حقوله ، فذلك مدى جدهم في خبالكم ما استطاعوا إليه سبيلا ، فإن لم يقدروا على خبالكم بذات أيديهم فهم . لأقل تقدير . يودونه :

٢٠ وَدُوا عِنْتَكُمْ : ودوا عنتم . في مصدرية «ما» . والذي عنتموه . في موصوليته .

والعن特 هو الأمر الذي يخاف منه التلف ، فهم . إذا . لا يألونكم خبال العنت وسواه حيث يودون أن يكون كل أمركم إمرا وصعوبة وهلاكا حيث بيعضونكم على أية حال :

٣٣ ﴿قُدْ بَدَتِ الْبُغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أتوماتيكيا رغم ما يحافظون على قيالاكم أمامكم

، مما يضم أحد أمراً إلّا وقد يظهر في صفحات وجهه وفلتات لسانه.

٤ ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ ما تبدو من أفواههم ، وهذه هي آيات عداهم العارم

٤٣) قَدْ بَيِّنَ لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ.

ويما لها من صورة بينة السمات ، ظاهرة الوصمات لاعداءنا الالداء ، تنطق لائحة

بدخائل هذه النفوس البئسية التعيسة ، تسجل المشاعر الباطنة والانفعالات الظاهرة

والحركات المتأرجفة ذاهنة وأئية ، وكما ذلك لنموذج شري شير في الطول التاريخي ، والعرض

الجغرافي ، نستعرضها في حالنا ومستقبلنا كما عرضوا علينا في ماضينا.

**هؤلاء الانكاد الذين يتظاهرون للMuslimين بالمودة في ساعة القوة ، فتكذبهم كما خالجة**

منهم مخاجة ، وينخدع بهم المسلمون لظاهر احتجتهم غفلة او تغافلاً من باطه: احتجتهم

فِي مِنْحَمْنَهُ الثَّقَةُ وَالْمَدَادُ، وَهُوَ لَا يَأْلِمُهُ خَسَالًا وَنَشَأَ لَأْيَةً شَائِكَةً فِي طَبَقَتِهِ مَا سَنَجَ لَهُ

وَفِسْحَةُ مِنْ شَهْرِ حُضْرَةِ

تلك الصورة كانت منطبقة تماماً على قسم من أهل الكتاب الحضور زمن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حيث جاوروه في المدينة بكل غيظ كظيم مضمر على المسلمين ، والنوايا الخبایا السیئة التي كانت تجیش في صدورهم ، والبعض من المسلمين كانوا . ولا يزالون . ينخدعون بمظاهرهم الحلوة ، فيلقون إليهم بالمودة ، ويؤمنونهم على اسرار لهم كبطانة امينة ، فجاء ذلك التنبیر التحذیر ، دون اختصاص بزمن دون زمن ، بل هو حقيقة ثابتة تواجه ذلك الواقع المريض الشرير من هؤلاء المنافقين ، اهل كتاب او مسلمين .

ذلك! فهل من عقل الإيمان أن تودوهم وتحبوبهم دونما عائدة إلا ضرا؟.

**﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْمِنُوا بِعَيْنِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ١١٩**

«ها» تنبیه لهامة الموقف الخطير «أنتم» المسلمين «أولاء» «تحبونهم» أولاء الكافرين ، وذلك خلاف العقلية الإيمانية ، فأنتم «أنتم» المؤمنون الصالحون و «أولاء» أولئكم الكاذبون الحاقدون ، فكيف «تحبونهم» و «الحال أئمهم» لا يحبونكم ، أفحبا من ناحية إمام بعض من أخرى ، ودون أن يؤثر ذلك الحب تخفيضاً من ذلك البعض البغيض ، بل تعزيزاً لبغضهم ، وتمكيناً لهم من خبال وإدغال؟.

ثم **﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾** هذا القرآن وما بين يديه من كتاب ، وهم لا يؤمنون بالكتاب كله ، ولا حقاً بالكتاب بعضه ، إذ لا يتبعون كتاباً لكم فضلاً عن كتابكم.

وقد تلمح **﴿بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾** دون «الكتب كلها» بوحدة الكتاب لوحدة الأمم الكتابية بوحدة الرسالات.

ثم ﴿وَإِذَا لَقُوا أَمَّا وَإِذَا خَلُوا عَصُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَاءِ مِنَ الْغَيْظِ﴾ إذ يرونكم جميعاً وهم شتى ، ولهم قوة وسداد وهم في ضعف وبداد ، ولا جواب لهم في بغضهم البعض : إلَّا :

﴿فَلَمْ يُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ومنها صدوركم المليئة من بعض المؤمنين ، وهنا ﴿مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ أمراً ، يعاكس ﴿وَلَا تُؤْتَنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ نهياً ، وهما في مجرب واحد في حالة الإختيار ، فمهما لم يكن الموت تحت الإختيار ولكن الإسلام والكفر هما تحت الإختيار ، فقد تعني ﴿مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ استمرروا بغيطكم المميت عن حيوانكم ، او حتى الموت ، أمراً تحذيرياً هو ابلغ من النهي كـ ﴿أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِتِكُمْ إِنِّي عَالِمٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ .

وقد تعني باء الغيظ كلاً المعية والسببية ، فذلك الغيظ يحيي صاحبه حين لا يجد مفلتاً منه ولا من سببه ، وهو معه أينما حل وارحل حتى الموت ، واستمرارية الغيظ تزيد فيه وتزيد حتى يحيي.

وفي ذلك لحة أن استمرارية الغيظ بمزيد هي من أسباب الموت ، لأنها حالة نفسية ردئية لا تستطيع النفس أن تتحملها ، فيما ما هي تتغلب عليها فتموت صاحبها.

وإذا كان الغيظ في سبيل الطاغوت فالموت موتنان لصدق بعض وردف بعض ، موتاً حال حياته روحياً ، وموتاً يقضي على حياته جسمياً ففيه الموت ويطرمه كل كيانه : ﴿ظُلْمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ، وأما ﴿بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ دون «الصدر» مجردة ، فلأن «ذات» الصاحبة هي مؤنة «ذو» : الصاحب ، وصاحبة الصدر هي التي تصاحبها من الضيق والإنسراح بكفر أو إيمان أو أي كان من حالات محبورة أو محظورة.

وترى لماذا هنا وفي كثير سواه ﴿يَذَاتِ الصُّدُور﴾ دون «ذات القلوب» وهي اصل الروح وعمقه؟.

عله لأن القلوب ايضا هي من ذات الصدور بكل حالاتها وحالاتها : ﴿فَإِنَّمَا لَا تَعْمَلُ  
الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٤٦ : ٢٢).

فكل حالة حسنة او رديئة ، منشرحة او ضيقة في الصدور هي المؤثرة بالمال في القلوب ، فالقلوب هي من ذات الصدور وليس الصدور هي من ذات القلوب.

ثم ابتلاء ما في الصدور تقدمة لتمحیص ما في القلوب : ﴿وَلَيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ  
وَلَيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (١٥٤ : ٣).

﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةً تَسُؤُهُمْ وَإِنْ تُصِبُّكُمْ سَيِّئَةً يَفْرُخُوا إِلَيْهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَنَقُّلُوا لَا  
يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (١٢٠).

«ان تمسسكم» حالة «حسنة» مادية او معنوية ، فردية او جماعية أماهيه من حياة حسنة «تسؤهم» هذه الحسنة إذ ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُوا مَا عَنْتُمْ﴾.

﴿وَإِنْ تُصِبِّنُكُمْ﴾ حالة «سيئة» من ضيق معيشتي او انزام حري ام نكسة عقائدية أماهيه ﴿يَفْرُخُوا إِلَيْهَا﴾ ولا علاج في تلکم المواجهة المعاندة إلا الصبر والتفوي.

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ في كل حسنة وسیئة ، وما يسوءون ويفرون ، دون انفلات عن ثابت الإيمان «وتتقوا» عن المحاذير التي هي نتيجة طبيعية لاختلاف الحالات والواجهات ، إذا ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ اللهم إلا أذى بسيطة متحمّلة ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ فهو الذي يدافع عنكم بدافع إيمانكم : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿وَرَبُّكَ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ وهو الذي

يجيظكم علما بـكائهم ومصائبهم فتحذروهم مهما كانوا أقوياء فإنهم كائدون أغوياء ، وان الله لا يهدي كيد الخائنين ، وهو الذي يجازيهم بكيدهم فإنه بما يعملون محظ علمـا وقدرة. وهنالـك محور الرجاء لـمس المصيبة وإصـابتها هو الرسول (صلـى الله عليه وآلـه وسلم) ثم الذين معـه : ﴿إِنْ تُصِبِّنَ حَسَنَةً تَسُوءُهُمْ وَإِنْ تُصِبِّنَ مُصِيَّةً يَقُولُوا قَدْ أَخْدَنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلٍ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ. قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٩ : ٥١).

فيـا عـجبـاه من غـفـوتـنا وغـفلـتنـا حين تصـفـعنـا التجـارـب المـرـة من هـؤـلـاء المـنـافـقـين مـرـة تـلو مـرـة ولـكـنـنا لا نـفـيقـ ، وـنـرـى المؤـامـرات تـترـى عـلـيـنـا بـمـخـتـلـفـ الأـزـيـاء بلـ اـنـا فـيـها نـحـيـقـ ، فـاتـخـينـ لهمـ قـلـوبـنـا ، وـآخـذـيـهمـ رـفـقـاءـ الطـرـيقـ ، فـمـنـ هـنـا نـذـلـ وـنـضـعـ وـنـسـخـى وـنـلـقـى كـلـ عـنـتـ وـخـبـالـ حـيـثـ يـدـسـ فيـ صـفـوفـنـا.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ الْقِتَالِ وَاللَّهُ سَيِّعُ عَلَيْهِمْ (١٢١) إِذْ هَمَّ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٢٢).

منـ السـيـئـاتـ الـتـيـ أـصـابـتـ الـمـسـلـمـينـ هـيـ الـهـزـيمـةـ الـعـظـيمـةـ فـيـ أـحـدـ ، فـفـرـحـتـ بـهـاـ أـعـدـاءـهـمـ منـ أـهـلـ الـكـتـابـ وـالـمـشـرـكـينـ ، وـهـكـذـاـ تـرـتـبـطـ آـيـةـ الـعـدـوـ بـسـابـقـتـهـاـ : ﴿وَإِنْ تُصِبِّنُكُمْ سَيِّةً يَغْرِحُوا أـهـلـ الـكـتـابـ وـالـمـشـرـكـينـ .﴾

وهـنـاـ تـذـكـرـةـ عـابـرـةـ خـاطـفـةـ بـغـزوـةـ أـحـدـ وـسـبـبـ الـهـزـيمـةـ ، ثـمـ اـنـتـقالـةـ إـلـىـ غـزوـةـ بـدرـ السـابـقةـ عـلـيـهـاـ تـدـلـيـلاـ عـلـىـ اـسـتـمـارـاـتـ الـرـحـمـةـ الـغـالـيـةـ الـرـبـانـيـةـ هـذـهـ الـأـمـةـ ماـ قـامـواـ بـشـرـوـطـهـاـ ، وـأـنـ هـزـيمـةـ الـحـربـ هـيـ مـنـ قـضـاـيـاـ الـهـزـيمـةـ عـنـ وـاجـبـ التـطـبـيقـ لـلـإـمـرـةـ الـرـسـالـيـةـ فـيـ حـقـلـ الـحـربـ اـمـ وـسـوـاهـاـ.

ومن ثم تستمر التذكرة بحرب أحد وما خلفت من بلورة الإيمان لقلة قليلة ، ومن زلزلة الاطمئنان وتأرجف الإيمان لكتلة كبيرة ، كدرس للأمة الإسلامية مع الأبد ، نبراسا ينير الدرج على المجاهدين في خطوط النار للأخذ بالثأر والقضاء على العار ، ومتراسا يتترسون به في تقدمات الحرب وتقدّماتها.

وهنا انتقالة لطيفة عطيفة من معركة الجدال والتنوير والتوجيه والتحذير ، إلى معركة النضال في الميدان ، إلى معركة أحد ومن قبلها بدر.

وهنا تتضمّن عراك في الضمير بطريق العراك الدموية الفادحة ، ومعركة الضمير هي أوسع المعارك في مختلف النضال والجدال.

لقد كان النصر أولاً في بدر ثم الهزيمة ثانياً في أحد ، وكما الانتصار كان عظيماً حيث غلبت فيه فئة قليلة على فئة كبيرة بإذن الله ، كذلك كانت الهزيمة أيضاً عظيمة ، ولكنّما الهزيمة خلفت . رغم أوجاعها وأجواءها المحرجة . انتصاراً معرفياً وبقية بعد غفوة للكتلة المؤمنة ، ولكنّي لا يغتروا بانتصارهم الأول ، فيتركوا شروطاته المقررة في شرعة الله.

ففقد محصّت في هذه الهزيمة نفوس وميّزت صفوف وصنوف ، وانطلق المسلمون متّحررين عن كثير من أغباش التصورات الخاطئة التي هي عشيرة الفتح الخارق للعادة بطبيعة الحال.

فمیغان قيم وتأرجح مشاعر من نزوة الفتح المبين من ناحية ، وتسرب منافقين وقليلي الإيمان من أخرى ، ما كانت تجبر إلا بهزيمة ما هي في نفس الوقت من خلفيات تخلف عسكري عن أمر القائد الرسالي .

ولم تكن حصيلة الهزيمة بأقل عائدة من حصيلة الفتح أم هي أكثر ، فتلك هي حصيلة ضخمة ما أهوج الأمة الإسلامية إلى دراستها طوال تاريخها ، ولكنّي تأخذ حذرها وأهبتها في كل مواجهة نضالية من ذلك الرصيد العظيم.

»و« اذكر من ضمن الذكريات الحربية الفاشلة لفشل من المسلمين ﴿إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ خرجت غداة من أهلك في المدينة إلى خارجها : «أحد». حال انك «تبوع» إيواء لبواء الحرب الدفاعية ﴿تَبَوَّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلقتال﴾ لأنك قائد الحرب على ضوء القيادة الرسالية الحلقة على كافة المصالح الروحية والزمنية.

فليس لأحد أن يبوع المؤمنين مقاعد للقتال والرسول فيهم إلا هو ، فعليك يا رسول المدى تنظيم التكتيكية الحربية أمّا هي من تكتيكات نظامية وانتظامية ، وهامة الأمور الجماعية للMuslimين ، فإنك الحاكم بين الناس بما أراك الله في كل ما يتطلب الحكم من خلافات روحية أو زمنية : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحُقْقِ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ إِمَّا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِ حَصِيبًا﴾ (٤: ١٥).

وليس مجال الحكم بين الناس . في الأكثريّة الساحقة . إلا فيما هم فيه يختلفون من مصالح معيشية . جماعية . اقتصادية . حربية ، اماهية.

فلا تعني الرسالة الإلهية . فقط . مصالح المحراب والعبادة ، بل ومصالح الحرب والإبادة لمن يتربصون باهل الحق كل دوائر السوء.

وكما أن تكاليف المحراب مقررة بولي الله ، كذلك تلتبيكات الحرب هي بولي من الله ، فإنّهما معاً مدلوان لـ ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ إِمَّا أَرَاكَ اللَّهُ﴾.

فهذه خرافه قاحلة أن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) شاور أصحابه بشأن غزوه أحد أخرج إليه خارج المدينة فيغزوهم أم يظل داخلها فيدافع عن الأهلين ، فأشاروا عليه بالخروج وكان من رأيه المقام داخل المدينة! <sup>(١)</sup>.

الدر المتنور (١: ٦٨) أخرج جماعة عن ابن شهاب و محمد بن يحيى بن حبان و عاصم بن عمر بن قنادة والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم ، كل حديث بعض .

. الحديث عن يوم أحد قالوا : لما أصيَّبَ قُرَيْشَ أو من نَالَهُ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدرٍ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ وَرَجَعَ كُلُّهُمْ إِلَى مَكَّةَ وَرَجَعَ أَبُو سَفِيَّانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ أَبِي رِبِيعَةَ وَعُكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ وَصَفْوَانَ بْنَ امِيَّةَ فِي رَجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَنْ أَصَبَّ آبَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَإِخْوَانَهُمْ بَيْدَرٍ فَكَلَمُوا أَبَا سَفِيَّانَ بْنَ حَرْبٍ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ فِي تِلْكُ الْعِيرِ مِنْ قُرَيْشٍ تِجَارَةً فَقَالُوا يَا مَعْشِرَ قُرَيْشٍ إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ وَرَكَمْ وَقَتَلَ خِيَارَكُمْ فَأَعْيُنُونَا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ لَعْنَا نَدْرَكَ مِنْهُ ثَارَا مِنْ أَصَابَ فَفَعَلُوا فَأَجْمَعُتْ قُرَيْشٌ لِحَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَخَرَجَتْ بِجَدْهَا وَجَدِيدَهَا وَخَرَجُوا مَعَهُمْ بِالظُّلُمَّنِ التِّمَاسِ الْحَفِيَظَةِ وَلَعْلًا يَفْرُوا وَخَرَجَ أَبُو سَفِيَّانَ وَهُوَ قَائِدُ النَّاسِ فَأَقْبَلُوا حَتَّى نَزَلُوا بَعْنَيْنِ جَبَلَ بِبِطْنِ السَّبْخَةِ مِنْ قَنَةِ عَلَى شَفِيرِ الْوَادِيِّ مَا يَلِي الْمَدِينَةِ فَلَمَّا سَمِعْ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَالْمُسْلِمُونَ بِالْمُشْرِكِينَ قَدْ نَزَلُوا حِيثُ نَزَلُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إِنِّي رَأَيْتُ بَقْرًا تَنْحُرُ وَأَرَيْتُ فِي ذَبَابِ سَيْفِي ثُلَّمَا وَأَرَيْتُ أَنِّي دَخَلْتُ يَدِي فِي درَّ حَصِينَةٍ فَأَوْلَتْهَا الْمَدِينَةُ فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدْعُوهُمْ حِيثُ نَزَلُوا فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بَشَرٌ مَقَامٌ وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتِلَنَا هُمْ فِيهَا وَنَزَلَتْ قُرَيْشٌ مِنْ زَلَّهَا أَحَدُ يَوْمِ الْأَرْبَاعَاءِ فَأَقَامُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ الْخَمِيسَ وَيَوْمَ الْجَمْعَةِ وَرَاحَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حِينَ صَلَّى الْجَمْعَةَ فَأَصْبَحَ بِالشَّعْبِ مِنْ أَحَدِ فَالْتَّقَوْيَةِ يَوْمَ السَّبْتِ لِلنَّصْفِ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ ثَلَاثَةِ وَكَانَ رَأَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي مَعْنَى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بِرِيَّةِ فِي ذَلِكَ أَنَّ لَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يَكْرَهُ الْخَرْجَ مِنِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ رَجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَكْرَمِ اللَّهِ بِالشَّهَادَةِ يَوْمَ أَحَدٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ كَانَ فَاتَّهُ يَوْمَ بَدرٍ وَحْضُورُهُ : يَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) اخْرُجْ بَنَا إِلَى أَعْدَائِنَا لَا يَرُونَا أَنَا جَبَنَا عَنْهُمْ وَضَعَفْنَا فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي يَعْمَانَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْمِ بِالْمَدِينَةِ فَلَا تَخْرُجْ إِلَيْهِمْ فَوَاللَّهِ مَا خَرَجْنَا مِنْهَا إِلَى عَدُوِّنَا قَطُّ إِلَّا أَصَابَنَا مَنَا وَلَا دَخَلْنَا عَلَيْنَا إِلَّا أَصَبَنَا مِنْهُمْ فَدَعْنَاهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بَشَرٌ وَإِنْ دَخَلُوا قَاتِلَهُمُ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ وَالرِّجَالُ بِالْحِجَارَةِ مِنْ فَوْقِهِمْ وَإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خَابِيْنَ كَمَا جَاءُوا فَلَمْ يَزِلْ النَّاسُ بِرِسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الَّذِينَ كَانُوا مِنْ أَمْرِهِمْ حَبْ لِقَاءَ الْقَوْمِ حَتَّى دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فَلَبِسَ لَامِتَهُ وَذَلِكَ يَوْمَ الْجَمْعَةِ حِينَ فَرَغَ مِنِ الصَّلَاةِ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ وَقَدْ نَدَمَ النَّاسُ وَقَالُوا اسْتَكْرِهْنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَلَمْ يَكُنْ لَنَا ذَلِكَ فَإِنْ شَنَّتْ فَاقْعَدَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَامِتَهُ إِنْ يَضْعُهَا حَتَّى يَقْاتِلَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فِي .

**وَكَيْفَ يُرَتَّأِيْ إِنْ يَغْرِيْ فِيْ عَقْرِ دَارِهِ فِيْذِلْ ، وَيَرْشِدِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْخَرْجِ فَلَا يَذْلِ**  
**أَمْ كَيْفَ يَتَّبِعُ خَلَافَ رَأْيِهِ وَهُوَ الْحَاكِمُ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ ! ، وَقَدْ**

. الف رجل من أصحابه حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد تحول عنده عبد الله بن أبي بثلث الناس ومضى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حتى سلك في حرة بين حارثة فذب فرس بذنبه فأصاب ذباب سيفه فاستله فقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وكان يحب الفأل ولا يعتاف لصاحب السيف شم سيفك فإني أرى السيف ستستل اليوم ومضى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حتى نزل بالشعب من أحد من عدوة الوادي لي الجبل فجعل ظهره وعسكره إلى أحد وتعي رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) القتال وهو في سبعمائة رجل وأمر رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) على الرماة عبد الله بن جبير والرماة خمسون رجلاً فقال : «انصر علينا الجبل بالنبل لا يأتونا من خلفنا ان كان علينا أو لنا فأنت مكانك لنؤتين من قبلك وظاهر رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بين درعين».

وفيه اخرج ابن جرير عن السدي ان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال لأصحابه يوم أحد أشروا علي ما أصنع فقالوا يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) اخرج إلى هذه الأكلب فقالت الأنصار يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ما غلبنا عدو لنا أثانا في ديارنا فكيف وأنت فيما فدعا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عبد الله بن أبي اسن سلول . ولم يدعه قط قبلها . فاستشاره فقال يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أخرج بنا إلى هذه الأكلب وكان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة فيقاتلوها في الأزمة فأتى النعمان ابن مالك الأنصاري فقال يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : لا تحرمني الجنة فقال بم قال بأبي أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وإن لا أفر من الزحف قال : صدقت فقتل يومئذ ثم أن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) دعا بدرعه فلبسها فلما رأوه وقد لبس السلاح ندموا وقالوا بعسما صنعوا نشير على رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والوحي يأتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا : أصنع ، رأيت ، فقال : رأيت القتال وقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل وخرج رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلى أحد في ألف رجل وقد وعدهم الفتح إن يصبروا فرجع عبد الله بن أبي في ثلاثة فتبعهم أبو جابر السلمي يدعوهم فأعيبوه وقالوا له : ما نعلم قتالاً ولكن أطعتنا لترجعن معنا وقال : إذ هم طائفتان منكم أن تقشا .. وهم بنو سلمة وبنو حارثة همَا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبي فعصمهم الله .

يروى عن حفيده الصادق (عليه السلام) انه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كان رأيه الخروج<sup>(١)</sup>.

وبقي رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

فوطئ على حرف نهر فقط فأخذت حربي فهزتها ورميته بما فوقعت في خاصلته وخرجت

(١) نور الثقلين ١ : ٢٨٤ مجمع البيان عن أبي عبد الله (عليه السلام). وفيه نقل قصة أحد باختلاف يسير عما نقلناه عن الدر المنشور ومنها . فقام سعد بن معاذ وغيره من الأوس فقالوا يا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ما طمع فينا أحد من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام فكيف يظفرون بنا وأنت فينا لا حتى تخرج إليهم ونقاتلهم فمن قتل منا كان شهيداً ومن نجا منا كان مجاهداً في سبيل الله رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) رأيه وخرج مع نفر من أصحابه يتبعونه إلى أحد وكان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عبد الله بن أبي وجماعة من الخزرج اتبعوا رأيه ووافت قريش إلى أحد وكان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عبد الله بن أبي كثیر في خسرين من الرماة على باب الشعب وشفق أن يأتي كمينهم من ذلك المكان فقال عبد الله بن جبیر في خسرين من الشعب حتى أدخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان وإن رأيتموه قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم ووضع أبو سفیان خالد بن الولید في مأْتَی فارس كمينا وقال : إذا رأيتمونا قد اخطلناه فأخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا وراءهم وعبأ رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أصحابه ورفع الراية إلى أمير المؤمنین (عليه السلام) فحمل الأنصار على مشركي قريش فاخذموه هزيمة قبيحة ووقع أصحاب رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في سوادهم وانحط خالد بن الولید في مأْتَی فارس على عبد الله بن جبیر فاستقبلوهم بالسهام فرجع ونظر أصحاب عبد الله بن جبیر إلى أصحاب رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يتباهون سواد القوم فقالوا لعبد الله بن جبیر قد غنم أصحابنا وبقي نحن بلا غنيمة؟ فقال لهم عبد الله اتقوا الله فإن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قد تقدم إلينا إن لا نربح فلم يقبلوا منه واقبلوا بنسل رجل فرجل حتى اخلوا مراكزهم وبقي عبد الله بن جبیر فياثني عشر رجلاً وكانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدري من بني عبد الدار فقتله علي (عليه السلام) فأخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحة فقتله علي (عليه السلام) وسقطت الراية فأخذته مسافع بن أبي طلحة فقتله حتى قتل تسعة نفر من بني عبد الدار حتى صار لواءهم إلى عبد لهم اسود يقال له صواب فانتهى اليه علي (عليه السلام) .

قطع يده فأخذ باليسرى فضرب يسراه فاعتنقها بالجذماوين الى صدره ثم التفت إلى أبي سفيان فقال : هل أعتذر فيبني عبد الدار فضريه علي (عليه السلام) على رأسه فقتله فسقط اللواء فأخذتها عمرة بنت علقمة الكنانية فرفعتها والخط خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير وقد فر أصحابه وبقي في نفر قليل فقتلهم على باب الشعب ثم أتى المسلمين من ادباه ونظرت قريش في هزيمتها إلى الراية قد رفعت فلا ذواها وأخزم اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) هزيمة عظيمة فأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كل وجه فلما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال : أنا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) إلى أين تفرون عن الله وعن رسوله؟ وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر فكلما أخزم رجل من قريش دفعت اليه ميل ومكحلا وقالت إنما أنت امرأة فاكتمل بهذا وكان حمزة بن عبد المطلب يحمل على القوم فإذا رأوه أخزموا ولم يثبت له أحد وكانت هند قد اعطا وحشيا عهدا لئن قتلت محمد او عليا او حمزة لاعطينك كذا وكذا وكان وحشى عبد جبير بن مطعم جشيا فقال وحشى : اما محمد فلا اقدر عليه واما عليا فرأيته حذرا كثیر الالتفاتات فلا مطعم فيه فكم لحمزة قال : فرأيته يهد الناس هذا فمرني فوطى على جرف ثغر فقط فأخذت حر بيته فهزتها ورميته بما فوقعت في خاصرته.

وفيه أخرج ابن حجر عن السدي ان رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) قال لأصحابه يوم أحد أشيروا على ما أصنع فقالوا يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) أخرج إلى هذه الأكلب فقالت الأنصار يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) ما علينا عدو لنا أثانا في ديارنا فكيف وأنت فينا فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) عبد الله بن أبي ابي سلول . ولم يدعه قطف قبلها . فاستشاره فقال يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) أخرج بنا إلى هذه الأكلب وكان رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) يعجبه ان يدخلوا عليه المدينة فيقاتلو في الأزمة فأتى النعمان ابن مالك الأنصاري فقال يا رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) : لا تحرمني الجنة فقال به قال باني اشهد أن لا إله الا الله وانك رسول الله واني لا افتر من الزحف قال : صدقت فقتل يومئذ ثم ان رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) دعا بدرعه فلبسها فلما رأوه وقد ليس السلاح ندموا وقالوا بنسما صنعوا نشير على رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) والوحى يأتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا : اصنع ما رأيت ، فقال : رأيت القتال وقال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) لا ينبغي لنبي ان يلبس لامة فيضعها حتى يقاتل وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) الى .

كلا وكما ان تبؤئ مقاعد للقتال كان من شئونه القيادية ، كذلك الخروج إلى تلكم المقاعد ، وانتصار الجموع الخاصة لها ، كل ذلك كان من رأيه الخاص بما أراه الله ، مهما شاور المسلمين في ذلك ليشير عليهم صالح الأمر إن اخطوا ويشتتهم تشجيعا لهم إن أصابوا ، وكما استصوب رأي المشيرين عليه بالخروج دون المشيرين بالمقام داخل البلد .  
وان لمكان القتال ومقاعدها مكانة هامة في النجاح ، يجب تقريرهما على القائد العام للقوات المسلحة حيث يراهما من المصلحة في صالح الحرب .

**﴿وَاللَّهُ سَيِّعٌ﴾** أقوالهم «علیم» بأحوالهم ، إذ تقولوا قيلات حول الحرب ومكانها ومقاعدها ، وتحولوا حالات : **﴿إِذْ هَمَّ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾**

لقد مشى النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يومئذ على رجليه يبؤئ المؤمنين مقاعد للقتال بنفسه الشريفة وهم قرابة الف تقابلهم ثلاثة آلاف من قريش ، كنفس القياس بين الجيшиين يوم بدر ، فلما تخلف من تخلف بغية الغنيمة ، خلف ذلك انحراما دمويا وكارثة قارصة بليل حالة المؤمنين وزلزل طائفه منهم واثبت آخرين ، امتحانا من الله للمؤمنين وامتهانا للمتخلفين .

**﴿إِذْ هَمَّ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَمُشَّلَا ..﴾**

هنا لك واقع الغل والفشل من طائفتين أولاهما عبد الله بن أبي ومعه قرابة ثلث الجيшиين حيث تخلف إذ خالف رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) رأيه في المقام بالمدينة للدفاع قائلًا : يخالفني ويسمع للفتية ، فيتبعهم عبد الله بن عمر وابن حرام والد جابر بن عبد الله يوحدهم ويحضهم على الرجوع ويقول : تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا ، قالوا : لو نعلم قتالا لا تبعناكم وهم كما قال

. احد في الف رجل وقد وعدهم الفتح إن يصروا فرجع عبد الله بن أبي في ثلاثة فتبعهم ابو جابر السلمي يدعوهم فأعيدهم وقالوا له : ما نعلم قتالا ولعن اطعتنا لترجعن معنا وقال : **﴿إِذْ هَمَّ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَمُشَّلَا﴾** وهم بنو سلمة وبنو حارثة همبا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبي فعصمهم الله وبقي رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في سبعمائة .

الله : هم يومئذ للكفر أقرب منهم للإيمان فرجع عنهم وبسبّهم ، فهؤلاء لم يحضروا القتال حتى يقال فشلوا ، فانما فلوا وتخلفوا.

ولماذا ولِي الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) رأس النفاق عبد الله بن أبي على ثلث الجيش؟ لكي يعرف به والذين معه انهم منافقون مهما تظاهروا انهم موافقون ، فالمعركة معركة امتحان وامتهان ضمن أنها ميدان دفاع.

ولقد فصلت الآيات الآتية بشأن حرب أحد أبعادا هامة من الواقع ، نتحدث على ضوءها كما تتحدث ، فهذه هي الطائفة الأولى من «طائفتان».

والأخرى هي الخمسون الذين قررهم رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مع عبد الله بن جبير حيث تركوا قاعدهم للقتال طمعا في الغنيمة ففشلوا ، ومن ثم هم الفشل ولا فشل . وهو فتّ في عضد التصميم بجبن . ﴿وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾ فول أمرهما فلم تفشلا ، وهما حيان من الأنصار : بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس لما انحزم عبد الله بن أبي ، همتا باتباعه فعصمهم الله فثبتوا مع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ولقد بقيت رابعة ولبيها علي (عليه السلام) لم تفل ولم تفشل ولم تقم بالفشل حفاظا على رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأمره.

فقد افترقت اصحاب أحد اربع فرق وانكسر المسلمون بهزيمة عظيمة لما خولف أمر رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أولا فيما ارتآه من الخروج للحرب خارج المدينة فالخالفه ابن أبي ، وثانيا ما قرره من مقاعد القتال وأهمها لابن جبير حيث تفرق جل أصحابه فحصل ما حصل !.

أتري الحال في «والله وليهما» مدح لهما بتلك الولاية الربانية؟ أم قدح فيهما لماذا همتا بفشل والله وليهما؟ إنما مدح من ناحية حيث عصمهم الله بتلك

الولاية عن تلك الهوة الجارفة إذ لم تخرجوا عن ولاية الله بذلك الهم<sup>(١)</sup> فهم داخلون في ولاية الله و ﴿الله وَيُلِئُ الدِّينَ آمُنُوا﴾.

وقدح فيهما من اخرى لماذا همـا ﴿وَالله وَلِيُهُمَا﴾ فيما وعد من النصر! . ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ولا سيما في همـ العصيان ، فإذا توكلوا عليه يعصيمهم بولايته العشيرة للمؤمنين.

وهكذا يجتب على المؤمنين أن يتوكلا على الله مضيـا في أمر الله ، واحترازا عن نهيـ الله ، فلو أن الله وـ كلـ أمورنا إلينـ دوـغا عـصـمة منه وـتسـدـيدـ لـما نـجـيـ منـا أحـدـ عنـ وـرـطـاتـ الـهـلاـكـ ، كـيفـ لاـ والـرسـولـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ) . عـلـىـ مـحـتـدـهـ الـعـظـيمـ يـقـولـ : رـبـنـاـ لـاـ تـكـلـنـاـ إـلـىـ أـنـفـسـنـاـ طـرـفـةـ عـيـنـ أـبـداـ ، وـيـقـولـ اللهـ فـيـهـ ﴿وَلَوْ لـاـ أـنـ ثـبـثـاـكـ لـقـدـ كـدـتـ تـرـكـنـ (٢) إـلـيـهـمـ شـيـئـاـ قـلـيلـ﴾ وـفيـ يـوـسـفـ «وـهـمـ بـهاـ لـوـلـاـ أـنـ رـأـيـ بـرهـانـ رـبـهـ» .

ذلكـ ، وـكيفـ ﴿هـمـتـ طـائـفـتـانـ مـنـكـمـ أـنـ تـفـشـلـاـ وـالـلـهـ وـلـيـهـمـاـ وـعـلـىـ اللهـ فـلـيـتـوـكـلـ المـؤـمـنـونـ﴾ . وـلـقـدـ نـصـرـكـمـ اللهـ بـيـدـرـ وـأـنـتـمـ أـدـلـةـ ...﴾ إـذـ كـنـتـمـ ذـلـاـ لـلـهـ وـظـلـاـ لـرـسـولـ اللهـ ، ثـمـ وـلـمـ يـنـصـرـكـمـ فـيـ أـحـدـ أـنـ لـمـ تـكـوـنـواـ ذـلـاـ ، وـكـنـتـمـ أـقـوـيـاءـ دـوـنـ ذـلـلـ فـيـ عـدـةـ اوـ عـدـةـ : ﴿وـلـقـدـ نـصـرـكـمـ اللهـ بـيـدـرـ وـأـنـتـمـ أـدـلـةـ فـأـنـتـوـ اللهـ لـعـلـكـمـ تـشـكـرـوـنـ﴾ (١٢٣) . وـتـرـىـ كـيفـ ﴿وـأـنـتـمـ أـدـلـةـ﴾ وـفـيـهـمـ رـسـولـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)

(١) الدر المنشور ٢ : ٦٨ . اخرج جماعة عن جابر بن عبد الله قال : فينا نزلت في بني حارثة وبني سلمة ﴿إـذـ هـمـ طـائـفـتـانـ مـنـكـمـ أـنـ تـفـشـلـاـ ...﴾ وما يسرني انـما لمـ تنـزـلـ لـقولـ اللهـ ﴿وـالـلـهـ وـلـيـهـمـاـ﴾ . وفيـهـ عنـ قـتـادةـ فيـ الآـيـةـ قالـ : ذلكـ يـوـمـ أـحـدـ وـالـطـائـفـتـانـ بـنـوـ سـلـمـةـ وـبـنـوـ حـارـثـةـ حـيـانـ مـنـ الـأـنـصـارـ هـمـواـ بـأـمـرـ فـعـصـيمـهـمـ اللـهـ مـنـ ذـلـكـ وـقـدـ ذـكـرـ لـنـاـ اـنـهـ لـمـ أـنـزلـتـ هـذـهـ الآـيـةـ قـالـواـ : ما يـسـرـنـاـ اـنـاـ لـمـ نـهـمـ بـالـذـيـ هـمـنـاـ بـهـ وـقـدـ أـخـبـرـنـاـ اللـهـ اـنـهـ وـلـيـنـاـ .

وَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾؟ فهل نزلت « وأنتم قليل » ام ضعفاء  
كما قيل؟ وهو قول عليل يختلفه الضعفاء حيث يعارض متواتر القرآن! .. إنها كمامية  
﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ تعني القلة المستضعفنة ، وهي ذلة بحسب الحلق الجاهلين ، مهما كانوا أعزاء  
بحساب الخالق ﴿وَإِذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ تَحَاوُلُونَ أَنْ يَتَحَطَّفُوكُمُ النَّاسُ  
فَاوَأْكُمْ وَأَيَدُكُمْ بِنَصْرٍ وَرَزْقًا مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٨ : ٢٦).  
إذا ف ﴿أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعِفُونَ﴾ هي عبارة أخرى عن ﴿أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ تتجاوزان في  
عناية واحدة ، كما وتعقيتهما واحدة : ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.  
وقد تكون «أذلة» جمعا للذل لا الذل ، فهم كانوا يبدرون ذلا لله . وتحت ظله . ولرسوله  
دون شناس ، فلذلك نصرهم الله وهم قليل مستضعفون ، ولكنهم انتصروا في أحد لتركهم ذلهم  
إلى شناسهم.

وقد يكون المعانيان معنيين وما أحسنه جمعاً تجاوباً مع أدب اللفظ وحدب المعنى ، أن الله نصركم لأنكم مستضعفون خضعاً لله ولأمره .  
و «أذلة» جمع قلة قد تؤيد ذلة القلة في عدّة وعدّة حرية ، وهم مع ذلك ذلّ بطوع الرسول دون شناس .  
فلقد كانوا في بدر ثلاثة عشر رجلاً بفرس واحد وجمال قليلة ربما ركب جمٍّ منهم جملاً واحداً وجملهم مشاة ، والكفار هم قرابة ألف ومعهم مائة فرس بأسلحة كثيرة .

(١) نور الثقلين ١ : ٣٧٨ في تفسير العياشي عن أبي بصير قال قرأت عند أبي عبد الله (عليه السلام) ﴿وَلَقَدْ نَصَرْكُمُ اللَّهُ بِيَدِكُمْ وَأَنْتُمْ أَذْلَلُهُ﴾ فقال : مه ليس هكذا أنزلها الله إنما نزلت «وأنتم قليل». وفيه عن تفسير القمي في الآية قال أبو عبد الله (عليه السلام) ما كانوا أذلة وفيهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنما نزل «ولقد نصركم الله بيادر وأنتم ضعفاء».

ولأن غزوة بدر هي بداية الغزوات الإسلامية ، وقد شاهد الصحابة من صلابة المشركين في مكة وقوتهم وثروتهم وهم أولاء لا يملكون ما يملكون هؤلاء من عدّة وعدّة ، فهم كانوا على إيمانهم . أذلة في حساب الكفار ، بل وفي حسابهم أنفسهم قضية ظاهر الحال ، وهم مع ما هم عليه من ذلة وذلة كانوا ذلا لرسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لا يخافون في الله أية قوة قاهرة ظاهرة.

ذلك ! ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ لا سواه «ولا تبعدوا إلا إيه» ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله بما نصركم

يوم بدر وينصركم إن كنتم متدين شاكرين ﴿وَلَقَدْ نَصَرْتُمُ اللَّهَ بِبَدْرٍ ...﴾ .

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّ يَكْفِيْكُمْ أَنْ يُمْدَدُكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾

(١٢٤) بلـي إـن تـصـرـرـوا وـتـنـقـوا وـيـأـتـوـكـمـ مـنـ فـوـرـهـمـ هـذـاـ يـمـدـدـكـمـ رـبـكـمـ بـخـمـسـةـ آـلـافـ مـنـ الـمـلـائـكـةـ مـسـوـمـينـ﴾ (١٢٥).

﴿نَصَرْتُكُمْ ... إِذْ تَقُولُ﴾ فـهـمـاـ إـذـاـ يـخـتـصـانـ بـبـدـرـ ،ـ نـصـرـةـ وـقـوـلـةـ ،ـ وـلـكـنـ نـقـلـةـ كـانـتـ

في أحد تنديدا بـهـمـاـ إـذـاـ يـصـبـرـواـ وـيـتـقـواـ حـتـىـ يـنـصـرـهـمـ فـيـهـ كـمـاـ نـصـرـهـمـ بـبـدـرـ ،ـ اللـهـمـ إـلاـ فيـ بـدـايـتـهـ وـلـمـ يـتـرـكـواـ مـقـاعـدـهـمـ .

ثم ﴿أَلَنْ يَكْفِيْكُمْ ..﴾ سـئـوالـ تـأـيـبـ يـنـفـيـ الإـحـالـةـ المـرـعـومـةـ بـالـنـسـبـةـ لـتـلـكـ الـكـفـاـيـةـ

بـإـمـادـادـ مـلـائـكـيـ ،ـ كـأـنـ فـيـهـمـ مـنـ زـعـمـ أـلـاـ يـفـيـدـ الإـمـادـادـ إـلـاـ بـالـجـيـوشـ الـأـرـضـيـةـ ،ـ حـيـثـ الـقـلـةـ الـمـسـلـمـةـ تـرـىـ نـفـيـرـ الـمـشـرـكـينـ لـخـارـبـتـهـمـ لـأـوـلـ مـرـةـ ،ـ وـهـمـ مـفـاجـئـوـنـ بـهـاـ إـذـ خـرـجـواـ لـالـنـقـاءـ طـائـفةـ الـعـيـرـ الـمـوـقـرـةـ بـالـمـتـاجـرـ لـالـمـوـقـرـةـ بـالـسـلـاحـ ،ـ وـقـدـ أـبـلـغـهـمـ الرـسـوـلـ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)ـ مـاـ أـوـحـيـ إـلـيـهـ لـتـبـيـتـ قـلـوبـهـمـ وـأـقـدـامـهـمـ فـيـ هـذـهـ الـمـفـاجـأـةـ الـمـفـاجـعـةـ ،ـ وـهـمـ .ـ عـلـىـ إـيمـانـهـمـ .ـ بـشـرـ يـحـتـاجـونـ إـلـىـ خـارـقـةـ الـعـوـنـ فـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ الـإـسـتـشـائـيـةـ فـيـ صـورـةـ تـبـلـغـ مـشـاعـرـهـمـ الـمـأـلـوـفـةـ ،ـ وـقـدـ أـبـلـغـهـمـ ذـلـكـ الـإـمـادـادـ شـرـطـ الصـبـرـ عـلـىـ تـلـقـيـ صـدـامـاتـ الـهـجـمـةـ الـفـاتـكـةـ الـهـاتـكـةـ ،ـ وـالتـقـوىـ

التي تربط القلب بالله في الانتصار والاحرام.

ذلك . وبأحرى ان تتعلق «إذ» بمحذوف معروف هو «اذكر» قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) . إذا . كان يوم أحد تنديدا بالمخالفين من جيشه عن اصل الحرب او عن مقاعدهم ﴿أَلَنْ يَكْفِيْكُم﴾ الآن كما كان يوم بدر «أن يمدكم ربكم ... بل يكفيكم» ان كنتم مؤمنين الآن كما كنتم يوم بدر ، بل و﴿إِنْ تَصْرِّفُوا وَتَنْقِضُوا﴾ كما صبرتم واتقيتم يوم بدر ﴿وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرَهُمْ هَذَا يَمْدُدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ زيادة على بدر لاستمرارية الصبر والتقوى و ﴿إِنْ لَيْسَ لِإِنْسَانٍ إِلَّا مَا سَعَى﴾<sup>(١)</sup>.

وترى كيف ﴿بِثَلَاثَةِ آلَافِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ يوم بدر ، والكافار كانوا يرونهم مثلיהם رأى العين : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةً فِي فَتَنَّ النَّقَادِ فِتْنَةُ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَآخْرَى كَافِرَةً يَرَوُهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (٣ : ١٣) وهو ألفان ، بل وalf كما ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَيْمَانِيْمُدُّكُمْ بِأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَدِفِينَ﴾ (٨ : ٩) ، فأين ثلاثة آلاف من ألفين ، ثم اين هم من ألف؟.

ان الالف المردفين هم اردفوا ألفين آخرين ، مما يوضح ان ثلاثة آلاف لم ينزلوا دفعه واحدة ، فاما « جاءت الزيادة من الله .. »<sup>(٢)</sup>.

واما ﴿مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ فهو موقف آخر من بدر كنصرة ثانية ، فوقع

(١) الدر المثور ٢ : ٦٩ . اخرج ابن حجر عن زيد قال قالوا الرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم يتظرون المشركين يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أليس يمدنا الله كما أمدنا يوم بدر فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ألن يكفيكم .. منزلين . فاما أمدكم يوم بدر بألف قال فجاءت الزيادة من الله على ان يصبروا ويتقووا .

(٢) مضت هذه الجملة عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) في الامان السالف فلا نعيد .

النصرة كان بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين من حيث تحارب ولا ترى ، وظاهر النصرة أنهم كانوا يرونهم مثلهم . لا لأنهم كانوا مثلهم . وإنما . رأى العين .

ثم «بلى» يكفيكم ذلك الإمداد الملائكي غير المرئي ، بلى و ﴿إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾ كما صبرتم في بدر ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْهِمْ هَذَا﴾ كما أتوكم ﴿يَعِدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ خمسة هنا بديلا عن ثلاثة هناك ، و «مسومين» هنا بديلا عن «منزلين» . فقط . هناك ، وقد صدقهم الله وعده في بداية أحد فأمدهم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين كما صدقهم في بدر : ﴿وَلَقَدْ صَدَقْتُمُ اللَّهَ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُوْكُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ..﴾ (١٥٢).

والتسويم هو التعليم عالمة ، وهو هنا علّه يجمع إلى عالمة الحرب بالظاهر الجندي ، عالمة ملائكية تيزهم عن سائر الجيش .

وقد تجمع «مسومين» . حالا . بين حال المؤمنين والملائكة ، مهما كان تسويتهم على سواء أو مختلفين (١) .

﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْغَنِيْرِ الْحُكْمِ﴾ (١٢٦).

ما جعل الله ذلك الإمداد الملائكي إلا بشري لكم للانتصار ولطمئن

(١) نور الثقلين ١ : ٣٨٨ في تفسير العياشي عن إسماعيل بن همام عن أبي الحسن (عليه السلام) في قول الله «مسومين» قال : العمام ، اعتم رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فسد لها من بين يديه ومن خلفه . وفيه عن جابر عن أبي جعفر (عليهما السلام) قال : كانت على الملائكة العمام البيض . وفي الدر المنشور ٢ : ٧٠ قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : نزلت الملائكة على سيما أبي عبد الله

...

قلوبكم به ، لأن النصر مربوط النياط . ككل . بأمثال هذه الإمدادات ، وإنما هي موجبات ظاهرة تلتقي مع ظواهر النظارات ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ سواء أكان بأسباب ظاهرة كهكذا إمداد ام غير ظاهرة كسائر النصر .

هنا القرآن . كأضرابه فيه . يحرض على تقرير هذه القاعدة الرصينة المتينة في التصور الإسلامي ، ان مرد الأمور كلها إلى الله وليس نزول الملائكة إلا بشرى لهم واطمئنانا لقلوبهم أنسا بالملأوف .

﴿لِيُقْطَعَ طَرْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يُكْتَبُهُمْ فِي نُقَلْبِهِ خَائِبِينَ﴾ (١٢٧).  
ولمَاذا ﴿نَصَرْكُمُ اللَّهُ بِيَدِهِ ... وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾؟ ﴿لِيُقْطَعَ طَرْفًا ... أَوْ  
يُكْتَبُهُمْ﴾.

فهناك غاية محدودة لنصر الله هي أن يقطع طرفا من الذين كفروا ، نفسها او نفيسا ، وأرضا أو سلطة أو أية فاعلية ، وهذه حاصلة منذ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وحاضرى الأئمة وزمن الغيبة الكبرى ، وأن الطرف من الميكل عضو له أيا كان ، فقد تصور الذين كفروا هيكلوا واحدا له أطراف ، وقد يعني هنا لينقص عددا من أعدادهم او عددا من إعدادهم فيوحن عضدا من أعضادهم ، كواجب نضالي على الذين آمنوا ، مستمر على طول الخط حتى يصل إلى «او يكتبهم» :

فهنا غاية غير محدودة لذلك النصر هو «أو يكتبهم» : يصرعهم . ككل . لمكان ضمير الجمع دون تبعيض كان في ليقطع ، يصرعهم على وجهم ، ويهلكهم ويعلّقونهم وبهزهم ويذلّهم ويغيظهم . والكل معان للكبت . **﴿فَيُنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾** آيسين لا أمل لهم في رجوع إلى كيان أيّا كان ، وهذا في الدولة الإسلامية الأخيرة العالمية حيث لا يبقى للكفر رطب ولا يابس ، اللهم إلّا

شرذمة من أهل الكتاب في ذمة الإسلام ، لا دور لهم في الحكم.

فكل نصر من الله للمؤمنين محدد بحدود صبرهم وتقواهم حتى يصل الأمر إلى أصحاب صاحب الأمر الذين هم نخبة التاريخ الرسالي ككل ، أصحاب الولية وجيشا وأنصارا آخرين من الراجعين معه ، عجل الله تعالى فرجه .

ذلك ! وبصورة عامة الكتب كتب على الكافرين على مدار الزمن قليلا أو جليلا ف:

**﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُمَا كُتِبَتِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٥٧ : ٥)**

**﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فِإِنَّمَا طَالُمُونَ﴾ (١٢٨)**

ترى ما هو الأمر المسلوب عنه مستغرقا ، وبماذا نصب «او يتوب او يعذب»؟.

أتراه كل أمر حتى المختارة في حقل التكليف؟ ويعارضه واقع الإختيار وأدله في الكتاب والسنة ، وبراهينه العقلية والفتورية! ثم ولا رباط بين سلب الإختيار وموقف الحرب المحرض فيها بتقديم كل مكنته ، وبالصبر والتقوى! ثم **﴿أَوْ يَشُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ﴾** وهما ليسا من أمره لا تخيرا ولا تسييرا.

فلا رباط لهذه الجملة ولا تعلق في تصحيح مذهب المجرة المسيرة ، الواهي المتهافت ، وهم يسمعون الله تعالى يأمر نبيه أن يدعوا الكفار إلى الله ، مكررا دعاءه على أسماعهم ، مصرا على إصغائهم ، ناهجا لهم طريق الإيمان ومناره ، ومنذرا ومحذرا ، وموقظا ومبشرا ، وآخذوا بمحجزهم من المتهافت في النيران ، فكيف له من أمر التكليف شيء؟!.

ام هو أمر الأمر والنهي بعد الدعوة؟ وما معها قوائم ثلاثة لكيان الداعية

في الدعوة! فسلبها . إذا . استصال للرسالة عن بكرتها ، واسترسال للمرسل إليهم في نكرتهم.

أم هو امر التكوين والتشريع ثم له أمر الشريعة بقيادتها في كل حقوقها الرسالية للداعية؟

وذلك واقع لا مردّ عنه ، وهناك النصر الموعود والواقع قبل ، وهنا التوبة عليهم او تعذيبهم

بعد ، كلاهما من الأمر التكوفي الذي ليس له منه شيء ، ثم وليس مشرعا كما ليس مكونا

، فإنما هو رسول يحمل شرعة الله دون تخلف عنها قيد شعره ، دون زيادة او نقصة.

فإلهادية والإضلal ، والثواب والعقاب ، وما أشبه ، كل ذلك من أمره تعالى ، اللهم

إلا هداية الدلالة وضلاله تركها ، فإنهما من فعل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو لا

حالة دال دون ترك على أية حال : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ

أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ .

اجل ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ من هداهم وضلالهم ، من ثواهم وعقابهم ، من

استصلاحهم او استصالحهم او تدبير مصالحهم او تحديدها ، او تقديم آجالهم او تأخيرها.

فلقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا رأى من الكفار تشديدا في تكذيبه ،

ومبالغة في إطفاء نوره سأله تعالى أن يأذن له في الدعاء عليهم باستصال او تعجيل

عذاب ، فكان تعالى قد يأذن وقد لا يأذن تبيينا له أنه سبحانه العالم بمسائر الأمور

ومصايرها ، لعلمه ان منهم من يؤمن ويتبوب . كالوحشي قاتل حمزة ، وأضرابه . فيكون . إذا .

زائدا في عدده ، وعضاها من أعضاده .

او يأتي من ظهره من يظهر به الدين ويزيد في المسلمين ، إذ يعلم سبحانه

من المغارب مطالعها ومن المغارات طوالها ، ومن أوائل التلاعج والتزاوج عوائق التولد والنتائج.

ولقد نزلت هذه الآية يوم أحد إذ شجّت جبهته ، وكسرت رباعيته ، واستقطرت دماءه على صفحاته المباركة وهو مع ذلك حريص على دعاءهم ، ومجتهد في إنقاذهم ... أم وهو عازم على الدعاء عليهم مستأذنا ربّه سبحانه فهم أن يدعوا عليهم فقال : كيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم وهو يدعوه إلى الله ويدعونه إلى الشيطان ، ويدعوه إلى الهوى ويدعونه إلى الضلال ، ويدعوه إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، فهم إن يدعوا عليهم فأنزل الله : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ...﴾ فكف رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عن الدعاء عليهم <sup>(١)</sup>.

فليس له من أمر النصر الخارق لعادته ، ولا من أمر الهوى والضلال والثواب والعقاب أما شابه من امور تكوينية او تشريعية ، ليس له شيء ، فاما هو رسول ، كل كيانه رسالة الله ، دون مشاركة مع الله فيما يختص من تكوين او تشريع بالله ، ولا تفويض له في أي أمر حتى الولاية الشرعية ، ف ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتُخْكِمَ بَيْنَ النَّاسِ إِمَّا أَرَكَ اللَّهُ﴾ دون ما يراه ، فضلا عن سواه.

ثم ترى ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُم﴾ معطوفان على ﴿يُنْقُطَعَ طَرَفًا ...﴾

(١) الدر المثور ٢ : ٧١ . اخرج ابن حجر عن الربيع قال نزلت هذه الآية على رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يوم أحد وقد شج وجهه وأصيبت رباعية فهم .. وفيه اخرج الترمذى وصححه وابن حجر وابن أبي حاتم عن ابن عمر قال : كان النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يدعو على اربعة نفر فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ...﴾ فهداهم الله للإسلام .

ف **لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ** جملة معتبرة بينهما؟ وهو فت في عضد الفصاحة وثلم في جانب البلاغة! وهو لا يناسب كونه غاية لـ «نصر الله» فان **يَتُوبَ عَلَيْهِمْ** لا تمت بصلة للنصر ، فقد يتوب ولا نصر وقد لا يتوب مع النصر! .

أو ان «او» فيها بمعنى «إلا أن» أو «حتى» كما هما من معانيها؟ وهو الظاهر هنا معنويا كما هو أديبا أن **لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ** من التوبة عليهم وعذابهم إلا ان يتوب الله عليهم او يعذبهم ، يتوب عليهم إن تابوا اليه ، او يعذبهم فإنهم ظالمون.

إذا ف «إلا» هنا استثناء منقطع ، ان ليس لك من الأمر شيء إلا الله.

ام و «حتى يتوب عليهم او يعذبهم» فهنا لك امر المتابعة لأمر الله ، ولماذا . إذا «او» بدلا عن «حتى» او «إلا أن»؟ عله لعنابة المعين مع العلم أن عنابة العطف هنا غير مناسبة ، ام انه . ايضا . معنى معهما عطفا لكلا التوبة والعقاب على القطع والكبت ، فقد «نصركم الله بيبر . وما النصر إلا من عند الله» ليقطع او يكتب او يتوب او يعذب ، وليس لك فيها من الأمر شيء ، وما أجمله جمعا بين مثلث المعاني ل «أو» لم تكن تعنيها لا حتى ولا إلا أن ، وما أقبحه تحريفا من لا يعرف مغاربي كلام الله فيختلف تحديفا<sup>(١)</sup> .

وفي الحق **لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ** كجملة مستقلة . مهما عننت ما عننت فيما احفلت بها . هي من خلفيات ملائبة في السياق تقتضيها ، فيرد قول

(١) نور الثقلين ١ : ٣٨٩ عن تفسير العياشي عن أبي جعفر (عليهما السلام) انه قرأ «ليس لك من الأمر شيء أن تتوب عليهم او تعذبهم فإنهم ظالمون».

أقول : وأية صلة بين **فَإِنَّمَا ظَالِمُونَ** وما قبلها ان كان «تتوب عليهم او تعذبهم» ، ولم يخلد . بعد . بخلد الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ابدا ان يتوب او يعذب ، اللهم إلا ان يدعوا الله لقبول توبه ام عذاب!

بعضهم «هل لنا من الأمر شيء» وقول آخرين ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ ليقول لهم وأضرابهم . حين ليس لرسول الهدى من الأمر شيء فبأحرى ملن سواه . فليس لهم . ككل . من الأمر شيء لا في نصر ولا هزيمة ، إلا قدر ما يسعون او يفشلون ، وبذلك ينسليخ المسلمين بأشخاصهم من بطر النصر وخطر الهزيمة ، ويطامنون من الكبرياء التي يثيرها الانتصار في نفوسهم ومن الزهو الذي تتمنج به أرواحهم وتتنفس أوداجهم .

فليس لهم . ككل . رسولا ومرسلا إليهم . شأن إلا تأدبة الواجب في كل حقل ، ثم نفض أيديهم من النتائج .

﴿وَلَلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٩).

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إذ لا تملك مما في السماوات وما في الأرض شيئا ﴿وَلَلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملك التشريع والتكوين ، ف ﴿يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ان يغفر له حين يستحقه ، لأن يشاء هو المغفرة ويعمل له ، ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ ان يعذبه حين يستحقه لأن يشاء هو العذاب بما يفعل له .

إذا ففاعل «يشاء» فيهما هو الله حيث يشاء مغفرة وعداها ، وهو المغفور له والمعدب حيث يشاء هما فيشيءهما الله ﴿وَمَا تَشاؤنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ .

ذلك ، ولكن سبقت رحمته غضبه ، كما تلمع له هذه التعقيبة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فبرحمته يغفر ما لم يناف عدله سبحانه ، كما بعدله يعذب حين لا مجال لغفره ورحمته .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوْا أَضْعافًا مُضاعفَةً وَاتَّقُوا اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾  
 (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطْبِعُوا اللَّهُ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ  
 (١٣٢) وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رِبَّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ  
 (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ  
 الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ  
 وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَنْ يُصْرُوْا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ بَخْرَأُهُمْ مَغْفِرَةً  
 مِنْ رِبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) قَدْ حَلَّتْ مِنْ  
 قَبْلِكُمْ سُنَّ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ

وَهُدًىٰ وَمُوعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾

هذه الآيات تظهر كأنها منقطعة الصلة بما قبلها وما بعدها من عرض الغزوتين بدر واحد ، ولكنها قريبة الصلة وعريقتها بالحرب حيث تأمر بمحاربة الأهواء والشهوات ، وتطهير النفوس ، فهي بين سلبيات وإيجابيات ، سلباً لكل ثلب وإيجاباً لكل واجب .  
فكمَا أن جهاد النفس وسط في جهاد الكفار ، كذلك آياتها تتوسط بين آيات الجهاد .

ولأنَّ الْجَهَادَ مِنْ أَفْضَلِ سُبُّلِ اللَّهِ وَهُوَ بُحَاجَةٌ إِلَى اِنْفَاقِ النَّفِيسِ كِإِنْفَاقِ النَّفْسِ ، فَلَا بَدَّ  
إِذَا . مِنْ التَّهْرِيْصِ إِلَى الإِنْفَاقِ ، وَلَيْسَ الْمَرَابِيُّ وَلَا سِيمَا بِالْأَضْعَافِ الْمُضَاعِفَةِ مِنْ يَنْفُقُ ،  
فَلَيْتَرَكِ الرَّبَا ثُمَّ لِيَنْفُقُ ، ثُمَّ لِيَسْأَعُ إِلَى مَغْفِرَةِ الرَّبِّ .

ولأن المشركين كانوا يأخذون الربا أضعافا مضاعفة لينفقوا في سبيل حرب المسلمين ، فخيّل إلى المسلمين انه ليس محظورا حيث يصرف في حرب المشركين ، وأن الجو يومذاك كان ككل . جو أكل الربا أضعافا مضاعفة ، لذلك تتقدم آية النهي عنها في هذه الآيات التسع الوسيطة بين الغزوتين :

﴿بِاِيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوَا اَضْعَافًا مُضَاعِفًا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

• ۱۳ •

لقد أسلفنا قولًا فصلاً حول الربا بتضاعيفها وكل حقوقها على ضوء آية البقرة ، فإنما علينا هنا أن نقف عند أضعاف مضاعفة دون إعادة لما مضى .  
أتري أن هذا النص يحرّم من الربا . فقط . أضعافاً مضاعفة ، ليتواتر

المربون وراءه بقالتهم القالة العائلة ، المفهوم من هذا النص أن الضعف في الربا والضعفين وما دونهما ليست محظورة ، وإنما هي الأضعاف المضاعفة؟.

كلا ثم كلا! حيث الأضعاف المضاعفة هنا ليست شرطا لأصل الحمرة ، إنما هي مواصفة لواقع كان في الجزيرة<sup>(١)</sup> وهو طبيعة الحال في النظام الريوي.

فالنظام الريوي يقيم دورة المال . كأصل ثابت . على الأضعاف المضاعفة ، فهو عملية متكررة على مدار الزمن ، ومتركبة من الأضعاف المضاعفة من أخرى ، فليست مقصورة على واقع الحال في الجزيرة ، بل قد تضخمت وتضاعفت ما تضاعفت الجماهير وتضخمت ، وتقادمت في الاقتصاد الظالم الغاشم .

لقد كان يكفي نص آية البقرة لحرمة أصل الربا مهما كانت درهما ، فليست . إذا .

لتتقيّد بأية الأضعاف المضاعفة ، فإن آية البقرة نص في إطلاقها ، لا تقبل اي تقييد مهما كان بنص ينفي الحرمة في بعض مواردها ، وأية الأضعف لا تنفي حرمتها في اي مورد ، إنما تثبت حرمة مغلظة في اضعاف مضاعفة ، والمتوافقان من الإطلاق والتقييد لا يتعارضان حتى يقييد مطلقهما بمقيدهما ، اضافة الى ان نص الإطلاق لا يقبل اي تقييد في نفسه من مقيد سلبي ، فضلا عن الايجابي كآيتها هذه .

والأضعاف المضاعفة ، هي الربا المضاعفة على رأس المال في بيع او دين أو أممية معاملة ربوية ، أن يزداد في الأجل فيضاعف الربا على ما قررت ، ثم تستمر المضاعفات حتى تصبح الآلاف آلاف دون أي حق إلا مزيد الأجل ، وذلك هدم لأركان الاقتصاد من أصولها .

(١) الدر المنشور ١ : ٧١ . عن مجاهد كانوا يتبايعون إلى الأجل فإذا حل الأجل زادوا عليهم وزادوا في الأجل فنزلت هذه الآية ، وأخرج مثله عن مجاهد وسعيد بن جبير .

﴿لَا تَأْكُلُوا ... وَاتَّقُوا اللَّهُ﴾ في أكل الربا وما سواها من باطل الأكل والعمل  
 ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ في حياتكم الإنسانية والإيمانية ، شقا لعرقل الحياة بسفينة التقوى ،  
 قضاء حاسما على الطغوي ، فإن الإسلام يعني للأمة المسلمة نظافة حيوية في كل حقوقها ،  
 والنهي عن أكل الربا في سياق التعقيب على معركة النضال أمر قاصد مفهوم في المنهج  
 التربوي الإسلامي ، فإن النظام الربوي لا يلائم إيمان الجهاد وجihad الإيمان ، فلا يأكل الربا  
 إنسان يتقي الله ويجهاد في سبيل الله ويختلف النار التي أعدت للكافرين :

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ . ١٣١

فأكل الربا أضعافا مضاعفة هو مع الكافرين في نارهم المختصة بهم ، حيث النار  
 دركات ، منها ما يختص بالكافرين ، كما منها ما يختص بالمنافقين ومنها ... فلا يدخل  
 آكل الربا مهما كان مسلما النار التي يدخلها عصاة المسلمين.

ذلك ! ولأن الربا مختلف ويلات بشعة لا تتجبر ، وتعمل حريقا عريقا على حياة  
 المجتمع فتحرقها عن بكرتها وتخرق ألفتها ، فهي نار تدخل آكلها ﴿النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ  
 لِلْكَافِرِينَ﴾ .

فترى إن أكل الربا كفر بالله وإن كان آكله مسلما؟ أجل انه كفر عملي داخل في  
 طليق الكفر ، ثم وكما ان الكفر دركات ، كذلك ﴿النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ دركات ،  
 فلا يعني دخول المرابي في هذه النار تسويته مع سائر الكفار في دركات النار ، ثم وأكل الربا  
 وإن كان كافرا عمليا فقد يورد صاحبه إلى كفر عقدي حين يحلل الربا بالمال ليبرر موقفه من  
 أكل الربا.

وهنا ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ دليل وجود النار بمعناها ، والقدر المعلوم منها نار البرزخ ،  
 وأما نار القيمة الكبرى فليست الآن موجودة كما وزبانتها لا

فقد يعني الإعداد للنار حاضر معدات النار في حياة التكليف من الوقود الأصيل وما دونه ، أم وإعداد مكانها وهو في السماوات والأرض ، ولكن إعداد الجنة أكثر فانها مخلوقة حسب آية النجم .

**﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ . ١٣٢**

طاعة الله طليقة عن اي تخلف ، حقيقة لساحة الربوبية ، هي طاعة في كتابه ، ثم وطاعة الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في سنته الجامعة على ضوء كتاب الله وطاعته : **﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾**

**﴿أَطِيعُوا ... لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** وترى حين تكون طاعة الله والرسول منجحة مفلحة فما هو دور الترجي على وشك الشك في **﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾**؟

علّه لأن الرحمة الربانية غير واجبة لفاعليها فهي من فضله وليس من عده ، فهي .  
إذا . غير محتمة عليه فيصبح الترجي لها ملن أطاع الله ورسوله ؟

ولكنها واجبة عليه بما كتبها على نفسه للتائبين من ذنوبهم فضلا عن المطيعين جملة وتفصيلا : **﴿وَإِذَا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا يَجْهَاهُهُ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** (٦ : ٥٤) كما **﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَبِّ لِيَرْبِّ فِيهِ ..﴾** (٦ : ١٢) ، فالمحشر الرحمة والرحمة في المحشر مكتوبان عليه تعالى بما كتب على نفسه فكيف **﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾**؟  
علّه لأن الطاعة الحاضرة لله والرسول لا يضمن الموت على الطاعة ، فعلّه يموت عليها ،  
وعلّه لا ، وذلك مجال الترجي للمؤمنين ككل ، ولكن المعصومين السابقين والمقربين ،  
المضمون لهم الموت على طهارة العصمة ، هم كذلك مضمونه لهم الرحمة ، ولكنهم . على

ضمانها . يتوجونها اعتبارا على عدم استحقاقها كأصل أولى مهما كتب ربكم على نفسه الرحمة .

وقد تعني «لعلكم» تعليق الواقع الرحمة على واقع الطاعة طبقاً عن طبق . ثم لطاعة الله والرسول درجات ، ومهما كانت رحمة الشواب مضمونه لمن مات على الطاعة ولكن رحمة الغفران عن السيئات غير مضمونة إلا لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ، وكذلك رحمة ترفع الدرجات ، فـ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ تشمل كافة الرحمات واجبات وراجحات في الدنيا والآخرة ، وكلها تتبنى طاعة الله والرسول ، درجات من الرحمات بدرجات من الطاعات ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ .

ذلك وكما نرى هذه الغاية المترجحة في ست أخرى <sup>(١)</sup> من الآيات منها : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارِكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٣ : ١٣٢) .

فلا رجاء في رحمة من لم يطع الله والرسول ، إنما هو للمطيع مهما اختلفت درجات الرجاء إلى قمتها المعنية وللمعصومين .

ثم وليس فحسب أن «أطيعوا ..» ما صدق أنها طاعة ، بل : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

. ١٣٣

«سارعوا» هي سباق في السرعة ، و ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ تعم مغفرة الدنيا والآخرة ، كما وتعالى مغفرة السيئات الحاصلة مغفرة السيئات الماحمة ولما تحصل في الأولى . والمسارعة إلى المغفرة تعني المسارعة إلى أسبابها المعنية في الكتاب والسنة جملة وتفصيلاً .

---

(١) والست الأخرى هي ٧ : ٦٣ و ٤٥ : ٤٩ . ٤٦ : ٢٧ . ٥٦ و ٢٤ . ٢٠٤ . ١٠ :

هنا «سارعوا» وفي الحديد ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢١) ، فلا بد من سباق في سرعة وسرعة في سباق . على مدار حياة التكليف .

﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ وهي كما لحنا إليه لا تخص مغفرة عن عصيان ، بل وعن عروضه ، ثم مغفرة في ترفع درجة ، فهي مثلث من المغفرة لكل زاوية أهلها حسب سباقه ومسارعته . وقد يروى عن رسول الهدى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في سبب نزول هذه الآية أنها تفضيلة للأمة المرحومة على سائر الأمم <sup>(١)</sup> ولكنها مسؤولة بما لا ينافي عدل الله ، فانما هي مزيد الرحمة .

واما ﴿جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ فتراه عرضها وجاه الطول؟ وليس ﴿السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ هما . فقط . عرضها حتى يقابل عرضهما طولهما! .

أم هو عرض السعة السطحية؟ فكذلك الأمر فإنهما كرتان معمقتان دون سطح فقط كما ليستا عرضها فقط !.

ام هو سعة السماوات والأرض بمثلث العرض والطول والعمق الدائري؟ أماهيه؟ وهذا هو المعنى الصالح هنا للعرض ، حيث العرض في المسطحات هو أقل الامتدادين وأكثرهما ، وفي الجسمات هو اقصر الامتدادات الثلاث

(١) الدر المثور ٢ : ٧٢ . اخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عطاء بن أبي رياح قال قال المسلمون يا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بنو إسرائيل كانوا أكرم على الله منا كانوا إذا أذن لهم ذنبه أصبح كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة باه أخذع انفك أخذع اذنك افعى كذا فنسكت فنزلت هؤلاء الآيات ﴿وَسَارِعُوا إِلَى قوله . فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ فقال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ألا أخبركم بخير من ذلك ثم تلا هؤلاء الآيات عليهم .

وأطواها ، وفي الأسطوانات والمخروطيات عن امتداد قواعدها وسهامها ، فعرض السماوات والأرض هو الأبعاد الكروية الأسطوانية.

ثم ترى ان السماوات والأرض هما بنفسهما مكان الجنة فأين . إذا . النار؟

فهل هما متداخلتان دون زحام بينهما مكانا ولا مكانة ، فهما لأهل الجنة جنة ولأهل النار نار ، كما الغارقون في النار ﴿أَعْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾ (٢٥ : ٧١) بلا زحام بين الماء والنار الكامنة فيه بتدييره تعالى؟ وهكذا تؤول الروايات القائلة «إذا جاء النهار فأين الليل»<sup>(١)</sup> ولكنها بعد غير مرضية.

(١) الدر المنشور ٣ : ٧٢ . اخرج ابن حجر عن التنوخي رسول هرقل قال قدمت على رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بكتاب هرقل وفيه انك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمنتفين فأين النار؟ فقال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سبحان الله فأين الليل إذا جاء الليل.

وفيه اخرج البزار والحاكم وصححه عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فقال : أرأيت قوله : وجنة عرضها السماوات والأرض . فأين النار؟ قال : أرأيت الليل إذا لبس كل شيء فأين النهار؟ قال : حيث شاء الله ، قال : فكذلك حيث شاء الله.

وروى في المجمع ما رواه في الدر المنشور أولاً بزيادة وهذه معارضة فيها إسقاط المسألة لأن القادر على أن يذهب بالليل حيث شاء الله قادر على أن يخلق النار حيث شاء .  
أقول : وأظن ان هذا الدليل من الراوي وقد ورد في حقائق التأويل للسيد الشريفي الرضي (٥ : ٢٤١). كبيان للرواية.

وعلى اية حال إذا عني «فأين الليل إذا جاء النهار» انهما معا موجودان لوقت واحد متداخلين في أفق واحد؟ فهذا بين البطلان.

وإذا عني ان مكائمهما واحد وهما يتوازدان عليه تلو بعض دون اجتماع لوقت واحد في أفق واحد؟ فهو على صحته في نفسه لا يناسب مكابي الجنة والنار إذ ليستا تلو بعض مكانا ، لأنهما معا موجودتان. وإذا عني ان بالإمكان تداخلهما في مكان واحد وزمان واحد كما تداخل الليل والنهار مهما اختلف الزمان ، فمع ان المثال لا يكفي تمثيلا لتداخل الزمان ، فالآلية لا تناسب ذلك التداخل كسائر آيات .

﴿وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ لا تناسب انحصاراً مكانها ، فصحيح التعبير عن ذلك العرض : «وجنة هي السماوات والأرض» ثم آية الحديد توضحها أكثر لمكان ﴿كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ولا بد من مفارقة بين المشبه والمشبه به ، مهما تشابها في جهة أو جهات ، وإذا كانت الجنة في نفس السماوات والأرض ، فهي نفسها مكاناً دون أن يشبههما.

ثم ﴿جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ وأضرابها دليل اختلاف مكانهما دون أي تداخل مهما أمكن في قدرة الله ، ولكنه تداخل على صحته . دون مرجع ، بل هو مزعج لأهل الجنة باشتراكهم مع أهل النار في المكان ، ثم ﴿إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ... ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ . وكثيراً أضرابها . تدل على الخروج عن النار ملناً اتقى ولا خروج في المتداخلين ، بل هو عروج عن حالة سيئة إلى حالة حسنة.

وبعد كل ذلك فمكان الجنة معروف في آية النجم ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (١٥).

فكما السدرة المنتهي هي منتهى الكون الحلق على السماء السابعة ، كذلك جنة المأوى التي عندها ، فليس جواب «فأين النار إذا؟ إلا أنها تحت الجنة المأوى ، سواء أكان السماوات والأرض بتمامهما ، أم ببعضهما ، ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ مما يدل على أنها لا تخلق على كل السماوات والأرض ، وإن لم تصح «جيء» ثم الجنة فوق النار لآية النجم و ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَّةٍ﴾ اي تعلو

. الجنة والنار ، ولا سيما آية النجم المقررة مكان الجنة عند سدرة المنتهي ، إذا فهذه الأحاديث مختلفة إذ لا تأويل لها صالحاً في نفسه ولا في حساب القرآن! اللهم إلا أن يعني من التشبيه أن مكان الجنة والنار في اتففين مختلفين كما الليل والنهار ، وهذا تأويل جميل وقد يؤيده حديث العياشي عن الصادق (عليه السلام) قوله في الجواب : إذا وضعوها كذا وبسط يديه إحداهما مع الأخرى إذا فالجنة فوق النار وهذا ما تعنيه آية النجم.

النار ، مهما كانتا قريتين إلى بعض البعض لمكان الترائي والمناداة ، ام غريبين والترائي بينهما بسبب رباني كما نجده هنا بضعف الأسباب الخلقية .

فقد تعني الآيات ان مثلث السعة للجنة هو سعة السماوات والأرض <sup>(١)</sup> ويا لها من سعة لا تتصور ، ونحن بعد عاجزون عن تقدير سعة أرضنا تماما .

**واما ﴿أَعِدْتُ لِلْمُتَّقِينَ﴾** فقد تعني ما عننته من حيث الإعداد **﴿أَعِدْتُ لِلْكَافِرِ﴾**

ولكن الجنة موجودة الآن حسب آية النجم وما أشبهها ، مهما كانت الصالحات في الجنة كما الطالحات في النار هي المعدات للثواب والعقاب ، ولكن سبق رحمته غضبة ، وسعة رحمته أكثر من عدله تقتضي في الجنة إعدادا أكثر من النار ، كما وأن نفس الجنة بحاصلها وما سيحصل كلها من فضل الله .

وآيات خراب السماوات والأرض لا تخرب الجنة التي هي محطة بالسماوات والأرض

، مهما خربت جحيم البرزخ وجنته بخراب السماوات والأرض ، حيث ينتهي دورها بانتهاءهما ، وعلى آية حال **﴿أَعِدْتُ لِلْمُتَّقِينَ﴾** وتراهم من هم ، إنهم :

**﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ**

**الْمُحْسِنِينَ ١٣٤ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ**  
وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥ .

هذه الموصفات الست هي بين مثلث الإحسان ، كما **﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ**

(١) نور الثقلين ١ : ٢٨٩ في تفسير العياشي عن داود بن سرحان عن رجل عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : إذا وضعوها كذا وبسط يديه إحداها مع الأخرى أقول قد يعني ذلك الوضع الثلاثي للسماوات والأرض .

**المُحْسِنِينَ** تعقيبة لها ، ومثلث الازالة لخلاف الحسن والإحسان :

١ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ ...﴾

﴿السَّرَّاءُ وَالضَّرَاءُ﴾ هما الفعلاء المؤنث من سرّ وضرّ ، وهما وصفان ممحوظ هو طبعاً معروفاً كـ «الحياة . الحالة» الأكثر سراً أو ضراً.

وكما «ينفقون» يعم كل نفس ونفيس ، كذلك ﴿السَّرَّاءُ وَالضَّرَاءُ﴾ تعان كل أبعاد الحياة السارة والضارة.

فليس إنفاقهم فقط في السراء ثم هم في الضراء يخلون ، فإنما حياتهم هي الإنفاق في الإقبال والإدبار ، حين السرّ والضرّ كحالة عامة أم في جانب الإنفاق ، فهم أولاء في سرورهم وحزنهم ، في يسرهم وعسرهم . وعلى أية حال . الإنفاق أنفسهم ونفائسهم في سبيل الله فلا يفشلون ولا ينجلون ، أجل وإن السراء لا تبطرهم فتلهمهم عن الإنفاق ، ولا الضراء تضجرهم فتنسيهم ، فلهم أرواح شفيفة عفيفة منطلقة من كل القيود والأغلال التي تقيدهم وتحول بينهم وبين حق الإنفاق وصالحة.

وهنا يتقدم الإنفاق علىسائر الست لأن له دوره العظيم العميم في عامة مسائل الإيمان ومنها الجهاد في سبيل الله الذي يتطلب الإنفاق من خالص النفس والنفيس.

٢ ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾ : غيظهم أنفسهم على الآخرين وغيظ الآخرين عليهم وعلى آخرين ، كظموا مثلاً للغيظ ، الذي له دور عظيم في إخماد نيران الفتنة بين المؤمنين ، والكم في الأصل هو شد القرية بعد امتلاءها ، فكم الغيظ هو شده بعد الامتلاء منه بحيث كان يتفجر منه لو لا شدّه.

ف من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأه الله أمنا وإيمانا<sup>(١)</sup> و «ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد ما كظم عبد الله إلا ملأ الله جوفه إيمانا»<sup>(٢)</sup>.  
وان كظم الغيظ وهو صرعة النفس الطائشة ، هو أشد من كل صرعة ، ف «ليس الشديد بالصرعة ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب»<sup>(٣)</sup> «.. ان يمتلي الرجل غيظا ثم يغلبه»<sup>(٤)</sup> فقد ؟ «وجبت محبة الله على من أغضب فحمل»<sup>(٥)</sup> «ألا إن الغضب حمرة توقد في جوف ابن آدم ألم تروا إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئا فليلزق بالأرض ، ألا إن خير

(١) الدر المنشور ٢ : عن أبي هريرة في الآية ان النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) قال : ... وفي النور الثقلين ١ : ٣٩٠ في اصول الكافي بسنده متصل عن سيف بن عميرة قال : حدثني من سمع أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيمة رضاه.

(٢) الدر المنشور ٢ : عن ابن عباس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) : ... وفي نور الثقلين ١ : ٣٩٠ في كتاب الخصال عن أبي حمزة الشمالي عن علي بن الحسين (عليهما السلام) قال : ما تحرعت جرعة أحب إلى من جرعة غيظ لا أكافي بها صاحبها.

(٣) المصدر عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) قال : ليس ...

(٤) المصدر اخرج البيهقي عن عامر بن سعد ان النبي (صلى الله عليه وآلها وسلم) مر بناس يتحادون مهراسا فقال : أتحسبون الشدة في حمل الحجارة انا الشدة ان يمتلي ...

وفيه اخرج البيهقي عن علي بن الحسين (عليهما السلام) ان جارية جعلت تسكب عليه الماء يتهدأ للصلة فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجه فرفع رأسه إليها فقالت : ان الله يقول : والكافرين الغيظ ، قال : قد كظمت غيظي ، قالت : والعافين عن الناس ، قال : قد عفا الله عنك ، قالت : والله يحب المحسنين ، قال : اذهي فأنت حرة.

(٥) المصدر اخرج الاصبهاني في الترغيب عن عائشة سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآلها وسلم) يقول : ...

الرجال من كان بطيء الغضب سريع الفيء وشر الرجال من كان بطيء الفيء سريع الغضب فإذا كان الرجل سريع الغضب سريع الفيء فانها بها وإذا كان بطيء الغضب بطيء الفيء فانها بها ...»<sup>(١)</sup>.

فالقدرة على الإنفاذ . كما في حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . هي من شروط الإحسان في كظم الغيظ ، حيث العاجز على الإنفاذ ، الخائف منه ، هو مكظوم غيظه بطبيعة الحال شاء ام أبى ، اللهم إلّا غيظا دون خلفية له على صاحبه .

(١) المصدر اخرج الطيبالسي وأحمد والترمذى وحسنـه والحاكم والبىهقى عن أبي سعيد الخدري قال : خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) خطبة الى مغيرة بن الشمس حفظها من حفظها ونسىـها من نسيـها واخـير ما هو كائن الى يوم القيمة ، حمد الله وأثـنى عليه ثم قال : اما بعد فـانـ الدـنـيـاـ خـضـرـةـ حـلـوةـ وـانـ اللهـ مـسـتـخـلـفـكـمـ فـيـهاـ فـانـظـرـ كـيـفـ تـعـمـلـونـ ، أـلـاـ فـاتـقـواـ الدـنـيـاـ وـاتـقـواـ النـسـاءـ أـلـاـ انـ بـنـيـ آـدـمـ خـلـقـوـاـ عـلـىـ طـبـقـاتـ شـتـىـ فـمـنـهـ مـنـ يـوـلدـ مـؤـمنـاـ وـيـحـيـاـ مـؤـمنـاـ وـيـوـوتـ مـؤـمنـاـ ، وـمـنـهـ مـنـ يـوـلدـ كـافـرـاـ وـيـحـيـاـ كـافـرـاـ وـيـوـوتـ كـافـرـاـ وـمـنـهـ مـنـ يـوـلدـ مـؤـمنـاـ وـيـحـيـاـ مـؤـمنـاـ وـيـوـوتـ كـافـرـاـ وـمـنـهـ مـنـ يـوـلدـ كـافـرـاـ وـيـحـيـاـ كـافـرـاـ وـيـوـوتـ مـؤـمنـاـ الاـ انـ الغـضـبـ ... وـانـ خـيـرـ التـجـارـ مـنـ كـانـ حـسـنـ الـقـضـاءـ حـسـنـ الـطـلـبـ وـشـرـ التـجـارـ مـنـ كـانـ سـيـءـ الـقـضـاءـ سـيـءـ الـطـلـبـ فإذا كانـ الرـجـلـ حـسـنـ الـقـضـاءـ سـيـئـ الـطـلـبـ فـانـهاـ بهاـ وإذاـ كانـ الرـجـلـ سـيـءـ الـقـضـاءـ حـسـنـ الـطـلـبـ فإنـهاـ بهاـ أـلـاـ لـاـ يـمـنـعـ رـجـلاـ مـهـابـةـ النـاسـ انـ يـقـولـ بالـحـقـ إذاـ عـلـمـهـ أـلـاـ انـ لـكـ غـادـرـ لـوـاءـ بـقـدرـ غـدـرـهـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ ، أـلـاـ وـانـ أـكـبـرـ الغـدـرـ غـدـرـ اـمـيـرـ الـعـامـةـ أـلـاـ وـإـنـ أـفـضـلـ الـجـهـادـ مـنـ قـالـ كـلـمـةـ الحقـ عندـ سـلـطـانـ جـائـرـ ، فـلـمـاـ كـانـ عـنـدـ مـغـيـرـيـانـ الشـمـسـ قـالـ : أـلـاـ إـنـ مـاـ بـقـيـ مـنـ الدـنـيـاـ فـيـماـ مـضـىـ مـنـهـ كـمـثـلـ ماـ بـقـيـ مـنـ يـوـمـكـ هـذـاـ فـيـماـ مـضـىـ .

وفيـ اخرـ البـيـهـقـيـ عنـ الحـسـنـ قـالـ قـالـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ :ـ انـ الغـضـبـ جـرـمـةـ فـيـ قـلـبـ ابنـ آـدـمـ مـتـرـوـاـ إـلـىـ اـنـفـاخـ أـوـدـاجـهـ وـحـمـرـةـ عـيـنـيـهـ فـمـنـ حـسـنـ مـنـ ذـلـكـ شـيـئـاـ فـانـ كـانـ قـائـمـاـ فـلـيـقـعـدـ وـانـ كـانـ قـاعـداـ فـلـيـضـطـبـجـعـ .

وفيـ اخرـ ابنـ أـبـيـ شـيـئـةـ وـاحـمـدـ وـابـنـ حـبـانـ وـالـطـبـرـانـيـ عنـ أـبـيـ ثـعـلـبـةـ الـخـشـنـيـ قـالـ قـالـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ)ـ انـ أـحـبـكـمـ إـلـىـ وـأـقـرـيـكـمـ مـنـيـ فيـ الـآـخـرـةـ أـحـاسـنـكـمـ أـخـلـاقـاـ وـانـ أـبـعـضـكـمـ إـلـىـ وـأـبـعـدـكـمـ مـنـيـ فيـ الـآـخـرـةـ أـسـوءـكـمـ أـخـلـاقـاـ الـثـرـاثـوـنـ الـمـتـشـدـقـوـنـ الـمـتـفـيقـهـوـنـ .

ثم وليس كظم الغيظ بصورة طلقة إحسانا ، فقد يكظم الغيظ في حالة حاضرة ليحقد ويضطعن فيتحول الغيظ الفائز إلى إهنة غائرة ، والغضب الظاهر إلى حقد دفين ، وحاضر الغيظ هي أقل محظورا من غائره ، ولا يعني كظم الغيظ إلا هضمه عن بكرته ، عن ظاهره وغائره ، في مثلث القال والحال والفعل ، في الحاضر والاستقبال.

٣ ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ عفوا طليقا عن مظلومهم التي تقبل العفو ، وأما العفو الذي يشجع على الظلم فليس منحها ولا مسموها ، إنما هو العفو الذي لا محظوظ فيه ، ولا سيما الذي يحول سببا إلى حسن وإلى أحسن ، وذلك واجب كل مسلم لأنه قضية واجب الإحسان في سبيل الدعوة إلى الله ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وهم هنا المنافقون الكاذبون العافون ، فقد يتحول الإنفاق والكم والغسل إلى الإساءة لأن ينفق في سبيل الله بدلا عن سبيل الله ، ويكتظم الغيظ عن يحب تأديبه وضرره أو قتله ، او يعفى عنه يشجع بعفوه إلى تخلف أكثر وأكثر ، فانما هذه الثالثة مدوحة إذا كانت في سبيل الله ، إحسانا إلى عباد الله الذين يستحقونه.

٤ . ٥ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ...﴾ والفاحشة هي المعصية المتجاوزة حدّها في ذاتها أم إلى غير فاعلها شخصيا أم جماعيا ، ومن الثاني المعصية المتجاهر بها حيث تشجع الجماهير على اقترافها ، أو الجامعية بينهما فأشد وأنكى ، فذلك المثلث من المعصية فاحشة مهما اختلفت دركاتها.

ثم ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ عام بعد خاص ، فإن العصيان أيا كان ظلم بالنفس سواء أكان فاحشة أم سواها ، صغيرة أم كبيرة.

وهنا ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ دليل على أن العصيان هو من خلفيات السيان ،

فالذاكر الله وهو يعرفه بالربوبية لا يعصى الله بفاحشة أم سواها ، فإنما يعصم الإنسان عن أي عصيان ذكر الله بعد معرفته.

ولأن النسيان هو من أسباب العصيان فلا يجبر العصيان إلا بذكر الله ، ثم **﴿فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوكُمْ﴾** طلب الغفر بقال وحال وأعمال ، فليس الاستغفار مجرد القال والقلب قال والعمل حال عن الاستغفار ، فالاستغفار فعل أصله من القلب ثم يظهر في القال والفعال .

**﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾** سؤال إيقاظ للغافلين وإيعاظ للمتساهلين ، وتأنيب من يظن أن هناك من يغفر الذنوب إلا الله ، أو لا غافر للذنوب حتى الله .  
وياما للسماحة الطليقة الربانية ، أن الله لا يدعونا إلى سماحة فيما بيننا حتى يطلعنا على جانب عميم من سماحته ، انه يعفو عن كل فاحشة وظلم بالنفس عند الذكر والاستغفار ،  
شرط أن :

٦ **﴿وَلَمْ يُصْرُوَا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** الإصرار على ما كان نتيجة النسيان بعد ما ذكروا الله واستغفروه ، وعلّهم المعنيان بـ **﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** مهما عننت معهما الإصرار عن علم بمادة الإصرار حظرا ، دون جهل سائد او تجاهل عAMD ، والإصرار أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدث نفسه بتوبة فذلك الإصرار <sup>(١)</sup> ف «لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار» <sup>(٢)</sup> بل

(١) نور الثقلين ١ : ٣٩٣ في أصول الكافي عن جابر عن أبي جعفر (عليهما السلام) في قول الله : ولم يصرروا على ما فعلوا وهم يعلمون قال : الإصرار .

(٢) المصدر عن الجموع عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : ...

و «لا والله لا يقبل الله شيئاً من طاعته على الإصرار على شيء من معاصيه» <sup>(١)</sup>.  
 ذلك لأنه دليل على عدم الإيمان حين لا تسوءه سيئة ، فالخوف من العقاب يبعث العاصي على الاستغفار والندم <sup>(٢)</sup>.

و «انه والله ما خرج عبد من ذنب بإصرار ، وما خرج عبد من ذنب إلا بإقرار» <sup>(٣)</sup>  
 ولقد كان يدعو الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الظَّانِينَ إِذَا أَحْسَنْتُ  
 أَسْبَشْرُوا وَإِذَا أَسْأَءْتُ أَسْتَغْفِرُوكُمْ» <sup>(٤)</sup>.

إنه ليس **﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾** مثيرة للاستهتار ، فإنما تحجل العاصي وتطمعه في الغفران وتثير الاستغفار.

فلقد يعلم الله ماذا خلق ومن ذا خلق ، خلق هذا الإنسان بما يحيط به ،

(١) المصدر في اصول الكافي عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : لا والله ...

(٢) المصدر عن ابن بن تغلب قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : ما من عبد أذنب ذنبنا فندم عليه الا غفر الله له قبل ان يستغفر وما من عبد أنعم الله عليه نعمة فعرف انها من عند الله إلا غفر الله له قبل ان يحمده.

(٣) المصدر عن معاوية بن عمارة قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : انه والله.

(٤) الدر المنشور ٢ : ٧٧ . اخرج البيهقي في الشعب عن عائشة قالت كان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يقول : ...

وفيه اخرج البيهقي عن أبي هريرة عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال : اربعة في حديقة قدس في الجنة ، المعتصم بلا إلا الله لا يشك فيها ومن إذا عمل حسنة سرتها وحمد الله عليها ومن إذا عمل سيئة ساءته واستغفر الله منها ومن إذا اصابته مصيبة قال انا لله وانا اليه راجعون.

وبالشهوة والحيونة أمام الفطرة والعقلية الإنسانية ، فقد تحبط به حمأة الشهوة إلى دركات من الفاحشة فينزو نزوة الحيوان ، ويترك حظوة الإنسان.

إن الله يعلم منه كل ذلك لأنه هو الذي خلقه وقدره ، فلا يقسو عليه في تخلفاته ولا يبادر إلى طرده من رحماته ما دامت شعلة الإيمان في قلبه غير منطقية ، وندوته غير متنافية ، عارفاً ربه وما يتوجب عليه أمامه ، فيأمره بالذكر بعد النسيان ويعذر له حين يستغفره ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

فليس الله بذلك الغفر الواسع داعياً إلى الترخص<sup>(١)</sup> تمجيداً للعاشر المابط ، والعاهر المابط ، ولا يهتف له بجمال المستنقع كما الواقعية البشعة تحتف له ، فانما هي إقالة عشرة واستجاشة الرجاء إليه في النفس الإنسانية كما يستجيش فيها الحياد ، فهو يربيه بين كفتي ميزان الخوف والرجاء ، دوغاً رجاحة لإحداهما على الأخرى لكيلاً يتآرجف.

أولئك هم المؤمنون في الحق ، الموعظون الموعودون بالغفران ، دون المستهترين المcriين غير الذاكرين الله ولا المستغفرين ، فإنهما خارج الأسوار ، مؤصلة في وجوههم تلك الذاكرين الله ولا المستغفرين ، فإنهما خارج الأسوار ، مؤصلة في وجوههم تلك الأستار ، ولكنهم على ما هم عليه . لا يعجلون بالعقوبة ، فلهم كما لسواهم مفتوحة باب التوبة إن أذابوا إلى الله ، وعلينا أن نتخلىق بأخلاق الله فلا نعاجل من ظلمنا بالعقوبة ما فيه مجال للإصلاح ، أم لا يخاف منه الإفساد.

فهناك . لما تنزل هذه الآية . يصرخ إبليس بعفاريه قائلاً : «من لها حتى قال الوسوس الخناس أنا لها ، قال : بماذا؟ قال : أعدهم وأمنيهم حتى يوأعوا

(١) خلاف ما يروى عن رسول المهدى (صلى الله عليه وآلـه وسلم) : لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم (الدر المثور ٣ : ٧٧) فإنه من اختلافات المخالفين عن شرعة الحق ، لأنـه تشجيع على الذنب ، امراً بشيء ينهى عنه !.

الخطيئة فإذا واقعوا الخطيئة أنسىتهم الاستغفار ، فقال : أنت لها فوكله بها إلى يوم القيمة»<sup>(١)</sup>.

ف «رحم الله عبدا لم يرض من نفسه أن يكون إبليس نظيرا له في دينه وفي كتاب الله نجاة من الردى وبصيرة من العمى ودليل إلى الهدى وشفاء لما في الصدور فيما أمركم به من الاستغفار مع التوبة ...»<sup>(٢)</sup>.

فحين يهددن إبليس «يا رب وعزتك لا أزال أغوي بني آدم ما كانت أرواحهم في أجسادهم ، يتهدد بقول الله : عزتي ولا أزال أغفر لهم ما استغفروني»<sup>(٣)</sup> ف «استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المحسور»<sup>(٤)</sup> وأنت

(١) نور الثقلين ١ : ٣٩١ في أمالى الصدق باسناده الى الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال : لما نزلت هذه الآية ﴿إِذَا فَعَلُوا فَاجْحَشَّا...﴾ صعد إبليس جبلا يكمله ثور فصرخ بأعلى صوته بعبارة فاجتمعوا اليه فقالوا : يا سيدنا لم دعوتنا؟ قال : نزلت هذه الآية فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين فقال : أنا لها بكذا او كذا ، قال : لست لها ، فقام آخر فقال مثل ذلك فقال : لست لها فقال الوسواس الخناس ...

(٢) نور الثقلين ١ : ٣٩٠ في تفسير العياشي عن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : رحم الله عبدا . الى . مع التوبة ، قال الله ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجْحَشَّا...﴾ وقال ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ بِجِدِّ اللَّهِ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ فهذا ما امر الله به من الاستغفار واشترط معه بالتنورة والإقلام عما حرم الله فانه يقول : إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، فهذه الآية تدل على ان الاستغفار لا يرفعه إلى الله إلا العمل الصالح والتوبة.

(٣) الدر المنشور ٢ : ٧٧ . اخرج احمد عن أبي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال قال إبليس وعزتك ... فقال الله عزتي ...

(٤) المصدر اخرج البزار والبيهقي في الشعب عن انس قال جاء رجل فقال يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إني أذنبت فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أذنبت فاستغفر ربك ، قال : فإني استغفر ثم أعود فأذنب فقال : إذا أذنبت فاستغفر ربك ثم عاد فقال في الرابعة استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المحسور.

مأجور ، أو اعلم أنه «لا يمل الله حتى تمل»<sup>(١)</sup> فليس الإصرار إعادة الذنب مع التوبة والاستغفار ، إنما هو ترك الندم بلا توبة واستغفار.

**﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّنْ رَّحْمَمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَهْمَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرٌ﴾**

. ١٣٦ **العاملين**

«أولئك» الأكارم «جزاءهم» عند رحمة في الدارين **﴿مَغْفِرَةٌ مِّنْ رَّحْمَمْ﴾** «وجنات» في البرزخ والقيامة **﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَهْمَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾** دون خروج عنها . عطاء غير محدود **﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾** فلبئس أجر الخاطلين التاركين عمل الإيمان إلى قوله ام وعقيدته . **﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَّ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾**

. ١٣٧

**﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾** في أمم خلت ، بقرون مضت «سنن» حسنة وسيئة **﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾** سيرا تاريخيا جغرافيا في أرض التكوين والتدوين وأفضلاته القرآن فانه معرض عريض للأرضين «فانظروا» نظر العقلية الناجحة ، نظر البصر الى البصيرة **﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾** في حياتهم الدنيا فضلا عن الأخرى ... ذلك وإن القرآن يربط غابر الإنسان بحاضره وحاضره بغاشه ، ثم ينبع من خلال الغابر والحاضر إلى مستقبل زاهر لو أن الناس اعتبروا فعبروا قنطر الحياة بسيارات العبر ، وشقوا أمواج الفتن بسفن المعتبر.

(١) المصدر أخرج البيهقي عن عقبة بن عامر الجهني ان رجلا قال يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أحذنا يذنب؟ قال : يكتب عليه ، قال : ثم يستغفر منه ويتب؟ قال : يغفر له ويتاب عليه ، قال : فيعود ويدنس؟ قال : يكتب عليه ، قال : ثم يستغفر ويتب؟ قال : يغفر له ويتاب عليه ، قال : فيعود ويدنس؟ قال : يكتب عليه ، قال : ثم يستغفر ويتب؟ قال : يغفر له ويتاب عليه ولا يمل الله حتى تملوا.

أجل وان في الأمم الخالية معتبراً متبرساً ، فانظروا الى فراعنة التاريخ وغارته حيث لم ينفعهم جعهم وسلطانهم شيئاً ، ولا حمتهم شواهد قصورهم ولا ذخائر كنوزهم ، فهم بعد أحاديث لم تبق منهم باقية إلا باغية من معابر ، ثم وآثارهم الظلمة الطاغية.

### ٣ ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمُوعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ١٣٨

«هذا» القرآن ، وهنا «هذا» البيان ﴿بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ دون خفاء ولا غطاء «بيان» لهم كلهم ، ثم ﴿وَهُدًى وَمُوعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ فمهما كان هدى دلالية للناس كلهم ، فليس هدى واقعية إلا للمتقين ، الذين إذا وقو ببيان اتقوا وإذا هدوا اهتدوا.

ومن الفارق بين البيان والموعضة ، ان البيان ليس إلا عن خفاء ، خفاء الجهل بالحق ، او خفاء التجاهل عنه ، او خفاء التصديق به ، فالبيان أيا كان يفيد إزالة الشبهة ، والمهدى بيان لطريق الرشد ، والموعضة بيان لمحاذير طريق الرشد ، فالمتّقى إنما يحتاج إلى المهدى . حيث يتحرى عنها . فيتبعها ، ثم إلى الموعضة فيتحرز عما يوعظ به ، وغير المتّقى يحتاج إلى بيان حتى يحتاج جهله او تجاهله.

فلا اثر للبيان ما لم يكن التقوى ، إلا أن من البيان ما يبعث على التقوى ، لأن غير المتّقى جاهم بما يحرضه على التقوى.

فالقرآن بيان للناس ككل ، من تبين به : ﴿وَنَرَنَا عَلَيْكُ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (١٦ : ٨٩) و ﴿مُوعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشَفَاءٌ لِمَاٰ فِي الصُّدُورِ﴾ (١٠ : ٥٧) ف ﴿هذا بِصائرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقَنُونَ﴾ (٤٥ : ٢٠) ، وإذا كان ﴿هذا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ فليكن تفهمه ميسوراً لهم كناس ، فلمعتذر عن فهمه او تفهمه سواء في كونهم من النسناس الخناس ، أكانوا من المؤمنين به المغالين تقصيراً في

تفهمه ، وانه خاص بالمعصومين (عليهم السلام) ، ام كانوا من قالوا ﴿فُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعْنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾.

فالقرآن ﴿بِيَانٍ لِلنَّاسِ﴾ ما تبينوا ، بيان في ظواهره ومظاهره ، ثم في إشاراته ولطائفه ، مهما اختصت حقائقه بكل تأويل بالرسول وعتتره المعصومين (عليهم السلام) : ، ف ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

ذلك . وإلى تعبئة وتقوية وتأسية وتشييت ، رجوعا الى ما مضى من مأسى غزوه أحد ، وبإجابات جادة عن شطحات الأقاویل حول هزيمته العظيمة :

## الفهرس

(سورة آل عمران) : التصوير في الإرحم في بحث علمي.....	١٥ . ١٩
آية التقسيم إلى محاكمات ومت Başاجات في قول فصل . التعريف بها والاجابة عن اثنى عشر سوالاً حول مواضع الآية . نظرات ثلاث حول الآية.....	١٩ . ٤٩
كشف «شهد الله انه لا اله الا هو» شهادة لنفسه؟ هس عشرة كاملة من مختلف الشهادات القاطعة.....	٦٢ . ٦٧
«ان الذين عند الله الاسلام»؟ فان حاجوك .....	٦٧ . ٧٠
كيف «تؤتي الملك من تشاء و...»؟ إنه بين إيتاه تكويوني وتشريعي .....	٧٥ . ٨٣
آيات إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل هي من ادلة كروية الأرض .....	٨٣ . ٨٦
ولاية الكافرين؟ «إلا ان تنتوا منهم تقاة» .....	٩٢ . ٩٤
حضور الاعمال يوم يقوم الاشهاد.....	٩٢ . ٩٤
هل «ان الله اصطفى آدم» تلمح لكونه وليداً من غيره؟ كلا.....	٩٨ . ٩٩
من هم آل ابراهيم وآل عمران.....	٩٩ . ١٠٥
ولادة مريم العجيبة في دعاء امها وفي واقعها يقول فصل . : كيف ندرت ما في بطئها محرا؟	١٠٥ . ١٢١
كلام حول النذر.....	١٢١ . ١٢١
«هنا لك دعا زكريا ربه ..» هل ان «حضوراً» تعني الحصر عن الزواج وهو سنة ايمانية؟!	١٢١ . ١٢٥
ليس «أني يكون لي غلام» تشكيك في وعد الله.....	١٢٥ . ١٢٧
هل ان مريم (ع) اصطفت على كل نساء العالمين حتى الصديقة الطاهرة سلام الله عليها؟	١٢٧ . ١٣١
وهي في العصمة القمة؟ ..	١٣١ . ١٣١
كلام حول الكفالة والاقتراض.....	١٣١ . ١٣٣
المسيح (ع) كلمة من الله؟ «ويكلم الناس في المهد» ليست دليلا على رسالته الفعلية حينه	١٣٧ . ١٤٤
كيف «... انى اخلق لكم ..»؟ و «هل من خالق غير الله»!	١٤٥ . ١٤٨

هل ان الانجيل يحمل شرعة مستقبلية ..... ١٤٨ . ١٥٠
اعتراف المسيح حسب الأنجل الموجودة بأنه عبد الله ..... ١٥١ . ١٥٠
«من انصارى الى الله» لا تعنى «إلى» هنا وفي آية «الى المرافق» و «الى اموالكم» إلا ما تعنيه «إلى» في غيرها ..... ١٥١ . ١٥٤
ما هو رفع المسيح (ع) الى الله . آية المباهلة في قول فصل ..... ١٥٦ . ١٨١
«الى كلمة سواء ..»؟ ..... ١٨١ . ١٨٧
محمد (ص) رسول الى الرسل على ضوء آية الميثاق في قول فصل ..... ٢١٥ . ٢٢٩
«لن تناولوا البر حتى تنفقوا ..... ٢٤٥ . ٢٤٩
«اول بيت وضع للناس ..»؟ آياته البنيات .. كيف «من دخله كان آمناً» ولا امن فيه كليا؟
ما هي استطاعة السبيل الى حج البيت في قول فصل ..... ٢٥٤ . ٢٨١
ما هو «حق تقاته؟ قول فصل حول الاعتصام بحبل الله جميعا . وحول . حديث الثقلين . ٢٨٩

٣١٩

فرض تكوين الأمة الآمرة الناهية على كاهل الامة الاسلامية ..... ٣١٩ . ٣٢٢
من هم «خيرامة اخرجت للناس»؟ ..... ٣٢٧ . ٣٣٥
كيف «لن يضركم إلا الذي ..»؟ وقد أضرونا كثيراً واستعمرونا! ..... ٣٣٥ . ٣٣٧
ما هما «حبل من الله وحبل من الناس»؟ ..... ٣٣٧ . ٣٤١
«ليسوا سواء ..» فهل ان صالحـي اهل الكتاب ينجون! اجل إذا اكتملت فيهم عشرة كاملة ..... ٣٤٤ . ٣٤٨
حرب أحد وتفاصيل العظيمة في قوله فصل ..... ٣٥٦ . ٣٧١
«ليس لك من الأمر شيء؟ ..... ٣٧١ . ٣٧٥
الربا أضعافاً مضاعفة ..... ٣٧٧ . ٣٧٩
اين «جنة عرضها السماوات والأرض»؟ ..... ٣٨١ . ٣٨٥
«هذا بيان للناس» فمن هم الناس؟ ..... ٣٩٥ . ٣٩٦